المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

مجلة البحوث والدراسات القرآنية

مجلة علمية محكمة متخصصة بالقرآن الكريم وعلومه

العدد الثامن عشر - السنة الحادية عشرة
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
في سطور

الافتتاح: نظراً لازدياد حاجة العالم الإسلامي إلى المصحف الشريف، واضطلاعاً من المملكة العربية السعودية بدورها الرائد في خدمة الإسلام والمسلمين، واستشعاراً من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - رحمه الله - لأهمية خدمة القرآن الكريم، من خلال جهاز متخصص ومتفرغ لهذا العمل الجليل، قام بوضع حجر الأساس لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة في السادس عشر من المحرم عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٢م)، وافتتحه رحمه الله في السادس من صفر عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٤م). وكان له عند وضع حجر أساس هذا الصرح المبارك كلمة ضافية جاء فيها:

" بسم الله الرحمن الرحيم ، وعلى بركة الله العلي القدير ... إننا نرجو أن يكون هذا المشروع خيراً وبركة لخدمة القرآن الكريم أولاً، ولخدمة الإسلام والمسلمين ثانياً، راجياً من الله العلي القدير العون والتوفيق في أمورنا الدينية والدنيوية وأن يوفق هذا المشروع الكبير لخدمة ما أنشئ من أجله وهو القرآن الكريم، لينتفع به المسلمون وليتدبروا معانيه "

أهم أهداف المجمع: طباعة المصحف الشريف وتسجيل تلاواته بالروايات المشهورة في العالم الإسلامي، وترجمة معانيه وتفسيره، والعناية بعلومه، وبالبحوث والدراسات الإسلامية، والوفاء باحتياجات المسلمين داخل المملكة وخارجها من إصدارات المجمع المختلفة، ونشرها على الشبكة العالمية .

الإشراف على المجمع: تتولى وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد الإشراف على المجمع، ومعالي الشيخ الدكتور عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد هو المشرف العام على المجمع ورئيس هيئته العليا. ويتابع تنفيذ سياسات المجمع وتحقيق أهدافه الأمين العام للمجمع الأستاذ الدكتور محمد سالم ابن شديّد العوفي.

الهيئة العليا للمجمع: تختص الهيئة العليا للمجمع بعدد من المهام، منها: رسم الخطط والأهداف العامة للمجمع وسياسات تطبيقها، والإشراف على تنفيذها، وإقرار اللوائح والأنظمة التي يحتاج إليها المجمع.

المجلس العلمي للمجمع: تتضح مهامه واختصاصاته في دراسة الشؤون العلمية وفقاً لأهداف المجمع، واقتراح ما يؤدي إلى تطويرها، ودراسة القضايا والبحوث ذات الصبغة العلمية، والنظر في التقارير المرفوعة من المراكز المختصة.

إحصاءات وإنجازات:

- يضم المجمع الجهات العلمية التي تقوم على إعداد إصداراته وإخراجها، كما تتوافر فيه أحدث التجهيزات في مجال الطباعة، والتسجيل الصوتي على الأقراص المدمجة، والوسائط المتعددة.
- **ينفرد المجمع بنظام رقابي متطور،يطبَّق في جميع مراحل إنتاج العمل منذ الخطوات الأولى في إعداده، مروراً بمراحل الطباعة المختلفة، وتضم إدارة الجودة بأقسامها بالمجمع (٤٦٢) موظفاً؛ وذلك لضمان سلامة النصوص، وإخراج إصدارات المجمع خالية من العيوب والأخطاء.**
- تجاوز عدد ما أصدره المجمع (٣٠٠) من الإصدارات الهامة، في شتى العلوم التي يُعنى بها المجمع، ومنها نحو (٧٤) ترجمة لمعاني القرآن الكريم بلغات العالم المختلفة، ولايزال العمل جارياً لإخراج المزيد من الإصدارات المفيدة بعون الله تعالى.
- اعتباراً من هذا العام ١٤٣٩هـ سيتراوح إنتاج المجمع السنوي من (١٨) إلى (٢٠) مليون نسخة.
- وزع المجمع عشرات الملايين من إصداراته في مختلف قارات العالم هدية من المملكة العربية السعودية، منها نحو مليوني نسخة سنوياً هدية من خادم الحرمين الشريفين إلى حجاج بيت الله الحرام.

دعم المجمع: يلقى المجمع دعماً متواصلاً ورعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز، وصاحب السمو الملكي ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز حفظهما الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

حُرُوف مُضِيئَة

كلمة خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله

لدى افتتاح المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كنت قبل سنتين في هذا المكان لوضع الحجر الأساسي لهذا المشروع العظيم في هذه المدينة التي كانت أعظم مدينة فرح أهلها بقدوم رسول الله ﷺ فرحوا له في شدائد الأمور وانطلقت منها الدعوة دعوة الخير والبركة للعالم أجمع وفي هذا اليوم أجد الله ما كان حلماً يتحقق على أفضل مستوى ولذلك يجب على كل مواطن في المملكة العربية السعودية أن يشكر الله على هذه النعمة الكبرى وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقني الله أن أقوم بخدمة ديني ثم وطني وجميع المسلمين وأرجو من الله التوفيق

فهد بن عبد العزيز آل سعود

١٤٠٥/٥/٦

حُرُوف مُضِيئَة

كَلِمَة خَادِم الحَرَمَيْن الشَّرِيفَيْن

المَلِك عَبْدِ اللَّه بْن عَبْدِ العَزِيز رَحِمَهُ اللَّه

لَدَى افْتِتَاح المُجَمَّع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أحمد الله الذي يسّر على يد أخي صاحب الجلالة فهد بن عبد العزيز هذا العمل الجليل وأكرمه به فإن العمل الخالد هو الذي يبقى وهو الذي يلتقي دائماً وعلى مرّ الأجيال بقلوب المسلمين في شتّى أنحاء العالم، وليس في يقيني أجل وأعظم من هذه المشاريع الخالدة والتي لن تكون إن شاء الله سحابة صيف ولكنّها ستظل الرمز العظيم لعهد يبني ويعطي أسخى العطاء في أطهر بقعة في أكرم مدينة، منها انطلقت الرسالة السماوية إلى العالم أجمع تحمل الهداية وتُنير الطريق للحائرين والمظلومين على وجه الأرض، رسالة أكرمت الإنسان وظلّت شاملة مشاكله ما بقي زمان ومكان لم تحنِ رقبته الى الأرض ولم تقطع أمله من حياة خالدة وتقول لا شيء غير هذه الحياة الفانية وإذا كانت اليوم هذه المدينة العزيزة على نفوسنا محل اهتمام الدولة وعلى رأسهم صاحب الجلالة فهذا حقّها وهذا واجب لا عذر فيه لنا جميعاً، أقول هذا وأؤكده من صميم قلبي ومن إيماني بحق هذه المدينة العزيزة.

وبهذه المناسبة الجليلة لا يفوتني من أن أترحّم على شهداء الإسلام من أنصار ومهاجرين أعطوا دمهم ومالهم وكلّ ما يملكون وإن كان بهم خصاصة فالإيثار الذي به يعتز كل مسلم يجب أن نتذكره ونستحضره دائماً في عهد الرخاء لأولئك الرجال العظام.

وفّق الله كلّ من ساهم أو سيساهم في هذا العمل الكريم والسلام عليكم ورحمة الله

١٠/٢/١٤٠٥هـ

عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

حروف مضيئة

كلمة خادم الحرمين الشريفين
الملك سلمان بن عبدالعزيز يحفظه الله
لدى زيارته المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

بعون من الله وتوفيقه تمكن جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز من إقامة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف والذي زرته اليوم السبت ١٤٠٧/٤/٢٢هـ وقد قرأت وشاهدت من الصحافة والتلفزيون عنه الكثير لكني فوجئت اليوم بفوق كل التصور إذ عمل كهذا يظل خالداً في التاريخ ولذا أقصد من إقامته هو خدمة كتاب الله وما يحمله من هداية للبشرية جمعاء ووجود هذه المؤسسة في هذه البقعة الطاهرة يجعل النفس تشعر بالغبطة والرضا.

أرجو من الله عز وجل أن يوفق جميع من لهم عمل فيه من نفع للإسلام والمسلمين وأن يوفق العاملين عليه لما يحبه ويرضاه والله ولي التوفيق

سلمان بن عبدالعزيز آل سعود

١٤٠٧/٤/٢٢

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى تنشيط البحث العلمي، والإسهام في نشر الدراسات والبحوث المعنية بالقرآن الكريم وعلومه، مما يثري مكتبة الدراسات القرآنية، ويدعو إلى التواصل العلمي بين المختصين في هذا المضمار.

وتحقيقًا لهذا المقصد، فإن مجال النشر في المجلة يشمل: الدراسات والبحوث، وتحقيق المخطوطات، وقضايا ترجمة معاني القرآن الكريم.

تكون المراسلات باسم رئيس التحرير على العنوان التالي:

مجلة البحوث والدراسات القرآنية
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
ص.ب: ٦٢٦٢ المدينة المنورة ٤١٤٤٢
المملكة العربية السعودية
هاتف وناسوخ: ٠٠٩٦٦-١٤-٨٦١٥٦٠٠
تحويلة: ١٨١٠
journal@qurancomplex.gov.sa

مجلة
البحوث والدراسات القرآنية

العدد الثامن عشر - السنة الحادية عشرة ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

هيئة التحرير

المشرف العام

معالي الدكتور عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، المشرف العام على المجمع

رئيس التحرير

أ.د. محمد سالم بن شديد العوفي

الأمين العام لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

نائب رئيس التحرير

د. معيض بن مساعد العوفي

نائب الأمين العام للشؤون العلمية

مدير التحرير

د. عبد الغفور عبد الحق البلوشي

الأعضاء

أ.د. أحمد بن محمد الخراط

أ.د. عماد بن زهير حافظ

د. حازم بن سعيد السعيد

د. مصطفى بن عمر جلبي

رقم الإيداع ١٤٢٦/٦٢٢٢ ردمد ٢٦٢٤ - ١٦٥٨

جميع حقوق الطبع محفوظة
لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

قواعد النشر

تلتزم المجلة في نشر المواد العلمية بالقواعد الآتية:

- أن تسهم في تحقيق أهداف المجلة.
- ألا تكون منشورة أو مقدمة للنشر في جهة أخرى.
- ألا تكون جزءاً من بحث منشور للباحث، أو من رسالة نال بها درجة علمية.
- أن يراعي الباحث قواعد البحث العلمي الأصيل ومنهجه، وأصول تحقيق التراث الإسلامي.
- أن تكون متميزة من حيث الابتكار، والإضافة العلمية، وسلامة المنهج.
- أن يُشار إلى الدراسات السابقة حول الموضوع، والجديد الذي أضافه البحث.
- أن تصدَّر بملخص باللغتين العربية والإنجليزية لا يزيد على صفحة، يتضمن أهم محاور البحث ونتائجه.
- ألا تزيد صفحاتها على خمسين صفحة، ولا تقل عن عشر صفحات.
- أن يقدم الباحث تعريفاً موجزاً بسيرته العلمية، وعناوين الاتصال به، وعنوان بريده الإلكتروني إن وُجِد.
- أن يقدم الباحث خمس نسخ مطبوعة من مشاركته، وأن تصاحبها نسخة إلكترونية مدخلة بواسطة برنامج ميكروسوفت وورد (الإصدار ٢٠٠٣)، أو ما يتوافق معه.
- لا تعاد المادة إلى صاحبها، سواء أنشرت أم لم تنشر.
- يُمنح صاحب كل بحث مكافأة مالية، ويعطى نسختين من العدد المنشور فيه بحثه، وعشر مستلات خاصة ببحثه.
- لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه إلا بإذن خطي من رئيس تحرير المجلة.
- يتم ترتيب المشاركات في المجلة على أساس حروف المعجم لعناوين البحوث في الموضوع الواحد.

منهج التوثيق

- إلحاق نماذج واضحة من المخطوطات التي اعتمدها الباحث.
- التوثيق في الحواشي لا المتن.
- إثبات حواشي كل صفحة في الصفحة نفسها، ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلاً.
- اختصار الحواشي التعليقية ما أمكن.
- ألا يشار في الحواشي إلى بيانات طباعة المرجع المحال عليه، إلا عند اعتماد الباحث أكثر من طبعة.
- ضبط المشكل من الأعلام، والأمكنة، والكلمات.

- مراعاة الابتداء بالتاريخ الهجري في كل ما يؤرَّخ.
- استخدام علامات الترقيم.
- أن تضمَّن قائمة المراجع جميع الأعمال التي تمت الإشارة إليها في البحث.
- يكون ترتيب المراجع في الفهرس الخاص بها ترتيباً هجائياً بحسب عنوان الكتاب، مع استيفاء بيانات الطبع.
- ترتَّب المراجع في قائمة واحدة، مهما كانت طبيعتها ومجال تخصصها.
- إفراد قائمة للمراجع الأجنبية، مستوفية بيانات الطبع، مع ذكر اللغة التي كتبت بها.

مواصفات النشر

- مقاس الكتابة الداخلية: ١٢سم × ١٨سم.
- نوع الخط: Traditional Arabic.
- العناوين الرئيسة: الحجم ٢٠ مُسْوَدّاً.
- العناوين الفرعية: الحجم ١٨ مُسْوَدّاً.
- المتن: الحجم ١٧ غيرَ مُسْوَدٍّ، إلَّا الأبيات الشعرية، فتكتب بخط مُسْوَدٍّ.
- الآيات القرآنية: الحجم ١٨ مُسْوَدّاً، وتكتب على النحو التالي: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].
- تكتب القراءاتُ الشاذَّةُ والأحاديث النبوية والآثار بين قوسين عاديين هكذا: ( )، بحجم ١٨ مُسْوَدّاً.
- تكتب النقول بين علامتي تنصيص « ».
- الحواشي السفلية بحجم ١٢ غير مُسَوَّدة، وتوضع أرقام الحواشي بين قوسين.

مجلة
البحوث والدراسات القرآنية

فهرس المحتويات

كلمة معالي المشرف العام على المجلة ١٣

كلمة فضيلة رئيس التحرير ١٥

أصل المفردة القرآنية عند ابن قتيبة في كتابه تفسير غريب القرآن
د. فهد بن إبراهيم الضالع ١٩

الإمام الطبري راوياً وصاحب اختيار وتأليف في القراءات
أ. د. عمر يوسف عبد الغني حمدان ٨٩

توجيه علي بن حمزة الكسائي (ت: ١٨٩هـ) للقراءات المتواترة: جمعاً ودراسة
د. محمد يحي ولد الشيخ جار الله ٢٠٥

جزء فيه تفسير آيات من القرآن عن الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- بخط القاضي أبي يعلى: تحقيق وتعليق
د. هند بنت إبراهيم التويجري ٢٧٧

الإشكاليات البلاغية لترجمة «معنى المعنى» في النص القرآني: دراسة تطبيقية
د. إبراهيم سعيد السيد ٣٥٥

أخبار المجمع ٣٨٩

من إصدارات المجمع ٣٩٧

كلمة
معالي المشرف العام على المجلة

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على أشرف خَلْقِه، نبينا محمد الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا هو العدد الثامن عشر من مجلة البحوث والدراسات القرآنية، التي تصدر عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، بعد أن قطعت شوطاً طيباً في المجال المعرفي الأصيل لعلوم القرآن الكريم، وصارت مورداً عذباً، ومرجعاً بارزاً يَحْرِص عليه طلبةُ العلم وحَمَلَتُه، داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، وزَوَّدت الباحثين بتحقيقاتها ومراجعاتها التي واكبت تخصصهم العلمي، ومسيرتهم المباركة، وأتاحت لهم المزيد من العمق والاستنارة في معارف كتاب الله وعلومه، ومعالم هديه وإعجازه.

والمتابع للحركة العلمية في الجامعات ومراكز البحث العلمي يلمس بوضوح أن هذه المجلة الرصينة غدت وعاءً يَرْكَنُ إليه الباحثون في دراساتهم وصفوةِ أبحاثهم، وفي هذا دليل ساطع على أن المجمع يُسهم إسهاماً فاعلاً في ازدهار الأنشطة المعرفية التي تتوخّى خدمة القرآن الكريم وعلومه. وما كان هذا المَوْرِدُ المميز ليرتقي إلى هذه المنزلة لولا دَأْبُ هيئة التحرير، وحرصها على إجراءات التدقيق والمراجعة، واستقطاب الأقلام الجادَّة، وتَحَرِّي قواعد البحث ومسالكه، وتوفيتها حقها من التسديد والمتابعة، ومعالجة تجارب الطباعة، إلى أن تستوي على سوقها حاضرةً؛ لينهل منها المتخصصون والدارسون.

وإني إذ أشدُّ على أيديهم بالدعم والمؤازرة، أدعوهم إلى المزيد من الجهود؛ ليشرفوا بخدمة كتاب الله وعلومه، كما أنني أدعو أعضاء هيئة التدريس في الجامعات والقائمين على مراكز البحث العلمي إلى تزويد هذه المجلة بصفوة تحقيقاتهم ومقالاتهم وأبحاثهم واقتراحاتهم النافعة، وسوف يجدون الآذان الصاغية، والاستعداد للتعاون المثمر الهادف.

وأودُّ في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل لولاة أمرنا حفظهم الله، وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود، وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود، حفظهما الله جميعاً، و الحمد لله رب العالمين.

الدكتور عبداللطيف عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل الشيخ
وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد
المشرف العام على مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

كلمة رئيس التحرير

الحمد لله الذي أنعم علينا من فضله، وأسبغ نِعَمه ظاهرة وباطنة، والصلاة والسلام على سيِّد ولد آدم محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنَّ من أعظم الخيرات على العبد أن يُقيم كتاب الله تعالى تلاوة وتدبراً وعملاً، فبقَدْر ما يفهم المسلمُ القرآنَ الكريم يستقيم سلوكه في حياته، ويحرص على العمل به، ويلتزم أحكامَه وهَدْيه.

وفي المقابل بقَدْر تَمَثُّلِ المسلمين أهدافَ القرآن ومقاصده، وحسن عرضها وبيانها، يُقْبِلُ الناس عليه، ويتمسكون بهديه، ويدخلون في دين الله، وتنشرح له صدورهم.

وما مجلة البحوث والدراسات القرآنية إلا نافذةٌ مفتوحة لعرض معاني القرآن الكريم، وتوضيح علومه ومباحثه، وبيان مقاصده وأهدافه، ودراسة قضايا ترجمات معانيه إلى مختلف اللغات.

وإن من دواعي سروري وابتهاجي أن يَصِل إلى مسامعي الثناءُ الحسنُ على المجلة، وهذا من عاجل بشرى المؤمن؛ وذلك مما يدعونا إلى الاطمئنان على مسيرتنا، وشحذ الهمة، وزيادة العطاء والارتقاء بالمجلة وتطويرها.

وتُعَدُّ هذه المجلَّةُ رافداً للدلالة على هداية القرآن وخيريته، إذ قد حَفَل هذا العدد بمجموعة من البحوث القيمة: يأتي أولها، وهو: «**أصل المفردة القرآنية عند ابن قُتَيْبة في كتابه تفسير غريب القرآن**» من إعداد الدكتور فهد بن إبراهيم الضالع، الذي درسَ اثنَتين وعشرين لفظة في «غريب القرآن» للإمام الأديب ابن قُتَيْبة الدِّينَوَري، وبيَّن أصولها التاريخية، والصَّرْفية، موازناً ما أورده ابن قُتَيْبة مع أقوال علماء التفسير من السلف وغيرهم، ومع المعاجم اللغوية الأصيلة، ثم تحليل ذلك كلِّه، والخروج بمقاربة رأي ابن قتيبة مع أقوال أهل التفسير واللغة.

ويأتي ثانيها، وهو: «**الإمام الطبري راوياً وصاحب اختيار وتأليف في القراءات**» من وضع الأستاذ الدكتور عمر يوسف عبد الغني حمدان، الذي أبرز جانباً مهماً في مسيرة الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو كونه من رواة القراءات القرآنية والمصنِّفين فيها، وله انتقاء لعموم مروياته في علم القراءة، وما دار بين الطبري وغيره من العلماء من مناقشات.

ويأتي ثالثها، وهو: «**توجيه علي بن حمزة الكسائي المتوفى سنة (١٨٩هـ) للقراءات المتواترة: جمعاً ودراسة**» للدكتور محمد يحيى ولد الشيخ جار الله، الذي جمع ما وقف عليه في كتب أهل العلم من تعليل الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبيانه لأوجه القراءات المتواترة، وبيَّن مميزات هذا التوجيه، ومصادره فيه.

ويأتي رابعها، وهو: «**جزء فيه تفسير آيات من القرآن عن الإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بخط القاضي أبي يعلى: تحقيق وتعليق**»، للدكتورة: هند بنت إبراهيم التويجري، التي حقَّقت نصَّ التفسير الذي يرويه المرُّوذيُّ تلميذ الإمام أحمد، وخرَّجت الأحاديث والآثار التي فيه، وعَزَت أقوال الإمام أحمد التفسيرية إلى من قال بها من الصحابة والتابعين، وعَلَّقت على ما يحتاج إلى تعليق في هذا النص التفسيري النادر.

ويأتي خامسها، وهو: «**الإشكاليات البلاغية لترجمة «معنى المعنى» في النص القرآني: دراسة تطبيقية**» للدكتور إبراهيم سعيد السيِّد، الذي هدف إلى رصد إشكاليات مترجمي معاني القرآن الكريم في تحديد الدلالة الواضحة لمعنى النص القرآني، وما يتعلق بذلك من العدول عن المعنى الظاهر، والحاجة في ذلك إلى قرائن مفسِّرة، واختلاف المخاطبين، وتجريد الصورة البلاغية من بلاغها.

ويسعدني بمناسبة صدور هذا العدد أن أشكر للزملاء في هيئة التحرير ما قدَّموه من جهود في انتقاء البحوث، واختيار محكميها، ثم تدقيقها وتصحيحها؛ مما أخرجها بالصورة المناسبة.

والشكر موصول لمعالي وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد المشرف العام على المجمع الشيخ الدكتور عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الشيخ، الذي يتابع أعمال المجمع ومشروعاته بعناية واهتمام.

ولا يسعني إلا أن أتقدَّم بالشكر والعرفان لمقام خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود، وأن يَمُنَّ الله عليه بالسَّداد والتوفيق، ووليِّ عهده الأمين صاحبِ السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود، حفظهما الله، على ما يولون المجمع من رعاية ودعم وتشجيع.

والحمد لله رب العالمين.

الأمين العام
لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
أ.د/ محمد سالم بن شديد العوفي

أَصْلُ المُفْرَدَةِ القُرآنيَّةِ عِنْدَ ابْنِ قُتَيْبَةَ في كِتَابِهِ تَفْسِيرُ غَرِيبِ القُرْآن

د. فَهْدُ بْنُ إبْرَاهِيمَ الضَّالِع(*)

مُلَخَّصُ البَحْث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اعتنى أئمة الإسلام الأوائل بكتاب الله تعالى، سواء بتفسيره أو لغته أو شتى العلوم المتعلقة به. ومن هؤلاء العلماء المتقدمين أبو محمد عبد الله بن قتيبة، وكان مما سبق إليه في كتابه الموسوم «تفسير غريب القرآن» إشارته إلى أصل الكلمة التي يريد تفسيرها، ومن خلال هذا الملمح وفق الله الباحث ليجمع هذه المواضع من هذا الكتاب، ثم إنه جاء عرض البحث بمقدمة، ثم ترجمة لابن قتيبة، ثم نظرة سريعة في كتاب «تفسير غريب القرآن»، ثم تقسيم الأصل إلى أصل تأريخي حيث يراد به أول الإطلاق، وأصل صرفي يراد به الميزان الصرفي، وأصل يتعلق بعود إطلاقات الكلمة إليه، ثم بعد ذلك انتقاء اثنتين وعشرين لفظة ينطبق عليها شرط البحث، وتمت دراسة كل لفظة في مطلب مستقل، وكان شأن الباحث أن يجعل كلام أبي محمد بن قتيبة أصلاً، ثم يعلق عليه مما لف لفه من تفسير السلف وأهل المعاجم اللغوية المتقدمين، ولاسيما أحمد بن فارس في مقاييسه، ثم يقلِّب التفاسير وكيف اقتربوا من هذا الأصل الذي أورده ابن قتيبة أو ابتعدوا، فوجد تفاسير تنص على الأصل كالطاهر بن عاشور، وابن عطية - على تفاوت بينهما - ثم يجتهد الباحث في التحليل والجمع والتقريب مما يقتضيه مقام تفسير القرآن العظيم وغريبه ولغته، ثم ختم البحث بأهم النتائج والتوصيات.

(*) أستاذ مشارك، قسم القرآن وعلومه، كلية الشريعة، جامعة القصيم.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن من فضل الله على عباده أن جعل بين أيدهم كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد، وتكفَّل بحفظه حتى قيام الساعة، فهو منهل لكل فضل، ومنبع لكل خير، وكاشف لكل كرب، وشفاء ورحمة للمؤمنين، ولا يزيد الكافرين والمتنكبين عن سبيله إلا خساراً.

ويظل فضل هذا الكتاب الكريم رابياً، وبحره زاخراً فلم ينقص بتردد العلماء والباحثين عليه عبر القرون، فهو الهداية والعلم والرشد والصراط المستقيم.

ولقد كان من فضل الله على المتخصصين في دراسة التفسير وعلوم القرآن أن يختصوا به ويبذلوا جهودهم فيه وأوقاتهم في علومه.

وكان من سابقة عملي في بعض بحوثي أن أكثرت التأمل في كتاب أبي الحسن ابن فارس «مقاييس اللغة» وكيف صاغه بهذه الطريقة الفريدة، فكنت أجد له براعة في عرضه وتأمله ونقاء قريحته وبُعد غوره حين يغوص إلى أعماق الاستعمال العربي، فيأتي من جميع دررها بأصل واحد ينطبق عليها جميعها، وكأن هذا الأصل الذي انتقاه وابتدعه روح تتحرك بها الاستعمالات المشهورة في العربية.

وبينما أنا كذلك ومع قراءتي أكثر من مرة لكتابَي «المشكل» و«الغريب» لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، فإذا أنا أمام قوله: «وأصْل كذا وكذا...» إلخ. ولقد سبرت كغيري ابن قتيبة مع تقدمه وسابقته في العلم، وكيف يهذب ما يكتب ويرتبه وينتخبه ويُوليه فائق العناية والاختيار.

فطفقت أتأمل كيف يريد بالأصل وطريقته فيه، ولاسيما أنه استعمله في كلامه على ألفاظ القرآن العظيم، فعزمت على جمع ما نصَّ فيه على الأصل من كتابه الغريب،

ونفيت الأصول المتعلقة بالميزان الصرفي وأبقيت على تلك المتعلقة بالمعنى والاشتقاق؛ لعلاقتها المباشرة بالتفسير والمراد بالآية، وأزمعت على الجمع بين كلامه وكلام من هو بين يديه ومن خلفه من أئمة اللغة والغريب والمعاني والتفسير، فكنت ألتقط الذي يصرح بالأصل ومن يقاربه من عبارات الكناية، ثم أقارن بين أقوالهم وأُوازِن وأجتهد من بعد كدٍّ للذهن واستعانة بدقيق العبارة من أحدهم على الآخر، ثم أعرج على تفسير الآية من أهل التفسير تتميماً للفائدة، وقد رأيت أن تكون خطة البحث:

المقدمة:

أولاً: **التمهيد**: وفيه:

أولاً: ترجمة ابن قتيبة الدينوري.

ثانياً: التعريف بكتابه: غريب القرآن.

ثالثاً: أصل المفردة القرآنية.

ثانياً: **قسم الدراسة**: أصل المفردة القرآنية عند ابن قتيبة من خلال كتابه «غريب القرآن».

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل فضلاً منه ورحمة، وأن يجعله خالصاً لوجهه، وباباً للعلم النافع والاستفادة من أهل الفضل، والحمد لله رب العالمين.

أولاً: التمهيد

أولاً: ترجمة ابن قتيبة الدينوري:

اسمه ونسبه ومولده[1]:

عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الكاتب الدينوريّ النحويّ اللغويّ العالم، صاحب التصانيف الحسان في فنون العلوم، مروزيّ الأصل، ولد ببغداد، وقيل: بالكوفة، ونشأ بها وتأدّب، وأقام بالدّينور مدّة فنسب إليها، ولا خلاف بين الذين ترجموا لأبي محمد في السنة التي ولد فيها وهي سنة (٢١٣هـ) في أواخر خلافة المأمون، ونشأ ببغداد.

شيوخه وتلاميذه:

تتلمذ على يد عدد كبير من العلماء منهم:

١. والده: مسلم بن قتيبة، يحدث عنه مرات في كتابيه: «عيون الأخبار»، و«المعارف».
٢. أحمد بن سعيد اللحياني، صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام، قرأ عليه: كتاب «الأموال»، وكتاب «غريب الحديث» لأبي عبيد في سنة (٢٣١هـ)، ومعنى هذا أن عمر «ابن قتيبة» كان عندها ثمانية عشر عاماً.
٣. أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحيّ (٢٣١هـ) صاحب طبقات الشعراء.
٤. ابن راهويه أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم (٢٣٨هـ)، وهو من أئمة الفقه والحديث، صحب الشافعيّ وناظره، وروى عنه: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

---

(١) انظر في ترجمته: تاريخ العلماء النحويين للتنوخي (ص٢٠٩)، الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (٦٢٧/٢)، تاريخ بغداد (٤١١/١١)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص١٥٩)، تاريخ أربل (٤٧٧/٢)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (١٤٣/٢)، تهذيب الأسماء واللغات (٢٨٠/٢)، وفيات الأعيان (٤٢/٣)، تاريخ الإسلام (٥٦٥/٦)، سير أعلام النبلاء (٢٩٦/١٣)، ميزان الاعتدال (٥٠٣/٢)، الوافي بالوفيات (٣٢٦/١٧)، لسان الميزان (٩/٥)، بغية الوعاة (٦٣/٢)، طبقات المفسرين للداودي (٢٥١/١)، طبقات المفسرين للأدنه وي (ص٤٤)، الأعلام للزركلي (١٣٧/٤)، معجم المؤلفين (٤٠٢/١٣).

٥. حرملة بن يحي التجيبي (٢٤٣هـ) صاحب الشافعيّ.

٦. يحي بن أكثم القاضي (٢٤٢هـ)، ويقال: إن ابن قتيبة أخذ عنه بمكة.

٧. المروزي أبو عبد الله الحسن بن الحسين بن حرب السلمي (٢٤٦هـ).

٨. دعبل بن علي الخزاعي الشاعر (٢٤٦هـ).

٩. أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق بن بكير بن البُهْلول الباهلي البصري (٢٤٨هـ).

١٠. الزيادي أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان (٢٤٩هـ) تلميذ: سيبويه، والأصمعي، وأبي عبيدة.

١١. أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (٢٤٨هـ) أو (٢٥٥هـ)، قال الأزهري: «وقد جالسه: شمر، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة، ووثقاه»[١].

١٢. محمد بن زياد بن عبيد الله بن زياد بن الربيع الزيادي البصري (٢٥٢هـ).

١٣. أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن محمد الصوَّاف الباهلي البصري (٢٥٣هـ).

١٤. أبو عبد الله محمد بن يحي بن أبي حزم القطعي البصري (٢٥٣هـ).

١٥. أبو الخطاب زياد بن يحي بن زياد الحساني البصري (٢٥٤هـ).

١٦. شبابة بن سوار (٢٥٤هـ).

١٧. أبو عثمان الجاحظ (٢٥٤هـ)، وفي ذلك يقول ابن قتيبة في كتابه «عيون الأخبار»: «وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر من كتبه، قال...».

١٨. أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد البصري (٢٥٧هـ).

١٩. أبو طالب زيد بن أخزم الطائي البصري (٢٥٧هـ).

٢٠. أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي، تلميذ الأصمعي (٢٥٧هـ).

٢١. أبو سهل الصفار عبدة بن عبد الله الخزاعي (٢٥٨هـ).

٢٢. عبد الرحمن بن بشر بن الحكم بن حبيب بن مهران العبديّ (٢٦٠هـ).

---

(١) مقدمة التهذيب (ص ١١).

تلاميذه:

وممن تتلمذ على أبي محمد ينهل من علمه:

١. ابنه أحمد، وهو أبو جعفر ابن قتيبة، أحمد بن عبد الله بن مسلم الدينَوَريّ البغدادي النشأة، كان مالكي المذهب من أهل العلم والحفظ لكتب أبيه، وكان يحفظها كما يحفظ القرآن.

٢. أحمد بن مروان المالكي (٢٩٨هـ).

٣. أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان (٣٠٩هـ).

٤. أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أيوب بن بشير الصائغ (٣١٣هـ).

٥. أبو محمد عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى السكري (٣٢٣هـ).

٦. أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن بكير التميمي (٣٣٤هـ).

٧. الهيثم بن كليب الشاشي (٣٣٥هـ)، وقد أخذ عنه الأدب خاصة.

٨. قاسم بن أصبغ الأندلسي (٣٤٠هـ) الّذي كانت رحلته إلى المشرق سنة (٢٧٤هـ).

٩. عبد الله بن جعفر بن درستويه الفسوي (٣٣٥هـ).

١٠. أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد الأزدي (٣٤٨هـ).

١١. أبو بكر أحمد بن الحسين بن إبراهيم الدينَوَريّ.

١٢. أبو عبد الله بن أبي الأسود (٣٤٣هـ).

١٣. أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني البغدادي (٢٩٨هـ).

مؤلفاته: أهم مؤلفات ابن قتيبة:

أدب الكاتب: طبعه أولاً سيرول في ليبسيك سنة (١٨٧٧م)، مع خلاصة إنجليزية، وأعاد طبعه المستشرق الألماني غرونرت في ليدن سنة (١٩٠٠م)، ثم طبع عدة طبعات، أجودها طبعة المطبعة السلفية في القاهرة سنة (١٣٤٦هـ)، بإشراف محب الدين الخطيب، وطبعة جديدة بتحقيق محيي الدين عبد الحميد، سنة (١٣٥٥هـ) بمصر.

الأشربة: طبع بتحقيق محمد كرد علي بالمجمع العلمي بدمشق سنة (١٩٤٧م)، ثم طبع عدة طبعات، منها طبعة بتحقيق حسام الدين البهنساوي، نشرته مكتبة زهراء الشرق بالقاهرة، عام (١٩٩٨م).

إصلاح غلط أبي عبيد: نشر محمد عظيم الدين محقق كتاب «غريب الحديث»، لأبي عبيد مقتبسات منه، نشرها على المواد التي وقع فيها النقد من كتاب أبي عبيد، وقد نشرته دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد في الهند سنة (١٣٨٤هـ)، ونشره كاملاً لأول مرة المستشرق الفرنسي جيرار لكونت، الأستاذ في مدرسة اللغات الشرقية، باريس، في مجلة كلية القديس يوسف، بيروت، سنة (١٩٦٨م)، ثم طبع بتحقيق الدكتور عبد الله الجبوري، نشرته دار الغرب الإسلامي، بيروت، عام (١٤٠٣هـ).

الأنواء: طبع الكتاب بتصحيح: شارل بلا، ومحمد حميد الله، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد بالهند سنة (١٣٧٥هـ).

تأويل مختلف الحديث: طبع بتصحيح الشيخ إسماعيل الأسعردي بمطبعة كردستان العلمية بالقاهرة سنة (١٣٢٦هـ)، ثم طبع بتصحيح وضبط الشيخ محمد زهدي النجار، نشرته دار الجيل بلبنان (١٣٩٣هـ)، ثم طبع عدة طبعات: منها طبعة بتحقيق محمد محي الدين الأصفر، نشره المكتب الإسلامي، بيروت، سنة (١٤٠٨هـ).

تأويل مشكل القرآن: حققه السيد أحمد صقر، وقدّم له مقدمة ضافية ترجم فيها ترجمة موسعة للمؤلف، وعرّف بالكتاب، وبين منهجه في تحقيقه، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي عام (١٣٧٣هـ)، ثم صوّر ونشرته دار التراث بالقاهرة عام (١٣٩٣هـ)، ثم طبع عدة طبعات.

التسوية بين العرب والعجم: نشر قطعة منه الشيخ جمال الدين القاسمي في مجلة «المقتبس» في عددها الحادي عشر (ص٦٥٧-٦٦٨)، والثاني عشر (ص٧٢٢-٧٣٥) من المجلد الرابع سنة (١٣٢٧هـ) بعنوان «ذم الحسد»، وأعاد نشرها محمد كرد علي في كتاب «رسائل البلغاء» بعنوان «كتاب العرب أو الرد على الشعوبية» دار الكتب العربية

بالقاهرة سنة (١٣٣١هـ)، ثم طبع الكتاب كاملاً بتحقيق الدكتور: وليد محمود خالص، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، عام (١٩٩٨م).

تفسير غريب القرآن: وقد طبع الكتاب بتحقيق: السيد أحمد صقر، نشرته دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة سنة (١٣٧٨هـ)، ثم أعادت نشره دار الكتب العلمية سنة (١٣٩٨هـ)، وللسيد صقر تعليقات مفيدة على الكتاب، إذ نقل فيه الكثير من الآراء، ووازن بينها وبين ما ذكره ابن قتيبة، كما خرَّج الأبيات الشعرية وشرحها، وربط موضوعات الكتاب بأماكنها من كتب التفسير واللغة والأدب، كما طبع الكتاب بعناية: إبراهيم رمضان، نشرته دار الهلال ببيروت.

الردّ على المشبهة والجهمية: طبع أولاً بتحقيق: محمد زاهد الكوثري، في مطبعة السعادة بالقاهرة، سنة (١٣٤٩هـ)، ثم نشره علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي سنة (١٣٩١هـ)، ضمن مجموعة عقائد السلف، ثم طبع عدة طبعات، منها طبعة بتحقيق: عمر محمود، نشرته دار الراية بالرياض، عام (١٤١٢هـ).

عيون الأخبار: نشره كارل بروكلمان بين عامي (١٩٠٠ - ١٩٠٨م) في برلين وستراسبورغ في أربعة أجزاء، ثم طبعته دار الكتب المصرية في أربعة مجلدات (١٣٤٣هـ)، ثم طبعته الهيئة المصرية العامة للكتاب عام (١٩٧٣م).

غريب الحديث: حققه: د. عبد الله الجبوري، وقدَّم له دراسة وافية لنيل درجة الدكتوراه من جامعة بغداد عام (١٩٧٦م)، وطبعته وزارة الأوقاف العراقية في ثلاثة مجلدات عام (١٩٧٧م)، ثم طبع بتحقيق: د. رضا السويسي عام (١٩٧٩م) في تونس، وأصله رسالة دكتوراه تقدَّم بها لجامعة باريس (١٩٧٠م)، ثم طبعة ثالثة بعناية نعيم زرزور، نشرته دار الكتب العلمية ببيروت عام (١٤٠٨هـ).

المسائل والأجوبة: طُبع قسم من الكتاب - ١٩ مسألة من أصل ١٩٠ مسألة - في مطبعة السعادة بمصر عام (١٣٤٩هـ)، بعنوان «المسائل والأجوبة في الحديث واللغة»،

ثم طبع الكتاب كاملاً بتحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة، نشرته دار ابن كثير ببيروت عام (١٤١٠هـ)، بعنوان «المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير».

المعارف: نشره المستشرق الألماني وستنفلد في جوتنجن سنة (١٨٥٠م)، ثم طبع بتصحيح محمد إسماعيل الصاوي، نشرته المكتبة الحسينية في القاهرة، سنة (١٣٥٣هـ)، ثم كانت أجود طبعات الكتاب بتحقيق الدكتور ثروت عكاشة، قدّم عليه مقدمة ضافية، واعتمد في تحقيقه على سبع نسخ خطية، نشرته دار المعارف بمصر سنة (١٩٦٠م).

ومن كتبه المفقودة:

الفقه: ذكره القفطي (ت: ٦٤٦هـ)[١]، وذكره ابن النديم باسم «جامع الفقه»[٢].

التفقيه: ذكره القفطي[٣]، وابن خلكان (ت: ٦٨١هـ)[٤].

عيون الشعر: ذكره ابن النديم، وقال: إنه يحتوي على عشرة كتب: كتاب المراتب، كتاب القلائد، كتاب المحاسن، كتاب المشاهد، كتاب الشواهد، كتاب الجواهر، كتاب المراكب، كتاب المناقب، كتاب المعاني، كتاب المدائح[٥].

بعض ما قيل فيه:

يقول الخطيب البغدادي: «وكان - يعني ابن قتيبة - ثقة ديِّناً فاضلاً»[٦].

ويقول ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: «كان ابن قتيبة ثقة في دينه وعلمه»[٧].

---

(١) إنباه الرواة (٢/١٤٣).
(٢) الفهرست (ص٨٥).
(٣) إنباه الرواة (٢/١٤٣).
(٤) وفيات الأعيان (٣/٤٢).
(٥) الفهرست (ص٨٥).
(٦) تاريخ بغداد (١١/٤١١).
(٧) نقله ابن حجر في لسان الميزان (٥/١٠).

ويقول الحافظ الذهبي في «ميزان الاعتدال»: «أبو محمد صاحب التصانيف، صدوق قليل الرواية»[1].

ويقول في «تذكرة الحفاظ»: «ابن قتيبة من أوعية العلم، لكنه قليل العمل في الحديث»[2].

وفاته:

أكل رَحِمَهُ ٱللَّهُ هريسة فأصاب حرارة، ثم صاح صيحة شديدة ثم أغمي عليه إلى وقت صلاة الظهر، ثم اضطرب ساعة، فما زال يتشهد إلى وقت السحر، ثم مات، وذلك أوّل ليلة من رجب سنة ست وسبعين ومائتين.

ثانياً: التعريف بكتابه «غريب القرآن»:

«قال عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيُّ: نَفتتِحُ كتابَنا هذا بذكْر أسمائه الحُسنى، وصفاته العُلا؛ فنُخبِرُ بتأويلهما واشتقاقهما؛ ونُتْبِعُ ذلك ألفاظاً كثر تَرْدادُها في الكتاب لم نر بعض السُّور أولى بها من بعض؛ ثم نبتدئ في تفسير غريب القرآن، دون تأويل مُشْكله: إذ كنا قد أفْرَدْنا للمشكل كتاباً جامعاً كافياً، بحمد الله.

وغرضنا الذي امتثَلْناه في كتابنا هذا: أن نختصر ونُكْمل، وأن نوضِّح ونُجْمِلَ؛ وألَّا نستشهدَ على اللفظ المُبْتَذَل، ولا نُكْثِرَ الدِّلالةَ على الحرف المستعمل؛ وألَّا نحشُوَ كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد، فإنَّا لو فعلنا ذلك في نقل الحديث: لاحتجنا إلى أن نأتِيَ بتفسير السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ بعينه؛ ولو أتَيْنا بتلك الألفاظ كان كتابنا كسائر الكتب التي أَلَّفَهَا نَقَلَةُ الحديث؛ ولو تكلَّفْنا بعدُ اقتصاصَ اختلافِهم، وتبيينَ معانيهم، وفتْقَ جُمَلِهم بألفاظنا، وموضعَ الاختيارِ من ذلك الاختلاف، وإقامةَ الدلائل عليه، والإخبارَ عن العلة فيه -: لأسْهبْنا في القول، وأطلنا الكتاب؛ وقَطَعْنا منه طمعَ المُتحفِّظ، وباعَدْناه من بُغْيَة المُتأدِّب؛ وتكلَّفنا من نقل الحديث، ما قد وُقِيناه وكُفِيناه.

(١) ميزان الاعتدال (٥٠٣/٢).

(٢) تذكرة الحفاظ (٦٣٣/٢).

وكتابنا هذا مستنبط من كتب المفسرين، وكتب أصحاب اللغة العالمين لم نخرج فيه عن مذاهبهم، ولا تكلَّفنا في شيء منه بآرائنا غيرَ معانيهم، بعد اختيارنا في الحرف أَوْلَى الأقاويلِ في اللغة، وأَشْبَهَهَا بقصةِ الآية».

في هذه المقدمة الضافية يبين لنا أبو محمد عبد الله بن مسلم اسم كتابه وطريقته فيه، ومع أنني عاودت قراءته فيما قبل إلا أنني أجد عرض كتابه بذات الطريقة التي تحدث هو بها؛ لما في ذلك من حفاظٍ على نقاء فكرته وجمال ترتيبه وصفاء قريحته، فكتابه هذا لخَّصه وخلصه للكلمات الغريبة في كتاب الله تعالى وحسب.

ويمكننا عرض أسلوبه في كتابه من خلال قيله:

أولاً: اسم الكتاب: قال: «ثم نبتدئ في تفسير غريب القرآن، دون تأويل مُشْكله: إذ كنا قد أَفْرَدْنا للمشكل كتاباً جامعاً كافياً، بحمد الله». وفي هذه دلالة على أنه كتب الغريب بعد المشكل وأنه عنونه: «غريب القرآن» وأما ذكره للتفسير فهو يريد على سبيل المصدر لا الاسم للكتاب؛ ولذلك قال عن المشكل بعده تأويل ومعلوم: إنه سماه مشكل القرآن.

ثانياً: الاختصار المكمل للمقصود والتوضيح بعبارة مجملة من غير إطناب ولا إسهاب، قال فيه: «وغرضنا الذي امتثَلْناه في كتابنا هذا: أن نختصر ونُكْمل، وأن نوضِّح ونُجْمِلَ».

ثالثاً: اجتناب ما يفهمه الناس من الألفاظ التي استهلكوها حتى هضمتها عقولهم وعرفوها، ولا تلك المتداولة كثيراً على ألسنتهم مما لا يحتاج إلى بيان: «وأن لا نستشهدَ على اللفظ المُبْتَذَل، ولا نُكْثِرَ الدِّلالةَ على الحرف المستعمل».

رابعاً: اجتناب القضايا النحوية مهما صغرت أو تشعبت خلافاتها: «وألَّا نحشُوَ كتابنا بالنحو».

خامساً: وهنا تظهر شخصية خليقة بالدراسة وحدها، وهي تعظيمه للوحي وعلوم الوحي، وذلك أنه كان يتحدث عن اجتناب المبتذل والمتداول والنحو في كتابه فيتحدث

مختصراً، فلما جاء على الحديث عن اجتنابه لروايات الحديث والأثر والأسانيد احتاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يُعلي من قدر هذا التفسير وتعظيم شأنه، فأطال الاعتذار واحتاط لدينه وتعظيمه، فقال: «وألَّا نحشُوَ كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد، فإنَّا لو فعلنا ذلك في نقل الحديث لاحتجنا إلى أن نأتِيَ بتفسير السلف - رحمة الله عليهم - بعينه؛ ولو أتَيْنا بتلك الألفاظ كان كتابنا كسائر الكتب التي أَلِفَهَا نَقَلَةُ الحديث؛ ولو تكلَّفْنا بعدُ اقتصاصَ اختلافِهم، وتبيينَ معانيهم، وفتْقَ جُمَلِهم بألفاظنا، وموضعَ الاختيارِ من ذلك الاختلاف، وإقامةَ الدلائل عليه، والإخبارَ عن العلة فيه، لأسْهبْنا في القول، وأطلنا الكتاب؛ وقطعْنا منه طمعَ المُتحفِّظ، وباعَدْناه من بُغْيَة المُتأدِّب؛ وتكلَّفنا من نقل الحديث، ما قد وُقِينَاه وكُفِيناه.

سادساً: مصادره في كتابه: فقال: «وكتابنا هذا مستنبط من كتب المفسرين، وكتب أصحاب اللغة العالمين، لم نخرج فيه عن مذاهبهم».

سابعاً: بُعده عن التكلف في كتابه وشذوذه عن آراء من تقدمه، فقال: «ولا تكلَّفنا في شيء منه بآرائنا غيرَ معانيهم».

ثامناً: إمامته في العربية حيث أحسن توظيفها باختيار أولى الأقاويل في اللغة: «بعد اختيارنا في الحرف أَوْلَى الأقاويلِ في اللغة».

تاسعاً: نظرته التفسيرية في اختيار القول الموائم لسياق الآية التي يتكلم عليها، فقال: «وأشْبَهَهَا بقصةِ الآية».

ثالثاً: أصل المفردة القرآنية:

والمراد بهذا العنوان ليس تفصيله وتعريف كل لفظ منه على حده، فالمفردة القرآنية هي محل البحث والتناول، وهي مرتع واسع للباحثين، سواء من جهة إعرابها أو البحث في علاقة ألفاظها بمعانيها أو غير ذلك مما يتسع به الكلام ويطول به المقام، وأجد أن في اختياري مصطلح (الأصل) للمفردة القرآنية يوجب عليَّ توضيحاً وتفريقاً: فأصل الكلمة يطلق ويراد به أحد أمور ثلاثة:

أولاً: الأصل الأول: الذي هو محل اشتقاق المعنى من اللفظ أول الاستعمال قبل شيوعه في ألفاظ مشهورة من كلام العرب، وهذا هو الأكثر عند ابن قتيبة في كتابَيه «الغريب والمشكل».

ثانياً: الأصل: الذي هو الدلالة المحورية التي ترجع إليها جميع الألفاظ المشهورة من جهة المعنى، فكأنها صبغة تصطبغ بها جميع ألفاظ الباب، وهذا هو ما سبق به أبو الحسين أحمد بن فارس في كتابه «مقاييس اللغة».

ثالثاً: الأصل: الصرفي والمتعلق بميزان الكلمة وأصول حروفها وزوائدها وما يعتري ذلك من إعلال وإبدال وغيرهما.

ولا شك أن القسم الأول والثاني يتقاربان ويتباعدان بحسب الأمثلة واجتهاد المجتهد.

وطريقة المؤلفين عن أصل المفردة على نوعين:

الأول: التصريح بالأصل: وهو قولهم: وأصله كذا وكذا.

الثاني: الكناية الدالة على الأصل: كقولهم: «مأخوذ من كذا وكذا»، و«حقيقته كذا وكذا»، و«من قولهم: كذا كذا».

وقد أقف على تأصيل لمتقدم أو كناية له صرح بها متأخر، وقد حاولت أن أتبصر بأهل العلم والسابقة قبل جريان المداد بما أجده مقارباً بعد النظر في القواميس المتقدمة وكتب الغريب وكتب المعاني وأهل العناية من المفسرين، فأجمع وأقارن وأُوازن وأجتهد في مقاربة ما أكتب ليكون خليقاً بالإفادة، ثم أعرج على المعنى المراد بالتفسير من اللفظ المذكور، غير متقيد بترتيب دقيق نظراً لاختلاف المواضع وتغير الأفكار فيها فأرتب حسب ما أراه مناسباً.

ثانياً: قسم الدراسة

أصل المفردة القرآنية عند ابن قتيبة

من خلال كتابه «غريب القرآن»

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

قال ابن قتيبة: «قوله: ﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢]، هو من استيفاء العدد واستيفاء الشيء إذا استقصيته كله. يقال: توفيته واستوفيته. كما يقال: تيقَّنت الخبر واسْتَيْقَنْتُه، وتثبَّت في الأمر واسْتَثْبَتُه. وهذا هو الأصل. ثم قيل للموت: وفاة وتوف»[1].

اتفق رأي ابن فارس مع ابن قتيبة في أن أصل التوفي هو الاستيفاء والاستقصاء على سبيل الإتمام والكمال. قال ابن فارس: «الْوَاوُ وَالْفَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى إِكْمَالٍ وَإِتْمَامٍ. مِنْهُ الْوَفَاءُ: إِتْمَامُ الْعَهْدِ وَإِكْمَالُ الشَّرْطِ. وَوَفَى: أَوْفَى، فَهُوَ وَفِيٌّ. وَيَقُولُونَ: أَوْفَيْتُكَ الشَّيْءَ، إِذَا قَضَيْتَهُ إِيَّاهُ وَافِياً. وَتَوَفَّيْتُ الشَّيْءَ وَاسْتَوْفَيْتُهُ؛ [إِذَا أَخَذْتَهُ كُلَّهُ] حَتَّى لَمْ تَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئاً. وَمِنْهُ يُقَالُ لِلْمَيِّتِ: تَوَفَّاهُ اللهُ[2]، وهو بهذا المعنى في كتاب الله».

قال الراغب في تبيين هذا الأصل في كتاب الله، وكيف تعود إليه ألفاظ الكتاب العزيز: «وفى الوَافِي: الذي بلغ التّمام. يقال: درهم وافٍ، وكيل وافٍ، وأَوْفَيْتُ الكيلَ والوزنَ. قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ [الإسراء: ٣٥]، وَفَى بعهده يَفِي وَفَاءً، وأَوْفَى: إذا تمّم العهد ولم ينقض حفظه، وتَوْفِيَةُ الشيءِ: بذله وَافِياً، واسْتِيفَاؤُهُ: تناوله وَافِياً. قال تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ [آل عمران: ٢٥]، وقد عبّر عن الموت والنوم بالتَّوَفِّي،

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٤).

(٢) مقاييس اللغة (١٢٩/٦).

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢][1]، وممن نص على ذلك الأصل موافقاً لهما الطاهر ابن عاشور: «﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥] ظاهر معناه: إني مميتك، هذا هو معنى هذا الفعل في مواقع استعماله؛ لأن أصل فعل توفى الشيء أنه قبضه تاماً واستوفاه. فيقال: توفاه الله؛ أي قدر موته، ويقال: توفَّاه ملك الموت؛ أي أنفذ إرادة الله بموته، ويطلق التوفي على النوم مجازاً بعلاقة المشابهة»[2].

* * *

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة: ٧٠].

قال ابن قتيبة: و(الإفْكُ) الكذب؛ لأنه كلام قُلِبَ عن الحق. وأصله من أفَكْتُ الرجلَ إذا صرفته عن رأي كان عليه. ومنه قيل لمدائن قوم لوط: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ [التوبة: ٧٠]؛ لانقلابها. ومنه قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس: ٣٤]؛ أي: من أين تحرمون وتُصْرفون عن الحق. قال الشاعر:

إنْ تَكُ عَنْ أَحْسَنِ الصَّنِيعَةِ مَأْ ... فُوكاً فَفِي آخَرِينَ قَدْ أُفِكُوا[3]

وافق ابنُ فارس ابنَ قتيبة في أن أصل (أفك) من قَلْبِ الشيء عن وجهه وصَرْفِه عنه. قال ابن فارس: «(أَفَكَ) الْهَمْزَةُ وَالْفَاءُ وَالْكَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى قَلْبِ الشَّيْءِ وَصَرْفِهِ عَنْ جِهَتِهِ. يُقَالُ: أُفِكَ الشَّيْءُ. وَأَفِكَ الرَّجُلُ: إِذَا كَذَبَ. وَالْإِفْكُ الْكَذِبُ. وَأَفَكْتُ الرَّجُلَ عَنِ الشَّيْءِ: إِذَا صَرَفْتُهُ عَنْهُ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ [الأحقاف: ٢٢]»[4].

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٨٧٨).
(٢) التحرير والتنوير (٣/٢٥٨).
(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٣٠)، والبيت لعروة بن أذينة، كما في اللسان (١٢/٢٧٠)، والصحاح (٤/١٥٧٣).
(٤) مقاييس اللغة (١/١١٨).

وصرَّح بهذا كذلك الراغب وعرض لتصريفات الكلمة في كتاب الله، فقال: «الإفك: كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه، ومنه قيل للرياح العادلة عن المهابّ: مُؤْتَفِكَة. قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ [الحاقة: ٩]. وقوله تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]؛ أي: يصرفون عن الحق في الاعتقاد إلى الباطل، ومن الصدق في المقال إلى الكذب، ومن الجميل في الفعل إلى القبيح. وقوله تعالى: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ [الأحقاف: ٢٢]، فاستعملوا الإفك في ذلك لمّا اعتقدوا أنّ ذلك صرف من الحق إلى الباطل، فاستعمل ذلك في الكذب لما قلنا»(١).

وألمح إلى الأصل الفراء: «يريد: يُصرف عَنِ القرآن والإيمان، مَنْ صُرِفَ، كما قال: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾ يَقُولُ: لتصرفَنا عنْ آلهتنا، وتصُدَّنا»(٢).

ومثله ابن جرير الطبري: «يقول: يُصرف عن الإيمان بهذا القرآن، مَنْ صُرِفَ، ويُدْفَعُ عنه من يُدْفَعُ، فيُحْرَمُه»(٣).

وجمع الأصل في عرف القرآن فأجاد ابن عطية حيث قال: «عرف الاستعمال في «أفك»، إنما هو في الصرف من خير إلى شر، وتأمل ذلك تجدها أبداً في المصروفين المذمومين»(٤).

* * *

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ من الفلاح؛ وأصله البقاء. ومنه قول عَبِيدٍ:

أَفْلِحْ بِمَا شِئْتَ فَقَدْ يُبْلَغُ بِالضْـ ـضَعْفِ وَقَدْ يُخْدَعُ الأَرِيبُ

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٧٩).
(٢) معاني القرآن للفراء (٨٣/٣).
(٣) جامع البيان (٣٩٨/٢٢).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٧٣/٥).

أي: ابق بما شئت من كَيْس أو غفلة. فكأنه قيل للمؤمنين: مفلحون؛ لفوزهم بالبقاء في النعيم المقيم. هذا هو الأصل[1].

نص ابن قتيبة على أن أصل الفلاح هاهنا (البقاء)، وقد ألمح إلى هذا الأصل قبله أبو عبيدة، فقال: «كل من أصاب شيئاً من الخير فهو مفلح، ومصدره الفلاح وهو البقاء، وكل خير»[2]، وتبعهما في ذلك النحاس فقال: «أي لتكونوا على رجاء من الفلاح وأصل الفلاح البقاء والخلود»[3].

وأما ابن فارس فقال: «(فَلَحَ) الفَاءُ واللَّامُ والْحَاءُ أَصْلانِ صحِيحَانِ، أَحدُهُما يَدُلُّ عَلَى شَقٍّ، وَالآخَرُ عَلى فَوْزٍ وبَقَاءٍ»[4].

فهو بهذا يوافق مَنْ تقدَّمه بأحد شِقَّي الأصل اللغوي هنا. وقال الراغب مضمناً الأصل (البقاء) جميع إطلاقات الفلاح في الدنيا والآخرة: «فلح الفَلْحُ: الشّقّ، وقيل: الحديد بالحديد يُفْلَحُ، أي: يشقّ. والفَلَّاحُ: الأكّار لذلك، والفَلَاحُ: الظَّفَرُ وإدراك بغية، وذلك ضربان: دنيويّ وأخرويّ، فالدّنيويّ: الظّفر بالسّعادات التي تطيب بها حياة الدّنيا، وهو البقاء والغنى والعزّ، وفَلاحٌ أخرويّ، وذلك أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعزّ بلا ذلّ، وعلم بلا جهل. ولذلك قيل: «لا عيش إلّا عيش الآخرة»، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]»[5].

* * *

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٣٩).
(٢) مجاز القرآن (٣٠/١).
(٣) معاني القرآن للنحاس (٥٣١/١).
(٤) مقاييس اللغة (٤٥٠/٤).
(٥) المفردات في غريب القرآن (ص٦٤٤).

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

قال ابن قتيبة: «وإنما جُعل الحيضُ قُرْءاً والطهر قُرْءاً؛ لأن أصل القُرْء في كلام العرب: الوقت. يقال: رجع فلان لقرئه؛ أي لوقته الذي كان يرجع فيه»[(١)].

تبع ابنَ قتيبة السمينُ الحلبي في أن أصل القرء الوقت، فقال: «القَرْءُ في اللغةِ قيل: أصلُه الوقتُ المعتادُ تردُّدُه، ومنه: قَرْءُ النجمِ لوقتِ طلوعِه وأُفولِه»[(٢)].

وذكر مكي بن أبي طالب وابن عطية: «القرء في اللغة: الوقت، فيصلح للطهر، ويصلح للحيض»[(٣)].

وأما الراغب فلم يعرض لمعنى (الوقت)، ولكنه فصَّل تفصيلاً بديعاً في اجتماع المعنيين مع اختلاف وقت وقوع كل منهما لوحده، وذكر نظيراً لهذا فقال: «قرأ قَرَأَتِ المرأة: رأت الدّم، وأَقْرَأَتْ: صارت ذات قُرْءٍ، وقَرَأْتُ الجاريةَ: استبرأتُها بالقُرء. والقُرْءُ في الحقيقة: اسم للدّخول في الحيض عن طهر. ولمّا كان اسماً جامعاً للأمرين الطّهر والحيض المتعقّب له أطلق على كلّ واحد منهما؛ لأنّ كلَّ اسم موضوع لمعنيين معاً يطلق على كلّ واحد منهما إذا انفرد، كالمائدة: للخوان وللطّعام، ثم قد يسمّى كلّ واحد منهما بانفراده به. وليس القُرْءُ اسماً للطّهر مجرّداً، ولا للحيض مجرّداً، بدلالة أنَّ الطّاهر التي لم تر أثر الدّم لا يقال لها: ذات قرء. وكذا الحائض التي استمرّ بها الدّم والنّفساء لا يقال لها ذلك»[(٤)].

وجعل الأصل (الجمع) ابن فارس، معلِّلاً أن المرأة كأنها أمسكت دم الحيضة في حال طهرها، فقال: «قرى الْقَافُ وَالرَّاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى جُمَعٍ

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٨٧).
(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٤٣٩/٢).
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (٧٥٨/١)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٠٤/١).
(٤) المفردات في غريب القرآن (ص٦٦٨).

وَاجْتِمَاعٍ. مِنْ ذَلِكَ الْقَرْيَةُ، سُمِّيَتْ قَرْيَةً لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِيهَا... وَالْقُرْءُ: وَقْتٌ، يَكُونُ لِلطُّهْرِ مَرَّةً وَلِلْحَيْضِ مَرَّةً. وَيَقُولُونَ: هَبَّتِ الرِّيَاحُ لِقَارِئِهَا»، فهو بهذا جعل الوقت معنى مشهوراً، وأبعد به عن الأصل[1].

* * *

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

قال ابن قتيبة: ﴿قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]؛ أي: جماعات كثيرة. ويقال: الألوف. وأصله من الرِّبَّة، وهي الجماعة. يقال للجمع: رِبِّي كأنه نسب إلى الربَّة. ثم يجمع رِبِّي بالواو والنون. فيقال: رِبِّيُّون[2].

سبق أبو عبيدة ابن قتيبة إلى أن أصل «ربيون» من الربة وهي الجماعة، فقال أبو عبيدة: «الرّبّيّون: الجماعة الكثيرة، والواحد منها ربّي»[3].

وقال النحاس: « معروف أن الربَّة الجماعة فهم منسوبون إلى الربة»[4]، وتبعه ابن عطية[5].

وقال الطاهر: «و(الربيون) جمع ربي، وهو المتبع لشريعة الرب مثل الرباني، والمراد بهم هنا أتباع الرسل وتلامذة الأنبياء. ويجوز في رائه الفتح، على القياس، والكسر، على أنه من تغييرات النسب وهو الذي قُرِئ به في المتواتر، ومحل العبرة هو ثبات الربانيين على الدين مع موت أنبيائهم ودعاتهم»[6].

* * *

(١) مقاييس اللغة (٧٨/٥).
(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (ص١١٣).
(٣) مجاز القرآن (١٠٤/١).
(٤) معاني القرآن للنحاس (٤٩٠/١).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥٢١/١).
(٦) التحرير والتنوير (١١٨/٤).

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٢٤].

قال ابن قتيبة: ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ﴾؛ أي: غير زناة. والسفاح: الزنا. وأصله من سَفَحْت القربة إذا صببتها. فسمي الزنى سفاحاً. كما يسمى مِذاءً؛ لأنه يسافح يصب النطفة وتصب المرأة النطفة ويأتي بالمَذْي وتأتي المرأة بالمَذْي، وكان الرجل في الجاهلية إذا أراد أن يفجر بالمرأة قال لها: سافحيني أو ماذِيني. ويكون أيضاً من صبِّ الماء عليه وعليها[١].

نص على أصل هذه المفردة القرآنية (السفاح) من بعد ابن قتيبة الزجاج، فقال: «وأَصلُ ذلك من الصَّبِّ. تَقول: سافَحْتُه مُسافَحةً وسِفاحاً، وَهُوَ أَن تُقِيمَ امرأَةٌ مَعَ رَجُلٍ على الفُجُورِ من غير تَزْوِيجٍ صَحِيحٍ»[٢].

ونص عليه مختصراً النحاس[٣]، والكرمانيُّ إذ قال: «أي زواني علانية، وأصله من سفح الماء باطلاً»[٤]. وألمح إليه ابن عطية فقال: «والسفاح: الزنى، وهو مأخوذ من سفح الماء؛ أي صبه وسيلانه، ولزم هذا الاسم الزنى»[٥].

وتبعه بلفظ نحوه القرطبي[٦]، ومع اتفاقه في تفسير الآية مع ابن قتيبة، إلا أن الطاهر بن عاشور ذهب بالمعنى الأوسع والاشتقاق إلى مزيد على ما ذكره ابن قتيبة فجعله الصب من غير قيد ولا ضبط ولا حد، بل هو ذهاب المصبوب كل مذهب: «غير مسافحين» حال ثانية، والمسافح الزاني؛ لأن الزنى يسمى السفاح، مشتقاً من

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٢٣).
(٢) نقله عنه الزبيدي في تاج العروس (٤٧٦/٦).
(٣) معاني القرآن للنحاس (٥٨/٢).
(٤) غرائب التفسير وعجائب التأويل (٢٩٢/١).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٦/٢).
(٦) تفسير القرطبي (١٢٧/٥).

السفح، وهو أن يهراق الماء دون حبس، يقال: سفح الماء. وذلك أن الرجل والمرأة يبذل كل منهما للآخر ما رامه منه دون قيد ولا رضا ولي، فكأنهم اشتقوه من معنى البذل بلا تقيد بأمر معروف؛ لأن المعطاء يطلق عليه السفاح.

وكان الرجل إذا أراد من المرأة الفاحشةَ يقول لها: سافحيني، فرجع معنى السفاح إلى التباذل وإطلاق العنان، وقيل: لأنه بلا عقد، فكأنه سفح سفحاً؛ أي صباً لا يحجبه شيء، وغير هذا في اشتقاقه لا يصح؛ لأنه لا يختص بالزنى»[1]، فتراه ذهب بالمعنى إلى معنى بعيد عن المحسوسات. وقال ابن دريد: «والمسافحة: أَن يتسافح الرِّجَال وَالنِّسَاء مَاءَهُمْ فَيذْهب ضَياعاً وَبِه سمي السفاح»[2]، فلعل الطاهر اقتنص تلك الإضافة من قول ابن دريد (ضياعاً)، وربما يكون ابن فارس أفاد من ابن دريد، فقد تكرر عنده نفس تعبير ابن دريد: «(سَفَحَ) السِّينُ وَالْفَاءُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى إِرَاقَةِ شَيْءٍ. يُقَالُ: سَفَحَ الدَّمَ، إِذَا صَبَّهُ. وَسَفَحَ الدَّمَ: هَرَاقَهُ. وَالسِّفَاحُ: صَبُّ الْمَاءِ بِلَا عَقْدِ نِكَاحٍ، فَهُوَ كَالشَّيْءِ يُسْفَحُ ضَيَاعاً»[3]، وتجدر الإشارة إلى إهمال الراغب لمعنى السفاح في المفردات.

* * *

قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

قال ابن قتيبة: (المُراغَمُ) و(المُهاجَرُ) واحد. تقول: راغمت وهاجرت قومي، وأصله: أن الرجلَ كان إذا أسلم خرج عن قومه مُراغِماً لهم؛ أي مُغَاضِباً، ومهاجراً؛ أي مقاطعاً من الهجران. فقيل للمذهب: مراغم، وللمصير إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هجرة؛ لأنها كانت بهجرة الرجل قومه[4].

---

(١) التحرير والتنوير (٨/٥).
(٢) جمهرة اللغة (٥٣٢/١).
(٣) مقاييس اللغة (٨١/٣).
(٤) غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٣٤).

صرح القتبي هنا أن أصل المراغم هو المذهب، والمُضطَرَب، والذهاب على سبيل الغضب والمقاطعة والهجران، ووافقه الكثيرون على هذا المعنى من غير تصريح بأنه أصل المراغم، ويمكننا القول أن الأصل هنا في مراد ابن قتيبة السبب والمبعث على وقوع المراغمة.

قال الفراء: «مراغمة مصدران. فالمراغم: المضطرب والمذهب فِي الأرض»[1]، فترى الفراء أشار إلى مصدرين وجلاهما ابن فارس فقال: «(رَغَمَ) الرَّاءُ وَالْغَيْنُ وَالْمِيمُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا التُّرَابُ، وَالْآخَرُ الْمَذْهَبُ. فَالْأَوَّلُ الرَّغَامُ، وَهُوَ التُّرَابُ. وَمِنْهُ «أَرْغَمَ اللهُ أَنْفَهُ» أَيْ أَلْصَقَهُ بِالرَّغَامِ. وَالْأَصْلُ الْآخَرُ الْمُرَاغَمُ، وَهُوَ الْمَذْهَبُ وَالْمَهْرَبُ، فِي قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠]»[2].

وردَّ الأصلين إلى معنى واحد متسق مع معنى الآية الراغب فقال: «رغم الرَّغَامُ: التّراب الدّقيق، ورَغِمَ أنفُ فلانٍ رَغْماً: وقع في الرّغام، وأَرْغَمَهُ غيره، ويعبّر بذلك عن السّخط، كقول الشاعر:

إذا رَغِمَتْ تلك الأنوف لم أُرْضِها ولم أَطْلُب العُتْبى ولكن أزيده[3]

فمقابلته بالإرضاء ممّا ينبّه دلالته على الإسخاط. وعلى هذا قيل: أَرْغَمَ الله أنفه، وأَرْغَمَهُ: أسخطه، ورَاغَمَهُ: ساخطه، وتجاهدا على أن يُرْغِمَ أحدهما الآخر، ثمَّ تستعار الْمُرَاغَمَةُ للمنازعة. قال الله تعالى: ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٠٠]؛ أي: مذهباً يذهب إليه إذا رأى منكراً يلزمه أن يغضب منه، كقولك: غضبت إلى فلان من كذا، ورَغَمْتُ إليه».

وزاد الطاهر بياناً في صهر الأصلين بمقصود واحد مرتبط، فقال: «والمراغم اسم مكان من راغم إذا ذهب في الأرض، وفعل راغم مشتق من الرغام -بفتح الراء- وهو

(١) معاني القرآن للفراء (٢٨٤/١).
(٢) مقاييس اللغة (٤١٣/٢).
(٣) البيت في محاضرات الراغب (٣١٥/١) دون نسبة.

التراب. أو هو مِنْ راغَمَ غيره إذا غلبه وقهره، ولعل أصله أنه أبقاه على الرغام، أي التراب، أي يجد مكاناً يرغم فيه من أرغمه، أي يغلب فيه قومه باستقلاله عنهم كما أرغموه بإكراهه على الكفر»[1].

ولما كان الأصلان هما التراب والذهاب في الأرض، فالعلاقة الأصلية للتراب من حيث هي الرغام، ثم يتفرع على هذا معان مشهورة استعملت بسبب علاقتها بالتراب ومنها المذهب في الأرض؛ لأن أصله في الحقيقة متصور فيه أن من ذهب في الأرض غاضباً: إما لأنه ألصق وجهه بالرغام حقيقة أو مجازاً بما يتصل بكرامة الإنسان، وبهذا يتضح مراد ابن قتيبة، وترجع أصول ابن فارس لأصل واحد، وهو أصل (رغم) من ارتجال العرب لهذه الكلمة على التراب قبل نقلهم لها لمعان أخرى.

وأما كون المراغمة تشابه الهجرة في المعنى، فهذا درج عليه أهل التفسير ومنهم الزجاج، فقال: «عنى مراغم معنى مهاجرُ، المعنى يجد في الأرض مُهاجراً؛ لأن المهاجر لقومه والمراغم بمنزلة واحدة، وإن اختلف اللفظان»[2].

* * *

قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨].

قال ابن قتيبة: ﴿جَاثِمِينَ﴾ الأصل في الجُثُوم للطير والأرنب وما يَجْثُم. والجُثُوم البروك على الركب[3].

إطلاق ابن قتيبة للأصل هنا بين أنه يريد الأصل الزمني في أول إطلاق للكلمة وليس يريد أصلاً مرتبطاً باشتقاق الكلمة لغوياً سواء من الدلالة المحورية أو السببية أو غيرها.

---

(١) التحرير والتنوير (١٨٠/٥).
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٩٦/٢).
(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٦٩).

فأصل الجثوم للطير والأرنب ثم استعير لغيرها؛ وكثير من تبع ابن قتيبة في هذا. قال مكي بن أبي طالب: «﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨]؛ أي: ساقطين على رُكَبِهِمْ. وأصل الجُثُومِ للأرنب والطير وشبهه، وهو البروك على الركب»(١).

وأما معنى الآية ففصَّله الطاهر بقوله: «والجاثم: المكب على صدره في الأرض مع قبض ساقيه كما يجثو الأرنب، ولما كان ذلك أشد سكوناً وانقطاعاً عن اضطراب الأعضاء استعمل في الآية كناية عن همود الجثة بالموت، ويجوز أن يكون المراد تشبيه حالة وقوعهم على وجوههم حين صعقوا بحالة الجاثم تفظيعاً لهيئة ميتتهم»(٢).

ومما يذكر هنا على سبيل التنبيه ذلك القول الغريب الذي ذكره الفراء: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ يقول: «رماداً جاثماً»(٣). وطفقت ألتمس تفسيراً وتفصيلًا لإمام المفسرين أبي جعفر، فوجدت كلامه مقتضباً في معنى هذه اللفظة، ولم يقف موقف عامة المفسرين من حيث أصل الإطلاق ولا كيفية التصور لهم حال العقوبة جاثمين، فكان قوله مختصراً بإفادة العقوبة والموت، أو أن المنون جثمتهم فألقت جثامينهم على بعض(٤).

وممن أبان عن قول الفراء ومراده منه القاضي أبو محمد بن عطية فقال: «وقال بعض المفسرين معناه حُمَماً محترقين كالرماد الجاثم. قال القاضي أبو محمد: وحيث وجد الرماد الجاثم في شعر فإنما هو مستعار لهيئة الرماد قبل همود وتفرقه، وذهب صاحب هذا القول إلى أن الصيحة اقترن بها صواعق محرقة»(٥).

❋ ❋ ❋

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٤/٢٤٣٥). وانظر: التفسير البسيط (٩/٢١٥)، تفسير القرطبي (٧/٢٤٢) وغيرهم، ولم يذكر ابن فارس ولا الراغب أمراً ذا بال مما نحن بصدده.

(٢) التحرير والتنوير (٨/٢٢٧).

(٣) معاني القرآن للفراء (١/٣٨٤).

(٤) جامع البيان (١٥/٣٨٠)، (٢٠/٣٤).

(٥) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/٤٢٤).

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٦].

قال ابن قتيبة: (الْوَلِيجَةُ): البِطَانة من غير المسلمين، وأصله من الولوج. وهو أن يتخذ الرجل من المسلمين دخيلاً من المشركين وخليطاً ووُدّاً[١].

نص على أن أصل الوليجة من الولوج الذي هو الدخول، كثيرون بين يدي ابن قتيبة ومن خلفه. وممن أحاط بالمعنى من جميع أطرافه وجعل له ضابطاً راسخاً أبو عبيدة، إذ قال: «كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم فهو وليجة فيهم، ومجازه يقول: فلا تتخذوا وليّاً ليس من المسلمين دون الله ورسوله»[٢].

وألمح إلى الأصل كما ذكره ابن قتيبة الزجاج، فقال: «والوَليجة: البِطَانَةُ، وهي مأخوذة مِنْ وَلَجَ الشيء يلِجُ إذا دَخَلَ»[٣]، ونحوه كثير من المفسرين بهذا السياق[٤]؛ وكذلك ابن فارس في نصه على الأصل فقال: «وَلَجَ الْوَاوُ وَاللَّامُ وَالْجِيمُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى دُخُولِ شَيْءٍ. يُقَالُ وَلَجَ فِي مَنْزِلِهِ وَوَلَجَ الْبَيْتَ يَلِجُ وُلُوجاً. وَالْوَلِيجَةُ: الْبِطَانَةُ وَالدُّخَلَاءُ. [وَ] يُقَالُ: رَجُلٌ خُرَجَةٌ وُلَجَةٌ: كَثِيرُ الْخُرُوجِ وَالْوُلُوجِ. وَالْوَلِجَةُ: وَجَعٌ يَلِجُ جَوْفَ الْإِنْسَانِ»[٥].

وكأن ابن فارس هاهنا توسع في الأصل اللغوي وهو أضيق من مجرد الدخول، وحيث تتأمل أمثلته تجد ضابط أبي عبيدة منطبقاً عليها كلها.

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٨٣).
(٢) مجاز القرآن (٢٥٤/١).
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤٣٧/٢).
(٤) تفسير القرطبي (٨٨/٨).
(٥) مقاييس اللغة (١٤٢/٦).

وأما الراغب في المفردات، فإنه قال: «ولج الوُلُوجُ: الدّخول في مضيق. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ [الأعراف: ٤٠]، وقوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [الحج: ٦١]، فتنبيهٌ على ما ركَّب الله عَزَّوَجَلَّ عليه العالَم من زيادة الليل في النهار، وزيادة النهار في الليل؛ وذلك بحسب مطالع الشمس ومغاربها. والوَلِيجَةُ: كلّ ما يتّخذه الإنسان معتمداً عليه، وليس من أهله، من قولهم: فلان وَلِيجَةٌ في القوم: إذا لحق بهم وليس منهم، إنساناً كان أو غيره. قال تعالى: ﴿وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ﴾ [التوبة: ١٦]، وذلك مثل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ﴾ [المائدة: ٥١]»[1]. فهو وإن تكلم على موضع الآيةِ - محلِّ بحثنا - بما يبين عن تفسيرها وبما يتوافق مع اشتقاقها، إلا أن قوله: الولوج: الدخول في مضيق أقرب من توسع ابن فارس، فهو ضيق دائرة أصل الكلمة، ولكنها بقيت حبيسة لسياق آية الأعراف، وأما آية الحج وآية التوبة فأليق بهما ضابط أبي عبيدة، وهو دخول شيء في شيء ليس منه؛ ولذلك تجد عبارة التفسير التي جرت من مداد الطاهر بن عاشور أعمق وأشد تضييقاً وتحديداً لمعنى الولوج، حتى إنه أخرج القارئ من مجرد (دخول شيء في شيء ليس منه) إلى (الإدخال مع التعمية بحيث لا يظهر الدخيل): «و(الوليجة) فعيلة بمعنى مفعولة؛ أي: الدخيلة، وهي الفعلة التي يخفيها فاعلها، فكأنه يولجها؛ أي: يدخلها في مكمن بحيث لا تظهر، والمراد بها هنا: ما يشمل الخديعة وإغراء العدو بالمسلمين، وما يشمل اتخاذ أولياء من أعداء الإسلام يخلص إليهم ويفضي إليهم بسِرّ المسلمين؛ لأن تنكير (وليجة) في سياق النفي يعم سائر أفرادها»[2].

***

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ [يوسف: ٣١].

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٨٨٢).

(٢) التحرير والتنوير (١٣٩/١٠).

قال ابن قتيبة: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا﴾؛ أي: طعاماً. يقال: اتكأنا عند فلان: إذا طعمنا. وقد بينت أصل هذا في كتاب «المشكل». ومن قرأ «مُتْكاً» فإنه يريد الأُتْرُجّ. ويقال: الزُّمَاوَرْد[1]. وَأَيّاً مَّا كان فإني لا أحسبه سُميّ مُتَّكَأً إلا بالقطع؛ كأنّه مأخوذ من البَتْك.

ذكر ابن قتيبة هذه اللفظة وعلق عليها في ثلاثة مواضع من كتابه «المشكل» وهي:

الأول: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا﴾[2] [يوسف: ٣١]، وقرأ الناس: «وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً».

الثاني: «وقوله: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا﴾ [يوسف: ٣١] وهو الطعام، و«أعتدت لهن مُتَّكا» وهو الأترج، ويقال: الزّماورد، فدلَّت هذه القراءة على معنى ذلك الطعام»[3].

الثالث: «ومنه قوله سبحانه: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا﴾ [يوسف: ٣١] أي طعاماً، يقال: اتّكأنا عند فلان، أي طعمنا. وقال جميل:

فظللنا بنعمة واتَّكأْنا وشربنا الحلال من قُلَلِه

والأصل: أن من دعوته ليطعم أعددت له التكأة للمقام والطمأنينة، فسمّي الطعام مُتَّكأً على الاستعارة»[4].

ولا شك أنه يريد بإحالته تلك الموضع الثالث؛ إذ ذكر أصل المتكأ باعتبار قراءة من القراءات لهذه الكلمة.

وقرئت هذه الكلمة أكثر من قراءة: فقرأ أبو جعفر «متكا» بتنوين الكاف وحذف الهمزة بوزن متقى، خفف بترك الهمزة كقولهم: توضيت في توضأت، وعن المطوعي «مُتْكأ» بسكون التاء وبالهمز، وعن الحسن بالتشديد والمد قبل الهمز؛ أَشْبَعَ الفتحة فتولد منها ألف، والباقون بتشديد التاء والهمز مع القصر[5].

---

(١) الزُّمَاوَرْد: طعَام من البَيض واللَّحم والرقاق الملفوف باللَّحْمِ والحلوى. ينظر: المعجم الوسيط (٤٠١/١).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص٢٤).

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص٣٣).

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص١١٥).

(٥) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص٣٣١).

وقال أبو الفتح بن جني: «ومن ذلك قراءة الزهري وأبي جعفر وشيبة «مُتَّكاً»، مشدد من غير همز، وقرأ: «مُتْكاً» ساكنة التاء غير مهموز ابن عباس، وابن عمر، والجحدري، وقتادة، والضحاك، والكلبي، وأبان بن تغلب، ورُويت عن الأعمش. وقرأ: «مُتَّكَاءً» بزيادةِ ألفٍ الحسن. وقراءة الناس: «مُتَّكَأً» في وزن مُفْتَعَل»(١).

وهذا الأصل الذي ذكره ابن قتيبة، فإنه يريد منه أن تهيئة المكان مرتبط بالطعام من جهة اللزوم؛ ولهذا نقل المفسرون قول ابن قتيبة من كتابه «الغريب»: «وقال القتبي: يقال: اتكأنا عند فلان، أي: أكلنا»(٢).

ومن تأمل كلام ابن قتيبة من حيث أحال عليه هو في كتاب «المشكل»، فإنه يصل مطمئناً إلى قَصْده، إذ أراد: أن من دعا غيره للطعام، فمن لوازم تلك الدعوة العناية بمكانها، من حيث الفرش، والنمارق، وغيرها، مما يزيد في راحة الضيف وإكرامه، واتكائه، من خلال تلك الجلسة المقصودة.

وعلى معنى المتكأ أنه مكان الجلوس عامة المفسرين. قال أبو جعفر الطبري: «يعني: مجلساً للطعام، وما يتكئن عليه من النمارق والوَسائد، وهو «مفتعل» من قول القائل: «اتَّكأت»، يقال: «ألق له مُتَّكأ»، يعني: ما يتكئ عليه»(٣). وقال الزجاج: «(مُتَّكَأً) ما يُتكأ عليه لطعام أو شَرَاب أو حديث»(٤).

وأما الراغب فقال: «تكأ المُتَّكَأ: المكان الذي يتكأ عليه، والمخدّة: المتكأ عليها، وقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ [يوسف:٣١]، أي: أترجاً، وقيل: طعاماً متناولاً، من قولك: اتكأ على كذا فأكله. قال تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ [طه:١٨]، ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطور:٢٠]، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس:٥٦]، ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الواقعة:١٦]»(٥).

(١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٣٣٩/١).
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢٣٨/٣)، تفسير القرطبي (١٧٩/٩).
(٣) جامع البيان (٦٩/١٦).
(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٠٥/٣).
(٥) المفردات في غريب القرآن (ص١٦٧).

وبيَّن السمين الحلبي أن معنى الأترج يَتَّسِق مع قراءة «مُتْكا»، فهو غير مراد هنا[1].

وأما قول الراغب: اتكأ على كذا فأكله، فغريب، ربط الاتكاء بالطعام، وإن صح لغة فهو قليل، والمعنى المشهور من اللغة والذي أورده المفسرون وأهل المعاني والغريب: أن الاتكاء مرتبط بالمكان الذي يرخي عليه الجالس متنه.

وفي تصوير حالة الاتكاء كما هي في السياق، يقول الطاهر: «والمتكأ: محل الاتكاء. والاتكاء: جلسة قريبة من الاضطجاع على الجنب، مع انتصاب قليل في النصب الأعلى. وإنما يكون الاتكاء إذا أريد إطالة المكث والاستراحة، أي: أحضرت لهن نمارق يتكئن عليها لتناول طعام. وكان أهل الترف يأكلون متكئين كما كانت عادة للرومان، ولم تزل أسِرَّة اتكائهم موجودة في ديار الآثار»[2].

وأشار ابن فارس إلى معنى الاشتداد بالموتكأ، فقال: «(وَكَأَ) الْوَاوُ وَالْكَافُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: أُصَيْلٌ يَدُلُّ عَلَى شَدِّ شَيْءٍ وَشِدَّةٍ. مِنْهُ الْوِكَاءُ: الَّذِي يُشَدُّ بِهِ... وَمِنَ الْبَابِ تَوَكَّأْتُ عَلَى كَذَا، أَيِ: اتَّكَأْتُ؛ لِأَنَّهُ يَتَشَدَّدُ بِهِ وَيَتَقَوَّى بِهِ. وَأَوْكَأْتُ فُلَاناً إِيكَاءً: نَصَبْتُ لَهُ مُتَّكَأً»[3].

ومما تحسن إليه الإشارة إضافة إلى معنى الاستعارة التي ذكرها ابن قتيبة، وعلى معنى الترف الذي أشار إليه الطاهر، فإنه في الغالب أن الجلسات الطويلة المعقودة للأنس والمسامرة التي لم تعقد لأمر ذي بال؛ فإنها تتسم بالطول والمنادمة، والتفنن بما تستلذه النفوس من كلام، وطعام، وشراب، ولا شك أن راحة المكان والاسترخاء فيه جزء من هذا التفكُّه الواقع بين النفوس.

* * *

(١) عمدة الحفاظ (١/٣٠٥).
(٢) التحرير والتنوير (١٢/٢٦٢).
(٣) مقاييس اللغة (٦/١٣٧).

قال تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

قال ابن قتيبة: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾؛ أي: أظهر ذلك. وأصله الفَرْق والفتحُ. يريد: اصدع الباطلَ بحقِّك[١].

في هذا الموضع نص ابن قتيبة على الدلالة المحورية للصدع وهي الفتح والتفريق، ولا يكاد يُختلف عليه في هذا. قال أبو عبيدة: «أي افرق وامضه»[٢]، وهو بنص أبي عبيدة عند الطبري[٣]، ولم يبتعد الزجاج عن هذا الأصل، بل فسره بنتيجته فقال: «وتأويل الصَّدْع في الزُّجاج، أو في الحائط، أن يبين بعضُ الشيء عن بَعْض»[٤]، وجمع بين الأصل والمعنى المراد ابن عطية، فقال: «فَاصْدَعْ معناه فانفد وصرح بما بعثت به، والصدع التفريق بين ملتئم كصدع الزجاجة ونحوه، فكأن المصرح بقول يرجع إليه، يصدع به ما سواه مما يضاده، والصديع الصبح لأنه يصدع الليل»[٥].

وصرح بالأصل القرطبي، فقال: «وَالصَّدْعُ: الشَّقُّ. وَتَصَدَّعَ الْقَوْمُ أَيْ تَفَرَّقُوا، وَمِنْهُ ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]؛ أَيْ يَتَفَرَّقُونَ. وَصَدَعْتُهُ فَانْصَدَعَ أَيِ انْشَقَّ. أَصْلُ الصَّدْعِ الْفَرْقُ وَالشَّقُّ»[٦]، وكذلك الراغب إذ قال: «صدع الصَّدْعُ: الشّق في الأجسام الصّلبة كالزّجاج والحديد ونحوهما. يقال: صَدَعْتُهُ فَانْصَدَعَ، وصَدَّعْتُهُ فَتَصَدَّعَ، قال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]، وعنه استعير: صَدَعَ الأمرَ، أي: فَصَلَهُ، قال: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]».

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٤٠).
(٢) مجاز القرآن (٣٥٥/١).
(٣) جامع البيان (١٥١/١٧).
(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٨٧/٣).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٧٥/٣).
(٦) تفسير القرطبي (٦١/١٠).

ولم يبتعد ابن فارس عن ذلك الأصل الذي اتفقوا عليه، فقال: «(صَدَعَ) الصَّادُ وَالدَّالُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى انْفِرَاجٍ فِي الشَّيْءِ. يُقَالُ: صَدَعْتُهُ فَانْصَدَعَ وَتَصَدَّعَ. وَصَدَعْتُ الْفَلَاةَ: قَطَعْتُهَا. وَدَلِيلٌ هَادٍ مِصْدَعٌ. وَالصَّدْعُ: النَّبَاتُ؛ لِأَنَّهُ يَصْدَعُ الْأَرْضَ، [فِي] قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ [الطارق: ١٢]. وَمِنَ الْبَابِ: صَدَعَ بِالْحَقِّ، إِذَا تَكَلَّمَ بِهِ جِهَاراً. قَالَ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]. وَيُقَالُ: تَصَدَّعَ الْقَوْمُ، إِذَا تَفَرَّقُوا»[١].

* * *

قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦].

قال ابن قتيبة: «﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦]؛ أي أكثر عدداً. وأصله: مَنْ يَنْفِرُ مع الرجل من عشيرته وأهل بيته. والنَّفِيرُ والنَّافرُ واحد. كما يقال: قَدِير وقَادِر»[٢].

لا شك أن مراد أبي محمد من الأصل أنه الأصل الزمني والتاريخي من جهة أول إطلاقه قبل أن ينقل لغيره ويتوسع فيه، وليس يريد الأصل المحوري الذي تعود إليه الكلمة في جميع اشتقاقاتها في الاستعمال العربي. وممن نص على هذا الأصل بهذا الاعتبار أبو جعفر النحاس، فقال: «يجوز أن يكون ﴿نَفِيرًا﴾ بمعنى نافِر مثل قدير وقادر، ويجوز أن يكون جمع نفر مثل عبيد وكليب ومعيز، وأصله مَن ينفر مع الرجل من عشيرته وأصحابه»[٣]، وتبعه كذلك القرطبي، والطاهر بن عاشور[٤]، والجميع متفق على أن معنى الآية: أكثر عدداً.

(١) مقاييس اللغة (٣/٣٣٧).
(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٥١).
(٣) معاني القرآن للنحاس (٤/١٢٤).
(٤) تفسير القرطبي (١٠/٢١٧)، التحرير والتنوير (١٥/٣٣).

وأما الدلالة المحورية فقد قال ابن السكيت: «والنَّفْر: التفرق»(١). وقال ابن فارس: «نَفَرَ النُّونُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَجَافٍ وَتَبَاعُدٍ. وَالنَّفَرُ أَيْضاً مِنْ قِيَاسِ الْبَابِ لِأَنَّهُمْ يَنْفِرُونَ لِلنُّصْرَةِ»(٢).

وقال الراغب مشيراً إلى موضع هذا الجذر من كتاب الله مع معانيها: «نفر النَّفْرُ: الانْزِعَاجُ عن الشيءِ وإلى الشيء، كالفَزَعِ إلى الشيء وعن الشيء. يقال: نَفَرَ عن الشيء نُفُوراً. قال تعالى: ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢]، ونَفَرَ إلى الحربِ يَنْفُرُ ويَنْفِرُ نَفْراً، ومنه: يَوْمُ النَّفْرِ. قال تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]، ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [التوبة: ٣٩]، ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٨]، ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢]»(٣).

* * *

قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨].

قال ابن قتيبة: و(الْوَصِيدُ) الفِناء. ويقال: عتبة الباب. وهذا أعجب إليَّ؛ لأنهم يقولون: أَوْصِد بابَك؛ أي: أغلِقْه. ومنه ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾؛ أي مُطْبَقَة مُغْلَقَة. وأصله أن تلصق الباب بالعتبة إذا أغلقته. ومما يوضح هذا: أنك إن جعلتَ الكلبَ بالفِناءِ كان خارجاً من الكهف. وإن جعلته بعتبة الباب أمكن أن يكون داخل الكهف. والكهف وإن لم يكن له باب وعتبة، فإنما أراد أن الكلب منه بموضع العتبة من البيت، فاستعير على ما أعلمتك من مذاهب العرب في كتاب «المشكل». وقد يكون الوصيد الباب نفسه، فهو على هذا كأنه قال: وكلبهم باسط ذراعيه بالباب. قال الشاعر:

بأرضِ فَضاءٍ لا يُسَدُّ وَصِيدُها ... عليَّ ومعروفي بها غير مُنْكَرِ(٤)

---

(١) كتاب الألفاظ لابن السكيت (ص٤٤٢).

(٢) مقاييس اللغة (٤٥٩/٥).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص٨١٧).

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٦٤)، والبيت منسوب لعبيد بن وهب العبسي، كما في سيرة ابن هشام (٣٢٦/١)، ومنسوب للأخطل في: الزاهر في معاني كلمات الناس (١٧٧/١)، ومنسوب لزهير في جمهرة أشعار العرب (ص١٧)، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه (٨٠/٢-٨١).

صرَّح ابن قتيبة هنا بأن أصل (وصد) إلصاق الشيء بما يناسبه كالباب للعتبة، وأن المراد من الآية: أن تلصق الباب بالعتبة إذا أغلقته، وقال هذا بعد أن ذكر قولاً آخر في الآية وهو تفسير الوصيد بالفِناء، ومال إلى أن المراد بالوصيد هنا العتبة لجلائه من جهة الاشتقاق، فقد بيَّنه وأطنب.

وقريباً من الأصل الذي ذكره ابن قتيبة قال ابن فارس: «(وَصَدَ) الْوَاوُ وَالصَّادُ وَالدَّالُ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى ضَمِّ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ. وَأَوْصَدْتُ الْبَابَ: أَغْلَقْتُهُ. وَالْوَصِيدُ: التَّبْتُ الْمُتَقَارِبُ الْأُصُولِ. وَالْوَصِيدُ: الْفِنَاءُ؛ لِاتِّصَالِهِ بِالرَّبْعِ. وَالْمُوصَدُ: الْمُطْبَقُ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]»[(١)]، ونحوهما قول الراغب: «وصد الوَصِيدَةُ: حُجْرَةٌ تجعل للمال في الجبل، يقال: أَوْصَدْتُ البابَ وآصَدْتُهُ؛ أي: أطبقته وأحكمته، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ [البلد: ٢٠]، وقرئ بالهمز: مطبقة، والوَصِيدُ المتقارب الأصول»[(٢)].

فالأصل هو الإطباق والتضام والإلصاق؛ هذا من حيث أصل المفردة تلك من حيث أراد ابن قتيبة، وبسببه مال إلى القول بالعتبة دون الفِناء.

وأما المراد بالآية ففيه خلاف؛ لأن المطلوب هنا تحديد مكان كلب أهل الكهف من الكهف. قال الشنقيطي في استعراضه للأقوال متابعاً الطبري في ترجيحه: «اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ الْمُفَسِّرِينَ فِي الْمُرَادِ بِـ «الْوَصِيدِ»، فَقِيلَ: هُوَ فِنَاءٌ لِلْبَيْتِ، وَيُرْوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَقِيلَ الْوَصِيدُ: الْبَابُ، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضاً. وَقِيلَ: الْوَصِيدُ الْعَتَبَةُ، وَقِيلَ: الصَّعِيدُ، وَالَّذِي يَشْهَدُ لَهُ الْقُرْآنُ أَنَّ الْوَصِيدَ هُوَ الْبَابُ، وَيُقَالُ لَهُ: «أَصِيدٌ» أَيْضاً؛ لِأَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]، أَيْ مُغْلَقَةٌ مُطْبَقَةٌ»[(٣)].

---

(١) مقاييس اللغة (١١٧/٦).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص٨٧٢).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٢٤/٣)، وانظر أقوال السلف: جامع البيان (٦٢٥/١٧).

وقد انتصر لقول ابن قتيبة ابن عطية، فقال: «والوصيد» العتبة لباب الكهف أو موضعها حيث ليست. وقال ابن عباس ومجاهد وابن جبير «الوصيد» الفناء. وقال ابن عباس أيضاً «الوصيد» الباب. وقال ابن جبير أيضاً: «الوصيد» التراب، والقول الأول أصح، والباب الموصد هو المغلق، أي: قد وقف على وصيده»(١).

ومعلوم أن الكهف ليس له باب، ولكن المراد موضع الباب، على سبيل الاستعارة مما ذكره ابن قتيبة في كتابه «تأويل مشكل القرآن»، فقد بنى كتابه على أساليب العرب في الكلام مستشهداً عليها من القرآن.

ويظهر أن سبب اختلافهم هنا اختلافهم في تصور موقع الكلب، فابن قتيبة وابن عطية يريان أن موقع الكلب في الباب عند العتبة، فهو على حرف المدخل للكهف. وهذا حقيقة قول ابن عباس ومن تبعه وهم أكثر المفسرين وأهل اللغة والمعاني(٢)، وذلك أن مراد أصحاب القول المشهور بالفناء أنه ليس الفناء الفسيح الخارجي البعيد عن الكهف، وإنما المقصود فناء الكهف من الداخل والذي هو موقع الحراسة وهو موضع الكلب، ويوضحه جلياً عبارة ابن جرير: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: الوصيد: الباب، أو فناء الباب حيث يغلق الباب، وذلك أن الباب يُوصَد، وإيصاده: إطباقه وإغلاقه من قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]، وفيه لغتان: الأصيد، وهي لغة أهل نجد، والوصيد: وهي لغة أهل تهامة، وذُكِر عن أبي عمرو بن العلاء، قال: إنها لغة أهل اليمن، وذلك نظير قولهم: وَرَّخْتُ الكتاب وأرَّخْتُه، ووكدت الأمر وأكدته، فمن قال: الوصيد، قال: أوصدت الباب فأنا أُوصِده، وهو مُوصَد، ومن قال: الأصيد، قال: آصدت الباب فهو مُؤْصَد، فكان معنى الكلام: وكلبهم باسط ذراعيه بفناء كهفهم عند الباب، يحفظ عليهم بابه»(٣).

* * *

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥٠٤/٣).
(٢) نسبه لهم الواحدي في تفسيره البسيط (٥٦٠/١٣).
(٣) جامع البيان (٦٢٥/١٧).

قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨].

قال ابن قتيبة: ﴿وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾؛ أي نَدَماً. هذا قول أبي عبيدة، وقول المفسرين: سَرَفاً. وأصله العَجَلَةُ والسَّبق. يقال: فَرَطَ مني قول قبيح، أي: سَبق. وفَرَسٌ فُرُطٌ: أي متقدم[١].

ألمح مكي بن أبي طالب إلى ذلك الأصل الذي ذكره ابن قتيبة، إذ قال: «وقال مجاهد: ﴿وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ أي: ضياعاً. وقيل معناه: ندامة. وقيل: هلاكاً. وقال ابن زيد: معناه مخالفة للحق. وهو من قولهم أفرط فلان في كذا، إذا أسرف فيه وجاوز قدره، فيكون معناه: وكان أمره سرفاً في كفره وافتخاره وتكبره»[٢]. وكذلك الزمخشري إذ قال: «نابذاً له وراء ظهره من قولهم: «فرس فُرُط» متقدّم للخيل»[٣]. وتبعه كذلك الطاهر فقال: «والفرط -بضمتين-: الظلم والاعتداء. وهو مشتق من الفروط وهو السبق؛ لأن الظلم سبق في الشر»[٤]، ولم يبتعد عن الأصل الذي ذكره ابن قتيبة الراغبُ الأصفهاني إذ قال: «فَرَطَ: إذا تقدّم تقدُّماً بالقصد يَفْرُطُ، ومنه: الفَارِطُ إلى الماء؛ أي: المتقدِّم لإصلاح الدّلو، يقال: فَارِطٌ وفَرَطٌ، وقوله: ﴿أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ﴾ [طه: ٤٥]؛ أي: يتقدّم، وفرس فُرُطٌ: يسبق الخيل، والْإِفْرَاطُ: أن يسرف في التّقدّم، والتَّفْرِيطُ: أن يقصّر في الفَرَط، يقال: ما فَرَّطْتُ في كذا؛ أي: ما قصّرت. قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، ﴿مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٠]، وأَفْرَطْتُ القربةَ: ملأتها ﴿وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨]، أي: إسرافاً وتضييعاً[٥].

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٦٦).
(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (٦/٤٣٦٧).
(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/٧١٨).
(٤) التحرير والتنوير (١٥/٣٠٦).
(٥) المفردات في غريب القرآن (ص٦٣١).

وفي المراد بمعنى الآية كأن ابن عطية اطلع على تفريق الراغب هنا وذكر اختلاف المفسرين وسبب اختلافهم، فقال: «(الفرط) يحتمل أن يكون بمعنى التفريط والتضييع، أي أمره الذي يجب أن يلتزم، ويحتمل أن يكون بمعنى الإفراط والإسراف، أي أمره وهواه الذي هو بسبيله، وقد فسره المتأولون بالعبارتين: أعني التضييع والإسراف»، ثم ذكر أقوال بعض السلف فقال: «وعبر خباب عنه بالهلاك، وداود بالندامة، وابن زيد بالخلاف للحق، وهذا كله تفسير بالمعنى»[1]، وتبعه في نحوٍ من هذا القرطبي[2].

ويتجلى هنا سبق أبي عبيدة حين قال في معنى (فرطاً): «أي: سَرَفاً وتضييعاً»[3].

وأما ابن فارس فهو ذهب إلى ما هو أعمق من هذا بكثير، ويفتقر تأملاً لراغب في الاستيعاب حيث قال: «(فَرَطَ) الْفَاءُ وَالرَّاءُ وَالطَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِزَالَةِ شَيْءٍ مِنْ مَكَانِهِ وَتَنْحِيَتِهِ عَنْهُ. يُقَالُ: فَرَّطْتُ عَنْهُ مَا كَرِهَهُ، أَيْ نَحَّيْتُهُ. قَالَ:

فَلَعَلَّ بُطْأَكُمَا يُفَرِّطُ سَيِّئاً ... أَوْ يَسْبِقُ الْإِسْرَاعُ خَيْراً مُقْبِلاً[4]

فَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ، ثُمَّ يُقَالُ: أَفْرَطَ، إِذَا تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْأَمْرِ. يَقُولُونَ: إِيَّاكَ وَالْفَرَطَ، أَيْ لَا تُجَاوِزِ الْقَدْرَ. وَهَذَا هُوَ الْقِيَاسُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا جَاوَزَ الْقَدْرَ فَقَدْ أَزَالَ الشَّيْءَ عَنْ جِهَتِهِ. وَكَذَلِكَ التَّفْرِيطُ، وَهُوَ التَّقْصِيرُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَصَّرَ فِيهِ فَقَدْ قَعَدَ بِهِ عَنْ رُتْبَتِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ»[5].

وكأنه يريد من الأصل المحوري الذي ذكره هنا أن الأصل في عامة الأمور التوسط، وهو المكان الأصلي لها، وتحركها متصور في التضييع الذي هو التفريط أو الإسراف الذي هو الإفراط.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥١٣/٣).

(٢) تفسير القرطبي (٣٩٢/١٠).

(٣) مجاز القرآن (٣٩٨/١).

(٤) البيت نسبه في الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لساعدة بن جؤية (١١٤٩/٣)، ونسبه لمرقش - وهو عمرو بن سعيد - في تاج العروس (٥٣٤/١٩)، والمفضليات (ص٢٢١)، ولسان العرب (٣٧٠/٧).

(٥) مقاييس اللغة (٤٩٠/٤).

وبناء على كل هذا العرض فمراد أبي عبد الله بن قتيبة بالأصل إنما هو المشتق من الإفراط.

* * *

قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

قال ابن قتيبة: و(الهَشِيمُ) من النبت المتفتت. وأصله: من هَشَمْتُ الشيء إذا كسرته[1].

لم أقف على مخالف لابن قتيبة في أن معنى الهشيم المتكسر المتفتت، وعامَّتهم يذكرون التكسُّر معنىً للتهشم وأن (هشيم) فعيل بمعنى مفعول[2].

وأما التصريح بالأصل للمفردة، فقد قال ابن فارس: «(هَشَمَ) الْهَاءُ وَالشِّينُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى كَسْرِ الشَّيْءِ الْأَجْوَفِ وَغَيْرِ الْأَجْوَفِ وَهَشَمْتُهُ هَشْماً. وَالْهَاشِمَةُ: الشَّجَّةُ تَهْشِمُ عَظْمَ الرَّأْسِ. وَمُجْمَعٌ عَلَى أَنَّ هَاشِماً سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ هَشَمَ الثَّرِيدَ، وَاسْمُهُ عَمْرٌو. وَالْهَشِيمُ مِنَ النَّبَاتِ: الْيَابِسُ الْمُتَكَسِّرُ»[3]. وقال الراغب: «هشم: الْهَشْمُ: كَسْرُ الشيء الرّخو كالنّبات. قال تعالى: ﴿فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ﴾ [الكهف: ٤٥]، ﴿فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١]، يقال: هَشَمَ عَظْمَه»[4].

* * *

قال تعالى: ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: ١٣].

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٦٨).

(٢) انظر على سبيل المثال: مجاز القرآن (٤٠٥/١)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٤٣٩٢/٦)، التفسير الوسيط للواحدي (١٥٠/٣)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥٢٠/٣)، تفسير القرطبي (٤١٢/١٠)، التحرير والتنوير (٣٣١/١٥).

(٣) مقاييس اللغة (٥٣/٦).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص٨٤٢).

قال ابن قتيبة: ﴿وَحَنَانًا﴾؛ أي رحمة. ومنه يقال: تحنَّن عليّ. وأصله من حنين الناقة على ولدها[1].

ذكر أبو عبد الله أن أصل الحنين من حيث أول إطلاقه مأخوذ من حنين الناقة على ولدها، وذكر هذا الأصل كذلك القرطبي[2].

وأما معنى الحَنَان في الآية وهو المشهور في اللغة فمتضمن معانيَ عدة، منها: الشفقة والرحمة والمحبة. قال ابن عطية: «والحنان الرحمة والشفقة والمحبة، قاله جمهور المفسرين، وهو تفسير اللغة. وهو فِعْل من أفعال النفس، ويقال: حنانك وحنانيك، فقيل: هما لغتان بمعنى واحد، وقيل: حنانَيك تثنية الحنان. وقال عطاء بن أبي رباح: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم: ١٣] بمعنى تعظيماً من لدنَّا»[3]. وتبعه في هذا القرطبي[4]، وذكر نحوه الطاهر بن عاشور[5].

وأضاف الشنقيطي أنه يكون فطرياً: «وَالْحَنَانُ: هُوَ مَا جُبِلَ عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ وَالشَّفَقَةِ، وَإِطْلَاقُ الْحَنَانِ عَلَى الرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ مَشْهُورٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ»[6].

وقد ذكر ابن جرير أصلاً للحنان، فقال: «وأصل ذلك - أعني الحنان - من قول القائل: حنّ فلان إلى كذا، وذلك إذا ارتاح إليه واشتاق، ثم يقال: تحنَّنَ فلان على فلان، إذا وصف بالتعطُّف عليه والرقة به، والرحمة له»[7].

فهو يريد الأصل المحوري الذي ترجع إليه المعاني وليس أول إطلاق الكلمة، ولذلك نجد الشفقة متضمنة الحب والرحمة والرعاية وغيرها.

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٧٣).
(٢) تفسير القرطبي (٨٧/١١).
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٧/٤).
(٤) تفسير القرطبي (٨٧/١١).
(٥) التحرير والتنوير (٧٦/١٦).
(٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٧٩/٣).
(٧) جامع البيان (١٥٨/١٨).

وتبع ابن جرير في هذا الأصل ابن فارس فقال: «(حَنَّ) الْحَاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْإِشْفَاقُ وَالرِّقَّةُ. وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ مَعَ صَوْتٍ بِتَوَجُّعٍ. فَحَنِينُ النَّاقَةِ: نِزَاعُهَا إِلَى وَطَنِهَا. وَقَالَ قَوْمٌ: قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ صَوْتٍ أَيْضاً»(١). وترى أنه أشار أولًا إلى الأصل الزمني بعد الأصل المحوري مباشرة كما هو عند ابن قتيبة.

وأما الراغب فقال: «حنَّ الحنين: النّزاع المتضمّن للإشفاق، يقال: حَنَّتِ المرأة، والنّاقة لولدها، وقد يكون مع ذلك صوت، ولذلك يعبّر بالحنين عن الصّوت الدّالّ على النزاع والشّفقة، أو متصوّر بصورته. وعلى ذلك حنين الجذع، وريح حَنُون، وقوس حَنَّانَة: إذا رنّت عند الإنباض. وقيل: ما له حانَّة ولا آنّة، أي: لا ناقة ولا شاة سمينة، ووُصفتا بذلك اعتباراً بصوتيهما، ولمّا كان الحنين متضمّناً للإشفاق، والإشفاق لا ينفكّ من الرّحمة، عبّر عن الرّحمة به في نحو قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم: ١٣]، ومنه قيل: الحَنَّان المنّان، وحَنَانَيْكَ: إشفاقاً بعد إشفاق(٢).

والحَنَان في الآية صفة من صفات الله تعالى تليق بجلاله وعظمته، نثبتها له على ما يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تعطيل، والله سبحانه من أسمائه الحَنَّان وهو اسم متضمن للصفة والأثر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

* * *

قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

قال ابن قتيبة: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ أي ذَلَّتْ. وأصله من عَنِيتُه: أي حبسته. ومنه قيل للأسير: عانٍ(٣).

---

(١) مقاييس اللغة (٢/٢٤).
(٢) المفردات في غريب القرآن (ص٢٥٩).
(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٨٢).

تبع أبو جعفر الطبري أبا عبد الله بن قتيبة في تصريحه بالأصل المحوري اللغوي للفظ (عنا)، وهو كذلك المراد في الآية، فقال: «استرّت وجوه الخلق، واستسلمت للحيّ القيوم الذي لا يموت، القيوم على خلقه بتدبيره إياهم، وتصريفهم لما شاءوا، وأصل العنو الذلّ، يقال منه: عنا وجهه لربه يعنو عنوا، يعني خضع له وذلّ، وكذلك قيل للأسير: عان؛ لذلة الأسر، فأما قولهم: أخذت الشيء عنوة، فإنه يكون وإن كان معناه يؤول إلى هذا أن يكون أخذه غلبة، ويكون أخذه عن تسليم وطاعة»(١).

وتبعهم عامة المفسرين وأهل المعاني والغريب بأن معنى عنت ذلت وخشعت واستأسرت من غير تصريح بالأصل. قال أبو عبيدة: «فهي تعنو عُنُوّا؛ أي استأسرت فهى عوانٍ لربّها، واحدها عانٍ بمنزلة الأسير العاني لأَسْرِه؛ أي ذليل»(٢). وقال ابن عطية: «وَعَنَتِ معناه ذَلَّت، والعاني الأسير»(٣).

وجعل الطاهر الأصل للأسير فقال: «والعَناء: الذِّلّة، وأصله الأسر، والعاني: الأسير. ولما كان الأسير ترهقه ذلة في وجهه أسند العَناء إلى الوجوه على سبيل المجاز العقلي»(٤)، وهو يريد بالأصل هنا أول الإطلاق ومنزعه من حيث ابتدأ، ولهذا جاءت لفظة (استأسرت) عند كثير من المفسرين في معنى الآية من لدن ابن جرير -كما تقدم آنفاً- ومن بعده.

وصرح بالأصل ابن فارس فقال: «عَنَى الْعَيْنُ وَالنُّونُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ: الْأَوَّلُ الْقَصْدُ لِلشَّيْءِ بِانْكِمَاشٍ فِيهِ وَحِرْصٍ عَلَيْهِ، وَالثَّانِي دَالٌّ عَلَى خُضُوعٍ وَذُلٍّ، وَالثَّالِثُ ظُهُورُ شَيْءٍ وَبُرُوزُهُ»(٥).

(١) جامع البيان (٣٧٦/١٨).
(٢) مجاز القرآن (٣٠/٢).
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٦٥/٤)، وانظر: تفسير القرطبي (٢٤٨/١١).
(٤) التحرير والتنوير (٣١١/١٦).
(٥) مقاييس اللغة (١٤٦/٤).

وأما الراغب فذكر الآية في جذرين وموضعين:

الأول: عنت الْمُعَانَتَةُ كالمعاندة لكن المُعَانَتَةُ أبلغ؛ لأنها معاندة فيها خوف وهلاك، ولهذا يقال: عَنَتَ فلان: إذا وقع في أمر يُخاف منه التّلف، يَعْنُتُ عَنَتاً. قال تعالى: ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٢٥]، ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]؛ أي: ذلّت وخضعت، ويقال: أَعْنَتَهُ غيرُهُ. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ويقال للعظم المجبور إذا أصابه ألم فهاضه: قد أَعْنَتَهُ[١].

الثاني: «عنا ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]، أي: خضعت مستأسرة بعناء»[٢].

والذي يتضح أن موضع الآية هو الموضع الثاني؛ لأن التاء في (عنت) في آية طه تاء التأنيث وليست تاء أصلية، وفرق بين العنت الذي هو المشقة، وبين (عنا) التي هي من الذل والخضوع أو الإذلال للغير، كقولهم: (دخل البلد عنوة).

***

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

قال ابن قتيبة: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، ما أُلقي فيها، وأصله من الحَصْباء، وهي: الحصى. يقال: حَصَبْتُ فلاناً: إذا رميتَه حَصْباً - بتسكين الصاد - وما رَمَيْتَ به: حَصَبٌ، بفتح الصاد. كما تقول: نَفَضْتُ الشجرة نَفْضاً. وما وقع من ثَمَرِها: نَفَضٌ؛ واسم حصى الحجارة: حَصَبٌ[٣].

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٥٨٩).
(٢) المفردات في غريب القرآن (ص٥٩١).
(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٨٨).

يريد أبو عبد الله بالأصل هنا محل الاشتقاق أنه مأخوذ من الحصباء من حيث اللغة. قال الخليل: «حصب: الحَصْبُ: رَمْيُكَ بالحَصْباء أي صِغار الحَصَى أو كِبارها»(١). وقال ابن فارس: «(حَصَبَ) الْحَاءُ وَالصَّادُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ جِنْسٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْأَرْضِ، ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْهُ»(٢). وجعل لهذا الاسم والفعل به إطاراً واضحاً أبو عبيدة فقال: «كل شيء ألقيته فى نار فقد حصبتها»(٣)، وزاده توضيحاً السجستاني فقال: «حصب جَهَنَّم: كل شَيْء أَلقيته في نَار فَهُوَ حصب قد حصبتها به»(٤).

والمعنى في التفسير، إذ قال ابن عطية: «الحصب ما توقد به النار، إما لأنها تحصب به أي ترمى، وإما أن تكون لغة في الحطب إذا رمي، وأما قبل أن يرمى به فلا يسمى حصباً إلا بتجوز»(٥). وقال السمين الحلبي: «وهو ما يُحْصَبُ؛ أي: يرمى في النارِ، ولا يقالُ له حَصَب إلاَّ وهو في النارِ، فأمَّا ما قبل ذلك فحَطَبٌ وشجرٌ وغير ذلك»(٦).

ومنْعُهما إطلاق لفظ الحصب على ما يرمى في النار قبل أن يرمى فلأن النار تُعمر بالحطب والشجر ونحوهما؛ وأمَّا الحَصَب فهو من الحصباء التي ليست من جنس ما يحتطب، ولا يتخذ للإيقاد. ويرد هذا الاحتراز في تفسير الآية هنا آية التحريم كما بيَّن الطاهر، فقال: «والحصب: اسم بمعنى المحصوب به؛ أي المرمي به. ومنه سميت الحصباء لأنها حجارة يرمى بها؛ أي: يُرْمَون في جهنم، كما قال تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] أي: الكفار وأصنامهم»(٧).

* * *

(١) العين (١٢٣/٣).
(٢) مقاييس اللغة (٧٠/٢).
(٣) مجاز القرآن (٤٢/٢).
(٤) غريب القرآن للسجستاني (ص١٩٤).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٠١/٤).
(٦) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٢٠٦/٨).
(٧) التحرير والتنوير (١٥٣/١٧).

قال تعالى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٨].

قال ابن قتيبة: ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ [القصص: ٢٨]، قال المفسرون: لا سبيل عليَّ. والأصلُ من «التَّعدِّي»، وهو: الظلم. كأنه قال: أيَّ الأَجَلَيْنِ قضيتُ، فلا تعتدِ عليَّ بأن تُلزمَني أكثرَ منه(١).

سبق ابن قتيبة إلى هذا الأصل أبو عبيدة معمر بن المثنى، فقال: «وهو من العدا والتعدي والعدو واحد كله وهو الظلم»(٢). وأمَّا ابن فارس فلم يبتعد عن معنى الظلم ولكنه اختار لفظاً أوسع فجعله في عموم التجاوز؛ فقال: «(عَدَوَ) الْعَيْنُ وَالدَّالُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْفُرُوعُ كُلُّهَا، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى تَجَاوُزٍ فِي الشَّيْءِ وَتَقَدُّمٍ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَيْهِ»(٣)، ونحوه الراغب الأصفهاني: «العَدُوُّ: التَّجاوز ومنافاة الالتئام، فتارة يعتبر بالقلب، فيقال له: العَدَاوَةُ والمُعَادَاةُ، وتارة بالمشي، فيقال له: العَدْوُ، وتارة في الإخلال بالعدالة في المعاملة، فيقال له: العُدْوَانُ والعَدْوُ»(٤).

ولم يختلف أحد منهم أن المراد بالآية هنا التعدِّي والتجاوُز والظلم. قال الطاهر: «والعدوان بضم العين: الاعتداء على الحق؛ أي فلا تعتدي علي. فنفى جنس العدوان الذي منه عدوانُ مستأجَرِه»(٥).

* * *

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١].

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٣٣٢).
(٢) مجاز القرآن (١٠٢/٢).
(٣) مقاييس اللغة (٢٤٩/٤).
(٤) المفردات في غريب القرآن (ص٥٥٣).
(٥) التحرير والتنوير (١١٠/٢٠).

قال ابن قتيبة: ﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾؛ أي شُدِّد عليهم وهُوِّل. و«الزِّلازلُ»: الشدائدُ. وأصلها من «التحريك»(١).

أورد ابن قتيبة أصل الزلازل هنا وهو يريد مصدر اشتقاقه ومنبعه وهو التحريك، وتبعه في هذا الزجاج، فقال: «خُوِّفُوا وحُرِّكُوا بما يُؤْذي، وأصل الزلزلة في اللغة مِنْ زَلَّ الشيءُ عن مكانه. فإذا قلت: زلزلة، فتأويله كررت زلزلته من مكانه، وكل ما فيه ترجُّع كررت فيه فاءُ التفعيل، تقول: أقلَّ فلان الشيءَ إذا رفعه من مكانه، فإذا كرر رَفْعَه وَردَّه قيل: قلقله، وكذا صلَّ، وصَلْصَل وصَرَّ وصَرْصَرَ، فعلى هذا قياس هذا الباب. فالمعنى أنه يكرر عليهم التحريك بالخوف. أزْعِجوا إزعاجاً شديداً وحُرِّكوا»(٢). وتوافقت عبارة المفسرين على معنى التحريك. قال أبو جعفر الطبري: «حُرّكوا بالفتنة تحريكاً شديداً، وابتُلُوا وفُتنوا»(٣).

وفصَّل الطاهر في تفسير الآية فقال: «والزلزال: اضطراب الأرض، وهو مضاعف زَلَّ تضعيفاً يفيد المبالغة، وهو هنا استعارة لاختلال الحال اختلالاً شديداً بحيث تخيل مضطربة اضطراباً شديداً كاضطراب الأرض، وهو أشد اضطراباً للحاقه أعظم جسم في هذا العالم. ويقال: زُلزل فلان، مبنياً للمجهول تَبَعاً لقولهم: زلزلت الأرض؛ إذ لا يعرف فاعل هذا الفعل عرفاً. وهذا هو غالب استعماله، قال تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ الآية [البقرة: ٢١٤]، والمراد بزلزلة المؤمنين شدة الانزعاج والذعر؛ لأن أحزاب العدو تفوقهم عدداً وعدة»(٤).

وذهب إلى معنى أصل الفعل قبل التضعيف الراغبُ، فقال: «زَلَّ: الزَّلَّةُ في الأصل: استرسال الرِّجْل من غير قصد، يقال: زَلَّتْ رِجْلٌ تَزِلُّ، والْمَزِلَّةُ: المكان الزّلق، وقيل

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٣٤٨).
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢١٩/٤).
(٣) جامع البيان (٢٢٢/٢٠)، وانظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٧٣/٤)، تفسير القرطبي (١٤٦/١٤).
(٤) التحرير والتنوير (٢٨٣/٢١).

للذّنب من غير قصد: زَلَّةٌ، تشبيهاً بزلّة الرِّجل. قال تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ [البقرة: ٢٠٩]، ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [البقرة: ٣٦]. والتَّزَلْزُلُ: الاضطراب، وتكرير حروف لفظه تنبيه على تكرير معنى الزّلل فيه، قال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[١] [الزلزلة: ١].

وأما ابن فارس فقال: «(زلَّ) الزَّاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ فِي الْمُضَاعَفِ، وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ زَاءٍ بَعْدَهَا لَامٌ فِي الثُّلَاثِيِّ. وَهَذَا مِنْ عَجِيبِ هَذَا الْأَصْلِ. تَقُولُ: زَلَّ عَنْ مَكَانِهِ زَلِيلاً وَزَلًّا. وَالْمَاءُ الزُّلَالُ: الْعَذْبُ؛ لِأَنَّهُ يَزِلُّ عَنْ ظَهْرِ اللِّسَانِ لِرِقَّتِهِ. وَالزَّلَّةُ: الْخَطَأُ؛ لِأَنَّ الْمُخْطِئَ زَلَّ عَنْ نَهْجِ الصَّوَابِ، وَتَزَلْزَلَتِ الْأَرْضُ: اضْطَرَبَتْ، وَزُلْزِلَتْ زِلْزَالاً»[٢].

ويظهر أن الأصل عند ابن قتيبة (التحريك) أوسع من مأخذه عند الراغب فيشمل تحريك الرجل وغيرها.

***

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠].

قال ابن قتيبة: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]؛ أي سَبِّحي. وأصله: التأْويبُ في السير؛ وهو: أن تسيرَ النهارَ كلَّه وتنزلَ ليلاً. قال ابن مُقْبِل:

لَحِقْنا بحيٍّ أوَّبُوا السَّيرَ بعدَ ما ... دَفَعْنا شُعاعَ الشمسِ والطَّرْفُ يَجْنَحُ[٣]

كأنه أراد: أوِّبِي النهارَ كلَّه بالتسبيح إلى الليل[٤].

أراد ابن قتيبة بالمصدر هنا محل الاشتقاق ومنبعه ومأخذه وأنه سير النهار؛ وقد اختلف عليه في هذا فقال الخليل: «والأَوْب: ترجيع الأيدي والقوائم في السّير، والفِعْل من ذلك: التّأويب، والتَأويب: من سير اللّيل. أوَّبت الإبل تأويباً، والتّأويبة: مرّة لا

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٣٨١).
(٢) مقاييس اللغة (٤/٣).
(٣) البيت لابن مقبل في: تفسير القرطبي (٢٦٥/١٤)، والبحر (٢٦٣/٧).
(٤) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٣٥٣).

غير. ويقال: التّأويب: سيرُ النّهار إلى اللّيل. وتقول: لتهنك أوبةُ الغائبِ؛ أي: إيابُه ورجوعه. والمآب: المَرْجِعُ»[1]. فالخليل وإن لم يصرح بالأصل إلا أنه ذكر القول الذي أورده ابن قتيبة وقولاً آخر وهو حركة سير خاصة بالإبل، وصرح بكونه أصلاً مكي ابن أبي طالب، فقال: «والتأويب في كلام العرب: الرجوع، ومبيت الرجل في منزله وأهله، وأصله من سرعة رجع أيدي الإبل وأرجلها في السير الحثيث، وهو التأويب»[2]. وأورد معمر بن المثنى معنى ثالثاً للتأويب، فقال: «والتأويب أن يبيت في أهله، قال سلامة بن جندل:

يومان يومُ مقاماتٍ وأنديةٍ ويومُ سيرٍ إلى الأعداء تأويب»[3]

فهذه إطلاقات ثلاثة كلها صحت في معنى التأويب.

وأما الأصل المحوري الذي ترجع إليه معاني الكلمة، فإنهم يتفقون أنه (الرجوع). قال الخليل: «أوب: يقال: آب فلان إلى سيفه؛ أي: ردّ يده إلى سيفه. وآب الغائب يؤوب أوباً؛ أي: رجع»[4]. وقال ابن فارس: «(أَوَبَ) الْهَمْزَةُ وَالْوَاوُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الرُّجُوعُ، ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْهُ مَا يَبْعُدُ فِي السَّمْعِ قَلِيلاً، وَالْأَصْلُ وَاحِدٌ»[5]. وقال الراغب: «أوب الأَوْبُ: ضربٌ من الرجوع، وذلك أنّ الأوب لا يقال إلا في الحيوان الذي له إرادة، والرجوع يقال فيه وفي غيره، يقال: آب أَوْباً وإِيَاباً ومَآباً»[6].

وأما معنى الآية، فقال مكي: «أي: وقد أَعطينا داود منا فضلاً، وقلنا للجبال: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]؛ أي: سبحي معه إذ سبح»، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد.

(١) العين (٤١٦/٨).
(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (٥٨٨٩/٩).
(٣) مجاز القرآن (١٤٢/٢).
(٤) العين (٤١٦/٨).
(٥) مقاييس اللغة (١٥٢/١).
(٦) المفردات في غريب القرآن (ص٩٧).

والتأويب في كلام العرب: الرجوع، ومبيت الرجل في منزله وأهله، وأصله من سرعة رَجْع أيدي الإبل وأرجلها في السير الحثيث، وهو التأويب[1].

* * *

قال تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥].

قال ابن قتيبة: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [الزخرف: ٥]؛ أي نُمسك عنكم فلا نذكركم صفحاً؛ أي إعراضاً. يقال: صفحت عن فلان؛ إذا أعرضت عنه. والأصل في ذلك: أنك تُولِّيه صفحةَ عنقك. قال كُثير يصف امرأة:

صَفُوحاً فما تَلْقَاكَ إلا بجيلةٍ ... فَمَن مَلَّ منها ذلك الوصلَ مَلَّتِ[2]

أي معرضةً بوجهها.

ويقال: ضربت عن فلان كذا؛ أي أمسكته وأضربت عنه[3].

نص ابن قتيبة على الأصل هنا، وهو يريد أصل الاشتقاق ومأخذه أول استعماله، وتبعه في هذا من غير تصريح بالأصل أبو جعفر النحاس فقال: «أي إعراضاً يجوز أن يكون المعنى: أفنصفح عنكم صفحاً كما يقال هو يدعه تركاً، ويجوز أن يكون المعنى: أفنضرب عنكم الذكر صافحين كما يقال: جاء فلان مشياً، ومعنى صفحت عنه: أعرضتُ عنه؛ أي وَلَّيته صفحة عنقي»[4]، والواحدي فقال: «ضربت عنه، وأضربت عنه، أي: تركته، وأمسكت عنه، والصفح مصدر قولهم: صفحت عنه إذا أعرضت عنه، وذلك أنك توليه صفحة وجهك وعنقك»[5]، ونقل قول ابن قتيبة وعزاه

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٥٨٨٩/٩)، وانظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٠٧/٤)، تفسير القرطبي (٢٦٥/١٤)، التحرير والتنوير (١٥٦/٢٢).

(٢) البيت لكثير عزة في: الزاهر في معاني كلام الناس (٢٧١/١)، ولسان العرب (٥١٥/٢)، والشعر والشعراء (٥٠٥/١).

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٣٩٥).

(٤) معاني القرآن للنحاس (٣٣٥/٦).

(٥) التفسير الوسيط للواحدي (٦٤/٤).

إليه السمعاني[1]، وصرح بالأصل القرطبيُّ ونقل كلامَ ابن قتيبة: «وَمَعْنَى (صَفْحاً) إِعْرَاضاً، يُقَالُ: صَفَحْتُ عَنْ فُلَانٍ إِذَا أَعْرَضْتُ عَنْ ذَنْبِهِ. وَقَدْ ضَرَبْتُ عَنْهُ صَفْحاً إِذَا أَعْرَضْتُ عَنْهُ وَتَرَكْتُهُ. وَالْأَصْلُ فِيهِ صَفْحَةُ الْعُنُقِ، يُقَالُ: أَعْرَضْتُ عَنْهُ، أَيْ وَلَّيْتُهُ صَفْحَةَ عُنُقِي»[2].

والمراد من الآية: «فيحتمل أن يكون بمعنى العفو والغفر للذنب، فكأنه يقول: أفنترك تذكيركم وتخويفكم عفواً عنكم وغفراً لإجرامكم إذ كنتم، أو من أجل أن كنتم قوماً مسرفين؟ أي: هذا لا يصلح، وهذا قول ابن عباس ومجاهد، ويحتمل قوله: صَفْحاً أن يكون بمعنى مغفولاً عنه، أي نتركه يمر لا تؤخذون بقبوله ولا بتدبر ولا تنبهون عليه»[3].

وهذان القولان لا يخالفان الأصل الذي ذكره ابن قتيبة؛ حيث إن تحويل الوجه مع العنق بإشارة إلى الإعراض عن الشيء قد يكون للصفح والعفو والتجاوز، وقد يكون للتغافل والظهور بمظهر الذي لم يعلم.

وأما من حيث الدلالة المحورية، فإن ابن فارس لم يبتعد عن أصل الاشتقاق الذي ذكره ابن قتيبة فقال: «(صَفَحَ) الصَّادُ وَالْفَاءُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ مُطَّرِدٌ يَدُلُّ عَلَى عَرْضٍ وَعِرَضٍ. مِنْ ذَلِكَ صَفْحُ الشَّيْءِ: عَرْضُهُ. وَيُقَالُ: رَأْسٌ مُصْفَحٌ: عَرِيضٌ»[4].

فتراه اختار لفظ (العرض) مرجعاً لجميع الباب والعَرض مقتنص من الإعراض بصفحة الوجه والعنق أو من عرض الوجه والعنق، إذ لا يبدو إلا هما مع الالتفات؛ وجاءت عبارة الراغب أقرب للفظ ابن قتيبة فقال: «صفح: صَفْحُ الشيءِ: عُرضه وجانبه، كَصَفْحَةِ الوجهِ، وصَفْحَةِ السّيفِ، وصَفْحَةِ الحَجَرِ. والصَّفْحُ: تركُ التّثريب، وهو أبلغ من العفو، ولذلك قال: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقد

(١) تفسير السمعاني (٩١/٥).
(٢) تفسير القرطبي (٦٣/١٦).
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٦/٥).
(٤) مقاييس اللغة (٢٩٣/٣).

يعفو الإنسان ولا يَصْفَحُ. قال: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ﴾ [الزخرف: ٨٩]، ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾ [الزخرف: ٥][1].

* * *

قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

قال ابن قتيبة: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾؛ أي ألهِمْني. والأصل في «الإيزاع»: الإغراء بالشيء؛ يقال: فلان مُوزَعٌ بكذا ومُولَعٌ[2].

ذكر ابن قتيبة أن أصل الإيزاع: الإغراء بالشيء، وهذا من ضمن ما ذكره أهل اللغة والمعاني والتفسير. قال الخليل: «وزع: الوزع: كفُّ النَّفْس عن هواها. والوازعُ: الحابسُ للعسكر. قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧، ٨٣]؛ أي: يُكَفُّ أوّلُهم على آخرهم. وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ﴾ [النمل: ١٩]؛ أي: أَلْهِمْني»[3]. وقال ابن فارس: «(وَزَعَ) الْوَاوُ وَالزَّاءُ وَالْعَيْنُ: بِنَاءٌ مَوْضُوعٌ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ. وَوَزَعْتُهُ عَنِ الْأَمْرِ: كَفَفْتُهُ. قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]، أَيْ يُحْبَسُ أَوَّلُهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ... وَبِنَاءٌ آخَرُ، يُقَالُ: أَوْزَعَ اللهُ فُلَاناً الشُّكْرَ: أَلْهَمَهُ إِيَّاهُ. وَيُقَالُ: هُوَ مَنْ أُوزِعَ بِالشَّيْءِ، إِذَا أُولِعَ بِهِ، كَأَنَّ اللهَ تَعَالَى يُولِعُهُ بِشُكْرِهِ. وَبِهَا أَوْزَاعٌ مِنَ النَّاسِ، أَيْ جَمَاعَاتٌ»[4]. وقال الراغب: «وزع: يقال: وَزَعْتُهُ عن كذا: كففتُه عنه. قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ﴾ إلى قوله: ﴿فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]، فقوله: ﴿يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧] إشارةٌ إلى أنهم مع كثرتهم وتفاوتهم لم يكونوا مهملين ومبعدين، كما يكون الجيش الكثير المتأذّى بمعرّتهم، بل كانوا مسوسين ومقموعين. وقيل في قوله: ﴿يُوزَعُونَ﴾ أي: حبس أولهم على آخرهم، وقوله: ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ﴾

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٤٨٦).
(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٤٠٧).
(٣) العين (٢/٢٠٧).
(٤) مقاييس اللغة (٦/١٠٦).

إلى قوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩]، فهذا وَزْعٌ على سبيل العقوبة. وقيل: الوُزُوعُ الولوعُ بالشيء. يقال: أَوْزَعَ اللهُ فلاناً: إذا ألهمه الشّكر، وقيل: هو من أُوْزِعَ بالشيء: إذا أُولِعَ به، كأن الله تعالى يُوزِعُهُ بشكره، ورَجُلٌ وَزُوعٌ، وقوله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل: ١٩]؛ قيل: معناه: ألهمني، وتحقيقه: أولعني ذلك، واجعلني بحيث أَزِعُ نفسي عن الكفران»[١].

ومن خلال هذا العرض لا يكاد يعود هذا الجذر باستعمالاته المشهورة لمعنى واحد واضح أو متقارب، فعبارة ابن فارس كافية لهذه النتيجة.

والذي جرى على بيان الخليل معنيان يكادان أن يكونا ضدين وهما: الكف والحبس مع الإغراء والإلهام، وهذا منبع القلق ومنه يتبين أن ابن قتيبة ذكر أصلاً واحداً من الكلمة متسقاً مع آية الموضع معنا.

وعبارة الخليل إذ يقول: «يُكَفُّ أوّلُهم على آخرهم» في معنى ﴿يُوزَعُونَ﴾، ولعل هذا يتسق مع جميع مواضع هذه الكلمة، وذلك عند التأمل فإن متأخرهم يُغرى ويحثُّ ويُولع بالسير ومتقدمهم يكف ويحبس، وكل هذا في وقت واحد ليلحق آخرهم أولهم، وهذا شيء من الترتيب والتهذيب المستقيم سواء في سير الجيوش أو في الإيعاز إلى النار كما أشار الراغب، وبهذا التصور يصح المعنيان ويرتبطان.

وجاءت عبارة كثير من المفسرين تبعاً لابن قتيبة: ألهمني وأَغْرِني[٢].

وأما ابن عطية فقد انفرد بعبارة تتسق مع معني الكفِّ والإلهام، فقال: «ادفعني عن الموانع وازجرني عن القواطع لأجل أن أشكر نعمتك»[٣]. والدفع بمعنى الإغراء، والزجر بمعنى الكف.

* * *

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٨٦٨).

(٢) جامع البيان (٢٢/١١٤)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/١١٢)، معاني القرآن للنحاس (٥/١٢٢)، تفسير السمعاني (٥/١٥٤)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١١/٦٨٤٣)، تفسير القرطبي (١٦/١٩٤).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/٩٨).

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ١].

قال ابن قتيبة: ﴿أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾، أبطلها وأصل «الضَّلال»: الغَيْبُوبة. يقال: ضلَّ الماءُ في اللبن؛ إذا غاب وغُلب عليه؛ فلم يُتبيَّن(١).

لم أقف على من تابع ابن قتيبة في أن أصل الضلال الغيبوبة بهذا النص. بل إني وجدت له في «تأويل مشكل القرآن» قوله: وربما جعلت العرب (الإضلال) في معنى الإبطال والإهلاك؛ لأنه يؤدّي إلى الهلكة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ﴾ [السجدة: ١٠]، أي بطلنا ولحقنا بالتراب وصرنا منه. والعرب تقول: ضلّ الماء في اللبن: إذا غلب اللبن عليه فلم يتبيّن(٢). فتراه هنا ساق ذات المثال الذي معنا وكأنه يريد معنى الإبطال لأن اللبن أبطل الماء.

والذي ذكره الخليلُ من غير نص على الأصل أن الإضلال من الضياع؛ قال: «ضل: ضَلَّ يَضِلُّ إذا ضاعَ، يقال: ضَلَّ يَضِلُّ ويضل»(٣)، وعليه بنى الأصل المحوري ابن فارس وأتى على عامة الألفاظ المشهورة فقال: «(ضَلَّ) الضَّادُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ ضَيَاعُ الشَّيْءِ وَذَهَابُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ. يُقَالُ: ضَلَّ يَضِلُّ وَيَضَلُّ، لُغَتَانِ. وَكُلُّ جَائِرٍ عَنِ الْقَصْدِ ضَالٌّ. وَالضَّلَالُ وَالضَّلَالَةُ بِمَعْنًى. وَرَجُلٌ ضِلِّيلٌ وَمُضَلَّلٌ، إِذَا كَانَ صَاحِبَ ضَلَالٍ وَبَاطِلٍ. وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَصْلَ الضَّلَالِ مَا ذَكَرْنَاهُ قَوْلُهُمْ: أُضِلَّ الْمَيِّتُ، إِذَا دُفِنَ. وَذَاكَ كَأَنَّهُ شَيْءٌ قَدْ ضَاعَ. وَيَقُولُونَ: ضَلَّ اللَّبَنُ فِي الْمَاءِ، ثُمَّ يَقُولُونَ اسْتُهْلِكَ»(٤).

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٤٠٩).
(٢) تأويل مشكل القرآن (ص٨٥).
(٣) العين (٨/٧).
(٤) مقاييس اللغة (٣٥٦/٣).

وأما أهل المعاني والتفسير فإنهم جعلوا معنى الآية: «أحبطها وضيعها وأبطلها عليهم، فلا قيمة لأعمالهم الصالحة»(١).

وغلَّب الراغب الحقيقة الشرعية في معنى الضلال لكثرة وروده في كتاب الله تعالى من غير بسط للآية موضع الشاهد مَعَنا، فقال: «ضل الضَّلَالُ: العدولُ عن الطّريق المستقيم، ويضادّه الهداية، قال تعالى: ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ﴾ [الإسراء: ١٥]، ويقال: الضَّلَالُ لكلّ عدولٍ عن المنهج، عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً، فإنّ الطّريق المستقيم الذي هو المرتضى، وقال في الكافر: ﴿وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٨].

وليس مِنْ تباعُدٍ بين الحقيقة اللغوية والشرعية في آية سورة محمد. قال الطاهر مفسراً للأصل بمعنى الضياع: «والإضلال: الإبطال والإضاعة، وهو يرجع إلى الضلال. وأصله الخطأ للطريق المسلوك للوصول إلى مكان يراد وهو يستلزم المعاني الأخر. وهذا اللفظ رشيق الموقع هنا لأن الله أبطل أعمالهم التي تبدو حسنة، فلم يثبهم عليها من صلة رحم، وإطعام جائع، ونحوهما، ولأن من إضلال أعمالهم أن كان غالب أعمالهم عبثاً وسيئاً، ولأن من إضلال أعمالهم أن الله خيب سعيهم فلم يحصلوا منه على طائل فانهزموا يوم بدر وذهب إطعامهم الجيش باطلاً، وأفسد تدبيرهم وكيدهم للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يشفوا غليلهم يوم أُحد، ثم توالت انهزاماتهم في المواقع كلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ﴾ [الأنفال: ٣٦](٢).

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/٥)، معاني القرآن للنحاس (٤٥٩/٦)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١٦٨/١)، التفسير الوسيط للواحدي (١١٨/٤)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣١٤/٤)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٠٩/٥)، تفسير القرطبي (٢٢٤/١٦).

(٢) التحرير والتنوير (٧٤/٢٦).

وقال أبو هلال العسكري في تفريقه بين الضلال والغي: «وأصل الضلال الهلاك»(١)، ولا شك أن هذا ليس أصلًا للضلال، وإنما الهلاك نتيجة للضلال الذي هو الضياع، وسواء كان الضائع تائها في مفازة من إنسان أو حيوان ثم انقطع فهلك أو كان الضائع من المكلفين تاه عن طريق الحق فهَلَكَتُه في الآخرة وعيدُ ربه.

* * *

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الذاريات: ٥٩].

قال ابن قتيبة: و(الذَّنوب): الحظ والنصيب. وأصله: الدَّلْوُ العظيمة. وكانوا يَسْتَقون فيكون لكل واحدٍ ذنوبٌ. فجُعل «الذَّنوب» مكان «الحظ والنصيب»: على الاستعارة(٢).

أراد ابن قتيبة بالأصل هنا الكلمة التي اشتق منها المعنى، وقد أطبق أهل اللغة والمعاني والتفسير على أن المراد بالآية النصيب، وأنه مأخوذ من الدلو. قال الفراء: «والذنوب فِي كلام العرب: الدَّلْوُ العظيمة، ولكن العربَ تذهَبُ بها إلى النَّصِيب والحظِّ. وَبذلِكَ أتى التفسيرُ: فإنَّ للذين ظَلموا حظّاً من العذابِ، كما نزَلَ بالذين من قبلهم»(٣).

وفي هذه المواضع نفسها صرح ابن قتيبة بالأصل أنه دَلْوٌ في كتابه «تأويل مشكل القرآن»، وصرح به كذلك مكي بن أبي طالب وأبو المظفر السمعاني، وأبو محمد ابن عطية، وأبو عبد الله القرطبي. وذهب بالأصل إلى طريقة الاقتسام الزمخشري،

---

(١) الفروق اللغوية (ص٣٩٢).

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٤٢٣).

(٣) معاني القرآن للفراء (٩٠/٣)، وانظر: مجاز القرآن (٢٢٨/٢)، تأويل مشكل القرآن (ص٩٧)، جامع البيان (٤٤٧/٢٢)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥٩/٥)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٧١١١/١١)، التفسير الوسيط للواحدي (١٨٢/٤)، تفسير السمعاني (٢٦٥/٥)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤٠٧/٤)، تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٨٣/٥)، تفسير القرطبي (٥٧/١٧) التحرير والتنوير (٣٠/٢٧).

فقال: «الذَّنوب: الدلو العظيمة، وهذا تمثيل، أصله في السُّقاة يتقسمون الماء، فيكون لهذا ذنوب، ولهذا ذنوب»[1]. وقال ابن فارس: «(ذَنَبَ) الذَّالُ وَالنُّونُ وَالْبَاءُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ: أَحَدُهَا الْجُرْمُ، وَالْآخَرُ مُؤَخَّرُ الشَّيْءِ، وَالثَّالِثُ كَالْحَظِّ وَالنَّصِيبِ»، ثم استرسل في ذكر المعاني المشهورة للأصلين الأولين، وأهمل الثالث الذي هو النصيب فلم يتعرض له[2].

***

قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥].

قال ابن قتيبة: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ جبريلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. وأصله من «قُوَى الحَبْل»؛ وهي طاقاته. الواحدة: قوة[3].

أراد ابن قتيبة بالأصل هنا مأخذ اشتقاق الكلمة وأنه من قُوى الحبل، متابعاً بهذا الخليل بن أحمد، فقال ملمحاً للأصل: «جعل مصدر القَوِيّ على فعالة، والشعراء تتكلفه في النعت اللازم. ورجل شديد القُوَى، أي: شديد أَسْر الخلق مُمِرُّه، أخذ من قُوى الحبل. والقُوّةُ (طاقة من طاقات) الحبل، والجميع: القُوَى»[4]. وتبعهما ناصاً على الأصل الاشتقاقي بعد أن نص على الأصل المحوري ابن فارس فقال: «(قَوِيَ) الْقَافُ وَالْوَاوُ وَالْيَاءُ أَصْلَانِ مُتَبَايِنَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى شِدَّةٍ وَخِلَافِ ضَعْفٍ، وَالْآخَرُ عَلَى خِلَافِ هَذَا وَعَلَى قِلَّةِ خَيْرٍ. فَالْأَوَّلُ الْقُوَّةُ، وَالْقَوِيُّ: خِلَافُ الضَّعِيفِ. وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنَ الْقُوَى، وَهِيَ جَمْعُ قُوَّةٍ مِنْ قُوَى الْحَبْلِ. وَالْمُقْوِي: الَّذِي أَصْحَابُهُ وَإِبِلُهُ أَقْوِيَاءُ. وَالْمُقْوِي: الَّذِي يُقْوِي وَتَرَهُ، إِذَا لَمْ يُجِدْ إِغَارَتَهُ فَتَرَاكَبَتْ قُوَاهُ. وَرَجُلٌ شَدِيدُ الْقُوَى، أَيْ شَدِيدُ أَسْرِ الْخَلْقِ»[5].

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤٠٧/٤).

(٢) مقاييس اللغة (٣٦١/٢)، ورجعت لأكثر من طبعة أتحرى كلمة الآية هنا فلم أجد.

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٤٢٧).

(٤) العين (٢٣٦/٥).

(٥) مقاييس اللغة (٣٦/٥).

وأما معنى الآية فعامة أهل المعاني والغريب والتفسير على أن القوى جمع قوة وأن المراد به جبريل (١) عَلَيْهِ السَّلَامُ.

* * *

قال تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾ [النجم: ٦].

قال ابن قتيبة: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: ٦]؛ أي ذو قوةٍ. وأصل «المِرَّة»: الفَتْلُ (٢).

أشار ابن قتيبة في هذا الموضع إلى أصل اشتقاق الكلمة ومن أين أخذ المعنى قبل دورانه في ألفاظ مشهورة، فجعله من (مرة الفتل) متابعاً للخليل في هذا، فقال: «والمِرَّةُ: شِدَّةُ الفَتْل. والمِرَّة: شِدّةُ أَسْرِ الخَلْق. وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾، أي: سويّ، يعني: جبريلَ عليه السّلامُ خَلَقَهُ اللهُ قَوِيّاً سَوِيّاً. وذو مِرّة سَوِيّ، أي: قويٌّ صحيحُ البَدَن. والمرير: الحبلُ المَفْتول. وقد أَمْرَرْتُه إمراراً، وأَمْرٌ مُمَرٌّ»(٣). وممن صرح بالأصل كذلك ابن عطية فقال: «وذُو مِرَّةٍ معناه: ذو قوة، قاله قتادة وابن زيد والربيع، ومنه قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مِرَّة سوي». وأصل المرة من مرائر الحبل، وهي فَتْلُه، وإحكام عمله»(٤).

ومعنى الآية عندهم على خلاف: وأكثر الأقوال على: المِرَّة وهي القوة(٥).

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/٢٣٦)، جامع البيان (٢٢/٤٩٨)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١١/٧١٤٢)، التفسير الوسيط للواحدي (٤/١٩٣)، تفسير السمعاني (٥/٢٨٤)، المفردات في غريب القرآن (ص٦٩٣، ٦٩٤)، تفسير القرطبي (١٧/٨٥)، التحرير والتنوير (٢٧/٩٥).

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٤٢٧).

(٣) العين (٨/٢٦٢).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/١٩٦).

(٥) مجاز القرآن (٢/٢٣٦)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/٧٠)، التفسير الوسيط للواحدي (٤/١٩٣)، تفسير السمعاني (٥/٢٨٥)، المفردات في غريب القرآن (ص٧٦٣)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/١٩٦)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٣١٦).

وقيل: الخلق الحسن، وقيل: العقل الراجح. قال الطاهر مقدماً القول بالتأسيس على التكرار، إذ تقدم معنى القوة: «والمرة، بكسر الميم وتشديد الراء المفتوحة، تطلق على قوة الذات وتطلق على متانة العقل وأصالته، وهو المراد هنا؛ لأنه قد تقدم قبله وصفه بشديد القوى، وتخصيص جبريل بهذا الوصف يشعر بأنه الملك الذي ينزل بفيوضات الحكمة على الرسل والأنبياء»(١). وجمع بين الأقوال بعبارته - حيث إنها متلازمة - ابن جرير الطبري فقال: «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بالمرّة: صحة الجسم وسلامته من الآفات والعاهات. والجسم إذا كان كذلك من الإنسان، كان قوياً، وإنما قلنا إن ذلك كذلك؛ لأن المرة واحدة المرر، وإنما أُريد به: ذو مرة سوية، وإذا كانت المرّة صحيحة، كان الإنسان صحيحاً»(٢).

* * *

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ [الملك: ٣].

قال ابن قتيبة: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ [الملك: ٣]؛ أي اضطراب واختلافٍ، وأصله من «الفوت»، وهو: أن يفوت شيء شيئاً، فيقعَ الخللُ ولكنه متصلٌ بعضُه ببعض(٣).

أشار أبو عبد الله هنا إلى أصل التفاوت وأنه مأخوذ من الفوت، وهو أن يفوت شيء شيئاً فيقع الخلل؛ وتبعه في هذا الراغب من غير تصريح بالأصل: «والتَّفَاوُتُ: الاختلاف في الأوصاف، كأنه يُفَوِّتُ وصف أحدهما الآخر، أو وصف كلّ واحد منهما الآخر. قال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ [الملك: ٣]، أي: ليس فيها ما يخرج عن

(١) التحرير والتنوير (٢٧/٩٥).
(٢) جامع البيان (٢٢/٤٩٩).
(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٤٧٤).

مقتضى الحكمة»[1]. وذكره الزمخشري ملمحاً بالأصل فقال: «تفاوت أي: من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض، إنما هي مستوية مستقيمة. وحقيقة التفاوت: عدم التناسب، كأن بعض الشيء يفوت بعضاً ولا يلائمه. ومنه قولهم: خلق متفاوت. وفي نقيضه: متناصف[2]. وكذلك السمين الحلبي من غير تصريح بالأصل: «والتفاوُت: عدمُ التناسُبِ؛ لأنَّ بعض الأجزاءِ يَفُوت الآخَرَ»[3].

وغير بعيد من هذا قول أهل المعاني والتفسير في معنى التفاوت المنفي عن خلق السموات، فقالوا: «الاختلاف والاضطراب والخلل والعيب»[4].

وكلها نتائج للتفاوت إلا الاضطراب فإنه من أسباب التفاوت كما يحصل في اختلال الكون عند القيامة.

وأما ابن فارس فاختار أصلاً محورياً مبنياً على ضد الفوت وهو الإدراك: «(فَوَتَ) الْفَاءُ وَالْوَاوُ وَالتَّاءُ أُصَيْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ إِدْرَاكِ الشَّيْءِ وَالْوُصُولِ إِلَيْهِ. يُقَالُ: فَاتَهُ الشَّيْءُ فَوْتاً. وَتَفَاوَتَ الشَّيْئَانِ: تَبَاعَدَ مَا بَيْنَهُمَا، أَيْ لَمْ يُدْرِكْ هَذَا ذَاكَ. وَالِافْتِيَاتُ: افْتِعَالٌ مِنَ الْفَوْتِ، وَهُوَ السَّبْقُ إِلَى الشَّيْءِ دُونَ الِائْتِمَارِ. يُقَالُ: فُلَانٌ لَا يُفْتَاتُ عَلَيْهِ، أَيْ لَا يُعْمَلُ شَيْءٌ دُونَ أَمْرِهِ»[5].

وفرَّق أبو هلال العسكري بين التفاوت والاختلاف، فقال: «أن التفاوت كله مذموم، ولهذا نفاه الله تعالى عن فعله، فقال: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ﴾ [الملك: ٣]، ومن الاختلاف ما ليس بمذموم، ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ [المؤمنون: ٨٠]،

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٦٤٦).
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٥٧٦/٤).
(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٣٧٨/١٠).
(٤) معاني القرآن للفراء (١٧٠/٣)، جامع البيان (٥٠٦/٢٣)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٩٨/٥)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٧٥٩١/١٢)، تفسير السمعاني (٧/٦)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٥٧٦/٤)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٣٨/٥)، تفسير القرطبي (٢٠٨/١٨)، التسهيل لعلوم التنزيل (٣٩٤/٢)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٣٧٨/١٠)، التحرير والتنوير (١٧/٢٩).
(٥) مقاييس اللغة (٤٥٧/٤).

فهذا الضرب من الاختلاف يكون على سنن واحد وهو دال على علم فاعله، والتفاوت هو الاختلاف الواقع على غير سنن وهو دال على جهل فاعله»[1].

* * *

قال تعالى: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧].

وقال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧].

قال ابن قتيبة: ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾؛ أي: عذاباً شاقّاً. يقال: تصعّدني الأمر؛ إذا شق عليّ. ومنه قول عمرَ: «ما تَصَعَّدَنِي شيءٌ ما تصعَّدَتْنِي خُطْبَةُ النِّكاح». ومنه قوله: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾؛ أي: عقبةً شاقةً. ونرى أصلَ هذا كلِّه من «الصُّعود» لأنه شاقٌّ؛ فكُنِّي به عن المشقات[2].

أورد أبو عبد الله بن قتيبة هذا الأصل وعبارته تدل على أنه أصل محوري يدخل فيه جميع اشتقاقات الكلمة؛ وقد سبقه إلى هذا الأصل من تصريح الخليل فقال: «صعد: صعِد صعوداً، أي: ارتقَى مكاناً مشرفاً. والصَّعود أيضاً بمنزلة الكَؤود من عقبة، وارتكاب مشقة في أمر. والعرب تؤنثه، وقول العرب: لأرهقنّك صَعودا، أي: لأجشمنّك مشقة من الأمر. واشتق ذلك، لأن الارتكاب في صَعود أشق من الارتكاب في هَبوط. وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾؛ أي: مشقة من العذاب»[3].

وتبع ابن قتيبة في هذا الأصل ابن فارس فقال: «(صَعَدَ) الصَّادُ وَالْعَيْنُ وَالدَّالُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ وَمَشَقَّةٍ. مِنْ ذَلِكَ: الصَّعُودُ، خِلَافُ الْحَدُورِ، وَيُقَالُ: صَعِدَ يَصْعَدُ. وَالْإِصْعَادُ: مُقَابَلَةُ الْحَدُورِ مِنْ مَكَانٍ أَرْفَعَ. وَالصَّعُودُ: الْعَقَبَةُ الْكَئُودُ، وَالْمَشَقَّةُ مِنَ الْأَمْرِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧]»[4].

---

(١) الفروق اللغوية (ص١٢٨).

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٤٩١).

(٣) العين (٢٨٩/١).

(٤) مقاييس اللغة (٢٨٧/٣).

وكذلك الراغب، فقد ذكر الأصل (الصعود) وعرفه فقال: «صعد الصُّعُودُ: الذّهاب في المكان العالي، والصَّعُودُ والحَدُورُ لمكان الصُّعُودِ والانحدار، وهما بالذّات واحد، وإنّما يختلفان بحسب الاعتبار بمن يمرّ فيهما، فمتى كان المارّ صَاعِداً يقال لمكانه: صَعُودٌ، وإذا كان منحدراً يقال لمكانه: حَدُور، والصَّعَدُ والصَّعِيدُ والصَّعُودُ في الأصل واحدٌ، لكنِ الصَّعُودُ والصَّعَدُ يقال للعَقَبَةِ، ويستعار لكلّ شاقٍّ. قال تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧]؛ أي: شاقّاً، وقال: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧]، أي: عقبة شاقّة»(١). وقد عرض ابن قتيبة للكلمة في تأويل مشكل القرآن فقال: «ومن الصّعد قيل: تصعّدني هذا الأمر، أي شقّ علي. والصَّعُود: العقبة الشّاقة. ومنه قوله: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧]»(٢).

وأما معنى الآية فغير بعيد مما تقدم، والمراد عندهم جميعاً: مشقة يلاقيها المعذبون من أصناف التعذيب في النار عموماً، ومنها ما ورد في بعض الآثار أن يكلف بصعود صخرة ملساء في جهنم وغير ذلك(٣).

***

قال تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦].

قال ابن قتيبة: ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾؛ أي كثيراً. يقال: أعطيتُ فلاناً عطاءً حِساباً؛ وأحْسَبْتُ فلاناً، أي أكثرتُ له. قال الشاعر:

ونُقْـفِي وَلِيـدَ الـحَيِّ إنْ كان جائعـاً ... ونُحْسِـبُه إن كان ليـس بِجائـعِ(٤)

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٤٨٤).
(٢) تأويل مشكل القرآن (ص٢٤٤).
(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (١٩٤/٣)، مجاز القرآن (٢٧٢/٢)، تأويل مشكل القرآن (ص٢٤٤)، جامع البيان (٦٦٤/٢٣)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٣٦/٥)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٧٧٧٣/١٢)، التفسير الوسيط للواحدي (٣٦٧/٤)، تفسير السمعاني (٧٠/٦)، المفردات في غريب القرآن (ص٤٨٤)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٦٢٩/٤)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٨٣/٥)، تفسير القرطبي (١٩/١٩)، التسهيل لعلوم التنزيل (٤١٩/٢)، التحرير والتنوير (٢٤٠/٢٩).
(٤) البيت منسوب لامرأة من بني قشير في: لسان العرب (٣١٤/١)، وتاج العروس (٢٧٩/٢).

ونرى أصلَ هذا: أن يُعطيَه حتى يقولَ: حسبِي»[1].

ذكر أبو عبد الله بن قتيبة أن أصل (حساباً) مشتق من قول الإنسان - بعد إكثار العطاء له -: حسبي، وهو يريد بهذا الأصل مصدر المعنى وكيف بدأ، وقد سبق إلى هذا الفراء، فقال: «اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يُحَاسِبُ أَحَداً عَلَى الْعَطَاءِ، وَلَكِنَّ مَعْنَى هَذَا أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُعْطِي عَبْدَهُ فِي الْجَنَّةِ أَبَداً حَتَّى يَقُولَ: حَسْبِي، وَهَذَا لا يَكُونُ إِلا فِي الْجَنَّةِ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

وَنُفْـفِي وَلِيـدَ الْـحَيِّ إِنْ كَانَ جَائِعـاً وَنُحْسِـبُهُ إِنْ كَانَ لَيْـسَ بِجَائِـعِ

قَالَ: «يُعْطِيهِ أَبَداً حَتَّى يَقُولَ: حَسْبِي»[2]. ثم ذكره السجستاني فقال: «﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾: أَي كَافِياً. وَيُقَال: أَعْطَانِي مَا أحسبني؛ أَي مَا كفاني. وَقَالَ: أصل هَذَا أَن يُعْطِيَه حَتَّى يَقُول: حسبي»[3]، وأما القرطبي فقد نقل قول أبي عبد الله بنصه مصرحاً بالأصل[4]، وألمح الراغب إلى أن أصل الكلمة هي العدُّ فقال: «حَسَب الحساب: استعمال العدد، يقال: حَسَبْتُ أَحْسُبُ حِسَاباً وحُسْبَاناً، قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ [الأنعام: ٩٦]، وقيل: لا يعلم حسبانه إلا الله، وقال عزّ وجل: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف: ٤٠]، قيل: معناه: ناراً، وعذاباً، وإنما هو في الحقيقة ما يحاسب عليه فيجازى بحسبه»[5]، وصرح بالأصل الطاهر ابن عاشور: «وحساباً: اسم مصدر حَسَب بفتح السين يحسُب بضمها، إذا عدّ أشياء، وجميع ما تصرف من مادة حسب متفرع عن معنى العد وتقدير المقدار»[6].

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٥١٠).
(٢) المجالسة وجواهر العلم (٣١٠/٨).
(٣) غريب القرآن للسجستاني (ص٣٤٠).
(٤) تفسير القرطبي (١٨٥/١٩).
(٥) المفردات في غريب القرآن (ص٢٣٢).
(٦) التحرير والتنوير (٤٧/٣٠).

وأما ابن فارس فذكر الكفاية أصلاً والعد أصلاً، فقال: «(حَسِبَ) الْحَاءُ وَالسِّينُ وَالْبَاءُ أُصُولٌ أَرْبَعَةٌ: الْأَوَّلُ: الْعَدُّ. تَقُولُ: حَسَبْتُ الشَّيْءَ أَحْسُبُهُ حَسْباً وَحُسْبَاناً. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]. وَالْأَصْلُ الثَّانِي: الْكِفَايَةُ. تَقُولُ: شَيْءٌ حِسَابٌ، أَيْ كَافٍ. وَيُقَالُ: أَحْسَبْتُ فُلَاناً، إِذَا أَعْطَيْتَهُ مَا يُرْضِيهِ؛ وَكَذَلِكَ حَسَّبْتُهُ»(١).

ولم يبتعد أهل المعاني والتفسير عن معنى الإكثار حتى الكفاية، فذكر عامتهم: ﴿حِسَابًا﴾: عطاءً كافياً، على أن بعضهم ذكر أقوالاً أخر. قال أبو محمد بن عطية: «واختلف المتأولون: في قوله: ﴿حِسَابًا﴾، فقال جمهور المفسرين واللغويين: معناه: مُحْسِباً، كافياً في قولهم: أحسبني هذا الأمر؛ أي كفاني، ومنه حسبي الله»(٢).

وجَمَعَ بين معنى العد والتكثير والكفاية الطاهر، فقال: «وحساباً: اسم مصدر حَسَب بفتح السين يحسُب بضمها، إذا عد أشياء وجميع ما تصرف من مادة (حسب) متفرع عن معنى العد وتقدير المقدار، فوقع حساباً صفة جزاء؛ أي هو جزاء كثير مقدر على أعمالهم»(٣).

---

(١) مقاييس اللغة (٥٩/٢).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٢٨/٥)، وانظر بقية الأقوال في: مجاز القرآن (٢٨٣/٢)، تأويل مشكل القرآن (ص٢٧٦)، جامع البيان (١٧٤/٢٤)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٧٥/٥)، غريب القرآن للسجستاني (ص٣٤٠)، تفسير القرطبي (١٨٥/١٩)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٨٠٠٩/١٢)، التفسير الوسيط للواحدي (٤١٦/٤)، تفسير السمعاني (١٤١/٦)، المفردات في غريب القرآن (ص٢٣٢)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٦٩٠/٤)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٢٨/٥)، تفسير القرطبي (١٨٤/١٩)، التسهيل لعلوم التنزيل (٤٤٦/٢)، التحرير والتنوير (٤٧/٣٠).

(٣) التحرير والتنوير (٤٧/٣٠).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فبعد ليال كان مشعلها أبو محمد بن قتيبة حين وضع له سابقة في ألفاظ القرآن الكريم، فجعل لها أصولاً وفسَّر ومثَّل من خلال عبارة سريعة لطيفة لا تُعيي الفهم ولا تتشعب طولاً.

ومن خلال عرض كلامه واستعراض كلام الأئمة قبله وبعده وفي نهاية هذه الصفحات، فإنه يطيب للباحث أن يلفت الانتباه لشيء من الوصايا والنتائج، علَّ الله أن ينفع بها نفوساً تمر من هنا:

أولاً: سابقة ابن قتيبة في نصه على الأصل للكلمة القرآنية وتقدُّم زمانه، مما يجعل هذا البحث تنبيهاً لهذا السبق.

ثانياً: في الغالب أن مراد ابن قتيبة بالأصل هو أصل الاشتقاق من حيث بدأ الاستعمال، وهناك ما يصلح أن يكون أصلاً محورياً من حيث ذكره.

ثالثاً: سبْقُ ابن قتيبة في هذا التأصيل يسجل أولوية الفضل له، فلعله هو من أطلق الشرارة الأولى بالتنبيه للأصل واعتبار الاشتقاق الأول، ثم تناولها ابن فارس من حيث الدلالة المحورية؛ ولا شك أن عمل ابن فارس أشد وأشق، فقد حمل على عاتقه جميع ألفاظ الباب لتتبع الأصل الذي اختاره؛ ولهذا أرهقته بعض الجذور كما في بابي (عذر، عذب)، وفي كلٍّ خير.

رابعاً: من تأمل النظر في هذا البحث وجد من المفسرين من هو دقيق في عبارته وعميق في اختياره، وممن أجاد وأفاد في هذا ابن عطية والطاهر بن عاشور.

خامساً: أبو جعفر النحاس، والواحدي، وابن عطية، والسمين الحلبي، والطاهر ابن عاشور مفسرون يجري على أقلامهم أصول للمفردة القرآنية، فهي خليقة بالجمع والموازنة والتوجيه.

سادساً: تختلف عباراتهم في الدلالة على الأصل بين الصريح والكناية، ثم تعددت ألفاظ الكناية على ما قدمته.

سابعاً: ربما وجِد شيء من مقارنة وموازنة وتقديم قول على قول آخر في اجتهاد الباحث، ومهما يكن من صواب وزلل فهو خاضع لاستقراء الألفاظ ثم ذائقة باحث عن آخر في وزن الكلمة واحتمالها للمعنى، وهذا بابه واسع، والمقصود من هذا كله أن في المفردة القرآنية منبعاً لباحث ومجالاً لمتذوق وموقعاً لمتأمل.

ويبقى لهذا الجهد أنه مرتبط بآدمية باحثه وضعفه وحدود علمه، وأنه في فيء ستر الله عليه، ولغيره التسديد، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فهرس المصادر والمراجع

- **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر**: للشيخ أحمد البنا الدمياطي، تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م).
- **الإرشاد في معرفة علماء الحديث**: أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد ابن إبراهيم بن الخليل القزويني، المحقق: د. محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ).
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان.
- **الأعلام**: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة (٢٠٠٢م).
- **إنباه الرواة على أنباه النحاة**: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ).
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، طبعة الكويت، الناشر: دار الهداية (١٤٢٤هـ).
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م).
- **تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم**: أبو المحاسن المفضل ابن محمد بن مسعر التنوخي، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ- ١٩٩٢م).

- **تأويل مشكل القرآن**: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، حققه: السيد أحمد صقر، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي عام (١٣٧٣هـ)، ثم صوّر ونشرته دار التراث بالقاهرة عام (١٣٩٣هـ)، ثم طبع عدة طبعات.
- **التحرير والتنوير**: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر (١٩٨٤م).
- **التسهيل لعلوم التنزيل**: أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن جزي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ).
- **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ).
- **تفسير القرآن**: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- **تهذيب الأسماء واللغات**: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).
- **جمهرة اللغة**: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٨٧م).

- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف ابن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
- **سير أعلام النبلاء**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- **طبقات المفسرين**: أحمد بن محمد الأدنه وي، المحقق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- **غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب**: محمد بن عُزير السجستاني، أبو بكر العُزيري، المحقق: محمد أديب عبد الواحد جمران، الناشر: دار قتيبة، سوريا، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
- **غريب القرآن**: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، المحقق: السيد أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).
- **كتاب العين**: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٣هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**: أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ).
- **مجاز القرآن**: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: ٢٠٩هـ)، المحقق: محمد فؤاد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى (١٣٨١هـ).
- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).
- **معاني القرآن وإعرابه**: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- **معاني القرآن**: أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ).
- **معاني القرآن**: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى.
- **معجم مقاييس اللغة**: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- **المفردات في غريب القرآن**: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ).
- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م).
- **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، المحقق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الثالثة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

- **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، وجمل من فنون علومه**: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- **الوافي بالوفيات**: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

فهرس الموضوعات والمفردات القرآنية

الموضوع أو المفردة	الصفحة
ملخص البحث	١٩
المقدمة	٢٠
أولاً: التمهيد	٢٢
أولاً: ترجمة ابن قتيبة الدينوري	٢٢
ثانياً: التعريف بكتابه «غريب القرآن»	٢٨
ثالثاً: أصل المفردة القرآنية	٣٠
ثانياً: قسم الدراسة: أصل المفردة القرآنية عند ابن قتيبة من خلال كتابه «غريب القرآن»	٣٢
يتوفى	٣٢
الإفك	٣٣
المفلحون	٣٤
القُرء	٣٦
ربيون	٣٧
مسافحين	٣٨
المراغم والمهاجر	٣٩
جاثمين	٤١
الوليجة	٤٣
متكئاً	٤٤
فاصدع	٤٨
نفيراً	٤٩
الوصيد	٥٠
فرطاً	٥٣
الهشيم	٥٥
حناناً	٥٦
عَنَت	٥٧
حصب	٥٩
عدوان	٦١

الموضوع أو المفردة	الصفحة
زلزلوا	٦٢
أوبي	٦٣
صفحاً	٦٥
أوزعني	٦٧
أضلَّ	٦٩
الذَّنُوب	٧١
القُوى	٧٢
مِرَّة	٧٣
تفاوت	٧٤
صَعَداً	٧٦
حساباً	٧٧
الخاتمة	٨٠
فهرس المصادر والمراجع	٨٢
فهرس الموضوعات والمفردات القرآنية	٨٧

الإمامُ الطَّبَرِيّ راوِيًا وَصاحِبَ اخْتِيارٍ وَتَأْلِيفٍ في القِراءاتِ

أ.د. عُمَر يُوسُف عَبْد الغَنِي حَمْدَان (*)

مُلخّصُ البَحْث

يجيب هذا البحث عن الإشكالات التي أُثِيرَتْ حَوْلَ موقفِ الطبريّ من القراءات وكيفيّة تداوله لها وتعامله معها في مباحث تفسيره المطبوع «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، من خلال ثلاثة محاور بُني عليها هذا البحث، هي: الرواية، والتأليف في القراءات، وكونه راوياً في القراءات، مع الإشارة إلى كتابه المفقود في القراءات، مبنًى وفحوًى.

ويوضح هذا البحث أن الإمام الطبريّ من أصحاب الاختيارات، وماهيّة اختياره وضوابطه، إذ أسهم مساهمة جليلة بهذا الصدد، ولا يمكننا متابعة اختياره في القراءة باستيعابٍ من خلال ما أورده من القراءات في تفسيره؛ لأنّه ذكر فيه فقط «جُمَلاً من القراءات واختلاف القراءة فيما فيه من المصادر واللغات والجمع والتثنية».

وتأتي مساهمتي المتواضعة في هذا المحور في التنبيهِ على جانبٍ مُكَمِّلٍ ذي قيمةٍ علميّةٍ، لَمْ يُؤْخَذْ بَعْدُ بعَيْنِ الاعتبار، هو تحرّي اختيارِه ومتابعتُهُ في كتب القراءات التي اعتَنَتْ به روايةً وتدويناً، كما في كتاب الإقناع للأَهْوَازِيّ (ت: ٤٤٦هـ)، ثمّ ما نقله المَرَنْدِيّ (ق٦هـ) منه في كتابه (قُرَّة عَيْنِ القُرَّاء) (خ).

(*) أستاذ علوم القرآن ومشرف كرسيّ تدريس العلوم القرآنيّة معهد العلوم الشرعيّة، جامعة توبنكن مدينة توبنكن الجامعيّة، جمهوريّة ألمانيا الاتّحاديّة.

المقدمة

لقد ركّزت الدراسات المعاصرة ذوات العلاقة بموضوع البحث المطروح هنا على الإشكالات التي أُثِيرَتْ حَوْلَ موقفِ الطبريّ من القراءات وكيفيّة تداوله لها وتعامله معها في مباحث تفسيره «جامع البيان عن تأويل (آي القرآن)» (ط)[1]، لكنّها لم تسلّط الأضواء بكثافة على اثنين من المحاور الثلاثة المبنيّ عليها هذا البحث، هما الرواية، والتأليف في القراءات، فلم تتطرّق إلى دوره راوياً في القراءات، ولم تقف وقفة جديرة على كتابه في القراءات مبنًى وفحوًى، بل اكتفت في أحسن الأحوال بالإشارة الخفيفة إلى أنّه في عداد الكتب المفقودة.

أمّا كونه من أصحاب الاختيارات والكلام على ماهيّة اختياره وضوابطه، فثمّة مساهمة جليلة بهذا الصدد، وذلك بالتعويل على موادّ تفسيره المذكور آنفاً. بالطبع لا يمكن تماماً متابعة اختياره في القراءة من خلال ما أورده من القراءات في تفسيره؛ لأنّه ذكر فيه فقط «جُمَلاً من القراءات واختلاف القراءة فيما فيه من المصادر واللغات والجمع والتثنية»[2]، ولأنّه قال فيه: «إذْ كان الذي قَصَدْنَا له في كتابنا هذا البيانَ عن وجوه تأويل آي القرآن دون وجوه قراءتها»[3][4].

تأتي مساهمتي المتواضعة في هذا المحور في التنبيهِ على جانبٍ مُكَمِّلٍ ذي قيمةٍ علميّةٍ، لَمْ يُؤْخَذْ بَعْدُ بعَيْنِ الاعتبار، هو تحرّي اختيارِه ومتابعتُهُ في كتب القراءات التي اعتَنَتْ به روايةً وتدويناً، كما في كتاب الإقناع للأَهْوَازِيّ (ت: ٤٤٦هـ)، ثمّ ما نقله

(١) أبرزها: «منهج الإمام الطبريّ في القراءات وضوابط اختيارها في تفسيره»، زيد بن علي مهدي مهارش، الرياض، دار التدمريّة (ط١) (٢٠١٢م) (٥٧١ص)، منها: «القراءات المتواترة التي أنكرها ابنُ جرير الطبريّ في تفسيره والردّ عليه»، محمّد عارف عثمان موسى الهرري. [د. م.] [د. ن.] (ط١) (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) (٤٧٦ص)، «دفاع عن القراءات المتواترة في مواجهة الطبريّ المفسّر»، لبيب السعيد، القاهرة، دار المعارف (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) (١٥٨ص).

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (٦/٢٤٥٣).

(٣) جامع البيان (١/٩٥).

(٤) كذلك يُراجَع: ظاهرة نقد القراءات ومنهج الطبريّ فيها للطحّان (٣٤٦ - ٣٥٤)، الإمام الطبريّ للزحيليّ (٢٧٥ - ٢٧٧).

المَرَنْدِيّ (ق٦هـ) منه في كتابه (قُرَّة عَيْنِ القُرَّاء) (خ)، وذلك من باب المقابلة والمقارنة وزيادةً في المُدَارَسَةِ والمُبَاحَثَةِ.

خطّة البحث:

تشمل خطّتُهُ: منهجَ البحثِ، وأهمّيّتَهُ، وقيمتَهُ العلميّةَ، وأهدافَهُ، وتمهيداً، وثلاثةَ مباحِثَ رئيسيّة:

أمّا **المبحث الأوّل**: فعبارة عن أربعة مطالب كالتالي: **المطلب الأوّل**: تاريخ التأليف في القراءات. **الثاني**: الطبريّ مصنِّف الجامع في القراءات. **الثالث**: مبنى كتاب الجامع. **الرابع**: ما انْتُقِدَ عليه الطبريّ. وقد قسمتُ المطلبَ الأخير إلى أربعة أبواب: **الباب الأوّل**: نقد ابن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ). **الثاني**: نقد مكّيّ القيسيّ (ت: ٤٣٧هـ). **الثالث**: نقد أبي عمرو الدانيّ (ت: ٤٤٤هـ)، والشاطبيّ (ت: ٥٩٠هـ)، وعلم الدين السخاويّ (ت: ٦٤٣هـ)، وابن وهبان (ت: ٧٦٨هـ)، وابن الجزريّ (ت: ٨٣٣هـ). **الرابع**: الطبريّ وابن مجاهد البغداديّان، وطبيعة العلاقة العلميّة بينهما.

يلي ذلك **المبحث الثاني**: روايات الطبريّ في القراءات.

ثمّ **المبحث الثالث**: اختيار الطبريّ في القراءة. بعد ذلك خَتَمْتُهُ بخُلَاصَةٍ، أوردت فيها أهمّ نتائج البحث ومُخرَجاته، ثمّ ألحقت به ملحقاً هو عبارة عن إعادة تحقيق ما جاء في كتاب الإقناع للأهوازيّ عن اختيار الطبريّ، إذ معلوماته النفائس النوادر، وأتبعته بثبت المصادر والمراجع.

منهج البحث:

لقد اعتمدتُ المنهج الوصفيّ من الجمع والاستقراء مع التحليل والنقد، إذ أخذت بعين الحسبان جوانب تحليليّة ونقديّة حسب ما تقتضيه مسائل البحث، وراعيتُ فيه أصول البحث العلميّ وقواعده، لا أخرج عن الطرح التأصيليّ إلّا في النادر، فأدخل أحياناً في ثنايا البحث إشاراتٍ إلى أقوال بعض المعاصرين للردّ عليها.

أهمّيّة البحث وقيمته العلميّة وأهدافه:

تكمن أهمّيّته في أنّه يتناول شخصيّة علميّة ذات مكانة رفيعة ومنزلة عالية كالطبريّ، قد تميّزت بسعة معارفها القرآنيّة، وامتازت بجمعها المتنوّع والمتعدّد لمختلف العلوم والفنون. كذلك يتناول الكلامَ على كتاب الطبريّ في القراءات الذي يؤلِّف حلقة مهمّة في سلسلة هذا الفنّ، رغم أنّه في عداد الكتب المفقودة.

أمّا قيمته العلميّة، ففي مباحثتِهِ ثلاثةَ محاور مهمّة في عناية الطبريّ بالقراءات: التأليف والرواية والاختيار، أي الطبريّ مؤلِّفاً في فنّ القراءات، الطبريّ راوياً من رواة القراءات، الطبريّ صاحبَ اختيارٍ من أهل الاختيارات في القراءة، وفي حسمِهِ الجَدَلَ في عدد من المسائل والإشكالات المثارة قديماً وحديثاً حول موقف الطبريّ من موضوع القراءات.

أمّا أهدافه، فالخلوص إلى نتائج تحقّق الغاية المنشودة في تحرير مسائل البحث وخدمة محاوره الثلاثة مركَّزَةً في الخلاصة مع وجود بعضها في تضاعيفه.

تمهيد

لقد تبوّأ الطبريّ (ت: ٣١٠هـ) قديماً وحديثاً درجةً راقيةً ورِفْعَةً جليلةً في الأوساط العلميّة، وحَظي باهتمامٍ بالغ وعناية فائقة عند القدامى والمحدَثين بدراسة نتاجه العلميّ المتميّز ومُبَاحَثَتِهِ؛ فالطبريّ شخصيّة فذّة، ذات مَلَكات خاصّة، مفسِّر مبرَّز، وعالم حديث متصدّر، وصاحب اختيار في القراءة، وصاحب مذهب في الفقه - المذهب الجريري - من مجتهدي عصره. لقد تحدّث الخطيب البغداديّ (ت: ٤٦٣هـ) عن ذلك في ترجمته للطبريّ، وهي من أقدم التراجم وأغزرها بالمعلومات عنه[١]: «كان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحدٌ من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقرآن، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالِماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم من الخالفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيّام الناس وأخبارهم»[٢].

هذه الشخصيّة الفريدة قد صاحبته منذ صغره، يتّضح ذلك ممّا قاله الطبريّ عن نفسه: «حفظتُ القرآنَ ولي سَبْعُ سنين، وصلّيتُ بالناسِ وأنا ابنُ ثماني سنين، وكتبتُ الحديثَ وأنا ابنُ تسع سنين»[٣].

---

(١) أقدمها في الفهرست للنديم (٢٨٧ - ٢٨٨)، تليها في تاريخ بغداد للخطيب البغداديّ (١٦٢/٢ - ١٦٩) (٥٨٩). من أوسعها تفاصيل ترجمته في معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (٢٤٤١/٦ - ٢٤٦٩) (١٠١٠)، جاء في آخرها: «قلتُ: أكثرُ هذه الأخبار عن عبد العزيز بن محمّد الطبريّ من كتابٍ له أفرده في سيرة أبي جعفرٍ، ومن كتابٍ لأبي بكر بن كاملٍ في أخباره». نظيرتها في تاريخ الإسلام للذهبيّ (٢٧٩/٢٣ - ٢٨٦) (٤٨٦)، سير أعلام النبلاء له (٢٦٧/١٤ - ٢٨٢) (١٥٧). يُنظَر: الإمام الطبريّ في ذكرى مرور أحد عشر قرناً على وفاته (٣١٠هـ - ١٤١٠هـ)، دمشق: إيسيسكو (١٩٩٢م) (ج١): «فقيهاً»، (ج٢): «مؤرّخاً ومفسّراً». يُنظَر كذلك:

Sezgin: *Geschichte des arabischen Schrifttums* (1/323 - 328) (32), Gilliot: *Exégèse, langue, et théologie en Islam* (135 - 164), Bosworth: *"al-Ṭabari"*, (EI2 10/11-15).

(٢) تاريخ بغداد (١٦٣/٢)، يُقابَل معجم الأدباء (٢٤٤١/٦ - ٢٤٤٢).

(٣) معجم الأدباء (٢٤٤٦/٦).

وصفه بالإعجاب والإكبار عبد العزيز بن محمّد الطبريّ، مِنْ جِلَّةِ أصحابه: «كان كالقارئ الذي لا يعرفُ إلّا القرآنَ، وكالمحدّث الذي لا يعرفُ إلّا الحديثَ، وكالفقيه الذي لا يعرفُ إلّا الفقهَ، وكالنحويّ الذي لا يعرفُ إلّا النحوَ، وكالحاسب الذي لا يعرفُ إلّا الحسابَ، وكان عاملاً للعبادات، جامعاً للعلوم، وإذا جمعتَ بين كُتُبه وكُتُبِ غيرِه، وجدتَ لكُتُبِه فضلاً على غيرها»(١).

أمّا بخصوص قراءة القرآن، فكان الطبريّ «مجوّداً في القراءة، موصوفاً بذلك، يقصده القرّاءُ البُعَداءُ ومن الناس للصلاة خَلْفَهُ يسمعون قراءته وتجويده»(٢)، مع أنّه لَمْ ينتصب للإقراء. كذلك كان ابن مجاهد مع علوّ منزلته في هذا الفنّ يعجبُ من حسن أدائه وتلاوته، ويعبّر عن ذلك بقوله: «ما سمعتُ في المحراب أَقْرَأَ من أبي جعفرٍ»(٣).

لقد قرأ الطبريّ قديماً لحمزة الزيّات، ثمّ اختار لنفسه اختياراً في القراءة(٤). وكان لا يفصل بين قراءة القرآن وفهم معانيه، بل كان يَعْجَبُ ممّن قرأ القرآن ولم يَعْلَمْ تأويلَه كيف يَلْتَذُّ بقراءته(٥).

من الصعوبة بمكان التحدّث عن كتاب الطبريّ في القراءات وقيمته بمعزل عمّا تقدّمه من نتاج وفيرٍ من الكتب المؤلَّفة في علم القراءات، إذ ليس بمستغربٍ ولا مستبعدٍ أن يقف المرءُ على عوامل تأثيرٍ وتأثُّرٍ جَرَى تبادُلها بين علماء هذا العلم من المتقدّمين والمتأخّرين، بل إنّه من المحتمل والمتوقّع أن يكون الطبريّ أنموذجاً قد تأثّر في تأليف كتابه الجامع مبنًى وفحوًى بما تقدّمه من كتب في القراءات، وأثّر بكتابه هذا في بعض أقرانه ومعاصريه فيما ألّفوه في هذا المجال، إذ يؤلِّفُ هو وكتابه

(١) معجم الأدباء (٦/٢٤٥٢).
(٢) معجم الأدباء (٦/٢٤٥٤ - ٢٤٥٥).
(٣) معجم الأدباء (٦/٢٤٥٥).
(٤) معجم الأدباء (٦/٢٤٥٥) نقلًا عن ابن كامل.
(٥) كما هو مرويّ عن ابن مجاهد في معجم الأدباء (٦/٢٤٥٣).

في القراءات حلقةً من حلقات سلسلة تأليف الكتب الجوامع من المشهور والشاذّ التي شهدها القرن الثالث للهجرة وما بعده، وكان لها بالغ الأثر في تسبيع القراءات من قبل ابن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ). هذا ما يبغي البحث أيضاً أن يكشف النقاب عنه ويحدّد مدى حضور هذه العوامل في مجرى تقنين القراءات.

المبحث الأوّل

المطلب الأوّل: تاريخ التأليف في القراءات:

اعتُمد مطلقاً في القرن الأوّل الهجريّ على الرواية الشفهيّة في تلقّي القرآن وتلقينه، ومن ثمّ لم يَشْهَدْ حركةَ تدوينٍ للقراءات القرآنيّة بالمعنى الواسع للكلمة، يُسْتَثْنَى من ذلك كتاب القراءات الصادر عن مشروع المصاحف المنعقد بواسط بين سنتي (٨٣ - ٨٥هـ) بمبادرة الحجّاج بن يوسف الثقفيّ (ت: ٩٥هـ) والي العراقين (ولي ٧٥ - ٩٥هـ) وبتبريك الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان (ت: ٨٦هـ) وبإدارة الإمام الحسن البصريّ (ت: ١١٠هـ) الذي رأس لجان هذا المشروع، وأشرف على أعماله[١].

وقد تمّ اعتماده، كما نصّ ابن عطيّة (ت: ٥٤٦هـ) على ذلك، مرجعاً أساسيّاً في القراءات فترة طويلة إلى أن وضع ابن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ)، صاحب كتاب السبعة في القراءات (ط) [وهو كتاب القراءات الصغير[٢]]، كتاباً أشملَ وأوسعَ من كتاب أصحاب مشروع المصاحف، هو كتاب القراءات الكبير[٣]، يُعرَف بكتاب الجامع[٤]؛ فهذا الأخير وكتاب أصحاب المشروع في القراءات هما المقصودان بكلام ابن عطيّة (ت: ٥٤٦هـ) في مقدّمة تفسيره: «أُلِّفَ إِثْرَ ذلك بواسط كتابٌ في القراءات، جُمع فيه ما رُوِيَ مِن اختلافِ الناسِ فيما وافق الخطَّ. ومَشَى الناسُ على ذلك زماناً طويلاً إلى أن ألّف ابنُ مجاهدٍ كتابَه في القراءات»[٥]. جليٌّ هنا غاية الجلاء شرط موافقة رسم المصحف وقدم اعتماده لصحّة القراءة وقبولها.

---

(١) يُنظَر: مشروع المصاحف الثاني في العصر الأمويّ (٨٩ - ٩١) تأليف كتابٍ في القراءات (مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد: ٤).

(٢) يُنظَر: الفهرست لابن النديم (٥٠).

(٣) يُنظَر: الفهرست (٥٠).

(٤) يُنظَر: شمول التعاريف (٢٤٨) (٧١).

(٥) المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٦٧/١).

بخلاف الحال في القرن الأوّل الهجريّ قد عرف القرن الثاني للهجرة اهتماماً ملحوظاً في تدوين القراءات[١]، ثمّ تبعته في القرن الثالث حركة قويّة في التأليف فيها[٢]. وقد وقف أبو عمرو الدانيُّ (٤٤٤هـ) على تطوُّر تاريخ القراءات والتأليف فيها[٣].

كذلك استعرض ابن الجزريّ (ت: ٨٣٣هـ) أهمّ مصنَّفات هذا العلم معلِّلاً إقبال العلماء في القرن الثالث على التأليف فيه لاتّساع الخرق وقلّةِ الضبط[٤]. وقد دمجتُ معلوماتهما معاً في مجموعة واحدة مع إضافات وزيادات ليست عندهما حسب الحاجة[٥] فيما يلي:

- **حمزة الزيّات (٨٠ - ١٥٦هـ)**: أحد القرّاء السبعة. «كان حمزةُ إمامَ أهلِ الكوفةِ في عصره»[٦]. لقد دوّن قراءته بنفسه، فله كتاب قراءة حمزة[٧]. وهذا التأليف من بواكير الصِّنْفِ الأَدَبِيّ الذي يُطلَق عليه اصطلاحاً (الكتب المفردة) أو (المفردات)، أيْ إفراد كتاب في قراءة إمام، سواء كان التأليف مِنْ قبله أو من قبل غيره. وقد بدأتُ هذه المجموعة به لصلة الطبريّ بقراءته؛ فقد كانت قراءته لحمزة وتجويده له قديماً قبل أن يختار اختياره، كما سيأتي بيانه.

---

(١) يُراجَع: شمول التعاريف (٢١١ - ٢١٢ و٢٢٣)، إعلام أهل البصائر (٣٠٤ - ٣٠٧).

(٢) يُراجَع: شمول التعاريف (٢١٢ - ٢١٦ و٢٢٤ - ٢٤٥)، إعلام أهل البصائر (٣٠٨ - ٣٢٠).

(٣) الأرجوزة المنبّهة (١٤٩ - ١٥٨) [١٥] القولُ في المصنِّفين للحروف.

(٤) النشر في القراءات العشر (١/٣٣ - ٣٥).

(٥) يُستَفاد في هذا الباب ما كَتَبَهُ مصطفى باشا في مقاله:
"The early Arabic grammarians' contributions" 88-93.

(٦) كتاب السبعة (٧٤). قال الأندرابّي في كتاب الإيضاح (٨٧ب - ٨٨أ): «كان قارئَ أهلِ [٨٨أ] الكوفةِ ومقرئَهم بها بَعْدَ مَنْ ذكرتُه [= عاصم] وإمامَهم الذي تمسّكوا بقراءته واقتدوا به فيها من وقته إلى وقتنا هذا».

(٧) كتاب السبعة (٧٧) «وعبيد الله بن موسى سمع كتابَ قراءةِ حمزة من حمزة ولم يقرأ عليه». نظيره: غاية النهاية (١/١٩٠) (س١٥ - ١٦). يُقابَل: إعلام أهل البصائر (٣٠٤) (٥).

- **هارون بن موسى البصريّ (ت في حدود ١٧٠هـ)**[١]: «قال أبو حاتم السِّجِسْتَانيُّ: كان أوَّلَ مَنْ تَتَبَّعَ بالبصرةِ وجوهَ القراءات وألّفها وتَتَبَّعَ الشاذَّ منها، فبحث عن إسناده هارونُ بنُ موسى الأعورُ. وكان مِنَ القُرَّاءِ»[٢].

لقد نظم أبو عمرو الدانيّ قوله، فجاء مفاده كالتالي: أوّل مَن تَتَبَّعَ الحروفَ وصنّف المعروفَ والمجهولَ منها بإسنادٍ عن الثقات من الشيوخ وعن الأَثْبَات عمّن مضى من جِلّة الأسلاف وجاء بالإجماع والخلاف، وخلط السقيمَ بالصحيح ولم يقيّد ذلك بالتصحيح هو هارون بن موسى العَتَكيّ الثقة المأمون[٣].

لقد انتُقِدَ هارونُ على فعله هذا، ولم يُسْعِفْهُ كونُه من القرّاءِ وثقةً مأموناً. قال أبو حاتم السجستانيّ (ت: ٢٥٠هـ): «فكَرِهَ الناسُ ذلك وقالوا: قد أَسَاءَ حين ألّفها، وذلك أنّ القراءةَ إنّما يأخُذُها قُرُونٌ وأمَّةٌ عن أَفْوَاهِ أُمَّةٍ، ولا يُلْتَفَتُ منها إلى ما جَاءَ مِنْ راوٍ راوٍ»[٤]. قال ابن الجزريّ: «يعني آحاداً عن آحَادٍ»[٥]. في هذه الرواية تحقيق «أنّ قراءةَ أهلِ كلِّ بلدٍ متواترةٌ بالنسبة إليهم»[٦]، لأنّهم قد «أخذوها أمماً

(١) توفّيَ في العقد السابع عشر على تقدير الذهبّي (ت: ٧٤٨هـ)، كما في تاريخ الإسلام (١٠/٤٩٢ - ٤٩٣) (٤١٢) الطبقة السابعة عشرة (١٦١ - ١٧٠). هذا التقدير أدقّ من تقدير ابن الجزريّ (ت: ٨٣٣هـ) في غاية النهاية (٢/٣٤٨) (٣٧٦٣): «مات هارون فيما أحسبُ قبل المائتين».

(٢) غاية النهاية (٢/٣٤٨) (س٩ - ١١) في المطبوع (سمع) بدل (تَتَبَّعَ). لعلّ كلامه هذا منقول من جامعه في القراءات، ففي آخره: «وكان مِنْ القُرّاءِ». يُقابَل كتاب المرشد الوجيز (١٨١)، منجد المقرئين لابن الجزريّ (٦٩) فيه «وجوه القراءة»، رسالة في حكم القراءة بالقراءات الشواذّ ليوسف أفندي زاده (٦٧) هناك «وجوه القرآن»، مناهل العرفان للزرقانيّ (١/٤٥٤).

(٣) الأرجوزة المنبّهة (١٤٩) الأبيات (٣٦٣ - ٣٦٧) بتصرُّفٍ نثريّ.

(٤) كتاب المرشد الوجيز (١٨١) فيه (هرون) مكان (قُرُون)، منجد المقرئين لابن الجزريّ (٦٩ - ٧٠) اللفظ له، رسالة في حكم القراءة بالقراءات الشواذّ (٦٧)، مناهل العرفان (١/٤٥٤). ثمّ ساق أبو حاتم بهذا الصدد روايةً عن شيخه الأصمعيّ (ت: ٢١٥هـ)، ها نصّها، كما في كتاب المرشد الوجيز (١٨١): «وقال الأصمعيُّ عن هارونَ المذكورِ: وكان ثقةً مأموناً». قال: «وكنتُ أشتهي أن يُضْرَبَ لمكانِ تأليفِه الحروفَ».

(٥) منجد المقرئين (٧٠). يُقابَل مناهل العرفان (١/٤٥٤) «يعني آحَاداً آحَاداً».

(٦) منجد المقرئين (٦٩).

عن أممٍ. ولو انفرد واحدٌ بقراءةٍ دون أهل بلده، لم يوافِقْهُ على ذلك أحدٌ، بل كانوا يجتنبونها ويأمرون باجتنابها»[1].

إنّ ما أدلى به أبو حاتم وصاغه الدانيُّ من وصفِ مُصَنَّفِ هارون البصريّ في القراءات - وهو في عداد الكتب المفقودة - ينطبق عليه الصنف الأدبيّ الذي اصطلح عليه مصطلح (الكتب الجوامع في القراءات) من المشهور والشاذّ. بذلك يكون عمله هذا من بواكير هذا الصنف.

- **الكسائيّ (ت: ١٨٩هـ)**: «كان أحد أئمّة القرّاء السبعة. وكان قد قرأ على حمزة الزيّات وأقرأ بقراءته ببغداد، ثمّ اختار لنفسه قراءةً، فأقرأ بها الناسَ»[2]. له كتاب القراءات[3]، في عداد الكتب المفقودة. قد عرفه أبو منصور الأزهريّ (ت: ٣٧٠هـ) وقرأه[4]. كذلك وقف عليه الدانّي (ت: ٤٤٤هـ)، ممّا مكّنه أن يصف فحواه، فقال: ثمّ تَلَاهُ[5] في التأليف لكلِّ ما رَوَى من الحروف عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وتابعيهم وذوي الألباب من الخالفين والقرّاء عليُّ بنُ حمزة الكسائيُّ. وبيّن اختياره هناك وما قرأ من ذلك تلاوةً على حمزة الزيّات وغيره من جلّة الثقات[6].

واضح من ذلك أنّه ضمّن كتاب القراءات له اختياره في القراءة، إذ كان يتخيّر القراءات، فكان ذلك مدعاةً له إلى ذكرِها وشَرْحِ معانِيها وعِلَلِها[7] ثمّ الاحتجاج

(١) منجد المقرئين (٦٧) نقلًا عن شيخه محمّد بن أحمد الشافعيّ.

(٢) نزهة الألّباء (٤٠). يُقابَل كتاب السبعة (٧٨)، الفهرست (٤٨)، الكتاب الأوسط (٥٨ - ٥٩)، كتاب الإيضاح في القراءات (٨٩أ)، غاية النهاية (٥٣٨/١) (س٤ - ٧) نقلاً من كتاب القراءات لأبي عبيد.

(٣) يُقابَل: إعلام أهل البصائر (٣٠٥) (٧) [كتاب القراءات].

(٤) تهذيب اللغة (١٥/١) «له كتاب في قراءات القرآن، قرأتُه على أحمد بن عَلي بن رزين وقلتُ له: حدّثكم عبد الرحيم ابن حبيب عن الكسائيّ؟ فأقرّ به إلى آخره».

(٥) أيْ: تلا هارونَ بنَ موسى البصريَّ.

(٦) الأرجوزة المنبّهة (١٥٠) الأبيات (٣٧٠ - ٣٧٤) بتصرُّفٍ نثريّ. يُقابَل: إعلام أهل البصائر (٣٠٥) (٧) كتاب القراءات.

(٧) عوّل ابن زنجلة على أقواله وشروحه وعلله في مواضع كثيرة في كتابه حجّة القراءات (٨٠، ١٠٨، ١١٥، ١١٨، ١٢٤، ١٣٩، ١٤٥، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٨، ١٧١، ١٧٤، ١٩١، ٢٤٧)... إلخ.

لِمَا يختاره لنفسه. من الأمثلة على ذلك ما رواه ابنُ المنذر (ت: ٣١٨هـ) في قراءة قوله: ﴿يَغُلَّ﴾ ذات العلاقة بموضوع عصمة النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حدّثنا عليٌّ، عن أبي عُبيدٍ، عن الكسائيِّ في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [آل عمران: ١٦١]، قال: يُقْرَأُ بفتحِ الياءِ وضَمِّها؛ فمن فَتَحَ الياءَ، أراد ألَّا يَغُلَّ هو نَفْسُهُ. ومَنْ قرأ ﴿يُغَلَّ﴾ أَنْ يُتَّهَمَ بالغُلُولِ ويكون بِمَعْنَى أَنْ يُخَانَ. وكان الكسائيُّ يختارُ فيها ضَمَّ الياء؛ وبذلك قَرَأَ»(١).

أمّا الطبريّ، فلعلّه اطّلع على كتاب القراءات للكسائيّ واستفاد منه بشكل غير مباشر، لكن من المؤكّد استفادة الطبريّ من كتاب معاني القرآن للكسائيّ (ت: ١٨٩هـ)، وللفرّاء (ت: ٢٠٧هـ)، وللأخفش (ت: ٢١٥هـ)، ولقطرب (ت: ٢٠٦هـ)، وغيرهم في تفسيره(٢).

- **يعقوب الحضرميّ (ت: ٢٠٥هـ)**: ثمّ تلاهما(٣) يعقوب بن إسحاق، فصنّف الحروفَ والآثَار، وميّز المتروك والمختارَ، وما قرأ به على سَلّام الطويل (ت: ١٧١هـ)، إمام أهل البصرة(٤). قال ياقوت الحمويّ: «صنّف يعقوبُ كتابَ الجامع، ذَكَرَ فيه اختلافَ وُجُوهِ القراءاتِ ونَسَبَ كُلَّ حَرْفٍ إلى مَنْ قرأ به»(٥).

ممّا يجدر تأكيده هنا أنّ هذه الظاهرة، ظاهرة اختلاف وجوه القراءات وعَزْو كلِّ حرفٍ إلى صاحبه، متقدّمة مبكّرة، فيعقوب صاحب هذا التأليف قد وُلد سنة سبع عشرة ومئة، وتوفّي سنة خمسٍ ومئتين وله ثمانٍ وثمانون سنة. وهي أقدم من قرينتها في الفقه، أعني ظاهرة الاختلاف في الفقه؛ لأنّ الأخيرة ظهرت بواكيرها

(١) تفسير ابن المنذر (٤٧٢/٢) (١١٣٢).

(٢) قال ياقوت الحمويّ في وصف فحاوي تفسير الطبريّ في معجم الأدباء (٢٤٥٤/٦): «ذكر فيه مجموعَ الكلامِ والمعاني من كتاب عليّ بن حمزة الكسائيّ [...] وربّما لم يسمّهم، إذا ذكر شيئاً من كلامهم».

(٣) أيْ: تلا هارونَ بنَ موسى البصريَّ وعلِيَّ بنَ حمزة الكسائيَّ.

(٤) الأرجوزة المنبّهة (١٥٠) الأبيات (٣٧٥ - ٣٧٨) بتصرُّفٍ نثريّ.

(٥) معجم الأدباء (٢٨٤٢/٦) (١٢٥٠).

بما جمعه الربيع بن سليمان المراديّ (١٧٤ - ٢٧٠هـ)، ويوسف بن يحيى البويطيّ (ت: ٢٣١هـ)، صاحبا الشافعيّ (١٥٠ - ٢٠٤هـ)، من فصول في كتاب الأمّ، نحو اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى، واختلاف أبي حنيفة والأوزاعيّ، واختلاف الشافعيّ مع الحسن بن محمّد، واختلاف الشافعيّ مع مالك. بالتالي ليس بمُسْتَبْعَدٍ أن يكون فقهاء القرن الثالث قد بَنَوْا فكرة الاختلاف في الفقه على فكرة اختلاف القرّاء في القراءة. كذلك يجب التوكيد هنا أنّ الاختلاف، سواء في القراءة أو في التفسير أو في الفقه، هو اختلاف تَنَوُّعٍ لا اختلافَ تَضَادٍّ[١].

- **أبو عبيد (ت: ٢٢٤هـ)**: ثمّ صنّف أبو عبيد كتابه المشهور في القراءات مقيّداً بالمعاني والإعراب على وصف الدانيّ[٢]. بالمقابل قال ابن الجزريّ: «كان أوّلَ إمامٍ مُعْتَبَرٍ جَمَعَ القراءات في كتابٍ أبو عُبيدٍ القاسمُ بنُ سَلَّامٍ. وجعلهم فيما أحسبُ خمسةً وعشرين قارئاً مع هؤلاءِ السبعةِ»[٣]. يجب التنبيه هنا أنّ عدد القرّاء على ما ذكره ابن الجزريّ تقديراً غير دقيق[٤]، بل عددهم سبعة عشر قارئاً مع الأئمّة السبعة، لكن دون عاصم الجَحْدَرِيّ، كما سيأتي بيانه لاحقاً. هذا لا يعني أنّه لم يطّلع عليه، بل له منه نقول من غير وسيط[٥]، سأُورِدُ بعضها لاحقاً. أمّا عبارته: «أوّل إمامٍ مُعْتَبَرٍ جمع القراءات»، فغير دقيقة أيضاً، فمَنْ تقدّمه من المذكورين آنفاً هم كذلك من أوائل الأئمّة المعتبرين.

---

(١) يُقابَل مقدّمة في أصول التفسير لابن تيمية (٤٨ - ٦٧) في اختلاف السلف في التفسير اختلاف تنوُّع.

(٢) الأرجوزة المنبّهة (١٥١) الأبيات (٣٧٩ - ٣٨٠) بتصرُّفٍ نثريّ.

(٣) النشر في القراءات العشر (١/٣٣ - ٣٤).

(٤) كذلك وقع برگشتريسر في هذا الخطأ، بل ضاعف خطأه، فظّن أنّه يحوي (٢٥) قراءةً بالإضافة إلى القراءات السبع، أيْ (٣٢) قراءة بالإجمال. يُنظَر: Geschichte des Qorāns 3/208.

كذلك وقع شوقي ضيف في الخطأ ذاته، حين قال في مقدّمة تحقيقه كتاب السبعة في القراءات (٢٠) (٣): «حتّى وَصَلَ بها أبو عبيد القاسم بن سلّام نحو ثلاثين قراءةً».

(٥) يُراجَع: إعلام أهل البصائر (٣١٠) (٢٩) الحاشية (٦). كذلك غاية النهاية (٢/١٦٦) (س١٥ - ١٧).

- **خلف بن هشام القارئ (١٥٠ - ٢٢٩هـ)**: أحد القرّاء العشرة، صاحب الاختيار(١). قال ابن مهران (ت: ٣٨١هـ): «كان عالِماً بوجوه القراءات واختلاف الروايات. واختار اختياراً حسناً، غيرَ خارجٍ عَنِ الأَثَرِ»(٢). كان يأخذ بقراءة حمزة الزيّات، غير أنّه خالفه في مائة وعشرين حرفاً في اختياره(٣)، «وذلك أنّ خلفاً تَرَكَ حروفاً من حروف حمزة واختار أن يقرأ على مذهبِ نافع»(٤).

له كتاب القراءات المعروف بالجامع، في عداد الكتب المفقودة. وَصَفَهُ الدانيُّ (ت: ٤٤٤هـ) بقوله: صنّف كتابه الجامع للحروف، للمنتقَى منها وللمعروف(٥).

بذلك يشاطر الطبريَّ في ثلاث مسائل: قراءته قديماً لحمزة الزيّات، ثم كونه صاحب اختيار، وصاحب جامع في القراءات.

- **أبو الربيع الزهراني (ت: ٢٣٤هـ)**: له الجامع(٦). هو في عداد الكتب المفقودة. قد عرفه الدانيّ (ت: ٤٤٤هـ)، فأطلق عليه كتابه المشهور في القراءات(٧)، ونقل منه بعض المواضع(٨). بذلك يندرج هذا العمل في سلسلة الجوامع.
- **ابن سَعْدَان (١٦١ - ٢٣١هـ)**(٩): قال الأهوازيّ: «كان ذا علمٍ بالعربيّة، وصَنَّفَ كتاباً في القراءات وشَرَحَ عِلَلَها ونَظَرَ في معانيها، فاختار لنفسه حرفاً لم يخالفْ أئمَةَ

(١) الغاية في القراءات العشر (٧٢ - ٧٣)، كتاب الإقناع (٢١٣ - ٢١٦).
(٢) الغاية في القراءات العشر (٧٢).
(٣) غاية النهاية (٢٧٤/٢) (س٧ - ٨) نقلًا عن ابنِ أَشْتَة (ت: ٣٦٠هـ).
(٤) نزهة الألبّاء (١٧٤) (س٨ - ٩).
(٥) الأرجوزة المنبّهة (١٥٢) البيتان (٣٩٠ - ٣٩١) بتصرُّفٍ نثريّ. كذلك قراءات القرّاء المعروفين (١٤٧) «له كتابٌ صنّفه في القراءات حَسَنٌ»، إعلام أهل البصائر (٣١٢) (٣٢)، شمول التعاريف (٢٢٧) (١٣). لم يذكره ابن الجزريّ في سرده.
(٦) تاريخ الإسلام (١٨١/١٧) «قال أبو عمرو الدانّي: له كتابٌ جامعٌ في القراءات». كذلك شمول التعاريف (٢٣٠) (٢٤) الجامع.
(٧) الأرجوزة المنبّهة (١٥٢) البيتان (٣٨٨ - ٣٨٩) بتصرُّفٍ نثريّ.
(٨) جامع البيان (٦٤٥).
(٩) هو أبو جعفر محمّد بن سعدان الضرير الكوفيّ النحويّ. عنه تاريخ بغداد (٣٢٤/٥) (٢٨٤٦)، نزهة الألبّاء (٩٧ - ٩٨)، غاية النهاية (١٤٣/٢) (٣٠١٩). ذُكر له الوقف والابتداء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ (ط) ومختصر النحو (ط).

القرّاء السبعة فيما قرأه وأقرأه إلى أن مات»[1]. أقول: تحدّث الأهوازيّ هنا عن جامعه، وهو كتاب كبير في القراءات[2]، إذ له آخَرُ فيها هو المجرّد. قال ابن الجزريّ: «مؤلِّف الجامع والمجرّد وغيرِهما، وله اختيارٌ لم يخالفْ فيه المشهور»[3]. كان يُقرِئُ بقراءة حمزة، ثمّ اختار لنفسه اختياراً[4]. بذلك كلِّه يشاطره الطبريّ، غير أنّه لم يُقْرِئْ بها، بل كان يَقْرَأُ بها قديماً.

- **أبو حاتم السِّجِسْتَانيّ (ت: ٢٥٠هـ)**: عالم اللغة والنحو والقراءة والعروض وإمام جامع البصرة. قال الأهوازيّ: «صنّف كتابَه الكبيرَ في القراءات في أربعين سنة. ويقال: إنّ مصنَّفات الإسلام أربعةٌ، هو أحدها. ثمّ صنّف كتابَه الصغيرَ في معرفة حروف القرآنِ المختلف فيها»[5].

أمّا الدانيّ فعبّر عنهما كالتالي: صنّف الحروفَ [= الكتاب الصغير] والمقارئ [=الكتاب الكبير] دون تقييد ذلك بالآثار، لكنّه اهتمّ غاية الاهتمام بتعليلها من غير إطالة[6].

يجدر ذكره هنا أنّ له تصانيف كثيرة؛ فقد «كان أبو حاتم كثير التصانيف في اللغة. وصنّف في النحو والقراءة»[7]، منها كتاب القراءات الكبير المشار إليه آنفاً عند الأهوازيّ والدانيّ، وهو المعروف بجامعه الذي يندرج ضمن سلسلة الكتب الجوامع في القراءات، مثل جامع الطبريّ.

---

(١) كتاب الإقناع (٢٢١).
(٢) تاريخ بغداد (٣٢٤/٥) (س٣).
(٣) غاية النهاية (١٤٣/٢) (س٣ - ٤) عن هذين الكتابين، يُراجَع: إعلام أهل البصائر (٣١٣) (٣٧ - ٣٨).
(٤) تاريخ بغداد (٣٢٤/٥) (س١٣ - ١٤) نقلًا عن ابن المنادي (ت: ٣٣٦هـ). كذلك نزهة الألّباء (٩٧ - ٩٨).
(٥) كتاب الإقناع (٢٣٣).
(٦) الأرجوزة المنبّهة (١٥١) الأبيات (٣٨١ - ٣٨٣) بتصرُّفٍ نثريّ. كذلك إعلام أهل البصائر (٣١٥) (٥٢)، شمول التعاريف (٢٣٥) (٣٩). لم يذكره ابن الجزريّ في سرده.
(٧) نزهة الألّباء (١١٧).

يشترك الطبريُّ معه في أَمْرٍ آخَرَ، هو الاختيار في القراءة. قال الأهوازيّ: «واختار لنفسه حرفاً، قرأه وأقرأه إلى أن مات في سنة خمسين ومائتين في أيّام المستعين»[١].

قال ابن الجزريّ: «له اختيارٌ في القراءة، رَوَيْنَاهُ عنه ولم يخالف مشهور السَّبْعَةِ إلّا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]»[٢]. لا شكّ أنّ اشتهار اختياره راجعٌ إلى حقيقة ما ذكره الأهوازيّ أنّه قرأ وأقرأه إلى موته؛ فقد كان إمام جامع البصرة، صلّى بالبصرة ستّين سنة بالتروايح وغيرها، وأمّ الناسَ بمَكَّةَ في المسجد الحرام[٣]، بل بلغ صيته وشهرة اختياره مدينة أصبهان. قال عبد الله بن عبد العزيز الأصبهانيّ المؤدّب، من أقران الطبريّ: «كان عندنا بأصبهان مَنْ لَمْ يَقْرَأْ باختيار أبي حاتم، لَمْ يُعَدَّ قارئاً»[٤]. رَوَى اختيارَه ابنُ مهران (ت: ٣٨١هـ) في غايته، والأهوازيّ (ت: ٤٤٦هـ) في إقناعه، والهذليّ (ت: ٤٦٥هـ) في كامله، والأندرابيّ في إيضاحه، وغيرهم[٥].

من نوادر الروايات روايةٌ تتحدّث عن اتّصال الطبريّ (٢٢٤ - ٣١٠هـ) وهو طالبُ علمٍ شابٌّ بأبي حاتم على الأرجح وقت إقامته في البصرة سنة (٢٤٢هـ). جاء إليه وكان عنده حديثٌ عن الأصمعيِّ عن أبي زائدة عن عامر الشعبيّ (ت: ١٠٣هـ)، فقيه أهل الكوفة ومحدّثها في القياس، فسأله عنه فحدّثه به، ثمّ أخبره بعد ما سأله عن اسم بلده طبرستان باشتقاقه ومعناه[٦].

---

(١) كتاب الإقناع (٢٣٣).

(٢) غاية النهاية (٣٢٠/١) (س١١ - ١٣).

(٣) يُراجَع كتاب الإقناع (٢٣٣)، قراءات القرّاء المعروفين (١٥١)، معرفة القرّاء الكبار (٤٣٤/١ - ٤٣٥)، غاية النهاية (٣٢٠/١) (س٦ - ٧، ١٨ - ٢٠).

(٤) الغاية في القراءات العشر لابن مهران (٧١).

(٥) يُنظَر الغاية في القراءات العشر (٧١ - ٧٢) (١٠)، كتاب الإقناع (٢٢٩ - ٢٣٣) ضمن (الأهوازيّ وجهوده في علوم القراءات)، كتاب الكامل في القراءات الخمسين (٧١/٣ - ٧٨)، كتاب الإيضاح في القراءات (٩٣ب) في القسم المطبوع منه: قراءات القرّاء المعروفين (١٥١ - ١٥٣).

(٦) معجم الأدباء (٢٤٤٦/٦). يُقابَل تاريخ الطبريّ لروزنتال (٤٥/١)، الطبريُّ لجيليو (٩).

هذا مفادها، لكن من اللافت للنظر هو موضوع القياس المذكور فيها، إذ هو في غاية الأهمّيّة والخطورة؛ لأنّ أبا حاتم قد عُرف عنه أخْذُه بالقياس حتّى في القراءة، وكان قد طعن على حمزة أحرفاً في قراءته ضعيفةً في القياس على زعمه، كما سيأتي بيانه؛ فلربّما كان ذلك وازعاً له لاحقاً أن يهتمّ بهذا الموضوع، فإنّه «أراد أن يَعْمَلَ كتاباً في القياس، فلم يَعْمَلْهُ»(١).

ثمّة رواية نادرة أخرى، ترصد كذلك لقاء الطبريّ بأبي حاتم، يحكيها القاضي أبو بكر أحمد بن كامل (٢٦٠ - ٣٥٠هـ)، صاحب الطبريّ عنه، كالتالي: «قال: قال لي أبو جعفر الطبريّ: كان أبو حاتم إذا اكتحل من لِحْيَتِهِ، نَفَضَ من الكُحْلِ على لحيتِه يغيّرها؛ فكان يَسْقُطُ الكُحلُ من لحيتِه على ثَوْبِه وعلى صَدْرِهِ، وكان يُتعجَّب من ذلك. قال: ورأيتُ عنده قوماً من أهل البصرة يعظّمونه ويقولون: أنتُ شيخُنا وأستاذُنا، ونحو ذلك من القول»(٢).

إنّ هذه الرواية التي بقيت منحوتة في ذاكرة الطبريّ تعبّر عن استيائه الشديد من سلوك أبي حاتم وتصرُّفه فيما يتعلّق بآداب النظافة؛ فقد عُرف عنه حرصه البالغ واهتمامه الشديد بهذه الجوانب(٣)، ممّا قد يعني أنّه لم يرغب في التَّتَلْمُذِ على يد (شيخ وأستاذ) يتّصف بهذه السلوكيّات. لذا أرى أنّ استفادة الطبريّ من معارف أبي حاتم وتصانيفه وقت إقامته في البصرة كانت ضعيفة للغاية، قد

---

(١) معجم الأدباء (٦/٢٤٦٢).

(٢) طبقات النحويّين واللغويّين للزُّبيديّ (٩٤). يُقابَل تاريخ الطبريّ لروزنتال (١/٤٥).

(٣) عدّد عبد العزيز الطبريّ في مواضع عديدة في سيرة أبي جعفر الطبريّ له آداباً وأخلاقاً وسلوكيّات امتاز بها، منها ما نقل في معجم الأدباء (٦/٢٤٦٥): «كان أبو جعفر [...] جميلَ الأدبِ في مأكله وملبسه وما يخصّه في أحوال نفسه». كذلك عدَّدها صاحبه ابن كامل في كتاب أخبار الطبريّ له، بعضها منقول في معجم الأدباء (٦/٢٤٦١): «كان مُتَوَقِّفاً عن الأخلاقِ التي لا تَليقُ بأهلِ العلمِ ولا يُؤْثِرُها إلى أن مات»، (٦/٢٤٦٦): «كان إذا تَنَاوَلَ اللُّقْمَةَ ليَأْكُلَ سَمَّى ووَضَعَ يَدَهُ اليُسْرَى على لِحْيَتِهِ لِيُوَقِّيَهَا مِنَ الزُّهُومَةِ؛ فإذا حَصَلَتِ اللُّقْمَةُ في فِيهِ أَزَالَ يَدَهُ»، (٦/٢٤٦٧): «كان إذا جلس لا يكادُ يُسْمَعُ له تَنَخُّمٌ ولا تَبَصُّقٌ ولا يُرَى له نُخَامَةٌ، وإذا أراد أن يَمْسَحَ رِيقَه أَخَذَ ذُؤَابَةَ مِنْدِيلِهِ ومَسَحَ جانِبَيْ فِيهِ. قال أبو بكر بن كامل: ولقد حَرَصْتُ مِرَاراً أن يَسْتَوِيَ لي مِثْلُ ما يفعلُه ويتعذّرُ عَلَيَّ اعْتِيَادُهُ».

تكاد تكون معدومة[1]، ربّما بشكل غير مباشر من طريق صاحبه ابن خزيمة (٢٢٣ - ٣١١هـ)، أحد تلامذة أبي حاتم[2].

- **أحمد بن جُبير الكوفيّ (ت: ٢٥٨هـ)**: قال الأهوازيّ: «كان ابنُ جُبيرٍ إماماً في القراءات، عارفاً بالروايات. قرأ وأقرأ وسمع ورَوَى وصنّف كتاب الخمسة في القراءات. واختار لنفسه قراءةً لم يخالفْ بها المشهور. واختياره لا يُعرَفُ إلّا بأَنْطَاكِيَةَ والعَوَاصِمِ؛ فلمّا غلبتِ الرومُ عليها، عَزَّ وقَلَّ؛ وهو غريبٌ جدّاً عند أهل النقل للقراءة. ولم يخالف السبعةَ القَرَأَةَ إلّا في حرفٍ واحدٍ، قوله تعالى في سورة النحل: ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠]، فإنّه فَتَحَ تاءه»[3].

فهو صاحبُ اختيارٍ، لم يخرج به عن المشهور، رواه الأهوازيّ في إقناعه. بالإضافة إلى كتاب الخمسة في القراءات، له من الكتبِ أيضاً كتابُ قراءة نافع والجامع ومختصره[4]. واضح من آثاره هذه أنّه ساهم بجامعه في سلسلة الكتب الجوامع، وساهم بكتاب الخمسة في مجرى تقنين القراءات على التخميس، وساهم بكتاب قراءة نافع في التأليف المفرد، أي المفردات، مفردات القرّاء. لا شكّ أنّ كتاب الخمسة يؤلّف خطوة في عمليّة تقنين القراءات، وقد سبقت خطوة ابن مجاهد في التسبيع، جمع فيه قراءات خمسةِ قرّاءٍ أئمّةٍ، كلّ واحد منهم يمثّل مصراً من الأمصار الخمسة؛ وإنّما اقتصاره على ذلك لا غير، قد يرجع إلى أنّ المصاحف التي أرسلها الخليفة الراشد عثمان بن عفّان (ت: ٣٥هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كانت خمسة إلى هذه الأمصار؛ وهي فكرة بدهيّة سهلة[5].

---

(١) يُقابَل تاريخ الطبريّ لروزنتال (٤٢/١) و(٤٥/١).

(٢) يُقابَل الطبريُّ لجيليو (٩ و٢١) حاشية (٢١).

(٣) كتاب الإقناع (٢٣٩).

(٤) شمول التعاريف (٢٣٨ - ٢٣٩) (٤٩ - ٥٢).

(٥) يُقابَل كتاب الإبانة عن معاني القراءات (٦٦): «وقد ألّف ابنُ جُبير المقرئ - وكان قبل ابن مجاهد - كتاباً في القراءات وسمّاه كتاب الخمسة، ذكر فيه خمسة من القرّاء». نظيره كتاب المرشد الوجيز (١٥٩)، النشر (٣٤/١)، الإتقان (٢١٦/١/١) (١٠٩٧).

- **القاضي إسماعيل بن إسحاق (ت: ٢٨٢هـ)**: له مصنَّفٌ ما مثلُه لمن سبقه، علّل فيه طرق الآثار، وجاء بالصحيح والمختار على وصف الدانيّ[١]. وقد عرف ابنُ مجاهد كتابه هذا وكتابه في معاني القرآن. كما قال الذهبيّ: «منها كتابه في القراءات؛ وهو كتاب جليل القدر، عظيم الخطر. ومنها كتابه في معاني القرآن. وهذان الكتابان شهد بتفضيله فيهما واحد الزمان المبرّد. رأيتُ [= طلحة الشاهد (ت: ٣٨٠هـ)] ابنَ مجاهدٍ يصف هذين الكتابين وسمعته مراراً يقول: سمعتُ المبرّد يقول: القاضي أعلم منّي بالتصريف»[٢]. قال ابن الجزريّ: «كان بعده القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكيّ، صاحب قالون. ألّف كتاباً في القراءات، جمع فيه قراءة عشرين إماماً، منهم هؤلاء السبعة»[٣]. أقول: اطّلاع ابن مجاهد على كتابيه (في القراءات وفي معاني القرآن) ينمّ على منهجه في مقابلة المعلومات الصادرة عن جهة معيّنة في حالة الاختلاف فيها، كما نهج الأمر نفسه مع أبي عبيد بمقارنة معلومات كتابه في القراءات مع ذواتها في كتابه في معاني القرآن، كما سيأتي بيانه. أمّا ملكة القاضي في التصريف، وهو علم الصرف، فيدلّ ذلك قطعاً على تأصيله موافقة اللغة العربيّة على أنّها من الأركان الثلاثة للقراءة المقبولة، كما أَصَّلَ لها النقلَ المستفيضَ عن الجماعة الحجّة وموافقة رسم المصحف[٤] حسب ما قاله.

كذلك عرف مكّيّ القيسيّ (ت: ٤٣٧هـ)[٥] كتاب القراءات لإسماعيل بن إسحاق

---

(١) الأرجوزة المنبّهة (١٥٤) البيتان (٤٠١ - ٤٠٢) بتصرُّفٍ نثريّ. كذلك أعلام أهل البصائر (٣١٨) (٦٣)، شمول التعاريف (٢٤٢) (٥٨).

(٢) معرفة القرّاء الكبار (٤٤٨/١).

(٣) النشر في القراءات العشر (٣٤/١).

(٤) يُنظَر في هذين الركنين عنده ما نقله مكّيّ القيسيّ (ت: ٤٣٧هـ) في كتاب الإبانة عن معاني القراءات (٤١ - ٤٣) نقلاً مباشراً من كتاب القاضي في القراءات.

(٥) هو مكّيّ بن أبي طالب القيسيّ القيروانيّ ثمّ الأندلسيّ القرطبيّ (٣٥٠ - ٤٣٧هـ)، له أكثر من رحلة في طلب القراءات وجاور ثلاثة أعوام بمكّة. قرأ بالقراءات بمصر على ابن غلبون وابنه طاهر وغيرهما. دخل الأندلس سنة (٣٩٣هـ) وجلس للإقراء بجامع قرطبة وعظم اسمُه وجلّ قَدْرُهُ. تواليفه تنيف على ثمانين تأليفاً في علوم القرآن. عنه غاية النهاية (٣٠٩/٢ - ٣١٠) (٣٦٤٥).

القاضي، فذكره مع كتاب القراءات لأبي عبيد (ت: ٢٢٤هـ)، وكتاب القراءات للطبريّ (ت: ٣١٠هـ) في سياقِ ما أُطلِقُ عليه سلسلة الكتب الجوامع في القراءات ضمن حركة التأليف فيها، فقال: «كذلك زاد الطبريُّ في كتاب القراءات له على هؤلاء السبعةِ خمسةَ عشرَ رجلاً. وكذلك فعل أبو عُبيدٍ وإسماعيلُ القاضي»[١].

واضح من كلامه أنّه كتاب كبير في القراءات، قد جمع فيه قراءة عشرين إماماً، كما قال ابن الجزريّ، وبذلك يؤلِّف حلقة مهمّة في تاريخ التأليف في القراءات، وقد اطّلع مكّيّ القيسيُّ عليه، ونقل منه مواضع في كتاب الإبانة عن معاني القراءات له[٢]. منها موضع مطوَّل، فيه دلالة على تأصيله النقل المستفيض وموافقة المصحف على أنّهما من أركان القراءة المقبولة. جاء في كتاب الإبانة: «قد قال إسماعيل القاضي في كتاب القراءات له: إنّ عمر بن الخطّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (قرأ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَغَيْرِ الضَّالِّينَ﴾). قال: وهذا - واللهُ أعلمُ - على ما جاء أنّ القرآنَ أُنزِلَ على سَبْعَةِ أحرفٍ. ثمّ قال إسماعيل: وليس ينبغي لأحد اليومَ أن يَتَعَمَّدَ القراءةَ بهذا وما أَشْبَهَهُ. يريد ممّا يخالفُ خَطَّ المصحف. قال إسماعيل: لأنّ هذا، وإنْ كان في الأصل جائزاً، فإنّه إذا فَعَلَ ذلك رَغِبَ عن اختيارِ أصحابِ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حين [٤٢] اختاروا أن يجمعوا الناسَ على مصحفٍ واحدٍ مخافةَ أنْ يَطُولَ بالناس زمانٌ، فيختلفوا في القرآن. ثمّ قال إسماعيل: فإذا اختار الإنسانُ أنْ يقرأ ببعض القراءات التي رُوِيَتْ ممّا يخالفُ خَطَّ المصحفِ، صار إلى أنْ يَأْخُذَ القراءةَ بروايةِ واحدٍ عن واحدٍ وتَرَكَ ما نَقَلَتْهُ الجماعةُ عن الجماعةِ الذين هم حُجّةٌ على الناسِ كلّهم. يعني خَطَّ المصحفِ. قال إسماعيل: وكذلك ما رُوي من قراءةِ ابنِ مسعود وغيره. ليس ينبغي لأحدٍ أنْ يقرأ اليومَ به، يعني ممّا يخالفُ خَطَّ المصحفِ من ذلك. قال إسماعيل: «لأنّ الناسَ لا يعلمون أنّها قراءةُ عبد الله، وإنّما هي شَيْءٌ يَرْوِيهِ بعضُ مَنْ يحمل الحديثَ». يعني أنّ ما خالف

(١) كتاب الإبانة عن معاني القراءات (٢٧).

(٢) يُنظَر كتاب الإبانة عن معاني القراءات (٢٧، ٤١، ٤٢، ٤٦، ٥٢، ٧٣، ٧٨، ٩٧).

خطّ المصحف من القراءات فإنّما يُؤخَذ بأخبار الآحاد، وما وافق خطّ المصحف منها فهو يقينٌ بالإجماع على المصحف. قال إسماعيل: فلا يجوز أنْ يُعْدَلَ عن اليقين إلى ما لا يُعْرَفُ بِعَيْنِهِ. يعني أنّه لا يجوز أن يعدل عمّا وافق خطّ المصحف الذي هو يقينٌ إلى ما يخالف خطّه بما لا يُقْطَعُ على صحّته. قال إسماعيل: فإنْ جَرَى شَيْءٌ من ذلك على لسانِ الإنسان مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ له، كان له في ذلك سعةٌ، إذا لم يكن معناهُ يخالفُ مَعْنَى خَطِّ المصحفِ المجمع عليه. ويدخل ذلك في مَعْنَى ما جاء أنّ القرآن أُنزِلَ على سَبْعَةِ أحرفٍ. [٤٣] قلتُ: فهذا كلُّه مِنْ قَوْلِ إسماعيل»[١].

- **الطبريّ (ت: ٣١٠هـ)**: له الجامع، مهذَّبُ التصنيف، أربَى على كلّ المصنَّفات الجامعة المتقدّمة له على قول الدانيّ[٢]. قال ابن الجزريّ: «كان بعده [= القاضي] الإمام أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ. جمع كتاباً حافلاً، سمّاه الجامع، فيه نَيِّفٌ وعشرونَ قراءةً»[٣]. سيأتي الكلام عليه بمزيد من التفصيل.
- **الداجونيّ (ت: ٣٢٤هـ)**: قال ابن الجزريّ: «كان بُعيده [= الطبريّ] أبو بكر محمّد بن أحمد ابن عمر الداجونيّ. جمع كتاباً في القراءات. وأدخل معهم أبا جعفرٍ، أحد العشرة»[٤].
- **ابن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ)**: قال ابن الجزريّ: «كان في أَثَرِهِ [= الداجونيّ] أبو بكرٍ أحمدُ ابنُ موسى بنِ العبّاس بن مجاهدٍ، أوّل مَنِ اقتصر على قراءات هؤلاء السبعة فقط. ورَوَى فيه عن هذا الداجونيّ وعن ابن جرير أيضاً»[٥]. أقول: في ذلك توكيد لتأثُّر ابن مجاهد بالطبريّ والداجونيّ وروايته عنهما وأَخْذه من كتابَيْهما في القراءات.

---

(١) كتاب الإبانة عن معاني القراءات (٤١ - ٤٣).

(٢) الأرجوزة المنبّهة (١٥٥) البيتان (٤٠٣ - ٤٠٤) بتصرُّفٍ نثريّ. كذلك أعلام أهل البصائر (٣٢٢) (٧٤) الجامع في القراءات، شمول التعاريف (٢٤٦ - ٢٤٧) (٦٨) الجامع في القراءات.

(٣) النشر في القراءات العشر (٣٤/١).

(٤) النشر في القراءات العشر (٣٤/١)، يُقابَل الأرجوزة المنبّهة (١٥٦) البيت (٤١٤).

(٥) النشر في القراءات العشر (٣٤/١)، يُقابَل الأرجوزة المنبّهة (١٥٥) البيت (٤٠٧).

هذه المجموعة من التواليف في القراءات التي سردها أبو عمرو الدانيّ وابن الجزريّ من أبرز كتب القراءات الجامعة في هذه المرحلة التاريخيّة في تطوُّر علم القراءات، ولها أهمّيّتها البالغة ودورها الكبير في عمليّتي تقنين القراءات على التسبيع أوّلاً ثمّ على التعشير لاحقاً. لم يَصِلْ منها إلّا كتاب السبعة في القراءات (ط) لابن مجاهد - لعلّ الأيّام القابلة تكشف عن بعضها، لكنْ ثمّة نقول منها تُشِيرُ إلى مبانيها وفحاويها من ذكر القراءات واختلاف وجوهها ونسبة الحروف إلى أصحابها، وشرح معانيها وبيان عللها والاحتجاج لها، كما تقدّم الإشارة إلى ذلك كلّه في أثناء معرض التعريف بهذه المجموعة من التصانيف.

ما تَمْتَازُ به هذه المجموعة أنّ معظم المؤلِّفين فيها من أصحاب الكتب الجوامع في القراءات؛ وهو نوعٌ أدبيّ قائم بذاته في علم القراءات. يقابله نمط المفردات، نوعٌ أدبيّ آخر فيها، لم أُعِرْهُ هنا اهتماماً بارزاً كراهة الإطالة.

يُلاحَظ فيها أنّ كثيراً منهم من أصحاب الاختيارات، ابتداءً بالكسائيّ (ت: ١٨٩هـ)، وأبي عبيدٍ (ت: ٢٢٤هـ)، ويعقوب الحضرميّ (ت: ٢٠٥هـ)، وخلف (ت: ٢٢٩هـ)، وابن سعدان (ت: ٢٣١هـ)، وأبي حاتم (ت: ٢٥٠هـ)، وابن جُبير (ت: ٢٥٨هـ)، والطبريّ (ت: ٣١٠هـ). كذلك من الملاحَظ أنّ هؤلاء لم يتجاوزا قراءات أئمّة القرّاء بالأمصار ولم يخرجوا باختياراتهم عن المشهور. هذا الأمر له أهمّيّة كُبرى في قبول الاختيار في القراءة؛ وهو ما فاتَ ابنُ مِقْسَمٍ (ت: ٣٥٤هـ) - كذلك ابنُ شَنبوذ (ت: ٣٢٨هـ) - مِنْ أَنْ يُدْرِكَهُ، فقال - كما يقول أبو طاهر بن أبي هاشم البغداديّ (ت: ٣٤٩هـ) في كتابه الذي سمّاه البيان: «لَمّا كان لخلفِ بنِ هشامٍ وأبي عبيدٍ وابنِ سَعْدَانَ أن يختاروا، وكان ذلك مُبَاحاً غيرَ مُنْكَرٍ، كان ذلك لي أيضاً مُبَاحاً غيرَ مُسْتَنْكَرٍ؛ فلو كان حَذَا حَذْوَهم فيما اختاروه وسَلَكَ طريقاً كطريقهم، كان ذلك مُبَاحاً له ولغيرِه غيرَ مُسْتَنْكَرٍ، وذلك أنّ خَلَفاً تَرَكَ حُرُوفاً من حُرُوفِ حمزةَ واختارَ أن يقرأَ على مَذْهَبِ نافعٍ. وأمّا أبو عبيد وابنُ سعدانَ، فلم يَتَجَاوَزْ واحدٌ منهما قراءةَ أئمَّةِ القراءةِ بالأمصار. ولو كان هذا الغافلُ نَحَا نَحْوَهم،

كان مُسَوِّغاً لذلك غيرَ مَمْنُوعٍ منه ولا مَعِيبٍ عليه، بل إنّما كان النكيرُ عليه شُذُوذَهُ عَمَّا عليه الأئمّة الذين هُمُ الحُجَّةُ فيما جاءوا به مجتمعين ومختلفين»[1]. أقول: سآتي على ذكره مرّة أخرى.

لا يسع المقام هنا الوقوف على ما تقدّم ذكره من كتب القراءات، إذ بذلك يكون خروج بائن عن إطار المقال، بل أكتفي بتسليط الضوء على كتاب القراءات لأبي عُبيدٍ (ت: ٢٢٤هـ) لصِلَتِهِ بهذا البحث.

ترجم ابن الجزريّ لأبي عُبيد القاسم بن سلّام، فقال عنه: «البغداديّ الإمام الكبير الحافظ العلّامة، أحد الأعلام المجتهدين، وصاحب التصانيف في القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر»[2]؛ فبهذا التعريف، كما سنرى ذلك في معرض البحث، هو والطبريّ شخصيّة علميّة متشابهة، فكلاهما صاحب رحلة طويلة في طلب العلم[3]، إذ كانت بغداد - حاضرة العالَم الإسلاميّ في عصريهما - من أبرز محطاتها[4]، كلاهما من كبار علماء الحديث: هذا صاحب غريب الحديث (ط) وذاك صاحب تهذيب الآثار (ط)، كلاهما من المجتهدين في الفقه[5] وغيره؛ فاختيارهما في القراءة على سبيل المثال بمبلغ عِلْمِهما واجتهادِ رَأْيِهما من الأمثلة على ذلك، إذ لكلّ واحدٍ منهما كتابٌ جامعٌ في القراءات واختيار في القراءة. أمّا علوم اللغة والشعر، فكلاهما صاحب ملكات فيها بلا مخالف ولا منازع. قد يُظهر ذلك احتمالَ أن يكون الطبريّ قد رأى

(١) تاريخ بغداد (٢٠٨/٢) (س٢ - ٩). كذلك نزهة الألّباء (١٧٣ - ١٧٤). يُقابَل مقال مصطفى باشا (٨٠).

(٢) غاية النهاية (١٨/٢).

(٣) يُنظَر جهود الإمام أبي عبيد (١٤ - ١٧).

(٤) بل إنّ الطبريّ، لَمّا استقرّ به الحال، استوطنها. قال الخطيب البغداديّ (ت: ٤٦٣هـ) في تاريخ بغداد (١٦٣/٢): «استوطن الطبريّ بغداد وأقام بها إلى حين وفاته»، لكنّه نزل قَنْطَرَةَ البَرَدَانِ التي كان فيها قبله أبو عُبيد ومسجدهُ وراءَ سُويقةِ جعفرٍ معروفٌ به، كما قال ابن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ) في معجم الأدباء (٢٤٥٢/٦). كذلك هناك (٢٤٤٩/٦ - ٢٤٤٥٠) «نزل في قنطرة البردان».

(٥) يُقابَل: سير أعلام النبلاء (٤٩١/١٠) أبو عبيد «هو من أئمّة الاجتهاد»، (٢٦٩/١٤) الطبريّ «كان من كبار أئمّة المجتهدين».

في أبي عبيد ومنهجيّته العلميّة نموذجاً يُحْتَذَى بهما، وهو جانبٌ حقيقٌ بتسليط الضوء عليه من خلال دراسة مقارنة، تشمل فيما تشمل فَحْصَ مَدَى تَوَافُقِ اختيارِهما في القراءة (أو تباعُده) بالتعويل على المصادر التي أوردت اختيارهما، نحو كتاب قرّة عين القرّاء في القراءات (خ) للمَرَنْدِيّ (ق٦هـ).

يجدر الوقوف على كتاب القراءات لأبي عُبيدٍ لتقدُّمِ صاحبِه ولِسَعَةِ مواردِه وموادِّه، إذ يشتمل كتابُهُ على عددٍ كبيرٍ من القراءات ولأنّ الطبريّ بَنَى كِتَابَهُ عليه، كما سيأتي بيانه. رغم شهرته وشيوعه بين الأوساط العلميّة لَمْ يَصِلْنَا من نُسَخِهِ ما يُذكَرُ، فهو في عداد الكتب المفقودة. لذلك من الجدير تتبّع تاريخ هذا الكتاب هَدَفَ بناءِ صورةٍ عن مَبْنَاهُ وفَحْوَاهُ، خاصّة اختيار أبي عبيد المنصوص فيه ومنهجه المتّبع فيما اختاره. لقد كان كتاب القراءات لأبي عبيد عند العديد من العلماء الذين اعتمدوه ونقلوا منه نقولاً[1]. من هؤلاء:

- **أبو جعفر الطبريّ (ت: ٣١٠هـ)**: عن أحمد بن يوسف التَغْلِبِيّ (ت: ٢٧٣هـ)[2] عنه، كما سيأتي بيانه.
- **ابن الْمُنْذِرِ المفسّر (ت: ٣١٨هـ)**: عن عليّ بن عبد العزيز البغويّ (ت: ٢٨٧هـ)[3] عنه، ونقل منه في تفسيره بهذا السند، كما سيأتي ذكره.
- **الطَّحاوِيّ المحدّث (ت: ٣٢١هـ)**: عن البغويّ هذا عنه، فنقل عنه في بعض المباحث المتعلّقة بالقراءة في شرح مشكل الآثار، كما سيأتي ذكره.
- **ابن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ)**: عن التَّغْلِبِيّ (ت: ٢٧٣هـ) أيضاً عنه. كذلك كان بحوزته نسخة من كتاب المعاني لأبي عبيد (ت: ٢٢٤هـ).

---

(١) يُراجَع: جهود الإمام أبي عبيد (١٩٩ - ٢٠٤).

(٢) أبو عبد الله البغداديّ. عنه غاية النهاية (١/١٥٢ - ١٥٣) (٧١٠).

(٣) أبو الحسن البغداديّ، نزيل مكّة. من أصحاب أبي عبيد ممّن روى عنه وأخذ منه. عنه الفهرست (٩٧)، غاية النهاية (١/٥٤٩ - ٥٥٠) (٢٢٤٦).

- **أبو جعفر النحّاس (ت: ٣٣٨هـ)**: الذي اعتمده في كتابه إعراب القرآن (ط)، وذلك لإيقافِ الآخرين على نصوصه وإعلامِهم بمواضع الخطأ فيه. وضّح ذلك في سياق قراءة قوله: ﴿مِن سَبَإٍ﴾ [النمل: ٢٢]، فقال: «وقد تكلّم أبو عُبيد القاسمُ بنُ سَلَّامٍ في هذا بكَلَامٍ كَثِيرِ التَّخْلِيطِ، ونُمْلِيهِ على نَصِّ مَا قال، إذ كان كِتَابُه أَصْلاً من الأُصُولِ، لِيُوقَفَ على نَصِّ ما قال ويُعْلَمَ مَوْضِعُ الغَلْطِ مِنْهُ»(١).
- **أبو عمرو الدانيّ (ت: ٤٤٤هـ)**: الذي استشهد به في مواضع.
- **الأَنْدَرَابِيّ (ت بعد٥٠٠هـ)**: الذي عرف كتاب القراءات لأبي عبيد روايةً بسنده الموصول إلى البغويّ عنه. يشهد لذلك نقوله منه ثمّ نصّه على اختياره في كتاب الإيضاح في القراءات (خ) له.
- **ابن خير الإِشْبِيليّ (ت: ٥٧٥هـ)**: الذي حدّثه به شيخُه أبو الحسن شريح بن محمّد المقرئ قراءةً عليه وهو يسمع بإسناده الموصول إلى البغويّ عن أبي عبيد(٢).
- **علم الدين السَّخَاوِيّ (ت: ٦٤٣هـ)**: الذي نقل منه بعض النقول النفيسة النادرة، كما سيأتي ذكره.
- **أبو شامة المقدسيّ (ت: ٦٦٥هـ)**: تلميذ علم الدين السَّخَاوِيّ، الذي استشهد به واقتبس منه في كتاب المرشد الوجيز إلى علوم تتعلّق بالكتاب العزيز (ط) له.
- **ابن الجزريّ (ت: ٨٣٣هـ)**: الذي نقل منه نقولاً مباشرة مع تصريح بعنوان الكتاب ودونه(٣).

---

(١) إعراب القرآن (٢٠٥/٣).

(٢) فهرسة ما رواه عن شيوخه (٢٣).

(٣) كالموضع في ترجمة عاصم بن أبي النَّجُود الكوفّي (ت: ١٢٧هـ) في غاية النهاية (٣٤٧/١) (س١٥ - ١٦): «أمّا حديثه عن الحارث، فرويناه من كتاب أبي عبيد القاسم بن سلّام» [أقول: الحارث هو ابن حَسَّان البَكْرِيّ. كانت له صحبةٌ]. والذي في ترجمة عيسى بن عمر الثقفيّ (ت: ١٤٩هـ) في غاية النهاية (٦١٣/١) (س١١ - ١٦) «قال أبو عبيد القاسم بن سلاّم» إلخ.

يتّضح ممّا تقدّم ذكره أنّ مَنْ كان بحوزته نسخة من كتاب القراءات لأبي عبيد إمّا برواية أحمد بن يوسف التَّغْلِبِيّ أو برواية عليّ بن عبد العزيز البَغَوِيّ، من أجلّ أصحاب أبي عبيد وأثبتهم فيه، من ثغور بَغو بناحية خراسان، قد كان انتقل إلى مكّة ولزم أبا عبيد حتّى مات[1].

يُلاحَظ كذلك أنّ كتاب القراءات لأبي عُبيدٍ أصبح يندر وجوده ابتداءً من القرن الثامن الهجريّ؛ فها هو الذهبيّ (ت: ٧٤٨هـ)، عالم الرجال والمؤرّخ الشهير، لم يتمكّن من العثور عليه. قال في ترجمة أبي عبيد: «له مصنَّفٌ في القراءاتِ، لَمْ أَرَهُ»[2].

لحسن الحظّ لدينا نقلٌ نفيسٌ من ديباجته، فيه عرّف بِمَبْنَى كتابِه وفَحْوَاهُ من تسمية أهل القرآن من الصحابة وأوائل التابعين لهم وتسمية أئمّة القراءات من بعدهم على الطبقات والأمصار من صدر الإسلام إلى آخر ما ذكره، على رأسهم النبيّ المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قد نقله عَلَمُ الدين السَّخَاويّ (ت: ٦٤٣هـ) في كتابه (جمال القرّاء وكمال الإقراء) نقلاً مباشراً، لا عن مصدر وسيط، ممّا يدلّ دلالة قاطعة على حضور كتاب القراءات لأبي عُبيدٍ في أوساط علميّة إلى النصف الأوّل من القرن السابع الهجريّ على أقلّ تقدير. نصّ النقل كالتالي:

«قال أبو عبيد القاسم بن سلّام في كتاب القراءات له: هذه تسمية أهل القرآن من السلف على منازلهم وتسميتهم وآرائهم؛ فممّا نبدأ بذكره في كتابنا هذا سيّد المرسلين وإمام المتّقين محمّد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي أنزل عليه القرآن، ثمّ المهاجرون والأنصار وغيرهم من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَنْ حُفظ عنه منهم في القراءةِ شيءٌ وإن كان ذلك حرفاً واحداً، فما فوقه.

قال: فمن المهاجرين أبو بكر الصدّيق، وعمر بن الخطّاب، وعثمان بن عفّان، وعليّ بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقّاص، وعبد الله بن مسعود،

(١) غاية النهاية (١/٥٤٩ - ٥٥٠) (٢٢٤٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/٤٩١).

وسالم مولى أبي حذيفة، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله [٤٢٥] بن عبّاس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعمرو بن العاصِ، وأبو هريرة، ومعاوية بن أبي سُفْيَانَ، وعبد الله بن الزُّبَيْرِ، وعبد الله بن السائب، قارئ مكّة.

ومن الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أبيُّ بنُ كعبٍ، ومُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، وأبو الدَّرْدَاءِ، وزَيْدُ بنُ ثابتٍ، وأبو مجمّع بن جارية، وأنس بن مالك.

قال: ومن أزواجِ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عائشة، وحفصة، وأمّ حفصة. وقال: وقد علمنا أنّ بعضَ مَنْ ذكرنا أكثر في القراءة وأعلى من بعض، غير أنّا سمّيناهم على منازلهم في الفضل والإسلام. وإنّما خصصنا بالتسمية كلَّ مَن وُصف بالقراءة وحُكي عنه منها شيءٌ وإن كان يسيراً، وأمسكنا عن ذكرِ مَنْ لم يبلغنا عنه منها شيءٌ وإن كانوا أئمّةً هُدَاةً في الدين.

فأمّا سالم الذي[١] ذكرناه، فإنّه كان مولىً لامرأةٍ من الأنصار. وإنّما نسبناه لأبي حذيفة، لأنّه به يُعرَفُ. وأمّا حُذيفة بن اليَمَان فإنّ[٢] عداده في الأنصار. وإنّما ذكرناه في المهاجرين؛ لأنّه خرج مع أبيه مهاجراً إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولَمْ يكن مِنْ ساكِنِي المدينة، فهو مهاجريُّ الدار، أنصاريُّ العداد، ونسبه في عبس بن قيس عَيْلَان.

قال أبو عبيد رَحِمَهُ اللَّهُ: ثمّ التابعون، فمنهم من أهل المدينة: سعيدُ بنُ المسيّب، وعروة بن الزبير [٤٢٦]، وسالم بن عبد الله، وعمر بن عبد العزيز، قد كان بالمدينة والشام، وسليمان بن يسار، وعبد الرحمن بن هرمز الذي يُعرَفُ بالأعرج، وابنُ شِهابٍ، وعطاءُ بنُ يسارٍ، ومعاذُ بنُ الحارثِ الذي يُعرَفُ بمعاذ القارئ، وزيدُ بن أسلم.

قال: ومن أهل مكّة: عُبيدُ الله بنُ عُمير الليثيّ، وعطاء بن أبي رباح، وطاوس، وعكرمة مولى ابن عبّاس، وعبد الله بن أبي مُليكة.

---

(١) الذي: الذين، كما في المطبوع.

(٢) فإنّ: فإنه، كما في المطبوع.

ومن أهل الكوفة: علقمةُ بنُ قيس، والأسودُ بن يزيد، ومسروق [٤٢٧] بن الأجدع، وعبيدة السلمانيّ، وعمرو بن شرحبيل، والحارث بن قيس، والربيع بن خُثَيْمٍ، وعمرو ابن ميمون، وأبو عبد الرحمن السُّلَميّ، وزِرّ بن حُبَيْشٍ، وأبو زرعة بن عمرو بن جرير، وسعيد بن جُبير، وإبراهيم بن يزيد النَّخَعيّ، وعامر الشَّعْبِيّ، وهو عامر بن شراحيل.

ومن أهل البصرة عامرُ بنُ عبدِ اللهِ، وهو الذي يُعرَفُ بابنِ عَبْدِ قَيْسٍ، كان يُقرِئُ الناسَ، وأبو العالية الرِّيَاحِيّ، وأبو رَجاء العُطَارِديّ، ونَصْرُ بنُ عاصِمٍ اللَّيْثِيُّ، ويحيى بنُ يَعمرَ، ثمّ انتقل إلى خراسان، وجابرُ [٤٢٨] بنُ زَيْدٍ، والحسنُ بنُ أبي الحسنِ، ومحمّدُ بنُ سِيرِينَ، وقَتَادَةُ بنُ دِعامَةَ.

ومن أهل الشام: المغيرةُ بنُ شِهَاب[1] المخزوميُّ، صاحبُ عثمان بن عفّان في القراءة. قال: كذلك حدّثني هشام بن عمّار الدمشقيّ، قال: حدّثني عراك بن خالد المرّيّ، قال: سمعتُ يحيى بنَ الحارِثَ الذماريَّ، يقول: ختمتُ القرآنَ على عبد الله بن عامر اليحصبيّ؛ وقرأ عبد الله بن عامر على المغيرة بن شهاب المخزوميّ؛ وقرأ المغيرة على عثمان، ليس بينه وبينه أحدٌ.

قال: فهؤلاء الذين سمّيناهم من الصحابة والتابعين هم الذين يُحكَى عنهم عظمُ القراءةِ وإن كان الغالبُ عليهم الفقهَ والحديثَ.

قال: ثمّ قام مِنْ بَعْدِهم بالقرآن قومٌ، ليستْ لهم أَسْنَانُ مَنْ ذكرنا ولا قُدْمَتُهُمْ، غير أنّهم تجرّدوا للقراءة واشتدّت بها عنايتُهم ولها طلبُهم حتّى صاروا بذلك أئمّةً، يأخذها الناسُ عنهم ويقتدون بهم فيها، وهم خمسةَ عشرَ رجلاً من هذه الأمصار المسمّاة، في كلّ مصر منهم ثلاثة رجال؛ فكان من قرّاء المدينة أبو جعفر القارئ - واسمه يزيد بن القعقاع، مولى عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة المخزوميّ - وشيبة بن نصاح - مَوْلَى

(١) قال ابن الجزري في ترجمة المغيرة في غاية النهاية (٢/٣٠٥): «قد ذكره الإمامُ أبو عبيد القاسم بن سلاّم في كتاب القراءات، فقال: «المغيرة بن شهاب، صاحب عثمان بن عفّان في القراءة»، كذا قال: ابن شهاب، فوهم والصوابُ: ابن أبي شهاب».

أمّ سَلَمَةَ زَوْجِ النبيِّ [٤٢٩] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ونافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم. وكان أَقْدَمَ هؤلاءِ الثلاثةِ أبو جَعْفَرٍ. قد كان يُقْرِئُ الناسَ بالمدينة قبل وقعة الحرّة. حدّثنا ذلك إسماعيل بن جعفر عنه. ثمّ كان بعده شيبةُ على مثل منهاجه ومذهبه. ثمّ ثلّثهما نافع ابن أبي نعيم وإليه صارَتْ قراءةُ أهلِ المدينة وبها تَمَسَّكُوا إلى اليوم؛ فهولاء قرّاءُ أهلِ الحجاز [كذا] في دَهْرِهم.

وكان من قرّاء مكّة عبدُ الله بنُ كثير وحُمَيْد بنُ قيس الذي يُقال له: الأعرج ومحمّدُ بنُ مُحَيْصِنٍ؛ فكان أقدم هؤلاء الثلاثة ابن كثير. وإليه صارَتْ قراءةُ أهلِ مكّة، وأكثرهم به اقتدوا فيها. وكان حميدُ بنُ قَيْسٍ قرأ على مجاهد قراءته، فكان يتبعها، لا يكاد يعدُوها إلى غيرها. وكان ابنُ محيصن أعلمَهم بالعربيّة وأقومَهم عليها[1]؛ فهؤلاء قرّاء أهل مكّة في زمانهم.

وكان من قرّاء الكوفة يحيى بنُ وَثّابٍ، وعاصم بن أبي النَّجُود، والأَعْمَشُ. وكان أقدم الثلاثة وأعلاهم يحيى. يُقال: إنّه قرأ على عبيد الله بن نضيلة، صاحب عبد الله. ثمّ تبعه عاصم، وكان أخذ القراءةَ عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيّ وزِرّ بن حُبيش. ثمّ كان الأعمش، فكان إمامَ أهل الكوفة المقدّم في زمانه عليهم حتّى بلغ إلى أن قرأ عليه طلحةُ بنُ مصرّف وكان أقدمَ من الأعمش؛ فهؤلاء الثلاثة [٤٣٠] هم رؤساء الكوفة في القراءة. ثمّ تَلَاهُمْ حمزةُ بنُ حبيب الزَّيَّاتُ رابعاً؛ وهو الذي صار عظمُ أهلِ الكوفةِ إلى قراءته من غير أن يُطْبِقَ عليه جَمَاعَتُهُمْ. وكان مِمَّنِ اتَّبَعَ حمزةَ في قراءته سُلَيْمُ ابنُ عيسى ومَنْ[2] وافقه. وكان مِمَّنْ فَارَقَهُ أبو بكر بنُ عَيَّاشٍ ومَنْ[3] وافقه. وأمّا الكسائيّ، فإنّه كان يتخيّر القراءات، فأَخَذَ مِنْ قراءةِ حمزةَ ببَعْضٍ وتَرَكَ بَعْضاً[4]، فهؤلاءِ قرّاءُ أهلِ الكوفة.

---

(١) يُقابَل: غاية النهاية (١٦٧/٢) (س١٥ - ١٧) هناك: «وأقواهم عليها».

(٢) ومَن: وممن، كما في المطبوع.

(٣) ومَن: وممن، كما في المطبوع.

(٤) يُقابَل: غاية النهاية (٥٣٨/٢) (س٤ - ٧) نقلًا من كتاب القراءات لأبي عبيد.

كان مِنْ[1] قُرّاءِ أهلِ البصرة: عبدُ الله بنُ أبي إسحاقَ الحضرميُّ، وأبو عمرو بنُ العَلَاءِ، وعيسى بنُ عُمَرَ الثقفيُّ. وكان أقدم الثلاثة ابن أبي إسحاق. وكانت قراءتُه مأخوذةً عن يحيى بنِ يعمر ونصرِ بنِ عاصمٍ. وكان عيسى بنُ عمر عالِماً بالنحو، غير أنّه كان له اختيارٌ في القراءة على مذاهب العربيّة، يفارق قراءةَ العامّة ويستنكرها الناسُ. وكان الغالبُ عليه حبَّ النَّصْبِ ما وجد إليه سبيلاً. منه [٤٣١] قوله: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]، و«الزَّانِيَةَ وَالزَّانِي» [النور: ٢]، «وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ» [المائدة: ٣٨]. وكذلك قوله: «هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطهَرَ لَكُمْ» [هود: ٧٨][2]. والذي صار إليه أهل البصرة، فاتخذوه إماماً أبو عمرو بن العلاء؛ فهؤلاء قرّاء أهل البصرة. وقد كان لهم رابعٌ، وهو عاصم الجَحْدَريّ[3]. لَمْ يُرْوَ عنه في الكثرة ما رُوي عن هؤلاء الثلاثة.

وكان من قرّاء أهل الشام عبد الله بن عامر اليحصبيّ، ويحيى بن الحارث الذماريّ وثالثٌ قد سُمّي لي بالشام ونسيتُ اسْمَهُ[4]؛ فكان أقدم هؤلاء الثلاثة عبد الله بن عامر، وهو إمام أهل دمشق في دهره وإليه صارَتْ قراءتُهم. ثمّ اتّبعه يحيى بنُ الحارثِ الذماريُّ وخَلَفَهُ في القراءة وقام مقامه. قال: وقد ذكروا لي الثالثَ بصفةٍ لا أحفظها، فهؤلاء قرّاءُ الأمصار الذين كانوا بعد التابعين»[5].

---

(١) من: ممن، كما في المطبوع.

(٢) نقل ابن الجزري ما جاء عن عيسى البصرة في ترجمته عن أبي عبيد في غاية النهاية (٦١٣/١) (س١١ - ١٦).

(٣) الجحدريّ: الحجدري، كما في المطبوع.

(٤) قال أبو شامة المقدسيُّ (ت: ٦٦٥هـ) في كتاب المرشد الوجيز (١٦٥): «الذي نَسِيَهُ أبو عبيدٍ قِيلَ: هو خليدُ بنُ سَعْدٍ، صاحب أبي الدَّرْدَاء. وعندي أنّه عطيّة بنُ قَيْس الكِلَابيُّ (ت: ١٢١هـ) أو إسماعيلُ بنُ عُبيدِ الله بنِ أبي المهاجر (ت: ١٣١هـ)؛ فإنَّ كلَّ واحدٍ منهما كان قارئاً للجُنْدِ. وكان عطيّةُ بنُ قيسٍ تُصْلَحُ المصاحفُ على قراءتِهِ بدمشق على ما نقلناه في ترجمتهما في التاريخ». عن عطيّة يُراجَع: غاية النهاية (٥١٣/١ - ٥١٤) (٢١٢٥). يُقارَن ما قاله ابن الجزري في ترجمة أبي حيوة شريح بن يزيد (ت: ٢٠٣هـ) في غاية النهاية (٣٢٥/١) «وهو أحد الثلاثة الذين سُمُّوا لأبي عُبيدٍ ونَسِيَ اسْمَهُ. قاله الدانيُّ عن شيخه أبي الفتح. وهذا هو الصحيح. والله أعلمُ». أقول: أبو حيوة هذا حمصيّ، وأبو الفتح هذا (فارس بن أحمد بن موسى)، حمصيّ المولد، قد وُلد بحمص سنة (٣٣٣هـ)، وتوفّي بمصر سنة (٤٠١هـ). عنه غاية النهاية (٥/٢ - ٦) (٢٥٤٤).

(٥) إلى هنا ينتهي هذا الاقتباس الطويل من كتاب القراءات لأبي عبيد الذي نقله علم الدين السخاويّ (ت: ٦٤٣هـ) في جمال القرّاء وكمال الإقراء (٤٢٤/٢ - ٤٣١). بعضه منقول في كتاب المرشد الوجيز (١٦٣ - ١٦٥).

بعد عرض هذا النقل: جليٌّ من كلام أبي عُبيدٍ أنّه قام في كتابه هذا بعمليّة تقنين القراءات مقسَّمة على الأمصار الخمسة: المدينة ومكّة والكوفة والبصرة ودمشق، فاختار ثلاثة قرّاء من كلّ مصر، فحصل المجموع عنده خمسة عشر قارئاً. ثمّ أبرز في كلّ مجموعة ثلاثيّة القارئ الذي صارت إليه قراءة أهل المصر، فذكر أنّ قراءة أهل المدينة صارت إلى نافع (ت: ١٦٩هـ)، وقراءة أهل مكّة إلى ابن كثير (ت: ١٢٠هـ)، وقراءة أهل البصرة إلى أبي عمرٍو (ت: ١٥٤هـ)، وقراءة أهل الشام إلى ابنِ عامرٍ (ت: ١١٨هـ)، لكنّه استثنى من ذلك أهل الكوفة، فصارت قراءتهم حسب وصفه إلى خمسة من قرّائها، فثلاثة هم يحيى بن وثّاب (ت: ١٠٣هـ)، وعاصم (ت: ١٢٧هـ)، والأعمش (ت: ١٤٨هـ)، كانوا رُؤَسَاءَ الكوفةِ في القراءة في أزمانهم بالإجماع، ثمّ حمزة الزيّات (ت: ١٥٦هـ) بشبهِ إجماعٍ، ثمّ الكسائيّ (ت: ١٨٩هـ). بذلك يكون عدد القرّاء عند أبي عُبيدٍ سبعة عشر قارئاً أو ثمانية عشر قارئاً بحُسْبان عاصم الجحدريّ.

هذا عن مَبْنَى كتابِه. أمّا مَنْهَجُهُ في اختياره، فتحدّث عنه بنفسه موضحاً أركانه الثلاثة فيما يلي: «إنّما تَوَخَّيْنَا في جميعِ ما اخْتَرْنَا من القراءاتِ أكثرَها من القَرَأَةِ أَهْلاً، وأعربَها في كَلَامِ العربِ لغةً، وأصحّها في التأويلِ مَذْهَباً بِمَبْلَغِ عِلْمِنَا واجتهادِ رَأْيِنا، والله الموفّق للصواب»[1]. هذا ما أكّده الأندرابيّ (ت بعد٥٠٠هـ)[2]، وذلك بدون مخالفة الأئمّة المنصوص عليهم في كتابه في شيء من قراءاتهم، فحظي اختياره بقَبُولٍ في الأوساط العامّة في الأمصار الإسلاميّة. قال الأندرابيّ: «قد عرف وُجُوهَ القراءاتِ، فاختار منها للعامّةِ قراءةً، أكثرُها من الأئمّة أَهْلاً، وأعربُها في كلام العرب لغةً، وأصحُّها في التأويلِ مذهباً عنده مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَالِفَ في شَيْءٍ من ذلك الأئمّةَ الذين

(١) كتاب الإيضاح في القراءات (٩٢ب). كذلك قراءات القرّاء المعروفين (١٤٥). [في المطبوع (أخبرنا) مكان (اخْترنَا)، (القراءة أصلاً) مكان (القَرَأَة أَهْلاً). كلّ ذلك مُصَحَّفٌ؛ فليُعْلَمْ.]

(٢) هو أبو عبد الله أحمد بن أبي عمر الخراسانيُّ المعروف بالأندرابيّ، صاحب كتاب الإيضاح في القراءات العشر واختيار أبي عبيد وأبي حاتم (خ). عنه غاية النهاية (٩٣/١) (٤٢٦).

تقدّم ذكرُهم في الكتاب. واجتمع على ذلك لاخْتِيَارِه كثيرٌ مِنَ العَوَامِّ في كثيرٍ مِنْ أَمْصَارِ المسلمين من وقتِه إلى وقتِنا»[1].

أمّا فرش الحروف فيه، فثمّة نقول بخصوصها، فقد عرف الطحاويّ (ت: ٣٢١هـ) كتاب أبي عبيد في القراءات روايةً عن عليّ بن عبد العزيز البغويّ (ت: ٢٨٧هـ)[2] عنه، فنقل عنه في بعض المباحث المتعلّقة بالقراءة في شرح مشكل الآثار. من ذلك:

أوّلاً: «قد اختلف أهلُ القراءة في هذا الحرف؛ فقرأه بعضُهم بالضمّ. وممّن قرأه منهم كذلك: أبو جعفرٍ، وشيبة، ونافع، وعبد الله بن أبي إسحاق، وأبو عمرٍو، والكسائيّ؛ وقرأه بعضهم بالفتح، وممّن قرأه منهم كذلك: يحيى بن وثّاب، وعاصمٌ، والأعمشُ. وكذلك أجازه لنا عليُّ بنُ عبد العزيز عن أبي عبيد. وذكر لنا عن أبي عبيد اختياره للقراءة الأولى ﴿مِن ضُعْفٍ﴾ اتِّبَاعاً للنبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ مَنِ اتَّبَعَهُ عليها»[3].

ثانياً: «حَكَى لنا عليُّ بنُ عَبْدِ العزيزِ عن أبي عُبيدٍ في القرآن[4] جميعاً كذلك. زاد فِيمَنْ قرأ ﴿يُغَلَّ﴾، فقال: وكذلك قرأ أبو جعفر وشيبةُ والكسائيُّ. ثمّ قال: قال أبو عبيد بالقراءة الأولى، فقَرَأَ ﴿يَغُلَّ﴾ [آل عمران: ١٦١] لِمَا قد رُوي فيها عن ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من قوله: «كيف لا يُغَلُّ وقَدْ يُقْتَلُ؟» ولأنّ العربَ أيضاً تقول للرجلِ إذا أتى ما لا يكونُ إتيانُه: «ما [٢٥٤] كان له أنْ يَفْعَلَ»، وإذا أُتِيَ إليه بما لا ينبغي أن يُؤتَى: «ما كان لهم أن يفعلوا ذلك».

---

(١) كتاب الإيضاح في القراءات (٩٢أ). كذلك قراءات القرّاء المعروفين (١٤٢). في المطبوع (أصلًا) مكان (أَهْلًا)، (العلوم) مكان (العَوَامّ). كلاهما مُصَحَّفٌ. يُقابَل الكامل في القراءات الخمسين (٥٣٩/٣) «واختار اختياراً وافق فيه الأثرَ والعربيّة». نظيره قولُ ابنِ الجزريّ في ترجمته في غاية النهاية (١٨/٢) (س١٠) «له اختيار في القراءة، وافق فيه العربيّةَ والأثرَ».

(٢) عنه غاية النهاية (٥٤٩/١ - ٥٥٠) (٢٢٤٦). فيه «قال الدانيّ: وهو أجلُّ أصحابِه وأثبتُهم فيه، من أهل ثُغُورِ بغو بناحية خراسان. انتقل إلى مكّة ولزم أبا عبيدٍ حتّى مات».

(٣) شرح مشكل الآثار (١٦٠/٨) (٣١٣٢) (٤٩٨).

(٤) في القرآن: كذا في المطبوع. لعلّه (في القراءات) إشارةً إلى كتاب أبي عبيد في القراءات.

قال: فهذا وجهُ الكلام. والآخرُ أيضاً جائِزٌ، غيرُ مُمْتَنِعٍ»[1].

واضح من هذين المثالين أنّه قد اختار لنفسه اختياراً في القراءة واحتجّ على صحّة ما اختاره لنفسه، وذلك بالأحاديث المرفوعة للنبيّ ﷺ والآثار الموقوفة عن مشاهير الصحابة ولغة العرب وكلامهم.

لا يظهر من هذين المثالين أنّه كان يُسْنِدُ قراءةَ كلِّ قارئٍ بسندٍ متّصل به، لكن بالإمكان توكيد ذلك تماماً من خلالِ نقولٍ أخرى، قد نقلها ابن المنذر (ت: ٣١٨هـ) في تفسيره تحديثاً عن عليّ بن عبد العزيز البغويّ (ت: ٢٨٧هـ)[2] عنه. منها ما يلي:

- «حدّثنا عليٌّ، عن أبي عُبيدٍ، قال: أخبرني اليزيديُّ، عن أبي عمرو بن العلاء، قال: لَمْ أسمَعِ العربَ تضمُّ القافَ في قَبُولٍ. وكان القياسُ الضَّمَّ؛ لأنّه مَصْدَرٌ، مثلَ دُخُولٍ وخُرُوجٍ. قال: ولم أسمع بحرفٍ آخرَ يُشْبِهُهُ في كلام العرب. قال أبو عُبيدٍ: «وقد اجتمعتِ القُرّاءُ عليه بالفتح، لا أعلمُه اختلفوا فيه»[3].

تعليق: هذه الرواية المبكّرة من الأهمّيّة بمكان؛ لأنّها تنصّ على أنّ القياس في القراءة لا يُؤْخَذُ به البتّة؛ ولأنّها صادرة عن أبي عمرو البصريّ (ت: ١٥٤هـ)، إمام في القراءة (أحد القرّاء السبعة)، وهو من مشاهير النحاة وأهل اللغة المعروفين. وقد أكّد أبو عمرو الدانيّ ذلك غاية التأكيد بقوله: «أئمّة القراءة لا تَعْمَلُ في شيءٍ من حروفِ القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربيّة، بل على الأَثْبَتِ في الأَثَرِ والأَصَحِّ في النَّقْلِ. والروايةُ إذا ثبتت لا يردُّها قياسُ عربيّةٍ ولا فُشُوُّ لغةٍ؛ لأنّ القراءةَ سُنّةٌ مُتَّبَعَةٌ، يلزم قَبولُها والمصيرُ إليها»[4].

---

(١) شرح مشكل الآثار (١٤/٢٥٣ - ٢٥٤). تعليق: هذا الموضع بالقراءتين يندرج ضمن مباحث عصمة النبيّ ﷺ عن الخطأ والنسيان والقتل والخيانة والغلول [هنا]. يُقابَل كتاب الكشف لمكّيّ القيسيّ (١/٣٥٩ - ٣٦٠) (٧٨ - ٨٢) (آ ١٤٦: ٣)، (٣٦٣ - ٣٦٤) (٩١ - ٩٣) (آ ١٦١: ٣).

(٢) بهذا الراوي يشترك ابن المنذر مع الطحاويّ في روايتهما عنه عن أبي عبيد.

(٣) تفسير ابن المنذر (١/١٧٨) (٣٨٩).

(٤) جامع البيان (٣٩٦). أمّا القياس عند النحاة وأهل اللغة، بعضهم من القرّاء، فكان يؤخذ به عندهم. من هؤلاء النحويّ البصريّ عبد الله بن أبي إسحاق الحضرميّ (٢٩ - ١١٧هـ)، كما في إنباه الرواة على أنباهِ النحاة (٢/١٠٥). كذلك يُقابَل نزهة الألبّاء (٣٠) (س٥) (٥١) (س١١)، (٦٢) (س٤١ - ١٥)، (٨٢) (س٦ - ٨)، (١٠٢) (س١٤ - ١٥).

- «حدّثنا عليّ، عن أبي عُبيدٍ، عن الكسائيّ وغيره في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧]، مَنْ قرأها بالتشديد أراد: كفّلها اللهُ زكريّا؛ أيْ: ضَمَّهَا إليه، وبالتشديد قرأها الكسائيُّ. ومَنْ خفّف ﴿كَفَلَهَا﴾، جعل الكفلَ لزكريّا. قال أبو عبيد: وهذه قراءةُ أهلِ المدينةِ، وكذلك قرأها أبو عمرٍو»[(١)].
- «حدّثنا عليّ، عن أبي عُبيدٍ، عن الكسائيّ في قوله: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [آل عمران: ٣٩] بالياء[(٢)]. هكذا قرأه الكسائيُّ. وكذلك رُوي عن عبد الله. قال أبو عبيد: حدّثنا جريرٌ، عن مغيرةَ، عن إبراهيمَ، قال: كان عبدُ اللهِ يُذَكِّرُ الملائكةَ في القرآن»[(٣)].
- «كذلك حدّثنا عليٌّ، عن أبي عُبيدٍ، قال: حدّثنا إسماعيلُ بنُ جعفرٍ، عن نافع: ﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ [آل عمران: ٤٩] جماعاً ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ [آل عمران: ٤٩] على التوحيد.
- حدّثنا عليٌّ، عن أبي عُبيدٍ، قال: حدّثنا إسماعيلُ بنُ جعفرٍ، عن أبي جعفرٍ: «كَهَيْئَةِ الطَّائِرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَائِراً بِإِذْنِ اللهِ» [آل عمران: ٤٩] كلاهما على التوحيد»[(٤)].

مِنْ أقرانِ ابنِ المُنْذِرِ يَجْدُرُ ذِكْرُ ابنِ الأنباريّ (٢٧١ - ٣٢٨هـ) الذي قد اطّلع على كتاب القراءات لأبي عبيد (ت: ٢٢٤هـ) ونَقَل منه العديد من المواضع في كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ (ط) له وإنْ لم يُصَرِّحْ بذلك. مِنْ أهمّها نَقْلٌ في مَوْضُوعِ الوَقْفِ على هاءِ السَّكْتِ، تحدّث فيه أبو عبيد عن أركان القراءة المقبولة، قد اصطلح عليها مصطلح (المعاني الثلاثة)، كالتالي:

---

(١) تفسير ابن المنذر (١/١٧٩ - ١٨٠) (٣٩٢).
(٢) أيْ بألفٍ مُمَالَةٍ نحو الياء. بالإضافة إلى الكسائيّ قرأ بها حمزة وخلف، ثلاثتهم على أصلهم في الإمالة. يُنظَر: المبسوط في القراءات العشر (١٦٣) (١١).
(٣) تفسير ابن المنذر (١/١٨٤ - ١٨٥) (٤٠٧).
(٤) تفسير ابن المنذر (١/٢٠٨ - ٢٨١) (٤٩٠ - ٤٩١).

«قال أبو عبيد القاسم بن سلّام الأسديّ: الاختيارُ عندي في هذا البابِ كُلِّهِ الوقوفُ عليها بالهاء بالتَّعَمُّدِ لذلك؛ لأنّها إنْ أُدْمِجَتْ في القراءةِ مع إثباتِ الهاءِ، كان خُرُوجاً من كلام العربِ، وإنْ حُذِفَتْ في الوصلِ، كان خلافِ الكُتَّابِ، فإذا صار قارئُها إلى السكتِ عندها على ثبوتِ الهاءات، اجْتَمَعَتْ له المعاني الثلاثةُ مِنْ أنْ يكونَ مُصِيباً في العربيّة وموافقاً للخطّ وغَيْرَ خارج مِن قراءةِ القُرّاءِ»(١).

كذلك عرَّف الدانيّ (ت: ٤٤٤هـ) كتاب أبي عبيد واستشهد به ونقل منه؛ فقد كان بحوزته وكتاب المعاني له أيضاً. من ذلك:

- «قال أبو عبيد في كتاب القراءات [في المطبوع (القرآن)] عنه [= عن الكسائيّ] عن أبي بكرٍ يُشِمُّ اللام الضمّة مع جزم الدال؛ وإشمام اللام خطأٌ منه. وقد قال في كتاب المعاني عن الكسائيّ عن أبي بكرٍ بفتح اللام؛ وهو الصواب، غير أنّه لم يذكر الدالَ هناك»(٢).

أمّا ابن الجزريّ (ت: ٨٣٣هـ)، فقد استفاد منه كثيراً، واستشهد بنقول منه، خاصّة في غاية النهاية في طبقات القرّاء، لكنّها بواسطة، ليست مباشرةً منها:

- «قال أبو عبيد: وكان من قرّاء مكّة عبدُ الله بنُ كثيرٍ، وحُميدُ بنُ قيسٍ، ومحمّدُ بنُ مُحَيْصِنٍ. وكان ابنُ محيصنٍ أعلمَهم بالعربيّة وأقواهم عليها»(٣).

تعليق: لَمْ يصرّح ابنُ الجزريّ هنا بكتاب القراءات لأبي عبيد، لكنّ هذا النقل من ديباجته.

---

(١) كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ (٣١١/١). أصاب مصطفى باشا كَبِدَ هذه الحقيقة رغم أنّه اعتمد في ذلك مصدراً آخر هو (حجّة القراءات لابن زنجلة)، حين قال في مقاله:

"The early Arabic grammarians' contributions" 84: «the true spirit of these conditions reveals a much earlier provenance, particularly the condition of concordance with 'Uthmānic codices.».

وقد كنتُ أشرتُ في بداية هذا البحث إلى شرط موافقة خطّ المصحف وقِدَم اعتمادِه في سياق مشروع المصاحف الثاني.

(٢) جامع البيان (٦٠٥) [الآية ٧٦: ١٨]. كذلك جامع البيان (٤٠٠) [الآية ٦٧: ٢]، (٤١٢) [الآية ١٦٥: ٢].

(٣) غاية النهاية (١٦٧/٢) (س١٥ - ١٧).

- «قال [٣٥٧] في كتابه القراءات: ثنا أبو الأسود، عن ابنِ لَهِيعَةَ، قال: سَمِعْتُ أبا طُعْمَةَ يقرأ: ﴿عَلَى رَفَرِفٍ[١] خُضْرٍ وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]. قال: وكان أبو طعمةَ مِنْ قُرّاء المدينة»[٢].
- «قال أبو عبيد في كتابه القراءات: ثنا حجّاج، عن هارون: أنا واصل مَوْلَى أبي عيينة، عن يحيى بن عقيل، قال: قرأتُ على أبي عبد الرحمن السُّلَميّ ويحيى ابن يعمر، فما اختلفا إلّا في حرفَيْنِ. قال أبو عبد الرحمن: ﴿مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ﴾ [نوح: ٢١] بفتح الواو. وقال ابن يعمر: ﴿وَوُلْدُهُ﴾ بضمّ الواو. وقال أبو عبد الرحمن: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدثر: ٣٣]. وقال ابن يعمر: ﴿إِذَا دَبَرَ﴾»[٣].

قال السلُّوم معلّقاً على هذه الرواية: «هذا نصٌّ مهمٌّ جدّاً، قد اختَصَرَ لنا قراءةَ يحيى بن يعمر البصريِّ؛ فإنّ قراءةَ أبي عبد الرحمن السلميّ محفوظةٌ معلومةٌ، وهي قراءةُ حَفْصِ بنِ سليمان، لأنَّ حفصاً رَوَى القراءةَ عن عاصمٍ[٤]، عن أبي عبد الرحمن، فعلمنا من هذا النصِّ أنّ قراءة يحيى بن يعمر هي قراءةُ حفصٍ إلّا في هذين الحرفين المذكورين، والله أعلم»[٥]. أقول: ما قاله هو عين الحقّ والصواب، ويجب التنبُّه له والتنبيه عليه عند آخرين من أهل القرآن[٦].

---

(١) وفق نسخة (ع) نسخة المكتبة العموميّة في الآستانة، كما هو مشار إليه في الحاشية هناك. غاية النهاية (٣٥٧/٢) وهو الصواب، بينما في المطبوع بناءً على نسختي دار الكتب المصريّة غاية النهاية (٣٥٧/٢) (س٢) «رفاريف». يُقابَل المحتسَب لابن جنّي (٣٠٥/٢) «من ذلك قراءةُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعُثْمَانَ ونَصْرِ بنِ عليٍّ والجَحْدَرِيِّ وأبي الجَلْدِ ومالكِ ابنِ دينارٍ وأبي طُعْمَةَ وابنِ مُحَيْصِنٍ وزُهَيْرٍ الفُرْقُبِيِّ ﴿رَفَرِفَ خُضْرٍ وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾».

(٢) غاية النهاية (٣٥٦/٢) (س٢٤) - (٣٥٧) (س٣).

(٣) غاية النهاية (٣٧٥/٢) (س٣ - ٨).

(٤) بالإضافة إلى رواية حفص (ت: ١٨٠هـ) عن عاصم (ت: ١٢٧هـ) ثمّة روايات متواترات أُخْرَيَات عنه، كرواية أبي بكر شعبة (ت: ١٨٩هـ). سند الأولى: حفص - عاصم - أبو عبد الرحمن السلميّ - عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. سند الأخرى: أبو بكر - عاصم - زِرّ بن حُبيش - عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٥) جهود الإمام أبي عبيد (٢١٨).

(٦) كالذي رواه الأهوازيّ (ت: ٤٤٦هـ) بإسناده إلى حمزة الزيّات، قال: «قرأتُ على جعفر الصادق بالمدينة؛ فقال: ما قرأ عليَّ أقرأ منك. ولستُ أخالفكَ في شيء من قراءتك إلّا في عشرة أحرف» إلى آخر الرواية نقلاً من جمال القرّاء وكمال الإقراء (٤٣٨/٢ - ٤٣٩).

أمّا اختياره على وجه الخصوص، فمنصوص عليه كاملاً في عدّة مصادر من كتب القراءات؛ فقد قرأ الأهوازيّ (ت: ٤٤٦هـ) القرآن جميعه باختيار أبي عبيد بسنده المتّصل إليه من طريق ورّاقِه ثابت بن عمرو[١] وطريق البيسانيّ، كلاهما عنه، فأورد اختياره في كتاب الإقناع ضمن أصحاب الاختيارات العشرة الواردين فيه[٢]. لم يصل منه على حدّ علمي القاصر إلاّ قطعة، ذكر فيها أسانيده إلى أهل الاختيارات العشرة وبعض الأبواب من الأصول، لكن لحسن الحظّ قد اعتمد المرنديّ في جملة مصادره في كتاب قرّة عين القرّاء في القراءات (خ) على كتاب الإقناع للأهوازيّ، فنقل منه أيضاً اختيار أبي عبيد.

كذلك رواه الهذليُّ (ت: ٤٦٥هـ) في كتاب الكامل في القراءات الخمسين (ط) من روايتين: ثابت بن عمرو، ورّاق أبي عبيد، وعليّ بن عبد العزيز البغويّ (ت: ٢٨٧هـ)[٣]. هو مرويّ أيضاً بهاتين الروايتين في كتاب الإيضاح في القراءات (خ) للأَنْدَرَابيّ (ت بعد ٥٠٠هـ) بسنده المتّصل إليهما[٤].

المطلب الثاني: الطبريّ مُصَنِّف الجامع في القراءات[٥]:

إنّ أوّلَ مصدرٍ أشار إلى كتاب القراءات للطبريّ هو الطبريّ ذاته؛ فقد ذكره في بداية تفسيره الشهير تحت مسمَّى «كتاب القراءات»، وذلك بعد معرض ذكره ثلاث قراءات في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]. «قال أبو جعفر: القرّاءُ مختلفون في تلاوةِ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾؛ فبعضُهم يتلوه ﴿مَلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ وبعضُهم يتلوه ﴿مَٰلِكِ

(١) روى عن أبي عبيد كتبه كلّها. عنه الفهرست (٩٧)، غاية النهاية (١/١٨٨) (٨٦٥).
(٢) يُراجَع الأهوازيّ وجهوده في علوم القراءات (١٠٦ - ١١١) (٢) الإقناع (٢٠٣ - ٢٠٥) كتاب الإقناع.
(٣) كتاب الكامل في القراءات الخمسين (٣/٥٣٥ - ٥٤٠) اختيار أبي عبيد.
(٤) كتاب الإيضاح في القراءات (٩٢أ - ٩٢ب) في القسم المطبوع منه: قراءات القرّاء المعروفين (١٤٣).
(٥) يُقابَل:
Hamdan: "Können die verschollenen Korantexte der Frühzeit durch nichtkanonische Lesarten rekonstruiert werden?" 28 - 30 § 1. A - abarī und seine Qirā'āt - Enzyklopädie.

يَوْمِ الدِّينِ﴾ وبعضُهم يتلوه (مَالكَ يَوْمِ الدِّينِ) بنصبِ الكافِ. وقد اسْتَقْصَيْنَا حكايةَ الروايةِ عَمَّنْ رُوي عنه في ذلك قراءةٌ في كتاب القراءات، وأخبرنا الذي نختار من القراءة فيه والعلّةِ الموجبةِ صِحَّةَ ما اخترنا من القراءةِ فيه، فكرهنا إعادةَ ذلك في هذا الموضع، إذ كان الذي قَصَدْنَا له في كتابِنا هذا البَيانَ عن وجوه تأويل آيِ القرآن دون وجوه قراءتها»[1].

هذا الموضع النادر بالغ الأهمّيّة للأمور التالية:

١. فيه يؤكّد الطبريّ على أنّه ألّف كتاب القراءات قبل تفسيره المسمَّى (جامع البيان عن تأويل القرآن) (ط). هذا يعني أنّ كتاب القراءات قد أتمّه قبل تفسيره، وقد حَظِيَ عنده بأولويّة في التأليف قبل التفسير الذي كان قد أملاه من سنة (٢٨٣هـ) إلى سنة (٢٩٠هـ)[2]، إنْ لم يكن قبل ذلك على قول ابنِ كاملٍ (ت: ٣٥٠هـ): «أملى علينا كتابَ التفسير مائة وخمسين آيةً، ثمّ خَرَجَ بعد ذلك إلى آخرِ القرآنِ، فقرأه علينا، وذلك في سنة سبعين ومائتين. واشْتُهِرَ الكتابُ وارْتَفَعَ ذِكْرُهُ وأبو العبّاس أحمدُ بنُ يحيى ثعلبٌ (ت: ٢٩١هـ) وأبو العبّاس محمّدُ بنُ يزيدَ المبرّدُ (ت: ٢٨٥/٦هـ) يَحْيَيَان [...] وحُمِلَ هذا الكتابُ مشرقاً ومغرباً، وقرأه كُلُّ مَنْ كان في وقتِه من العلماء. وكُلٌّ فَضَّلَهُ وقَدَّمَهُ»[3].

٢. بذلك نعلم يقيناً صحّة نسبة كتاب القراءات إليه.

---

(١) تفسير الطبريّ (٩٤/١ - ٩٥).

(٢) معجم الأدباء (٢٤٤٢/٦) «من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين». كذلك مقدّمة روزنتال (١٠٦)، مقال جيليو (٧٢) (٢٦)، (EI2) (14/10).

(٣) معجم الأدباء (٢٤٥٢/٦). عن هذا الاحتمال كذلك عبرّ روزنتال في مقدّمته (١٠٦) وجيليو في مقاله (٧٢) (٢٦). تجدر الإشارة هنا أنّه لا احتمال لوقوع تصحيف في كلمة «سبعين» علاه؛ لأنّ أقدم السبعة المذكورين في الرواية آنفاً في حياة الطبريّ هو المبرّد المتوفَّى (٢٨٥هـ) في قولٍ، كما في نزهة الألبّاء (١٢٨)، أو (٢٨٦هـ) في آخَرَ، كما في طبقات النحويّين واللغويّين (الزبيديّ) (١١٠).

٣. بناءً على جملته الأخيرة «فكرهنا إعادةَ ذلك في هذا الموضع، إذ كان الذي قَصَدْنَا له في كتابِنا هذا البَيانَ عن وجوه تأويل آيِ القرآن دون وجوه قراءتها» يُستَدَلُّ أنّ ما أورده في تفسيره من قراءات هنا وهناك - وإن لم يكن بالقليل - ليس كافياً ولا وافياً من الناحية المنهجيّة لاستخلاص صورة سويّة عن مواقف الطبريّ من القرّاء وكيفيّة تعاطيه مع قراءاتهم؛ فاستصدار مواقفه تجاه القرّاء وقراءتهم بناءً على ما ورد في تفسيره فقط ليس بمنصف بحقّه من الناحية العلميّة.

٤. بذلك نعلم أيضاً أنّ له اختياراً في القراءة، منصوصاً عليه فيه.

٥. تطرّق الطبريُّ في هذا الموضع إلى مضمون كتابه؛ فقوله أو جملته: «وقد اسْتَقْصَيْنَا»... إلخ، فيه دلالة واضحة على الإحاطة والشمول بكلّ ما رُوي من قراءة مشهورة وغير مشهورة، متواترة وغير متواترة، قد جمعها فيه. بذلك يصحّ أن يُطلَق عليه اسم الجامع، وبذلك أيضاً يندرج ضمن سلسلة الكتب الجوامع. ثمّ ذكر في الجملة التالية: «وأخبرنا الذي نختار من القراءة فيه والعلّةِ الموجبةِ صحَّةَ ما اخترنا من القراءةِ فيه» اختياره في القراءة ونهجه المعتمد فيما اختاره.

يزيد الأمرَ الثانيَ توكيداً إجماعُ المصادرِ التي ترجمت له أنّه صاحبُ تأليفٍ في القراءات، لكنّها تتفاوت في ضبط عنوانه؛ فأقدمها كتاب الصلة للفَرْغَانيّ (٢٨٢ - ٣٦٢هـ) الذي أكمل به تاريخ شيخه الطبريّ (ت: ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك (ط)، وترجم له فيه ترجمة، ذكر فيها مجموعة تصانيفه، منها «تَمَّ من كُتُبِه أيضاً كتاب القراءات والتنزيل والعدد»[1].

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (١٩٦/٥٢)، طبقات المفسّرين للداوديّ (٣٧٧) كلاهما نقلًا من تاريخ الفرغانيّ. يجدر التنبيه هنا أنّ نصّ العنوان في مطبوع الطبقات مصحَّف، كالتالي: (وتمّ من كتبه أيضاً كتاب «الغرائب» و«التنزيل» و«العدد»)؛ فالغرائب مصحَّفة عن القراءات. كذلك لا حاجة لتقطيع العنوان على هذا النحو في مطبوع ابن عساكر والداوديّ، كأنّه ثلاثة كتبٍ مفردة مستقلّة.

ثمّ الفهرست لابن النديم (ت: ٣٨٠هـ)، إذ جاء في ترجمة الطبريّ فيه «كتاب القراءات»[١]، كما عند الطبريّ في تفسيره. بهذه العنونة أَخَذَ ابن النديم في تسمية (الكتب المؤلَّفة في القراءات) التي أوردها[٢] وتندرج في الكتب الجوامع في القراءات. من اللافت للنظر أنّه لم يَذْكُرْ فيها كتابَ القراءات للطبريّ.

كذلك هو بهذا العنوان عند مكّيّ القيسيّ (ت: ٤٣٧هـ) في موضعين في كتاب الإبانة[٣]. بذلك زيادة توكيد في صحّة هذا العنوان.

من جهته ذكره الدانيّ (ت: ٤٤٤هـ) في موضعين في جامع البيان بقوله: «جامعه»[٤]، أيْ جامع الطبريّ في القراءات. وهو مذكور عنده بهذا العنوان في الأرجوزة المنبّهة[٥].

كذلك ذكره ابن الجزريّ (ت: ٨٣٣هـ) نقلاً عن الدانيّ (ت: ٤٤٤هـ) فيما يلي: «قال الدانيّ: وصنّف كتاباً حسناً في القراءات، سمّاه الجامع»[٦]. وقد أخذ ابن الجزريّ بهذه التسمية، فاعتمدها كذلك في مقدّمة نَشْرِه في موضعين كالتالي: «جمع كتاباً حافلاً، سمّاه الجامع»[٧]، «الإمام أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ، جمع كتاباً، سمّاه الجامع»[٨]، ثمّ ذكره في النشر في موضع آخر على الإضافة: «تبعه على ذلك الطبريُّ في جامعه»[٩]؛ فهو الجامع في القراءات[١٠].

---

(١) الفهرست (٢٨٨) الفنّ السابع من المقالة السادسة: الطبريّ وأصحابه.

(٢) الفهرست (٥٤ - ٥٥).

(٣) يُراجَع كتاب الإبانة عن معاني القراءات (٢٧) «كتاب القراءات له» و(٤٠) «كتاب القراءات له».

(٤) جامع البيان (٤٧٧) و(٦٢٣).

(٥) الأرجوزة المنبّهة (١٦٢) البيتان (٤٥٢ - ٤٥٣).

(٦) غاية النهاية (١٠٧/٢).

(٧) النشر في القراءات العشر (٣٤/١).

(٨) النشر في القراءات العشر (٣٤/١). كذلك حاجي خليفة (ت: ١٠٦٧هـ) في كشف الظنون (٥٧٦/١) «لأبي جعفر محمّد ابن جرير الطبريّ المتوفَّى (٣١٠هـ) عشر وثلاثمائة كتابٌ حافلٌ، فيه نيّف وعشرون قراءةً، سمّاه الجامع»، (١٤٤٩/٢) نقلاً من النشر «ثمّ أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ، جمع كتاباً حافلاً، سمّاه الجامع، فيه نيّف وعشرون قراءة».

(٩) النشر في القراءات العشر (٣٠٨/١).

(١٠) كما ضبطه إسماعيل باشا البغداديّ (ت: ١٣٣٩هـ) في هديّة العارفين (٢٧/٢) «الجامع في القراءات».

أمّا الأهوازيّ (ت: ٤٤٦هـ)، فقد ذكره في كتاب «الإقناع» له ولم يضبطْ له عنواناً رغم اطّلاعه على نسخة خطّيّة منه بقوله: «له في القراءاتِ كتابٌ جليلٌ كبيرٌ، رأيتُه في ثمانيَ عشرة مجلّدةً، إلّا أنّه كان بخطوطٍ كبار، ذَكَرَ فيه جميعَ القراءاتِ من المشهورِ والشَّوَاذِّ وعَلَّلَ ذلك وشَرَحَهُ، فاختار منها قراءةً، لَمْ يَخْرُجْ بها عَنِ المشهور»[1]. هذا نصّ بالغ الأهمّيّة؛ لأنّ في وَصْفِ الأهوازيّ فحاوِيَه دلالةً قاطعةً على مطالعته الوافية والشاملة له على ضخامته، ممّا أهّله أن يخرج بحكم سَوِيّ بصدد اختيار الطبريّ؛ فهو يعني للأهوازيِّ أمرين محوريّيْن: الأوّل: أنّ جامع الطبريّ أحد مصادر الأهوازيّ في القراءات، وبخاصّة الجامع الأكبر له، إن لم يكن من أهمّها على الإطلاق. الثاني: أنّه هو المدوّنة اليتيمة والمباشرة التي تتيح للأهوازيّ فرصة الإحاطة باختيار الطبريّ والاطّلاع على تفاصيله وحيثيّاته.

أمّا ترجمة الطبريّ في تاريخ بغداد للخطيب البغداديّ (ت: ٤٦٣هـ)، فذكر الأخير في موضع واحد منها ثلاثة من أبرز كتبه: تاريخ الأمم والملوك والتفسير وتهذيب الآثار، ليس بينها كتاب القراءات، ولا ذِكْرَ له فيها عموماً، لكن الداوديّ (ت: ٩٤٥هـ) نصّ عليه بالتعويل على الخطيب البغداديّ الذي نقل كلامه، كالتالي: «كتابٌ حسنٌ في القراءات، سمّاه الجامع»؛ فإمّا أن يكون ذلك سقطاً في الترجمة - وهو مستبعدٌ؛ لأنّ كلّ من نقل عن الخطيب البغداديّ كلامه عن الطبريِّ ليس عنده هذا المقطع - أو مستوفًى من قبل الداوديّ - وبه أقطع. على كلّ حالٍ يُلاحَظ تَشَابُهُ هذه المعلومة بمعلومة الدانيّ.

---

(١) يُنظَر هنا الملحق. كذلك كتاب الإقناع (٢٤٤)، معجم الأدباء (٢٤٤٤/٦). يجدر التنبيه هنا أنّ روزنتال ترجم هذا النصّ إلى الإنكليزيّة [تاريخ الطبريّ (٩٧/١) (مقدّمة عامّة)]، لكنّه لم يُوَفَّق في ترجمة آخره: «فاختار منها قراءةً، لَمْ يَخْرُجْ بها عَنِ المشهور»، فقدّم وأخّر فيه دون حاجة:

"He did not diverge from what was generally known with respect to any reading he preferred (as being acceptable to him)."

ترجم ياقوت الحمويّ (ت: ٦٢٦هـ) ترجمةً للطبريّ في معجم الأدباء، ذكر فيها كتابَه في القراءات في ثلاثة مواضع بثلاثة عناوين مختلفة.

الموضع الأوّل: «كتاب القراءات وتنزيل القرآن»، وذلك نقلاً عمّا وجده على جزءٍ من تفسير الطبريّ من قطعة من تصانيفه، كَتَبَهَا عبد الله بن أحمد الفرغانيّ بخطّه في شعبان سنة ستٍّ وثلاثين وثلاثمائة[١]. وهذا الفرغانّي من جلّة تلاميذ الطبريّ، وهو صاحب كتاب الصلة الذي وَصَلَ به تاريخ الرسل والملوك للطبريّ[٢].

الموضع الثاني: «أحكام القراءات»[٣]، وذلك نقلًا عمّا قاله أبو محمّد عبد العزيز بن محمّد الطبريّ (ت: ٣٧٨هـ).

الموضع الثالث: «كتابُ الفَصْلِ بين القِرَاءَات»[٤]. وفي هذا الموضع وَصَفَ فحاوِيَهُ وَصْفاً تفصيليّاً، كما سيأتي بيانه، ممّا يدلّ دلالة قاطعة على اطّلاع عليه ومطالعته له، وقد مكّنه ذلك من إصدار حكم بحقّه في قوله: «وهو من جيّد الكتب»[٥].

ثمّ ترجم له ابن الساعي (ت: ٦٧٤هـ) في «الدرّ الثمين في أسماء المصنّفين»، فذكر كتابه هذا مرّتين في موضعين منفصلين ضمن تعداد كتبه، فقال بدايةً: «من كتبه أيضاً كتاب القراءات[٦] والتنزيل والعدد»[٧]، ثمّ قال: «كتاب القراءات»[٨]. لا شكّ أنّهما واحد، لا اثنان كيفما أوردهما.

---

(١) معجم الأدباء (٦/٢٤٤٤).

(٢) معجم الأدباء (٦/٢٤٤٣).

(٣) معجم الأدباء (٦/٢٤٥١).

(٤) في مطبوع معجم الأدباء (٦/٢٤٥٤) (القَرَأَة) بدل (القراءات). ضبطته كذلك تماشياً مع وصف ياقوت الحموي لفحواه، حين قال: «فيه من الفصلِ بين كلّ قراءةٍ». هو كذلك عند جيليو، مقاله (٧٢ و٧٣) «كتاب الفَصْل بَيْن القراءَات»، مع العلم أنّه اعتمد معجم الأدباء طبعة القاهرة بتحقيق أحمد فريد الرفاعيّ (١٣٥٥ - ١٣٥٧هـ) (١٨/٦٥)، حيث فيها «كتاب في القراءة»، كما هو عند روزنتال (١/٩٣) وفي مقال مصطفى باشا (٩٢) «الفَصْل بَيْن القراءَة».

(٥) معجم الأدباء (٦/٢٤٥٤).

(٦) القراءات: القرآن، كما في المطبوع.

(٧) الدرّ الثمين في أسماء المصنّفين (٩٣).

(٨) الدرّ الثمين في أسماء المصنّفين (٩٤).

أمّا الذهبيّ (ت: ٧٤٨هـ)، فنقل في ترجمته له عن الفرغانيّ قوله: «تَمَّ له كتاب القراءات والتنزيل والعدد»[١]. في ذلك توكيد لصحّة ما ضبطه الفرغانيُّ في تاريخه، كما هو عند ابن عساكر (ت: ٥٧١هـ) في تاريخه والداوديّ (ت: ٩٤٥هـ) [كلاهما نقلاً عن تاريخ الفرغانيّ] وابن الساعي (ت: ٦٧٤هـ) في «الدرّ الثمين»، بالمقارنة مثلاً مع ما ضبطه السبكيّ (ت: ٧٧١هـ) في ترجمة الطبريّ في طبقاته بتقديم وتأخير فيه على النحو التالي: «كتاب القراءات والعدد والتنزيل»[٢].

يمكن إجمال عناوينه[٣] المنصوص عليها كالتالي:

١. كتاب القراءات.

٢. الجامع في القراءات.

٣. كتابُ الفَصْلِ بين القراءات.

٤. كتاب القراءات وتنزيل القرآن.

٥. كتاب القراءات والتنزيل والعدد.

٦. كتاب القراءات والعدد والتنزيل.

٧. أحكام القراءات.

لا شكّ أنّ موضوع الكتاب هو القراءات، كما تجمع العناوين الستّة عليه، لكن العنوان الرابع يشير إلى موضوع إضافيّ، هو تنزيل القرآن، أيْ مكّيّه ومدنيّه، كما هو مشار إليه في العنوان الخامس والسادس بلفظ (التنزيل)،

(١) هكذا في سير أعلام النبلاء (٢٧٣/١٤)، لكن في تاريخ الإسلام (٢٨٣/٢٣) «تَمَّ كتاب القراءات والعدد والتنزيل» مع تقديم وتأخير.

(٢) طبقات الشافعيّة الكبرى (١٢١/٣). كذلك في تاريخ الإسلام، كما في الحاشية السابقة.

(٣) لتباين بعض العناوين التبس الأمر على مصطفى باشا، فذكر في مقاله (٩٢) أنّ الطبريَّ ألّف عَمْلَيْنِ في القراءات: «الفصل بين القراءة» و(كتاب) «القراءات» أو «الجامع».

لكنّهما يحويان كذلك موضوع العدد، أيْ: عدد آي السور، حسب أنظمة العدد في الأمصار الإسلاميّة[١]. أمّا العنوان الثالث، ففيه إشارة قويّة إلى منهج الطبريّ في عرض القراءات من الفصل بين كلّ قراءة، فيذكر وجهها، وتأويلها، والدلالة على ما ذهب إليه كلُّ قارئ لها، واختياره الصواب منها، والبرهان على صحّة ما اختاره لنفسه، كما سيأتي بيانه لاحقاً. أمّا الأخير، فيدلّ، إنْ صحّ[٢]، على معالجة خاصّة للأحكام الفقهيّة المنوطة بأوجه القراءة.

أمّا في الدراسات المعاصرة، فكان فؤاد سزكين أوّلَ مَنْ أشار إلى مخطوط من «الجامع في القراءات» (من المشهور والشواذّ) للطبريّ، محفوظاً في المكتبة الأزهريّة، قراءات (١١٧٨) (١٢٨) ورقة، تاريخ النسخ (١١٤٣هـ)، لكنّه شكّك في صحّة نسبته إليه دون ذكر دوافع تشكيكه[٣]. ثُمّ تلاه كلود جيليو، فذكره في مقاله الأوّل عن الأحرف السبعة (١٩٨٥م) مُحِيلاً على سزكين وتشكيكه في صحّة نسبته إليه[٤]، ثمّ تحدّث عنه بمزيد من التفصيل في مقاله عن أعمال الطبريّ (١٩٨٩م)[٥]، لكنّه لم يتفحّصه رغم اهتمامه واشتغاله البالغَين بتحصيل الطبريّ، ونتاجه العلميّ، بل ذكر في آخر المبحث أنّه لم يتمكّن من الاطّلاع على المخطوط المحفوظ في الأزهر، لكنْ نِسْبَتُهُ إليه مشكوكٌ فيها، علاوةً على إفادة أستاذٍ متخصّصٍ عن أستاذٍ آخَرَ أنّه لم يَعْثُرْ عليه[٦]. ثمّ جاء

(١) كالعدد المدنيّ الأوّل والأخير والعدد المكّيّ والعدد الكوفيّ والعدد البصريّ والعدد الدمشقيّ. وثمّة بعض الأعداد الأخرى، كالعدد الحمصيّ، وأخرى معزوة لأصحابها، كعدد عاصم الجحدريّ وعدد أيّوب بن المتوكّل. يُراجَع البيان في عدّ آي القرآن (٧٩ - ٨٢)، كتاب الكامل في القراءات الخمسين (للهذليّ) (١/٣١٦ - ٣٢١).

(٢) يُقابَل:

Gilliot: “Les œuvres de Tabari (mort en 310/923)” 73 - 74.

(٣) Sezgin: Geschichte des arabischen Schrifttums 1/328 (9)

(٤) Gilliot: “Les sept “lectures”: Corps social et écriture révélée” 10

(٥) Gilliot: “Les œuvres de Tabari (mort en 310/923)” 72 - 74 (27)

(٦) Gilliot: “Les œuvres de Tabari (mort en 310/923)” 74.

فرانتس روزنتال، فتحدّث عن هذا الكتاب في مقدّمته العامّة لترجمته «تاريخ الرسل والملوك» للطبريّ إلى الإنكليزيّة، فأحال بشأن المخطوط المشار إليه هنا عليهما دون مراجعة، فذكر أنّه لم يَزَلْ بَعْدُ غيرَ منشورٍ، لكنّه لم يُشِرْ إلى تشكيك سزكين بهذا المخطوط(١). تبعه بُوسْوُرْث أنّه (الفَصْل بَيْنَ القراءَة) محفوظ، غير منشور(٢).

بعد هذا العرض يجدر الوقوف على وصف هذا المخطوط، كما جاء في فهرس المكتبة الأزهريّة: «مختصر الجامع في القراءات العشر: تأليف الإمام أبي معشر الطبريّ. أوّله: المحمود الله، والمصطفى رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... إلخ. نسخة في مجلّد بقلم نسخ، تمّت في شعبان سنة (١١٤٢هـ). أوّلها مجدول ومحلًّى بالذهب، وباقيها مجدول بالمداد الأحمر، في (١٢٨) ورقة، ومسطرتها (١٦) سطراً، في حجم الربع (١١٧٨) حليم (٣٢٨٦٧)»(٣).

من هذه المعلومات يُسْتَشَفُّ سبب عزو بعضهم هذا المخطوط للطبريّ (ت: ٣١٠هـ)، وهو التشابه بين اسمه وطبريّ آخر، هو أبو معشر الطبريّ (ت: ٤٧٨هـ)، من كبار علماء القراءات، صاحب الجامع المعروف بـ«سوق العروس» (خ) و«التلخيص في القراءات الثمان» (ط)(٤). لعلّ هذا ما دعا سزكين إلى التشكيك بصحّة نسبته إليه؛ وهي ما تزال غير مقررة، ومدار جدل ونقاش؛ فبعضهم(٥) يرى أنّ مؤلّفه هو أبو الحسين نصر بن عبد العزيز بن أحمد الشيرازيّ، المقرئ (ت: ٤٦١هـ)، صاحب «الجامع في القراءات العشر وقراءة ابن محيصن والأعمش» (خ)(٦)، بينما يرى بعضهم

(١) Rosenthal: *The History of al-Ṭabarī* 1/94 (General introdution and from the craetion to the flood).

(٢) Bosworth: "al-Ṭabarī", EI2 10/15a (vii)

(٣) فهرس المكتبة الأزهريّة (١١٢/١).

(٤) عنه معرفة القرّاء الكبار (٨٢٧/٢ - ٨٣٠) (٥٣٩)، غاية النهاية (٤٠١/١) (١٧٠٨)، هديّة العارفين (٦٠٨/١)، إعلام أهل البصائر (٣٦٥ - ٣٦٦) (٢٢٦ - ٢٢٧).

(٥) مثل صلاح محمّد الخيمي، كما في فهرس مخطوطات درا الكتب الظاهريّة (٣٤٨/١) (علوم القرآن الكريم).

(٦) عنه معرفة القرّاء الكبار (٨٠١/٢ - ٨٠٢) (٥١٤)، غاية النهاية (٣٣٦/٢ - ٣٣٧) (٣٧٢٩)، إعلام أهل البصائر (٣٦٠) (٢١٠).

الآخر أنّه أبو القاسم يوسف بن عليّ بن جُبَارة الهذليّ البسكريّ (ت: ٤٦٥هـ)، صاحب كتاب «الكامل في القراءات الخمسين» (ط)[١][٢].

من المؤكّد أنّه مختصَر لجامِعٍ في القراءات العشر، كلاهما لمؤلِّفٍ واحِدٍ؛ كما هو واضح من كلامه في مقدّمة هذا المخطوط: «[...] أنْ أجمعَ لك في الجامع ذكرَ قراءاتِ القرّاء العشرة، وهم أهل العراق، والحجاز، والشام، وأنْ أختصرَها بألفاظٍ لطيفةٍ، وتراجم مُوجزةٍ، وأنْ أذكرَ من القراءات مأثورَها، ومن الرواياتِ مشهورها، [...]»؛ فهو على كلّ حال ليس لأبي جعفر الطبريّ (ت: ٣١٠هـ)، ولا لأبي معشر الطبريّ (ت: ٤٧٨هـ)،[٣].

---

(١) عنه معرفة القرّاء الكبار (٨١٥/٢ - ٨٢٠) (٥٢٩)، غاية النهاية (٣٩٩/٢ - ٤٠١) (٣٩٢٩)، إعلام أهل البصائر (٣٦١) (٢١١)، كتاب الكامل (٩/١ - ٥٦) مقدّمة التحقيق.

(٢) تُراجَع المداخلات في الرابطَيْنِ التالَيين:

http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=233057,

http://vb.tafsir.net/tafsir33244/#. VcRHfbkVjcc.

(٣) يجدر التنبيه هنا على مسألة وقوع اللبس والخلط بين هذين الطبريَّين، كما حصل مع مخطوط المكتبة الأزهريّة، وبخاصّة إذا ذُكر الواحد منها بنسبته دون كنيته، فيصعب التفريق بينهما، ممّا قد يؤدّي إلى وقوع خلط بينهما، كما حدث مع محقّق شرح الدرر اللوامع، في أصل مقرأ الإمام نافع، للمِنْتَوْرِيّ (ت: ٨٣٤هـ) (د. م.) (د. ن.) (ط١) (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) (٢ج)، فظنّ معذوراً لصعوبة التمييز، أنّ الطبريّ الذي نقل المنتوريُّ عنه أقوالاً من جامعه، هو أبو جعفر، بينما الصواب: هو أبو معشر، وجامعه هو المعروف بسوق العروس. يُنظَر فيه المواضع التالية، كما أوردها المحقّق: في فهرس الأعلام والأشخاص (٩٥٢/١: ٤٦/١) مع الحاشية (٥) «وقال الطبريّ في الجامع» (٥٠) مع الحاشية (٦) «وقال الطبريّ في الجامع»، (٥٢٢/٢) مع الحاشية (١٢) «وذكر الطبريُّ في الجامع»، (٦٤١) مع الحاشية (١٥) - (٦٤٢) مع الحاشية (٢) «وقال الطبريُّ في الجامع»، (٦٦٦) مع الحاشية (٥ و١٤) «وذكر الطبريُّ في الجامع»، (٧٩٦) مع الحاشية (١٤ و١٥) «والطبريّ في الجامع»، (٨٠٧) مع الحاشية (٧ و٨) «وقال الطبريّ في الجامع»، (٨٦٤) مع الحاشية (٥ و٦) «وقال الطبريُّ في الجامع». وقد ذكر المنتوريُّ أبا معشر الطبريَّ بكنيته ونسبته مرّة واحدة في شرحه هذا (٦٥٤/١) معوّلاً عليه دون التصريح باسم كتابه.

كذلك وقوع الخلط بينه وبين طبريّ آخر، يتشابهان في الاسم، واسم الوالد، والكنية، والنسبة، ويختلفان في الجدّ، هو محمّد بن جرير بن رستم، أبو جعفر الطبريّ، من أعلام الشيعة، من أقرانه. وقد سبّب هذا الخلط إلى نسب بعض الأمور إلى الطبريّ (ت: ٣١٠هـ)، صاحب التفسير. من ذلك ما قاله الذهبيُّ في ترجمته في سير أعلام النبلاء: (٢٧٧/١٤): «بعضُهم ينقل عنه أنّه كان يجيزُ مَسْحَ الرِّجْلَيْنِ في الوضوء. ولَمْ نَرَ في كتبه»؛ فإنّه مذهب الشيعة. يُقابَل: لسان الميزان لابن حجر العسقلانيّ (٧٥٨/٥) و(٧٦٢/٥) (٧١٩١). ضبطه ياقوت الحمويّ بأبي جعفر الرستميّ في ترجمة الطبريّ (ت: ٣١٠هـ) في معجم الأدباء (٢٤٥٢/٦) للتمييز بينهما.

بالتالي يبقى جامع أبي جعفر الطبريّ في عداد الكتب المفقودة، إلى أن يأتي يومٌ يُكْشَفُ فيه النقاب عن بعض نسخه المجهولة.

ثمّة مسألة أخرى، من الجدير الوقوف عليها وتوضيحها، هي لماذا لم يَحْظَ جامع الطبريّ باشتهار قويّ، وشيوع كبير عند علماء القراءات من عصره ومن تلاهم، بخلاف تفسيره جامع البيان، وتاريخ الرسل والملوك، اللذَين أصبحا عمدةً يعوَّل عليها، ويُرجَع إليها، مع شهرة وصيت بلغت الآفاق؟ أريد هنا أن أسلّط الضوء على سببٍ أو عاملٍ أساسيّ، قد أضعف من مكانة جامع الطبريّ وحيّده تماماً، فلا يُذكَر ولا يُنقَل منه إلّا في النادر، وبخاصّة لنقده في بعض المواضع، لا أكثر، هو استمرار التأليف فيما أُطْلِقُ عليه سلسلة «الجوامع في القراءات من المشهور والشاذّ»، ابتداءً بكتابِ هارون بن موسى البصريّ، ومُرُوراً بجامع يعقوب، وأبي عبيد، وخلف القارئ، وأبي حاتم السجستانيّ، وإسماعيل بن إسحاق القاضي، ووُصُولاً إلى جامع أبي جعفر الطبريّ، وتضخُّم موادّها مع الأوقات؛ لتوسُّع دائرة الطرق في روايات القراءات، وامتداد شبكاتها على مختلف الطبقات والأعصار، كأنّ هذه السلسلة - إن صحّ التعبير - عبارة عن طبعات مزيدة لجامع أوّليّ (لعلّه كتاب القراءات الصادر عن مشروع المصاحف الثاني)، إذ المتأخّر منها يحايد المتقدّم منها وهكذا دواليك؛ فما كاد الطبريّ يعزّز من مكانةِ جامِعِهِ على أنّه الطبعةُ المستوعبة في عَصْرِهِ لِمَا تقدّمها[1]، إذ جامِعُهُ المَزِيدُ يحوي (٢٢) قراءةً على قول مكّيّ القيسيّ، بالمقارنة مع كتاب أبي عبيد الحاوي (١٨) قراءةً، وكتاب القاضي الحاوي (٢٠) قراءةً، كما سيأتي الكلام على ذلك بعد قليل، إذ ظهرت خلال مدّة قصيرة بدائل عنه مزيدة؛ فها هو قرينه الداجونيّ الكبير (ت: ٣٤٢هـ) وضع جامعاً في القراءات، ثمّ تلاه ابنُ مجاهد (ت: ٣٢٤هـ)، من تلاميذ الطبريّ، بتأليفه الواسع الذي عُرف بكتاب القراءات الكبير. بحقّ هذا العمل الضخم «قال أبو بكر بن

(١) يُقابَل الأرجوزة المنبّهة (١٥٥) البيت (٤٠٤):

«أَرْبَى عَلَى كُلِّ المُصَنَّفاتِ الجَامِعَاتِ المُتَقَدِّمَاتِ»

أَشْتَةَ في كتاب المحبَّر له: إنّ شيخَه الإمامَ أبا بكر بن مجاهد صنّف بعد كتابِ السبعةِ الكتابَ الكبيرَ الذي ذكر فيه أكثرَ من سبعةٍ وسبعين مِنْ بينِ صحابيٍّ وتابعيٍّ وإمامٍ متقدّمٍ ومتأخّرٍ، بَيَّنَ منازِلَهم من علم القرآنِ وذكرَ مذاهبَهم في القراءات وأَتِمَامِ الناسِ بِهِمْ في الأيّامِ القديمةِ والرواية عنهم»[1].

واضح أنّه لا مجال لجامع الطبريّ أن يزاحم جامع ابن مجاهد، شيخ الصنعة، بل الأخير استوعبه واستوعب غيره ممّا تقدّمه ابتداءً بكتاب القراءات الصادر عن أعمال مشروع المصاحف الثاني.

لا حاجة لمزيد من توضيح هذه المسألة التي طرحتها، لكن يجب أن أتمّم القول: إنّ هذه السلسلة، سلسلة الجوامع لم تتوقّف عند جامع ابن مجاهد، بل استمرّ مِنْ بَعدِهِ ظهورُ كتب جوامع (طبعات مُحْتَلَنَات) بتصاعدٍ ملحوظ في أحجامها، نحو الجامع الأكبر[2] للأهوازيّ (ت: ٤٤٦هـ)، شيخ القرّاء في عصره، ثمّ موسوعة الهذلّي (ت: ٤٦٥هـ)، أحد تلاميذ الأهوازيّ، في القراءات الموسومة بكتاب الكامل في القراءات الخمسين (ط)، جمع فيه خمسين قراءة عن أئمّة الأمصار الخمسة، وألفاً وأربعمائة وتسعاً وخمسين روايةً وطريقاً، ثم جامع أبي معشر الطبريّ (ت: ٤٧٨هـ) المعروف بسوق العروس (خ)، فيه ألفٌ وخمسمائة وخمسون روايةً وطريقاً[3]، ثمّ الجامع الأكبر والبحر الأزخر لأبي القاسم عيسى بن عبد العزيز بن عيسى الإسكندريّ المالكيّ (ت: ٦٢٩هـ)، يحتوي على سبعةِ آلافِ روايةٍ وطريقٍ، كما قال ابن الجزريّ (ت: ٨٣٣هـ) الذي لا يعلم أحداً جَمَعَ أكثرَ منه[4].

---

(١) نقلًا عن المنتوريّ: شرح الدرر اللوامع (٨٦٥/٢).

(٢) كشف الظنون (١٣١٩/٢) (حرف الجيم) «الجامع الأكبر للأهوازيّ». يُراجَع الأهوازيُّ وجهودُه في علوم القراءات (١٢٠) «الجامع الأكبر»، (١٢٠) «جامع المشهور والشاذّ»، (١٣٠ - ١٤٠) (١٢) «مفردات القرّاء».

(٣) النشر (٣٥/١). يُراجَع كتاب الكامل (٥٣/١) مقدّمة التحقيق.

(٤) النشر (٣٥/١). يُراجَع كتاب الكامل (٥٣/١) مقدّمة التحقيق. أمّا ما تكلّم به الذهبي على هذا الكتاب وصاحبه، فيُراجَع في ترجمته له في تاريخ الإسلام (ط٣٦٥/٦٣ - ٣٦٩) (٥٣٨).

المطلب الثالث: مبنى كتاب الجامع:

إنّ أوّلَ مَنْ وصف فحوى جامع الطبريّ على حدّ علمي القاصر هو أبو عليّ الأهوازيّ الذي رآه واطّلع عليه وطالعه، كما أسلفت الإشارة إلى ذلك، إذ اعتمده من مصادره المدوّنة، فوصف مضمونه في أدقّ عبارة وأوجزِ لفظٍ، إذ قال: «له في القراءاتِ كتابٌ جليلٌ كبيرٌ، رأيتُه في ثماني عشرة مجلّدةً، إلّا أنّه كان بخطوطٍ كبار، ذَكَرَ فيه جميعَ القراءاتِ من المشهورِ والشَّوَاذِّ وعَلَّلَ ذلك وشَرَحَهُ، فاختار منها قراءةً، لَمْ يَخْرُجْ بها عنِ المشهور»[1].

ولا أعلم أحداً وَصَفَهُ بعد الأهوازيّ على حدّ علمي العاجز إلّا ياقوت الحمويّ (ت: ٦٢٦هـ) الذي اطّلع عليه ورسم صورة تفصيليّة دقيقة عن فحوى جامع الطبريّ ومبناه، فقال: «من كُتُبِه كتابُ الفَصْلِ بين القَرَأَة، ذَكَرَ فيه اختلافَ القُرّاء في حروفِ القرآنِ - وهو من جيّدِ الكتبِ - وفَصَّلَ أسماءَ القرّاء بالمدينة ومكّة والكوفة والبصرة والشام وغيرها. وفيه من الفَصْلِ بين كلِّ قراءةٍ، فيذكر وَجْهَها وتأويلَها والدلالةَ على ما ذَهَبَ إليه كلُّ قارئٍ لها واختيارَه الصوابَ منها والبرهانَ على صحّةِ ما اختاره مُسْتَظْهِراً في ذلك بقوّته في التفسيرِ والإعرابِ الذي لم يشتمل على حفظِ مثلِه أحدٌ من القرّاءِ وإن كان لهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ من الفَضْلِ والسَّبْقِ ما لا يَدْفَعُ ذو بصيرةٍ بعد أن صَدَّرَهُ بخُطْبَةٍ تَلِيقُ به. وكذلك كان يعمل في كُتُبِهِ أن يأتيَ بخُطْبَتِهِ على معنى كتابه، فيأتي الكتابُ منظوماً على ما تَقْتَضِيهِ الخطبةُ»[2].

تشير المصادرُ إلى أنّ كتابه في القراءات حوى اثنتين وعشرين قراءة، من ذلك ما قاله مكّيّ القيسيّ (ت: ٤٣٧هـ) في كتاب الإبانة: «كذلك زاد الطبريُّ في كتاب القراءات له على هؤلاء السبعةِ خمسةَ عشرَ رجلاً. وكذلك فعل أبو عُبيدٍ وإسماعيلُ القاضي»[3].

---

(١) يُنظَر هنا الملحق.

(٢) معجم الأدباء (٦/٢٤٥٤).

(٣) كتاب الإبانة عن معاني القراءات (٢٧).

يُفهَم من كلامه أنّ لكلّ واحدٍ من هؤلاء العلماء الثلاثة: أبي عبيدٍ وإسماعيل بن إسحاق القاضي (ت: ٢٨٢هـ) والطبريّ (ت: ٣١٠هـ)، مؤلَّفاً في القراءات، قد شمل قراءة اثنين وعشرين قارئاً، منهم السبعة الذين وقع اختيارُ ابنِ مجاهدٍ (ت: ٣٢٤هـ) عليهم في إطار عمليّة تقنين القراءات، كما في كتاب «السبعة في القراءات» له.

ما قاله مكّيّ القيسيّ بحقّ هؤلاء العلماء الثلاثة وكتبهم في القراءات يصبُّ في حركة تأليف الكتب الجوامع وهو القاسم المشترك بينها. لذلك ذكرها جميعاً في موضع واحد وسياق واحد. أمّا عدد القراءات المجموعة في جامع الطبريّ حسب مكّيّ القيسيّ، وسحبه ذلك على الكتابَيْنِ الآخَرَيْنِ، فليس من الضروريّ حمله على ظاهره، بل الأَوْلَى فهمه على أنّه مؤشِّر قويّ لتصاعد حركة التأليف في الكتب الجوامع؛ فها هو يذكر كتاب القراءات للطبريّ مرّة أخرى (ناقلاً منه بعض النقول) مع عبارة تقريبيّة: «وقد ألّف هو كتابه في القراءات، فذكر فيه اختلافَ نحوِ عشرين من الأئمّة من الصحابة والتابعين ومَن دونهم»[١]. من جهته ذكر أبو عُبيدٍ بدايةً أنّ عدد الأئمّة المختارين عنده خمسة عشر قارئاً مع السبعة، كما نصّ على ذلك في ديباجة كتاب القراءات له - وكذلك نصّ عليه ابن حجر العسقلانيّ (ت: ٨٥٢هـ)[٢]، ثمّ زادهم بُعيد ذلك اثنين ضمن مجموعة أهل الكوفة، هما حمزة الزيّات والكسائيّ[٣]، فأصبح عددهم (١٧) قارئاً، ثمّ زاد إماماً آخر في مجموعة البصريّين، هو عاصم الجحدريّ، فأصبحوا (١٨) قارئاً. كذلك أوصاف ابن الجزريّ غير المتباينة لِما قاله مكّيّ القيسيّ تعضد هذه النظرة؛ فقال ابن الجزريّ بحقّ أبي عبيد وكتابه: «كان أوّلَ إمامٍ معتبرٍ جَمَعَ [٣٤] القراءاتِ في كتابٍ أبو عُبَيْدٍ القاسمُ بنُ سَلَّامٍ. وجعلهم فيما

(١) كتاب الإبانة عن معاني القراءات (٤٠).

(٢) قال في فتح الباري (٣١/٩): «اقتصر أبو عبيدٍ [في المطبوع (عبيدة)] في كتابه على خمسَةَ عشَر رجلًا، مِنْ كلِّ مِصر ثلاثةُ أَنْفُسٍ»، فذكرهم.

(٣) فاتتْ هذه الزيادةَ ابنُ حجر العسقلانّي (ت: ٨٥٢هـ)، فقال معذوراً في فتح الباري (٣١/٩): «ولم يَذْكُرْ في الكوفيِّين حمزةَ ولا الكسائيَّ».

أحسبُ خمسةً وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة»[1]. أمّا القاضي فقال ابن الجزريّ بحقّ كتابه: «ألّف كتاباً في القراءات، جمع فيه قراءة عشرين إماماً، منهم هؤلاء السبعة»[2]. أمّا الطبريّ، فعلى قول ابن الجزريّ أيضاً قد «جمع كتاباً حافلًا، سمّاه الجامع، فيه نيفٌ وعشرونَ قراءةً»[3]؛ فالتباين بينهما عن الأخيرين ليس بكبير، لكن اللافت للنظر أنّ ابن الجزريّ لم يذكر عبارته «فيما أحسبه» بحقّ الأخيرين بخلاف الأوّل المطابق لكلام مكّيّ القيسيّ.

رغم ذلك كلّه لا يمكن تجاهل أوجه التشابه بين هذه الكتب الثلاثة، سواء في المبنى أم في المنهج والفحوى؛ فها هي خطوة تقنين القراءات الأولى التي قام بها أبو عبيد والممثَّلة بحصر الأئمّة القرّاء على الأمصار الخمسة (فكرة تخميس الأمصار) وبتمثيلِ كلِّ مصرٍ بإمام صار أهله إلى قراءته باستثناء الكوفة مثّلها بأربعة أئمّة (فكرة تثمين القراءات) قد حظيت بالقبول عند مَن صنّف في القراءات من العلماء من بعده إلى عصر الطبريّ (ت: ٣١٠هـ)، فتولّد عنها دائرة التقاطع التي تحدّث عنها مكّيّ القيسيّ الممثَّلة بالأئمّة السبعة المعروفين، وكانت الأساس الذي تَمّ اعتماده وإقراره في مرحلة التسبيع مع بعض التعديلات فيما يخصّ أهل الكوفة من أجل موازنتهم مع أهل البصرة. قال مكّيّ القيسيّ (ت: ٤٣٧هـ): «وكان الناسُ على رأس المائتَيْنِ بالبصرة على قراءة أبي عمرٍو ويعقوبَ، وبالكوفة على قراءةِ حمزةَ وعاصمٍ، وبالشام على قراءةِ ابنِ عامرٍ، وبمكّة على قراءةِ ابنِ كثيرٍ، وبالمدينة على قراءةِ نافعٍ. واستمرُّوا على ذلك؛ فلَمّا كان على رأس الثلاثمائة، أثبت ابنُ مجاهد اسمَ الكسائيّ وحَذَفَ يعقوبَ»[4].

---

(١) النشر في القراءات العشر (١/٣٣ - ٣٤).

(٢) النشر في القراءات العشر (١/٣٤).

(٣) النشر في القراءات العشر (١/٣٤).

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٩/٣١) (٦٦) كتاب فضائل القرآن. يُقابَل كتاب الإبانة عن معاني القراءات (٢٨).

بناءً عليه يكون القرن الثالث الهجريّ قد عرف منظومة سُبَاعِيّة في القراءات، وبقيت سباعيّةً مع ما أجراه ابن مجاهد من تعديل أوائل القرن الرابع الهجريّ. وفقاً لهذه المعطيات ليس ابنُ مجاهد بمسبّع للقراءات في الحقيقة، بل هو مقرّ لمنظومتها المتعارف عليها عصرئذٍ مع تعديل واحد من باب الإبدال، لا الزيادة أو النقصان فيها.

لذا أرى أنّ علماء القراءات في القرن الثالث الهجريّ قد اعتمدوا نهج أبي عبيد لبنةً لِمَا آل إلى تسبيعها وأقرّوه مع تعديلٍ يوازن أهلَ الكوفةِ مع أهل البصرة، فأُسْقِطَ من مجموعة أبي عبيد الرباعيّة بحقّ أهل الكوفة [يحيى وعاصم والأعمش وحمزة] اثنان، هما يحيى والأعمش، وأضيف يعقوب الحضرميّ إلى جانب أبي عمرو لصالح أهل البصرة من باب الموازنة؛ فأصبحت بذلك سُبَاعيّة.

كما يبدو أنّ هذا التعديل الذي حظي بقبول جمهور علماء القراءات طوال القرن الثالث الهجريّ قد تعرّض من بداية القرن الثالث وعلى مرّ عقوده إلى تجاذباتٍ وردودِ فعلٍ متفاوتةٍ من قبل البعض؛ فها هو مكّيّ القيسيّ مرّة أخرى يتحدّث عن إلحاق الكسائيّ بهم على حساب يعقوب الحضرميّ في خلافة المأمون (حكم ١٩٨ - ٢١٨هـ). قال: «والكسائيُّ أُلْحِقَ بالسبعة بالأمسِ في أيّامِ المأمون، وغيرُه كان السابع، وهو يعقوب الحضرميّ»[1]؛ فهذه المحاولة تولّـد عنها تسبيع للقراءات منذ بداية القرن الثالث قبل تسبيع ابن مجاهد بداية القرن الرابع، كلاهما سيّان بالعدد والأشخاص؛ وهو كتاب مصنَّفٌ في قراءات السبعة قبل كتاب السبعة لابن مجاهد بقرن من الزمان، يرجّح على هذا النحو كفّة الكوفيّين، بل الأصحّ يخفّف من كِفَّة البصريّين، ممّا جلب ردّة فعل قويّة من قبلهم على ذلك ممثّلة بأبي حاتم السِّجِسْتَانيّ (ت: ٢٤٨هـ)، إمام البصرة في النحو والقراءة واللغة والعروض، وكان إمام جامع

(١) كتاب الإبانة عن معاني القراءات (٢٨). كذلك كتاب المرشد الوجيز (١٥٢ - ١٥٣) نقلًا عنه.

البصرة؛ ففي جامعه[1] الذي كان يفخر به أهلُ البصرة[2] «ذكر أبو حاتم زيادةً على عشرين رجلاً ولم يذكر فيهم ابن عامر ولا حمزة ولا الكسائيّ»[3]، وفيه طَعَنَ على حمزة الزيّات لأجل قراءته أحرفاً تَضْعُفُ في القياس[4]. لقد عُرف بشدّة تعصُّبه على الكوفيّين وادّعائه عليهم الأباطيل، كما قال ابن الأنباريّ (ت: ٣٢٨هـ)[5]. «وقال أبو الطيّب اللغويّ في كتاب (مراتب النحويّين) عن أبي حاتم، قال: لم يكن لجميع الكوفيّين عالِمٌ بالقرآن ولا كلام العرب. ولولا أنّ الكسائيّ دنا من الخلفاء، فرفعوا ذِكْرَه، لم يكن شيئاً. وعِلْمُه مختلطٌ بلا حُجَجٍ ولا عِلَلٍ إلّا حكايات الأعرابِ مطروحة، لأنّه كان يلقّنُهم ما يُرِيدُ؛ وهو على ذلك أعلمُ الكوفيّين بالعربيّة والقرآنِ وهو قدوتُهم وإليه يَرْجِعُونَ»[6].

لا شكّ أنّ زيادته شملت جماعةً من القُرّاء، ومن المؤكّد أنّ يعقوب الحضرميَّ على رأسهم، فهو من جلّة أصحابه[7]. ولعلّ تَرْكَه ابنَ عامرٍ هو من باب الإشارة أنّ أهل الكوفة ليسوا الوحيدين المقصودين بهذا الترك دون غيرهم.

---

(١) تهذيب اللغة (٢٠/١) «له مؤلَّفات حسان وكتابٌ في قراءات القرآن جامعٌ». نظم أبو عمرو الدانيُّ بيتين في الأرجوزة المنبّهة (١٥١) البيتان (٣٨٢ - ٣٨٣)، ذكر فيهما أنّه صنّف الحروفَ والمقارئَ غير مصحوبة بالآثار مع اهتمام بالتعليل دون إسهاب ولا تطويل.

(٢) إنباه الرواة على أنباهِ النحاة (٦٣/٢) «كتابه في القراءات ممّا يفخر به أهل البصرة؛ فإنّه أجلُّ كتاب صُنّف في هذا النوع إلى زمانه»، معجم الأدباء (١٤٠٦/٣) «كان يقال: لأهل البصرة ثلاثة كتب يفتخرون بها على أهل الأرض: كتاب النحو لسيبويه، وكتاب الحيوان للجاحظ، وكتاب أبي حاتم في القراءات»، كتاب نور القبس (٢٢٥ - ٢٢٦) «قال إبراهيم بن أحمد الغِفاريّ القاضي عن أبيه: لأهل البصرة أربعة كتب يفتخرون بها على أهل الأرض: العينُ للخليل، والنحو لسيبويه، والحيوان للجاحظ، والقراءات لأبي حاتم»، معرفة القرّاء الكبار (٤٣٥/١) «كان يُقال: أهل البصرة يفخرون على أهل الدنيا بكتاب سيبويه، وكتاب الحيوان للجاحظ، وكتاب القراءات لأبي حاتم».

(٣) كتاب الإبانة عن معاني القراءات (٢٦)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٣١/٩) اللفظ للأخير.

(٤) كما قاله أبو عمرو الدانّي (ت: ٤٤٤هـ) منظوماً في الأرجوزة المنبّهة (١٥١) البيت (٣٨٤ - ٣٨٥) وعدّ طعنه عليه معصية عند الخالق ثمّ ردّ عليه البيت (٣٨٦ - ٣٨٧).

(٥) المذكّر والمؤنّث (١٥٠/١).

(٦) معجم الأدباء (١٧٤٦/٤ - ١٧٤٧).

(٧) غاية النهاية (٣٢٠/١) (س٨).

هنا بالإمكان إدخال أحمد بن جبير الكوفيّ (ت: ٢٥٨هـ)، نزيل أنطاكية، وسيطاً على خطّ المنافسة والمفاضلة بين الكوفيّين والبصريّين، فيحاول من جهته أن يحزم هذا الأمر بين الطرفين بفكرة حياديّة، فألّف كتاباً في القراءات، سمّاه كتاب الخمسة، فاقتصر على الأمصار الخمسة، فاختار من كلّ مصر إماماً. بذلك تكون جميع الأمصار الخمسة متعادلة في التمثيل، متساوية في العدد.

ثمّة مَنْ ذهب باتّجاهٍ آخَرَ، يفضي أيضاً إلى نوع من الموازنة بين الكوفيّين والبصريّين، فألّف كتاباً سمّاه كتاب الثمانية، زاد على الأئمّةِ السبعةِ يعقوبَ الحضرميَّ[١]. «وإنّما أُلْحِقَ يعقوبُ بهؤلاء السبعة أخيراً لكَثْرَة روايتِهِ وحسنِ اختيارِه ودرايتِهِ»[٢].

أمّا ابن مجاهد فالْحَقُّ أنّه لم يُثبِتِ الكسائيَّ مكان يعقوبَ بقدرِ أنّه قد رجع إلى خطّة أبي عبيد وتبنّاها، غير أنّه قدّم الكسائيّ على يحيى والأعمش المذكورين في مجموعة أبي عبيد الرباعيّة إماماً مع السبعة. ولا يخلو هذا التقديم من موجباتٍ جديرةٍ وحقيقةٍ مُجْمَعٍ عليها، كوُرودِ الكسائيِّ ضمن دائرة التقاطع الآنف ذكرها، لكن من المحتمل أنّ ابن مجاهد أراد ضمّ بغداد حاضرة العالم الإسلاميّ بشكل غير مباشر إلى دائرة الأمصار الخمسة دون أدنى تغيير في فكرة تخميس الأمصار التي رَسَمَهَا أبو عبيد في كتاب القراءات له، وذلك أنّ الكسائيَّ - وإن كان بحقٍّ يُحسَبُ على الكوفيّين ويُعَدُّ فيهم، إذ كان أخذ القراءة عرضاً عن حمزة الزيّات (٨٠ - ١٥٦هـ) أربع مرّات وعليه اعتماده وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة - لم يُقِمْ بالكوفة، إذ كان كثير الترحال[٣]، فخرج على سبيل المثال إلى البصرة وإلى وادي الحجاز وتهامة ونَجْد، ثمّ استقرّ به المطاف ببغداد، فاستوطنها[٤]، وفيها عُرِف اختياره في القراءة واشتُهر.

---

(١) كتاب الإبانة عن معاني القراءات (٦٦). كذلك كتاب المرشد الوجيز (١٥٩) نقلًا عنه.

(٢) كتاب المرشد الوجيز (١٥٤).

(٣) كتاب السبعة (٧٨) نقلًا عن خلف القارئ (ت: ٤٢٩هـ) «لم يُقِمْ بالكوفة. كان يتنقّل في البلاد».

(٤) معجم الأدباء (١٧٣٨/٤) «هو من أهل الكوفة. استوطن بغداد».

قال ابن الجزريّ وهو يتحدّث عن ترجيح احتمالِ دخولِه دمشق أيضاً: «لا يمنع دخول الكسائيّ دمشق، فإنّه كان أوّلاً يطوف البلاد، كما ذكر غيرُ واحدٍ. وإنّما أقام ببغداد في آخرِ وَقْتٍ»[1]. لقد كان أحضره الخليفة العبّاسي هارون الرشيد سنة (١٨٢هـ)[2] ولازمه إلى أن مات بالريّ في صحبة الرشيد سنة (١٨٩هـ) على أرجح الأقوال. وكان أقرأ بقراءة حمزة ببغداد، ثمّ ترك كثيراً من قراءته، وذلك بعد واقعة جرت معه، ضُرب فيها بالنعال والأيدي وغير ذلك، لأنّه صلّى بعض الصلوات وقت حجّه مع الرشيد، فقرأ قوله: ﴿ضِعْفاً﴾ [النساء: ٩] بالإمالة[3]. لعلّ ذلك سنة (١٨٦هـ) حين حجّ هارون الرشيد (١٤٩ - ١٩٣هـ) بولدَيْهِ الأمين والمأمون[4]. ثمّ اختار لنفسه قراءةً، فأقرأ بها الناسَ في خلافة هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٢هـ)[5]، فأُخِذَتْ عنه واتُّبِعَ فيها. هذا يعني أنّ اختياره في القراءة - أيْ قراءته - لم يُعرَف بين الناس ببغداد إلّا إلى آخر وقتٍ من حياته، إذ كان يُوضَع له منبرٌ، إذا كان شعبانُ، يقرأ على الناس في كلِّ يومٍ نصف سبعٍ، يختم ختمتين فيه[6]. لذا يمكن في نظر ابن مجاهد البغداديّ أنْ يُعَدَّ في البغداديّين، من أهل بغداد، مدينة السلام، وذلك للافتخار به[7] وللاعتزاز بإمامته في القراءة، ولاسيما أنّ المعروفين من رُواته الذين يُؤخذ بروايتهم عنه هم بغداديّون، أمثال أبي عمر الدُّورِيِّ (ت: ٢٤٦هـ)، نسبة إلى الدُّور، موضع ببغداد ومحلّة بالجانب الشرقيّ، وأبي المنذر نُصير بن يوسف الرازيّ ثمّ البغداديّ (ت حوالي ٢٤٠هـ)، وأبي الحارث الليث بن خالد البغداديّ (ت: ٢٤٠هـ).

(١) غاية النهاية (٥٣٧/١) (س٢١ - ٢٢).
(٢) معجم الأدباء (١٧٤٠/٤).
(٣) معجم الأدباء (١٧٤٠/٤ - ١٧٤١).
(٤) سير أعلام النبلاء (٢٩٣/٩) ترجمة هارون الرشيد.
(٥) الفهرست (٤٨).
(٦) غاية النهاية (٥٣٨/١) (١٨ - ١٩). كذلك كتاب السبعة (٧٨) «وهو يقرأ على الناس القرآنَ مرّتين».
(٧) نظير ذلك اعتبار الطبريّ كوفيّاً في نظر ثعلب (٢٠٠ - ٢٩١هـ)، أحد شيوخ الطبريّ من أهل الكوفة، حينما سأل ابنَ مجاهد عمّن بقي عندهم من النحاة، فأجابه: ما بقي أحد، مات الشيوخ. ثمّ استثنى الطبريَّ الفقيهَ؛ فقال ثعلب: «ذاك مِنْ حُذَّاقِ الكوفيّين». معجم الأدباء (٢٤٥١/٦ - ٢٤٥٢)، وذلك لِمَا لهم عليه من فضل كبير في مسيرته العلميّة.

ومن لطائف النوادر أنّ أبا الحارث هذا قد أَخَذَ القراءةَ عرضاً عنه محمّدُ بنُ يحيى البغداديّ (ت: ٢٧٤/٢٨٠/٢٨٨هـ)، يُعرَف عندهم بالكسائيّ الصغير تمييزاً عن الكسائيّ الكبير (ت: ١٨٩هـ)، صاحب القراءة، وهو أجلّ أصحاب أبي الحارث. وهذا إنْ دلّ على شيء، فإنّه يدلّ قطعاً على حظوة الكسائيّ الكبير، صاحب الاختيار، ورفعة إمامته وعلوّ مقامه عند البغداديّين؛ فمجرّد التسمّي به عندهم يرمز إلى تقديرهم الشديد وتعظيمهم البليغ له لما ترك بين ظَهْرَانَيْهِمْ من أَثَارَةٍ من علم القراءات. يعضد ذلك أنّ ابن مجاهد بالذات كان يميل إلى ذلك بقوة، فيطلق الاسمَ (الكسائيّ) لا على نجباء تلامذته فحسب، بل يكفي أن يكون الشخصُ قرأ عليه، كأنّ الكلَّ في نظره خرّيجو مدرسة الكسائيّ الكبير وممثّلوها. خير مثال على ذلك ما قاله أبو بكر أحمد بن كامل (٢٦٠ - ٣٥٠هـ): «وكان يُسَمِّينِي في بَعْضِ الأَوْقَاتِ لقِرَاءَتِي عليه الكسائيَّ؛ فقال لي: كسائيّ! فِيمَ أَنْتُمْ؟ فَعَرَّفْتُهُ»[١]؛ فلا عَجَبَ أن عدّه ابن النديم في الكوفيّين، فقال: «من القرّاء السبعة من أهل الكوفة»[٢]، وعدّه أيضاً في البغداديّين، فقال: «وكان الكسائيُّ من قُرّاءِ مدينة السلام»[٣].

إنّ هذا التبنِّي لخطّة أبي عبيد يقوّيه مقابلةُ أقوالِ ابنِ مجاهد بحقّ الأئمّة القرّاء في كتاب السبعة في القراءات له مع تلك لأبي عبيد التي قالها في ديباجته في كتاب القراءات؛ فهي هي.

قال أبو عبيد: «ثمّ ثلّثهما نافعُ بنُ أبي نُعيم وإليه صارت قراءةُ أهل المدينة وبها تمسّكوا إلى اليوم»؛ بالمقابل قال ابن مجاهد: «كان الإمامَ الذي قام بالقراءة بمدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد التابعين أبو عبد الرحمن نافعُ بنُ عبد الرحمن بن أبي نُعيم»[٤].

(١) معجم الأدباء (٢٤٤٨/٦).
(٢) الفهرست (٤٨).
(٣) الفهرست (٤٨).
(٤) كتاب السبعة (٥٣).

كلاهما بدأ بأهل المدينة. ثمّ أكّد الأخير استمرار ذلك إلى عصره. «قال أبو بكر [= ابن مجاهد]: وعلى قراءةِ نافعٍ أهلُ المدينة إلى اليوم»(١).

ثمّ قال أبو عبيد: «فكان أقدم هؤلاء الثلاثة ابن كثير. وإليه صارت قراءةُ أهل مكّة، وأكثرهم به اقتدوا فيها»؛ بالمقابل. قال ابن مجاهد: «كان الإمام الذي انتهت إليه القراءة بمكّة وأُتَمَّ به أهلُها في عصره عبد الله بن كثير»(٢). ثمّ وكّد دوام ذلك إلى عهده: «والذي أَجْمَعَ أهلُ مكّة على قراءته إلى اليوم ابنُ كثير»(٣).

ثمّ تحدّث أبو عبيد عن أهل الكوفة بأنّ معظمَهم يتّبعون قراءةَ حمزةَ، وبَعْضَهم يتّبع قراءة عاصم: «ثمّ تَلَاهُمْ حمزةُ بنُ حبيب الزَّيَّاتُ رابعاً؛ وهو الذي صار عظمُ أهلِ الكوفةِ إلى قراءته من غير أن يُطْبِقَ عليه جَمَاعَتُهُمْ. وكان مِمَّنِ اتَّبَعَ حمزةَ في قراءته سُلَيْمُ بنُ عيسى ومَنْ وَافَقَهُ. وكان مِمَّنْ فَارَقَهُ أبو بكر بنُ عَيَّاشٍ ومَنْ وَافَقَهُ». بالمقابل قال ابن مجاهد كلاماً مطابقاً لكلام أبي عبيد مع شرح الظرفيّة التي آلت إلى إمامة القراءة في الكوفة، كما يلي: «إلى عاصم صار بعضُ أهل الكوفة، وليستْ بالغالبةِ عليهم؛ لأنّ أَضْبَطَ مَنْ أخذ عن عاصم أبو بكر بنُ عيّاشٍ فيما يقال، لأنّه تعلّمها منه تعلُّماً: خَمْساً خَمْساً. وكان أهلُ الكوفةِ لا يَأْتَمُّونَ في قراءة عاصم بأحدٍ مِمَّنْ يثبتونه في القراءةِ عليه إلّا بأبي بكر بنِ عيّاشٍ. وكان [أبو بكر] لا يكادُ يمكّن مِنْ نَفْسِهِ مَنْ أرادها منه، فقَلَّتْ بالكوفةِ من أجل ذلك، وعَزَّ مَنْ يُحْسِنُها، وصار الغالبُ على أهل الكوفة إلى اليوم قراءةَ حمزةَ بنِ حَبِيبٍ الزيّاتِ»(٤).

أمّا الكسائيّ، فكما تركه أبو عبيد دون تقييد بقوله: «وأمّا الكسائيّ، فإنّه كان يتخيّر القراءات، فأَخَذَ مِنْ قراءةِ حمزةَ ببَعْضٍ وتَرَكَ بَعْضاً»، تركه ابن مجاهد كذلك بقوله: «قد قرأ على حمزة [...] واختار من قراءة حمزة وقراءةِ غيرِه قراءةً متوسّطةً غير

(١) كتاب السبعة (٦٣).
(٢) كتاب السبعة (٦٤).
(٣) كتاب السبعة (٦٥).
(٤) كتاب السبعة (٧٥).

خارجةٍ عن آثارِ مَنْ تقدّم من الأئمّة. وكان إمامَ الناسِ في القراءةِ في عصره. وكان يأخذُ الناسُ عنه ألفاظَه بقراءته عليهم»[١]. يُلاحَظ استعمالهُ لفظ (الناس) العامّ ولفظ (العصر) دون تحديد مكان؛ فكلاهما لم يَقُلْ قاصداً: إنّ أهل مصر كذا صاروا إلى قراءته بخلاف الأمر مع الأئمّة الآخرين. بالطبع تكشف مقابلة الروايات أنّ أخذ الناس عنه في هذا السياق كان في بغداد، نحو رواية خلف القارئ: «كنتُ أحضرُ بين يَدَي الكسائيِّ وهو يقرأ على الناسِ وينقطون مصاحفهم بقراءته عليهم»[٢].

ثمّ تحدّث أبو عبيد عن أهل البصرة، فقال: «والذي صار إليه أهلُ البصرة، فاتّخذوه إماماً أبو عمرو بن العلاء». بالمقابل قال ابن مجاهد: «وإلى قراءته صار أهلُ البصرة أو أكثرُهم»[٣]، فعبارته الأخيرة: «أو أكثرُهم» تُظْهِرُ تطوُّراً حاصلًا بعد أبي عمرٍو بظهور يعقوب الحضرميّ على الساحة البصريّة[٤].

كذلك الأمر إلى آخرهم عندهما، وهو ابن عامر. قال أبو عبيد: «فكان أقدم هؤلاء الثلاثة عبد الله بن عامر؛ وهو إمام أهل دمشق في دهره وإليه صارت قراءتهم [...]، فهؤلاء قرّاء الأمصار الذين كانوا بعد التابعين». بالمقابل قال ابن مجاهد: «أمّا أهل الشام، فيسندون قراءتهم إلى عبد الله بن عامر اليحصبيّ [...]، وعلى قراءة ابن عامر أهلُ الشام وبلاد الجزيرة إلّا نفراً من أهل مصر، فإنّهم ينتحلون قراءة نافعٍ، والغالبُ على أهل الشام قراءةُ أهلِ الشام[٥]، فهؤلاء سبعة نفر من أهل الحجاز والعراق والشام، خَلَفُوا في القراءة التابعين وأجمعت على قراءتهم العوامُّ من أهل كلِّ مصرٍ من هذه الأمصار»[٦].

---

(١) كتاب السبعة (٧٨).

(٢) كتاب السبعة (٧٨).

(٣) كتاب السبعة (٨٤).

(٤) يُقابَل كتاب الإيضاح (٩١أ)، قراءات القُرَّاء المعروفين (١٣٥)، غاية النهاية (٣٨٧/٢) (س١٧ - ١٩) و(٣٨٨/٢) (س٦ - ٨).

(٥) يعني في عصره، عصر ابن مجاهد.

(٦) كتاب السبعة (٨٥ - ٨٧).

فالحاصل أنّ عَمَلَ أبي عبيد في تخميس الأمصار واختيار الأئمّة القرّاء (تثمين القراءات) هو ما أخذ به ابنُ مجاهدٍ توكيداً وإقراراً له. لقد ساعده بقوّة في هذا الاعتماد والإقرار أنّه وجد شَيْخَه الطبريَّ (البغداديَّ)، عَلَمَ زمانه المقرئ المحدّث الفقيه المؤرّخ، قد أخذ بصنيع أبي عبيد وتبنّاه؛ فقد كان ابن مجاهد مطّلعاً على كتابيهما في القراءات. أمّا (كتاب القراءات) لأبي عُبيد، فكانت بحوزة ابن مجاهد نسخة منه، وكذلك نسخة من (كتاب المعاني) له أيضاً، نقل منهما، وذلك من باب إجراء المقابلات بين موادّهما حالة الاختلاف. من الشواهد على ذلك ما نقله عنهما في كتاب السبعة: «رَوَى أبو عُبيدٍ، عن الكسائيّ، عن أبي بكر، عن عاصم في كتاب القراءات «لُدُنى» [الكهف: ٧٦] بضمّ اللام وتسكين الدال؛ وهو غلط. وقال في كتاب المعاني الذي عمله إلى سورة طه عن الكسائيّ عن أبي بكر عن عاصم «لَدُنِي» مفتوحة اللام، ساكنة الدال. وقال: حفصٌ عن عاصم ﴿لَّدُنِّي﴾ مثل أبي عمرٍو وحمزة»(١).

أمّا الطبريّ فكان ابنُ مجاهد يُثْنِي عليه ويمدحه ويفضّل كتابه في القراءات على غيره، كما «قال أبو بكر بن كامل: قال لنا أبو بكر بن مجاهد وقد كان لا يَجْرِي ذِكْرُهُ إلّا فَضَّلَهُ: ما صُنّف في مَعْنَى كتابِه مثلُه. وقال لنا: ما سمعتُ في المحرابِ أقرأَ من أبي جعفرٍ - أو كلاماً هذا معناه»(٢). وقد طالع كتابَه هذا مطالعةً تامّةً، ممّا مكّنه من الوقوفِ على ما فيه من غلطٍ قد التمس له فيه عذراً، كما «قال ابن كامل: قال لنا أبو بكر بن مجاهد وقد ذَكَرَ فَضْلَ كتابِهِ في القراءات وقال: إلّا أنّي وَجَدْتُ فيه غلطاً. وذكره لي وعجبتُ من ذلك مع قراءته لحمزة وتجويده له، ثمّ قال: والعلّة في ذلك أبو عبيد القاسمُ بنُ سلّام، لأنّه بَنَى كتابَه على كتابِ أبي عُبيد؛ فأغفل أبو عُبيد هذا الحرفَ، فنقله أبو جعفرٍ على ذلك»(٣).

(١) كتاب السبعة (٣٩٦) (٢٧). يُقابَل جامع البيان (٦٠٥).
(٢) معجم الأدباء (٦/٢٤٥٥).
(٣) معجم الأدباء (٦/٢٤٥٥).

تؤكّد هذه الرواية أموراً كالتالي:

أوّلاً: بناءُ الطبريّ كتابَه في القراءات على كتاب أبي عُبيد في القراءات، كما يُقَوِّيه ما قاله ياقوت الحمويّ (ت: ٦٢٦هـ): «كتابُه في القراءات يشتمل على كتاب أبي عبيد القاسم بن سلّام؛ لأنّه كان عنده عن أحمد بن يوسف التغلبيّ[١] عنه، وعليه بنى كتابه»[٢].

ثانياً: صدور هذا التصريح عن عالم عارف بهذا الفنّ، مثل ابن مجاهد، ممّا يعني حتماً اطّلاع الأخير على هذين الكتابين تمام الاطّلاع وإحاطته بهما غاية الإحاطة.

ثالثاً: تقدير ابن مجاهد لشيخه الطبريّ المقرئ وثناؤه عليه وعلى صنعته في كتابه، كما في جملته «ما صُنّف في مَعْنَى كتابِه مثلُه». بذلك ميّز ابنُ مجاهدٍ بين مبنى كتابِه المستعار وبين معنى كتابِه الذي يعكس جهده وصنيعه في تعليل أوجه القراءات وبيان معانيها والاحتجاج لها ثمّ تعليل اختياره. يعضد ذلك ما قاله أيضاً ياقوت الحمويّ (ت: ٦٢٦هـ) بهذا الخصوص: «ذَكَرَ فيه اختلافَ القرّاءِ في حروف القرآن؛ وهو من جيّد الكتب. وفصّل فيه أسماءَ القرّاء بالمدينة ومكّة والكوفة والبصرة والشام وغيرها. وفيه من الفَصْلِ بين كلّ قراءة، فيذكر وجهَها وتأويلَها والدلالةَ على ما ذَهَبَ إليه كلُّ قارئٍ لها واختياره الصوابَ منها والبرهان على صحّةِ ما اختاره»[٣]؛ فذكرُه وجوهَ القراءاتِ وشروحَها، وأدلّةَ مَا قرأ به كلّ قارئ، وعللَ اختيارِه في القراءة، هذا كلّه من صنيعه واجتهاده، لكن ذكر اختلاف القرّاء وتفصيل أسمائهم والفصل بين قراءاتهم، ليس مِنْ صَنْعَتِهِ، بل هو مستعار من كتاب القراءات لأبي عبيد.

---

(١) في المطبوع (الثعلبي) مصحَّفاً.
(٢) معجم الأدباء (٦/٢٤٥٦).
(٣) معجم الأدباء (٦/٢٤٥٤).

يجدر هنا الإشارة إلى أنّ الدانيّ (ت: ٤٤٤هـ)، حين تطرّق إلى كتاب الطبريّ في القراءات بقوله: «صَنَّفَ كتاباً حسناً في القراءات»، تحدّث عن تصنيف كتابٍ، بينما استخدم ابنُ الجزريّ (ت: ٨٣٣هـ) بهذا الصدد لفظ الجمع، فقال: «جَمَعَ كتاباً حافلاً، سمّاه الجامع»؛ فهذا محقّ بجملته «صَنَّفَ» التي تشير إلى صَنْعَتِهِ في الكتاب، وذاك محقّ بجملته «جَمَعَ» التي قد تشير إلى ما استعاره في مبنى كتابه من معلومات وموادّ.

من أجل تقريب الصورة يمكن أن نَعُدَّ تفسير الطبريّ الموسوم «بجامع البيان عن تأويل آي القرآن» مثالاً مطابقاً ونموذجاً موازياً إلى حدّ كبير لكتابه في القراءات في البنية والمنهج، فتفسيرُه عبارةٌ عن مجاميع من الروايات التفسيريّة عن أئمّة الصحابة والتابعين التي جمعها وركّزها في مجموع كبير، ترجع إلى تفاسير مدوّنة، قد رواها بأسانيده الموصولة إلى أصحابها، فعرضها مرتّبة على أقوالٍ على تسلسل الآيات والسور، ثمّ اختار أولى الأقوال منها مع التعليل لما اختاره أو ذهب إليه والاحتجاج بالحديث والقراءات والشواهد اللغويّة، كالشعر، حيث لزم الأمر. كذلك الحال مع كتابه في القراءات، فلم يبدأه من الصفر[١]، بل توافرت عنده معلومات كثيرة متعلّقة بالقراءات، قد استعارها من كتاب حافل في القراءات، مثل كتاب أبي عبيد في القراءات، فطبّق عليها منهجه في الترجيح، فتولّد عن ذلك ما يُعرَف باختياره في القراءة.

رابعاً: قراءته لحمزة الزيّات (ت: ١٥٤هـ)، كما ذكر ابن كامل (ت: ٣٥٠هـ) ذلك في موضع سابق: «كان أبو جعفر يقرأ قديماً لحمزة قبل أن يختار قراءتَه»[٢].

المطلب الرابع: ما انتُقِدَ عليه الطبريُّ:

كانت بعض الأمور التي ذكرها في كتابه في القراءات محلّ انتقاد شديد من قبل علماء كبار، قد لمسوها في أثناء مطالعتهم كتابَه هذا، من هؤلاء من يلي ذكره:

(١) نظير ذلك تاريخ الطبريّ. جاء في معجم الأدباء (٦/٢٤٤٦) نقلًا عن ابن كامل (ت: ٣٥٠هـ)، صاحب الطبريّ: «كَتَبَ عن أحمد بن محمّد كتابَ المبتدأ والمغازي عن سلمة بن المفضَّل عن محمّد بن إسحاق. وعليه بنى تاريخه».

(٢) معجم الأدباء (٦/٢٤٥٥).

الباب الأوّل: نقد ابن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ):

كان ابن مجاهد يثني على شيخه الطبريّ، ويذكر فَضْلَ كتابه في القراءات، فما وجده من غلط فيه هو بمنزلة مدح للطبريّ ولكتابه، لا العكس، مع التماسه له في ذلك عذراً، إذ يدلّ ذلك على خلوّه عموماً من الأغلاط الكثيرة والأخطاء الجسيمة إلّا ما ندر. «قال ابن كامل: قال لنا أبو بكر بن مجاهد وقد ذَكَرَ فَضْلَ كتابِهِ في القراءات، وقال: إلّا أنّي وَجَدْتُ فيه غلطاً. وذكره لي وعجبتُ من ذلك مع قراءته لحمزة وتجويده له، ثمّ قال: والعلّة في ذلك أبو عبيد القاسمُ بنُ سلّام، لأنّه بَنَى كتابَه على كتابِ أبي عُبيد؛ فأغفل أبو عُبيد هذا الحرفَ، فنقله أبو جعفرٍ على ذلك»[١].

فالأمر نسبيٌّ، كما قيل لأبي عُبيد: إنّ إسحاق الموصليّ يقول: «إنّ في كتابك «غريب المصنَّف» ألفَ حرفٍ خطأ، فقال أبو عبيد: كتابٌ فيه أكثرُ من مائةِ ألفٍ يقع فيه ألفٌ ليس بكثير، ولعلّ إسحاقَ عنده روايةٌ وعندنا روايةٌ، فلم يَعْلَمْ، فخطّأنا، والروايتان صوابٌ، ولعلّه أخطأ في حروفٍ وأخطأنا في حروفٍ، فيبقى الخطأ يسيراً»[٢].

الباب الثاني: نقد مكّيّ القيسيّ (ت: ٤٣٧هـ):

أشار إلى تناقض بعض أقواله، نحو ما ذهب إليه من القول بأنّ قراءة أهل الإسلام ما هي إلّا على حرف واحد، كما قال ذلك في كتاب البيان عن أصول الأحكام له[٣]، وما ذهب إليه من القول بعدم جواز تخطئة مَنْ قرأ بما صحّ من القراءات التي علّمها النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمّته من الأحرف السبعة، كما قاله في كتاب القراءات له. قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد قال الطبريّ في كتاب البيان: (لا قراءة اليوم للمسلمين إلّا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق عليهم، الناصح لهم، دون ما عداه من الأحرف السبعة). وقد ذكرنا هذا من مذهبه. وقد ألّف هو كتابه في القراءات، فذكر فيه اختلافَ نحوِ

(١) معجم الأدباء (٦/٢٤٥٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/٥٠٢). وانظر: الفهرست (٩٧)، إنباه الرواة (٣/١٩ - ٢٠).

(٣) يُراجَع جامع البيان [= تفسير الطبريّ] (٢/٥٤) «كما قد بيّنّا في كتابنا كتاب البيان عن أصول الأحكام».

عشرين من الأئمّة من الصحابة والتابعين ومَن دونهم، فنقض مذهبه بذلك. وقد قال في كتاب القراءات له كلاماً نقض أيضاً به مذهبه. قال: (كلّ ما صحّ عندنا من القراءات أنّه علّمه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمّته من الأحرف السبعة التي أذن اللهُ له ولهم أن يقرأوا بها القرآن، فليس لنا اليوم أنْ نُخَطِّئَ مَنْ قرأ به، إذا كان ذلك موافقاً لخطّ المصحف؛ فإن كان مخالفاً لخطّ المصحف، لم [٤١] نقرأ به ووقفنا عنه وعن الكلام فيه). وقد تقدّم مِن قوله: إنّ جميعَ مَا اختُلف فيه ممّا يوافق خطَّ المصحف فهو حرفٌ واحدٌ، وإنّ الأحرف الستّة تُرِكَ العملُ بها. وهذا مذهبٌ متناقضٌ»[١].

للتعليق: هذا قد يعني أنّ الطبريّ قد أعاد النظر في بعض مباحثه وأقواله، وهو أمر طبيعيّ حاصل عند عموم العلماء في مختلف العلوم والفنون، فرجع عن رأيٍ قد تبنّاه سابقاً تبيّن له لاحقاً أنّه لا يصحّ الأخذ به.

الباب الثالث: نقد أبي عمرو الدانيّ (ت: ٤٤٤هـ) والشاطبيّ (ت: ٥٩٠هـ) وعلم الدين السخاويّ (ت: ٦٤٣هـ) وابن وهبان (ت: ٧٦٨هـ) وابن الجزريّ (ت: ٨٣٣هـ):

ذكر الدانيّ في (ذكر رجال ابن عامر) اعتراض الطبريّ على اتّصال قراءة ابن عامر، فقال: «قد كان محمّد بن جرير الطبريُّ فيما أخبرنا الفارسيُّ عن عبد الواحد ابن عمر عنه يضعّف اتّصال قراءة ابن عامر»[٢]، وذلك لسببين أوردهما: كون عراك بن خالد من المجاهيل، وعدم ادّعاء أحدٍ أنّ عثمان بن عفّان أقرأه القرآن، فردّ عليه: «هذا القول من محمّد بن جرير عندنا فاسدٌ مردود ولا يثبتُ ولا يصحُّ، والأمرُ في كلّ ما أَتَى به وأورده وقطع بصحّته ظاهرٌ بخلاف ما قاله وذهب إليه، ونحن نوضّح ذلك ونبيّن خطأَه وغَفْلَتَه فيما أورده، وظَنَّ أنّه دليلٌ على صحّةِ قولِه بما لا يخفَى عن ذي لبٍّ وفَهْمٍ ودينٍ وإنصافٍ، إن شاء الله»[٣]، فساق ردّه مفصّلًا[٤].

(١) كتاب الإبانة عن معاني القراءات (٤٠ - ٤١).
(٢) جامع البيان (٨٢).
(٣) جامع البيان (٨٢).
(٤) جامع البيان (٨٢ - ٨٦).

كذلك انتقده الشاطبيُّ (ت: ٥٩٠هـ) في طعنه على ابن عامر. وقد تبعه في ذلك تلميذه السخاويّ، فنقل تحذير شيخه له من ذلك: «قال لي شيخنا أبو القاسم الشاطبيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إيّاك وطعنَ الطبريّ على ابن عامر !»[١]. وقد ردّ السخاويّ على الطبريّ مدافعاً عن ابن عامر وقراءته، فنقل أوّلاً كلام الطبريّ بهذا الخصوص من كتاب القراءات، وهو نقل نفيس لقلّة النقول منه، فقال: «وقد تكلّم محمّدُ بنُ جَرير الطبريُّ في قراءة ابن عامر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: «وقد زعم بعضُهم أنّ عبد الله بنَ عامرٍ أَخَذَ قراءتَه عن المغيرة ابن أبي شهاب المخزوميّ وعليه قرأ القرآن، وأنّ المغيرةَ قرأ على عثمان بن عفّان. قال: وهذا غيرُ معروفٍ عن عثمان، وذلك أنّا لا نعلمُ أحداً ادّعى أنّ عثمان أقرأه القرآن، بل لا نحفظُ عنه من حروف القرآن إلّا أحرفاً يسيرة. ولو كان سبيلُه في الانتصابِ على مَنْ قرأ عليه السبيلَ التي وصفها الراوي عن المغيرةِ بن أبي شهاب ما ذكرنا، كان لا شَكَّ قد شارك المغيرةَ في القراءةِ عليه والحكايةِ عنه غيرُه من المسلمين، إمّا من أدانيه وأهل الخصوص به، وإمّا من الأباعد والأقاصي، فقد كان له من أقاربه وأدانيه مَنْ هو أمسُّ رحماً وأوجبُ حقّاً من المغيرة، كأولاده وبني أعمامه ومواليه وعشيرته، ومن الأباعد مَن لا يُحصَى عددُه كثرةً. وفي عدم مدّعي ذلك عن عثمانَ الدليلُ الواضحُ على بُطولِ قولِ مَنْ أضافَ قراءةَ عبد الله بن عامر إلى المغيرة بن أبي شهاب، ثمّ إلى أن أخذها المغيرة بن أبي شهابٍ عن عثمانَ قراءةً عليه. قال: وبعد، فإنّ الذي حكى ذلك وقاله رجلٌ مجهول من أهل الشام، لا يُعرَفُ بالنقلِ في أهل النقل ولا بالقرآن في أهل القرآن، يُقالُ له: عِرَاك بن خالد المرّيّ. ذكر ذلك عنه هشامُ بنُ عمّارٍ، وعراكٌ لا يعرفُه أهلُ الآثار، ولا نعلمُ أحداً رَوى عنه غير هشام بن عمّار. قال: وقد حدّثني بقراءة عبد الله بن عامر كلِّها العبّاسُ بنُ الوليدِ البيروتيُّ وقال: حدّثني عبد الحميد بن بكّار، عن أيّوب ابن تميم، عن يحيى بن الحارث، عن عبد الله بن عامر اليحصبيِّ أنّ هذه حروفُ أهل

(١) جمال القرّاء وكمال الإقراء (٢/٤٣٤). كذلك أحاسن الأخبار (٢٦١ - ٢٦٢)، غاية النهاية (١/٤٢٤). يُقابَل:
Gilliot: *Exégèse, langue, et théologie en Islam* 158.

الشام التي يقرؤونها. قال: فنَسَبَ عبدُ الله بنُ عامرٍ قراءتَه إلى أنّها حروفُ أهل الشام في هذه الرواية التي رواها لي العبّاسُ بن الوليد، ولم يُضِفْها إلى أحدٍ منهم بعينه. ولعلّه أراد بقوله: إنّها حروفُ أهل الشام، أنّه قد أخذ ذلك عن جماعةٍ من قرّائها؛ فقد كان أدركَ منهم من الصحابةِ وقدماء السلف خلقاً كثيراً. ولو كانتْ قراءتُه أَخَذَهَا، كما ذكر عن عراك بن خالد عن يحي بن الحارث عنه، عن المغيرة بن أبي شهاب عن عثمان بن عفّان، لم يَكُنْ لِيَتْرُكَ بيانَ ذلك، إن شاء الله، مع جلالةِ قدرِ عثمانَ ومكانِه عند أهلِ الشامِ، ليُعَرِّفَهُمْ بذلك فَضْلَ حروفِه على غيرها من حُرُوفِ القرّاء»[1].

إنّ كلام الطبريّ هنا يصبّ في نقد الأسانيد، أي: أسانيد القراءات[2]، تحديداً إسنادَ قراءة ابنِ عامرٍ عن المغيرة عن عثمان؛ فقد دفع نقدُه هذا العديدَ من العلماء إلى الردّ على كلامه وتفنيده، كالسخاويّ (ت: ٦٤٣هـ)[3]، ثمّ تبعه ابنُ وَهْبَان (ت: ٧٦٨هـ) في ذلك، فنقل ردّه تأييداً له في كتاب أحاسن الأخبار[4]، ثمّ قال: «انتهى ما نقله السخاويّ. والعجبُ من الطاعن في قراءته كيف يتمسّكُ بما هو تقويةٌ لها»[5]؟ ثمّ ذكر مطلباً في سَنَدِ ابنِ عامرٍ في القراءة على أشياخه على اثني عشر قولاً[6].

ثمّ تبعهم ابنُ الجزريّ (ت: ٨٣٣هـ) في ذلك، فقال في ترجمة المغيرة بن أبي شهاب المخزوميّ: «فانظرْ إلى هذا القولِ الساقطِ مِنْ مِثْلِ هذا الإمامِ الكبيرِ! لا جَرَم كان الإمامُ الشاطبيُّ يحذّر من قولِ ابنِ جريرٍ هذا. قال السخاويّ: وهذا قولٌ، ظاهرُ السُّقُوطِ»[7]،

(١) جمال القرّاء وكمال الإقراء (٤٣٢/٢ - ٤٣٣). أقول: بعض كلام الطبريّ نقله أبو عمرو الدانّي في جامع البيان (٨٢) من «ولو كان سبيله» إلى «عن عثمان قراءة عليه».
(٢) يُقابَل تفسير الطبريّ (٤٥٦/٥) (١٤٤٣٢).
(٣) جمال القرّاء وكمال الإقراء (٤٣٤/٢ - ٤٣٥).
(٤) أحاسن الأخبار (٢٦١ - ٢٦٥).
(٥) أحاسن الأخبار (٢٦٥).
(٦) أحاسن الأخبار (٢٦٥ - ٢٦٧).
(٧) غاية النهاية (٣٠٦/٢) (٣٦٣٥) (س٢ - ٤).

فنقل ردّه عليه، ثمّ زاد من طرقه أنّ عبد الله بن ذكوان ومحمّد بن وهب بن عطيّة قد رَوَيَا عن عراك بن خالد الْمُرّيّ[1] الذي عدّه الطبريُّ من المجاهيل.

وقال في ترجمة ابن عامر: «أمّا طعنُ ابنِ جريرٍ فيه، فهو مِمّا عُدَّ مِنْ سَقَطَاتِ ابنِ جريرٍ حتّى قال السخاويُّ: قال لي شيخُنا أبو القاسم الشاطبيُّ: إيّاكَ وطعنَ الطبريِّ على ابن عامرٍ! وأمّا قولُ أبي طاهر بنِ أبي هاشمٍ في ذلك، فلا يُلْتَفَتُ إليه. وما نَقَلَ عن ابنِ مجاهدٍ في ذلك، فغيرُ صحيحٍ، بل قولُ ابنِ مجاهدٍ: «وعلى قراءتِه أهلُ الشامِ والجزيرةِ» أعظمُ دليلٍ على قوّتِها. وكيف يسوغُ أن يُتَصَوَّرَ قراءةٌ لا أَصْلَ لها ويُجْمِعُ الناسُ وأهلُ العلمِ من الصَّدْرِ الأوّل وإلى آخرِ وقتٍ على قبولِها وتلاوتِها والصلاةِ بها وتَلْقِينِها مع شدّةِ مُؤَاخَذَتِهم في اليسيرِ»[2]؟ ثمّ نَقَلَ كلامَ الأهوازيِّ (ت: ٤٤٦هـ) في إمامة ابن عامر وعدالته وثقته وسلامة روايته وصحّة نقله وفضائل أخرى[3].

إنّ الفَصْلَ في الإشكال الذي أثاره الطبريُّ أنّ قراءةَ المغيرة على عثمان بن عفّان أمرٌ غيرُ معروفٍ عن عثمان هو فيما قاله الأهوازيّ (ت: ٤٤٦هـ)، حين تحدّث عن مصاحف الأمصار المستنسخة، فذكر أنّ الخليفة أَمَرَ الصحابيَّ زيد بن ثابت أن يُقْرِئَ أهلَ المدينةِ بالمصحف المدنيّ وأنفذ أربعة مصاحف، مع كلّ مصحفٍ إمام قارئ. «قال أبو عليّ [= الأهوازيّ]: أمر عثمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زيدَ بنَ ثابتٍ أن يُقْرِئَ بالمدنيِّ. وبعث عبدَ الله بنَ السائبِ مَعَ المكّيِّ والمغيرةَ بنَ شِهَابٍ[4] مع الشاميِّ وأبا عبد الرحمن السُّلَميَّ مع الكوفيِّ وعامرَ بنَ عبدِ قَيْسٍ مع البصريِّ»[5].

---

(١) غاية النهاية (٣٠٦/٢) (س١٤).

(٢) غاية النهاية (٤٢٤/١) (س١٨ - ٢٤).

(٣) غاية النهاية (٤٢٥/١) (س٢ - ٨).

(٤) شهاب: كذا في الأصل المخطوط.

(٥) نقله الجعبريُّ (ت: ٧٣٢) في جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة القصائد (٣٢أ) (س١٧ - ٢٠). لقد ردّ الفيفي في مقاله في (المبحث الثاني: دعوى ابن جرير في إسناد قراءة ابن عامر ومناقشته) (هناك ٢٩٢ - ٣٠٢) بستّة أدلّة، خامسها قول الأهوازيّ الذي استشهد به (هناك ٢٩٩).

أقول: هذه خطوة من قبل الخليفة ذاتُ بُعْدِ نظرٍ فائقٍ للغاية. فالعمدة كلّ العمدة، على الرواية الشفهيّة بالتلقّي والتلقين، فلا بدّ لأهلِ الأمصار من أئمّة قرّاء يتلقّون عنهم القرآن. والكلام هنا على حقبة تاريخيّة حسّاسة لا تحتمل أدنى مجازفة؛ فلا يُعْقَلُ أن يبعث الخليفة عثمانُ بأشخاص، مثل المغيرة، مع مهمّة في غاية الأهميّة والخطورة، وهو لا يعرفهم ولا تربطهم به صلة، بل العكس تماماً، قد عرفهم تمام المعرفة واختارهم لهذه المهمّة الجليلة لثقته العليا بهم، فهم أئمّة قرّاء، عدول ثقات، قرأ بعضهم عليه القرآن، مثل المغيرة والسلميّ، كما هو منصوص عليه في كتب التراجم(١).

الباب الرابع: الطبريّ وابن مجاهد البغداديّان وطبيعة العلاقة العلميّة بينهما:

كمّا تقدّم، كان ابن مجاهد يقدّر الطبريّ غاية التقدير(٢) ويثني على كتابه في القراءات(٣) الذي لم يجد فيه من الغلط ما يعيبه أو ينتقص من قيمته(٤)، فكان لهذا التقدير أثره في ابن مجاهد (٢٤٥ - ٣٢٤هـ)، وكذلك في صاحبه أبي طاهر عبد الواحد ابن عمر بن محمّد بن أبي هاشم البغداديّ (ت: ٣٤٩هـ)(٥) - الذي أُجمِع على تقديمه بعد وفاة ابن مجاهد، فتصدّر للإقراء في مجلسه - وقبلهما على الداجونيّ (٢٧٣ - ٣٢٤هـ)، فرَوَوْا عن الطبريّ وأخذوا عن كتابه الجامع في القراءات الذي أربى على جميع الجوامع المتقدّمة له في القراءات على قول الدانيّ. يشهد لذلك ما ذكره الذهبيّ (ت: ٧٤٨هـ) في ترجمته: «صنّف كتاباً حسناً في القراءات، فأخذ عنه ابنُ مجاهد، ومحمّد بنُ أحمد الداجونيّ، وعبد الواحد بنُ أبي هاشم»(٦).

(١) كما في معرفة القرّاء الكبار (١٠٢/١) ترجمة عثمان، (١٣٦/١) ترجمة المغيرة، (١٤٧/١) ترجمة السلميّ، غاية النهاية (٤١٣/١) (س٣ - ٤) ترجمة السلميّ، (٥٠٧/١) (س٩ - ١٠) ترجمة عثمان، (٣٠٥/٢) (س٩ - ١٠) ترجمة المغيرة.

(٢) معجم الأدباء (٢٤٤٨/٦) «ثمّ أخذ أبو بكر بن مجاهد في مدح أبي جعفر الطبريّ».

(٣) معجم الأدباء (٢٤٥٥/٦) «قال لنا أبو بكر بن مجاهد وقد كان لا يُجْرِي ذِكْرُهُ إلاّ فضّله: ما صُنِّف في معنىً كتابِه مثلُه».

(٤) معجم الأدباء (٢٤٥٥/٦) «قال لنا أبو بكر بن مجاهد وقد ذَكَرَ فَضْلَ كتابِه في القراءات وقال: إلاّ أنيّ وجدتُ فيه غلطاً».

(٥) عنه: غاية النهاية (٤٧٥/١ - ٤٧٧) (١٩٨٣). سمع الحروف من الطبريّ [هناك ٤٧٥/١ - ٤٧٦]. روى عنه قراءة نافع برواية ورش من طريق يونس بن عبد الأعلى، كما في جامع البيان (١٠٨).

(٦) تاريخ الإسلام (٢٨٠/٢٣).

أمّا ابن مجاهد، فبالإضافة إلى أخذه عن الطبريّ وعمله قد أخذ أيضاً عن الداجونيّ وعمله. هذا ما أكّده ابنُ الجزريّ حين قال عن ابن مجاهد: إنّه «أوّلُ مَنِ اقتصر على قراءات هؤلاء السبعة فقط. ورَوَى فيه عن هذا الداجونيِّ وعن ابن جرير أيضاً»(١). يجب التوضيح هنا أنّ الهاء في «فيه» لا ترجع إلى كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد، الذي قد وصلنا وهو مطبوع (ط)، إذ لا ذكر لهما فيه(٢)، لكنّها ترجع إلى كتاب الجامع له على الأرجح(٣).

يجب الإشارة هنا أنّ ابن مجاهد كان يدلّس بعض أسماء شيوخه(٤)، منهم الطبريّ والداجونيّ(٥). قال ابن الجزريّ في ترجمة الداجونيّ: «وقد دلّس ابنُ مجاهدٍ اسْمَهُ في كتابه، فقال: حدّثنا أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الرمليّ المقرئ، قال: حدّثنا عبد الرزّاق؛ فمحمّد بن عبد الله هذا هو الداجونيّ. وقال في مكان آخر: حدّثنا محمّد بن أحمد المقرئ، قال: حدّثنا عبد الرزّاق بن الحسن؛ والمقرئ هذا هو الداجونيّ»(٦).

أمّا الطبريّ، فقال أبو عمرو الدانيّ في إسناده قراءة نافع برواية ورش من طريق يونس: «حدّثنا محمّد بن أحمد، قال: حدّثنا ابنُ مجاهد، قال: أخبرني محمّد بن عبد الله، قال: حدّثنا يونس بن عبد الأعلى عن ورشٍ عن نافعٍ. قال أبو عمرٍو [= الدانيّ]: محمّد ابن عبد الله هذا هو الذي يروي عنه ابنُ مجاهدٍ هو محمّد بن جرير بن يزيد الطبريّ.

(١) النشر في القراءات العشر (٣٤/١).

(٢) أمّا الطبريّ، فغير مذكور فيه على الإطلاق. أمّا الداجونيّ، فلم يذكره ابن مجاهد فيه إلاّ في موضعين مدلّساً. كتاب السبعة (٢١٥) (٢٩) و(٢٦٨) (٤٦).

(٣) هو في عداد الكتب المفقودة. عن هذا الكتاب يُنظَر: شمول التعاريف (٢٤٨) (٧١).

(٤) جاء في علوم الحديث (٧٤): «ما رُوي لنا عن أبي بكر بن مجاهد الإمام المقرئ أنّه رَوَى عن أبي بكرٍ عبد الله بن أبي داود السِّجِسْتَانيّ، فقال: حدّثنا عبد الله بن أبي عبد الله. ورَوَى عن أبي بكرٍ محمّد بن الحسن النقّاش المفسّر المقرئ، فقال: حدّثنا محمّد بن سند. نَسَبَهُ إلى جَدٍّ له. والله أعلم». أمّا الحكم عليه والغرض الحامل عليه، فكذلك يُراجَع: علوم الحديث (٧٦).

(٥) يُعرَف هذا بتدليس الشيوخ عند أهل مصطلح الحديث. قال ابن الصَّلاَح (ت: ٦٤٣هـ) في علوم الحديث (٧٤): «وهو أن يروي عن شيخ حديثاً سمعه منه، فيسمّيه أو يكنيه أو ينسبه أو يصفه بما لا يُعرَفُ به، كي لا يُعرَفَ».

(٦) غاية النهاية (٧٧/٢). يُقابَل كتاب السبعة (٢١٥) (٢٩) [الآية ١٢٠: ٣]، (٢٦٨) (٤٦) [الآية ١٢٥: ٦].

دلّسه ابنُ مجاهد». نظيره ما نقله ابن الجزريّ في ترجمة الطبريّ: «قال الدانيّ: رَوَى عنه (ج) ابن مجاهدٍ، غير أنّه دلّس اسمَه. قلتُ [= ابن الجزريّ]: قال في إسناده قراءة نافع: حدّثني محمّد بن عبد الله، قال: حدّثنا يونس عن ورشٍ وسقلاب عن نافعٍ. قال صالح ابنُ إدريس: محمّد بن عبد الله هذا هو محمّد بن جرير»[1]. أقول: صالح بن إدريس (ت: ٣٤٥هـ) هو «أبو سهل البغداديّ، نزيل دمشق، أستاذ ماهر، ضابط متقن، قرأ على ابن مجاهد»[2] وغيره.

بذلك تَكْشِف حالات من هذا القبيل عن موارد معمّاة ومظانّ غير مسمّاة لعلماء كبار، أمثال الطبريّ والداجونيّ الكبير وغيرهما، كان لهم بالغ الأثر في إبداعهم الفكريّ وإنتاجهم العلميّ خلال عصور النهضة في الإسلام.

من بين الروايات المبثوثة في تراجم الطبريّ مجموعة يرويها ابن مجاهد عن شيخه الطبريّ مادحاً له وذاكراً فضله[3]، من خلالها يتّضح كذلك أنّه كان حريصاً غاية الحرص على ألّا تَفُوتَهُ فرصةُ صحبة الطبريّ مع رفعة منزلته وعلوّ مكانته في الأوساط البغداديّة، لينهل من علمه ويأخذ عنه، فكان قد تَرَكَ الناسَ ينتظرونه لصلاة التراويح في إحدى ليالي العشر الأواخر بعدما خرج من داره واجتاز مسجده، فلم يدخله وسار إلى آخر سُوقِ العَطَشِ، فوقف بباب مسجد الطبريّ وهو يقرأ سورة الرحمن، فاستمع قراءته طويلاً ثمّ انصرف[4].

يحكي ابن كامل أنّ ابن مجاهد حرص مع موضعه في نفسه وعند الطبريّ، أن يسمع منه قراءة نافع برواية ورش من طريق يونس بن عبد الأعلى الذي قرأ عليه الطبريُّ

(١) غاية النهاية (١٠٧/٢). كذلك ذكر ذلك في ترجمة ابن مجاهد في غاية النهاية (١٤٠/١) (٦٦٣) «(ج) محمّد بن جرير الطبريّ - ودلّسه، فقال فيه: محمّد بن عبد الله».

(٢) غاية النهاية (٣٣٢/١) (١٤٤٣).

(٣) معجم الأدباء (٢٤٤٨/٦) و(٢٤٥٥/٦).

(٤) تاريخ بغداد (١٦٤/٢). كذلك تاريخ مدينة دمشق (٢٠٠/٥٢) [نقلًا عنه].

بمصر، فأبَى إلّا أنْ يَسْمَعَهَا مع الناس، فما أثّر ذلك في نفس ابن مجاهد. وكان ذلك كرهاً من الطبريّ أن يخصّ أحداً بشيء من العلم. وكان ذلك في أخلاقه(١).

لا يختلف الأمر خارج إطار التدريس، فقد كان ابن مجاهد كذلك حريصاً ألّا يفوّت على نفسه فرصة مرافقته وملازمته؛ فكان الطبريّ رُبَّما خرج إلى الصحراء، فيخرج معه(٢).

لا شكّ أنّ ما تلقّاه ابنُ مجاهد عن شيخه الطبريّ واستفاده من معارفه في مختلف العلوم والفنون كان له بالغ الأثر عليه في التعاطي مع الروايات والأخبار والأحاديث والحكم عليها بنظرة نقديّة، وهو منهج أهل العلم من المحدّثين والفقهاء، كما أشار إليهم ابنُ مجاهد في قوله: «وإنّما ينتقد ذلك أهلُ العلم بالأخبار والحرام والحلال والأحكام. وليس انتقادُ ذلك إلى مَنْ لا يعرفُ الحديثَ ولا يُبْصِرُ الروايةَ والاختلافَ»(٣)؛ فهو يتحدّث عن أهل الحديث وعلماء الرجال والفقهاء، على رأسهم شيخه الطبريّ المفسّر والمحدّث والفقيه والمؤرِّخ.

بناء على منهج هؤلاء عدَّ ابن مجاهد اختلاف الناس في القراءة كاختلافهم في الأحكام(٤)، فعدّ الآثار المرويّة في حروف القرآن كالآثار المرويّة في الأحكام ووضعها في ميزان نقد واحد. قال: «أمّا الآثار التي رُويت في الحروف، فكالآثار التي رُويت في الأحكام، منها [= من آثار الأحكام] المجتمَعُ عليه السائرُ المعروف، ومنها المتروكُ المكروهُ عند الناسِ المعيبُ مَنْ أخذ به وإنْ كان رُوي وحُفظ، ومنها ما تَوَهَّمَ فيه مَنْ

(١) معجم الأدباء (٦/٢٤٥٥) بتصرُّف طفيف.

(٢) معجم الأدباء (٦/٢٤٦٦).

(٣) كتاب السبعة (٤٩). لذا لا يصحّ حصر المقارنة في المنهج بين القرّاء والفقهاء، كما فعل شادي ناصر [هناك ٨٧]، بل هي بينهم وبين أهل العلم من المحدّثين والفقهاء، كما صرّح بذلك ابن مجاهد أعلاه وأكّدتُ عليه من جهتي؛ فتجاهل أهل الحديث وعلماء الرجال وإسقاطهم من المقارنة المنهجيّة خطأ بَيِّن، إذ لهم منظومتهم من الضوابط والثوابت والقواعد التي اعتمدوها في الحكم على الحديث وروايته إسناداً ومتناً، بل جهودهم في هذا الباب تفوق غيرهم، أمثال يحي بن سعيد القطّان (١٢٠ - ١٩٨هـ) وعبد الرحمن بن مهديّ (١٣٥ - ١٩٨هـ).

(٤) كتاب السبعة (٤٥).

رواه، فضيّع روايتَه ونَسِيَ سماعَه [٤٩] لطُولِ عَهْدِهِ، فإذا عُرِضَ على أهلِه، عَرَفُوا تَوَهُّمَه ورَدُّوهُ على مَنْ حَمَلَهُ، وربّما سقطت روايته لذلك بإصراره على لُزُومه وتركه الانصرافَ عنه، ولعلّ كثيراً ممّا تُرِكَ حديثُه واتُّهم في روايتِه كانتْ هذه عِلَّته. وإنّما ينتقد ذلك أهل العلم بالأخبار والحرام والأحكام. وليس انتقادُ ذلك إلى مَنْ لا يعرفُ الحديثَ ولا يُبْصِرُ الرواية والاختلاف. كذلك ما رُوِيَ من الآثار في حروف القرآن، منها المعربُ السائرُ الواضحُ، ومنها المعربُ الواضحُ غيرُ السائر، ومنها اللغةُ الشاذَّةُ القليلة، ومنها الضعيفُ المعنى في الإعراب، غير أنّه قد قُرِئَ به، ومنها ما تُوُهِّمَ فيه، فغُلِطَ به، فهو لَحْنٌ غيرُ جائزٍ عِنْدَ مَنْ لا يبصرُ من العربيّة إلّا اليسيرَ، ومنها اللحنُ الخفيُّ الذي لا يعرفُهُ إلّا العالِمُ النِّحْرِير. وبكلٍّ قد جاءتِ الآثار في القراءات»[١]. إذ «حَمَلَةُ القرآنِ مُتَفَاضِلُونَ في حَمْلِهِ»، كما قال ابن مجاهد[٢].

يجب التوكيد هنا مرّة أخرى أنّ الاختلافَ الذي تحدّث عنه ابن مجاهد هنا وغيره من العلماء في سياقات مختلفة هو اختلافُ تَنَوُّعٍ لا اختلاف تَضَادٍّ[٣].

---

(١) كتاب السبعة (٤٨ - ٤٩).

(٢) كتاب السبعة (٤٥).

(٣) فات شادي ناصر توكيد هذه الحقيقة، حين تحدّث عن فكرة الاختلاف مقابل الاتّفاق في القراءات [«اختلفوا» ('they have disagreed') مقابل «اتّفقوا» ('they have agreed')] في مقاله "Revisiting Ibn Mujāhid's Position on the Seven Canonical Readings" [هناك ٨٦ - ٨٧] ونقل جملةَ ابنِ مجاهد الافتتاحيّة «اختلف الناسُ في القراءةِ كما اختلفوا في الأحكام» كتاب السبعة (٤٥) هناك (٨٧)، واكتفى بذلك دون زيادة توضيح، مع العلم أنّ ابن مجاهد قد أبان معنى الاختلاف والقصد منه بما أتبعه من جملة: «ورُويت الآثارُ بالاختلافِ عن الصحابةِ والتابعين توسعةً ورحمةً للمسلمين، وبعضُ ذلك قريبٌ من بعض». كتاب السبعة (٤٥). ثمّ ألفيتُه يذكرُ هذه المسألة في نتائج مقاله (هناك ١٠٤)، فعطف (التناقضات) على (الاختلافات) في عبارته (disagreements and paradoxes)، ممّا يكشف بوضوح قصده وفهمه لمصطلح الاختلاف على أنّه اختلاف تضادّ. ثمّ ألفيتُه بعد ذلك بقليل [هناك ١٠٤] يستعمل مصطلح (الخلاف) بدل (الاختلاف) في عبارته (the disputes and disagreements among the eponymous Readers) *(khilāf)*، فخرج بذلك كلّيّةً من الاختلاف المتعارف عليه بنوعيه إلى الخلاف الذي هو - كما توحي عبارته - أقرب إلى معنى النزاع والخصام؛ فهذا خلط بيّن في استعمال المصطلحات وفهم خاطئ لدلالاتها.

من المسائل المتعلّقة بالقراءات والتي تأثّر بها ابن مجاهد من قِبَل الطبريّ[١] انتقاد الأخير سند قراءة ابن عامر (ت: ١١٨هـ)، فقد صدر عنه أيضاً تضعيفُه لإسنادها؛ فقد جمع بينهما في هذه المسألة[٢] صاحبُه أبو طاهر عبد الواحد بن عمر بن محمّد بن أبي هاشم البغداديّ (ت: ٣٤٩هـ)[٣]. «قال: وكان مِمّن حفظتُ عنه تضعيفَ إسنادِ قراءةِ ابن عامرٍ أبو بكرٍ شيخنا ومحمّدُ بنُ جريرٍ. قال: وهذان كانا عَلَمَيْ زمانِهما»[٤].

فذكر عن الطبريّ نحواً مِمّا ذكره السخاويّ، ثمّ قال: «وأمّا أبو بكر شيخنا، فإنّي سمعتُه يقول: إنّما قراءةُ ابنِ عامرٍ شيءٌ جاءنا من الشام. ثمّ قال: يعني بذلك، والله أعلم، أنّها لم تَجِئ القراءةُ عن الأئمّةِ التي تقوم بأسانيدها الحجّةُ[٥].

ثمّ قال بعد ذلك: ولولا أنّ أبا بكرٍ شيخنا جَعَلَهُ سابِعاً لأئمّة القرّاء، فاقْتَدَيْنَا بفِعْلِهِ، لَمَا كان إسنادُ قراءتِه مرضيّاً، ولكان أبو محمّد سليمانُ بنُ مهران الأعمشُ بذلك أَوْلَى منه، إذ كانت قراءتُه منقولةً عن الأئمّةِ المرضيّين وموافقةً للمصحف المأمور باتّباعِ ما فيه»[٦].

---

(١) للمزيد عن نقد القراءات عند الطبريّ يُراجَع إسماعيل الحطّان: ظاهرة نقد القراءات ومنهج الطبريّ فيها (٣١٩ - ٣٥٩).

(٢) للإحاطة بهذه المسألة يُراجَع يحيى الفيفي: دعوى ابن جرير الطبريّ في عدم اتّصال قراءة ابن عامر الدمشقي (عرض ومناقشة)، القراءات القرآنيّة في العالم الإسلاميّ: أوضاع ومقاصد (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م) (٢٨١/١ - ٣١٨).

(٣) عنه: غاية النهاية (٤٧٥/١ - ٤٧٧) (١٩٨٣).

(٤) جمال القرّاء وكمال الإقراء (٤٣٥/٢). يُقابَل كتاب المرشد الوجيز (١٦١).

(٥) يعلّق الفيفي بحقٍّ في مقاله (٣٠٢) على نهج أبي طاهر: «هذا كلام لم يسلك فيه هذا الإمامُ طريقةَ أهلِ العلمِ في التحقيق، فإنّ قراءةَ القرآن لا تُؤْخَذُ بهذه الطريقة، ولا يسوغ في قبولها مجرّدُ تقليدِ العالِم، ولا يكفي الاستئناسُ فيها بمثلِ ما ذكره أبو طاهرٍ، فكأنّه رَحِمَهُ اللَّهُ ارتضاها تقليداً مع ضعفها عنده. وهذا مسلكٌ خطيرٌ لا يرضاه أهلُ العلم».

(٦) جمال القرّاء وكمال الإقراء (٤٣٥/٢). كذلك كتاب المرشد الوجيز (١٦٢). تعقيب: هناك مَنْ ذهب إلى القول بشذوذ قراءة الأعمش ومخالفتها المصحف. يُراجَع كتاب المرشد الوجيز (١٠٥)، القراءات القرآنيّة لقابة (٢٠٨) (٤)، دعوى ابن جرير للفيفي (٣٠١).

كذلك رَدُّ السخاويُّ (ت: ٦٤٣هـ) على ما نقله ابن أبي هاشم عن شيخه ابن مجاهد وما أوّله من كلام شيخه[١]. من اللافت للنظر هنا أمران. الأوّل ما قاله ابن أبي هاشم (ت: ٣٤٩هـ) بحقّ الأعمش وقراءته بإيجاب مطلق، فقد يكون أساسُ ذلك ما قاله أبو عبيد في ديباجته في كتاب القراءات عنه: «ثمّ كان الأعمش، فكان إمامَ الكوفةِ المقدَّمَ في زمانه عليهم»[٢]، فعدّه في رُؤَسَاءِ الكوفةِ الثلاثةِ في القراءة[٣]. يُضافُ إلى ذلك أنّ هذا الإيجاب المطلق بحقّ الأعمش مدعّم بمعرفة متينة عند أبي طاهرٍ، فقد أفرد فيها كتاباً، سمّاه كتاب قراءة الأعمش[٤].

الأمر الثاني موقف أبي شامة المقدسيّ (ت: ٦٦٥هـ) ممّا ردّ به شيخُه عَلَمُ الدينِ السَّخَاوِيُّ (ت: ٦٤٣هـ) على كلام أبي طاهر (ت: ٣٤٩هـ)؛ فهو أقرب إلى الإنصاف والحياديّة بحقّ الطبريّ. ها نصّه: «قلتُ: ووقع في كتاب البيان لأبي طاهر بن أبي هاشم كلامٌ لأبي جعفر الطبريّ، ظنّ منه أنّه طعن على قراءة ابن عامر. وإنّما حاصِلُه أنّه استبعد قراءتَه على عثمان بن عفّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على ما جاء في بعض الروايات عنه، على ما نقلناه في الكتاب الكبير من إبراز المعاني، وذلك غيرُ ضائرٍ، فهَبْ أنّه لم يَصِحَّ أنّه قرأ على عثمان، فقد قرأ على غيرِهِ من الصحابة وكان يقولُ: هذه حُرُوفُ أهلِ الشام التي يقرؤُونها. قال أبو جعفر: ولعلّه أرادَ أنّه أخذ ذلك عن جماعةٍ مِنْ قُرّائها، فقد كان أَدْرَكَ منهم من الصحابةِ وقدماءِ السلف خلقاً كثيراً»[٥]. وهذا كلام الطبريّ في جامعه، قد صدّره بلطيف العبارة: «ولعلّه أرادَ [...]». ثمّ نقل أبو شامة بعض كلام أبي طاهر إلى

(١) جمال القرّاء وكمال الإقراء (٤٣٦/٢ - ٤٣٧). أمّا أبو شامة المقدسّي (٦٦٥)، فكان ردّه أنّ ابن أبي هاشم ظَنَّ من كلام الطبريِّ أنّ الأخيرَ طعن على قراءة ابن عامر، بل الحاصل استبعاده قراءة ابن عامر على عثمان بن عفّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على ما جاء في بعض الروايات عنه. يُراجَع كتاب المرشد الوجيز (١٦١).

(٢) جمال القرّاء وكمال الإقراء (٤٢٩/٢).

(٣) جمال القرّاء وكمال الإقراء (٤٢٩/٢ - ٤٣٠).

(٤) ذكره ابن النديم في ترجمة أبي طاهر بن أبي هاشم في الفهرست (٥١).

(٥) كتاب المرشد الوجيز (١٦١).

أن انتهى إلى قوله المتقدّم ذكره «[...] وموافقةً للمصحف المأثور [كذا] باتّباعِ ما فيه» مع إضافة «ولكنّا لا نعدل عمّا مَضَى عليه أئمّتنا، ولا نتجاوزُ ما رَسَمَهُ أوّلُونَا، إذ كان ذلك بنا أَوْلَى، وكنّا إلى التَّمَسُّكِ بفِعْلِهِمْ أَحْرَى»(١). أقول: من الملاحَظ ممّا تقدّم أنّ الذي هوّل الأمر وضخّمه وذهب به بعيداً هو أبو طاهر، لا الطبريّ ولا ابن مجاهد الذي قال بحقّ ابن عامر وقراءتِه: «أمّا أهل الشام، فيُسْنِدُونَ قراءتَهم إلى عبد الله بن عامر اليحصبيّ. وكان عبدُ الله قد أخذ القراءةَ عن المغيرةِ بنِ أبي شهابٍ المخزوميّ؛ وأخذها المغيرةُ عن عثمانَ بنِ عفّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(٢).

أمّا نقد الطبريّ وابن مجاهد (على قول صاحبه ابن أبي هاشم) لإسناد قراءة ابن عامر، فذلك حالة من حالات كثيرة في نقد الروايات والأسانيد في القراءة، تشكّل ظاهرةً قويّةً في علم القراءات؛ فرغم أنّنا لا نقف على كتب في القراءات من فترة أبي عبيد إلى ابن مجاهد إلّا كتاب السبعة للأخير، فهو - مصدراً - كافٍ أن يكشف لنا عن حضور هذه الظاهرة، فقد ضعّف ابن مجاهد فيه القراءات في خمسة وثلاثين موضعاً(٣)، وعبرّ عن ذلك بجمل مختلفة، مثل (هو غلطٌ) أو (هو خطأ) أو (هو وهمٌ) أو (ليس بشيءٍ) أو (ليس له وجهٌ) أو (لا يجوزُ)(٤). من الأمثلة على ذلك قوله: «روى أبو عبيد عن الكسائيّ عن أبي بكر عن عاصم في كتاب القراءات «لُدْنى» [الكهف: ٧٦] بضمّ اللام وتسكين الدال؛ وهو غلط. وقال في كتاب المعاني الذي عمله إلى سورة طه عن الكسائيّ عن أبي بكر عن عاصم ﴿لَّدُنِّي﴾ مفتوحة اللام، ساكنة الدال. وقال: حفصٌ عن عاصم ﴿لَّدُنِّي﴾ مثل أبي عمرو وحمزة»(٥).

---

(١) كتاب المرشد الوجيز (١٦٢).

(٢) كتاب السبعة (٨٥).

(٣) هذا العدد حصيلة الباحث السالم الجكني في بحثه «القراءات التي حكم عليها ابن مجاهد بالغلط أو الخطأ في كتابه السبعة: عرضٌ ودراسةٌ» الذي ردّ فيه على ابن مجاهد في تضعيفه لها.

(٤) يُنظَر: القراءات التي حكم عليها ابن مجاهد بالغلط أو الخطأ في كتابه السبعة (٦).

(٥) كتاب السبعة (٣٩٦) (٢٧).

بالطبع لا يعني ذلك أنّه كان محقّاً في كلّ ما ضعّفه[1]، بل يُحْمَلُ معظمُها على أنّه من حيث الرواية، كما نبّه على ذلك أبو عليّ الفارسيّ (ت: ٣٧٧هـ) في الحجّة للقرّاء السبعة، وكذلك شوقي ضيف محقّق كتاب السبعة في المقدّمة وحواشي التحقيق[2]، والسالم الجكني في بحثه[3]، لكنّ هذا المثال يُظْهِرُ جانب مهمّاً من جوانب منهج ابن مجاهد في التحقُّق من ضبط الروايات وسلامة نقلها حالة الاختلاف بينها. نظيره ما أجراه من مقابلات في قراءة ابن عامر: ﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣] «بالياء، كذا في كتابي عن أحمد بن يوسف عن ابن ذكوان. ورأيتُ كتابَ موسى بن موسى الخَتَّليّ عن ابن ذكوان بالتاء أيضاً في آخرِ النمل [٩٣]. وقال الحلوانيُّ عن هشام بن عمّارٍ بإسناده عن ابن عامر ذلك كلّه[4] بالتاء»[5].

أمّا نقد الأسانيد عنده، إذا لمس فيها ما لا يصحّ، فإنّه يقف على ذلك ويبيّن علتّه ووجه الصواب فيه. خيرُ مثالٍ على ذلك ما ساقه من أثر (القراءة سُنَّةٌ) بعد مقاربته الآنف ذكرها بين الآثار المرويّة في الحروف وتلك المرويّة في الأحكام: «وحدّثني [...] شريح بن يزيد، قال: حدّثنا شعيب بن أبي حمزة، عن الزهريِّ، عن محمّد بن المنكدر، قال: القراءةُ سُنّةٌ، يأخذها الآخِرُ عن الأوّلِ. قال أبو بكر [= ابن مجاهد]: هكذا قال: «عن الزهريِّ، عن محمّد بن المنكدر»؛ وهو غَلَطٌ. وقال غيرُه: عن شعيب بن أبي حمزة، عن محمّد بن المنكدر»، ثمّ ساق لذلك ثلاث روايات بإسناده المتّصل إلى ابن المنكدر هذا، ليس فيها الزهريّ، وقال: «وهو الصوابُ». أقول: إذا كان ابن مجاهد بهذا الضبط والتحرّي مع أثرٍ من الآثار، فكيف تعامله وتعاطيه مع المرويّ في الحروف وهو شيخ الصنعة؟

---

(١) كذلك يُقابَل حجّة القراءات (لابن زنجلة) (١٥٥ - ١٥٦).

(٢) يُنظَر كتاب السبعة، مقدّمة الطبعة الأولى (٢٧ - ٣٣)، الحواشي (١٥٤) (ح٣) (١٦٩) (ح٣) (١٧٩) (ح٤) (١٨٣) (ح١) إلخ.

(٣) يُنظَر هنا الحاشية الأولى.

(٤) يعني المواضع التالية في القرآن الكريم: [البقرة: ٧٤، ٨٥، ١٤٤] [الأنعام: ١٣٢] [هود: ١٢٣] [النمل: ٩٣].

(٥) كتاب السبعة (١٦١) (٢٧).

من منهجه كذلك استحضار المألوف والمتعارف عليه في أهل المصر الواحد في عصره، إذا وقف على رواية تخالف هذا المألوف، فيقول: «والمعروفُ عن المكّيّين [...]»[1]، أو ليس عنده عن إمام في إحدى رواياته شيءٌ، كما قال في قراءة قوله: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣]: «وليس عندي عن ابن عامرٍ في هذا شيء من رواية ابن ذكوان، والمعروفُ عن أهل الشام النَّصْبُ»[2]. أقول: هذا عنده فَيْصَلٌ؛ لأنّه يرتكز على إجماع أهل المصر على حرف واشتهاره وشيوعه في أوساطهم. وهذا بدوره مَنُوطٌ بالتلقّي والتلقين من الأوّل إلى الآخِر. كلّ ذلك راجع إلى صحّة الرواية المسندة مع استفاضة النقل والشهرة.

يشهد على ذلك ما قاله ابن مجاهد شيخ الصنعة: «والقراءةُ التي عليها الناسُ بالمدينة ومكّة والكوفة والبصرة والشام هي القراءة التي تَلَقَّوْهَا عن أَوَّلِيهِمْ تَلَقِّياً وقام بها في كلِّ مِصْرٍ من هذه الأمصار رَجُلٌ مِمَّنْ أَخَذَ عن التابعين، أجمعتِ الخاصَّةُ والعامَّةُ على قراءته وسَلَكُوا فيها طريقه وتَمَسَّكُوا بمذهبه»، بذلك جمع ابنُ مجاهدٍ في معادلة واحدة بين الإجماع والتلقّي المتعلّق بصحّة السند؛ أيْ بما صحّ سنده بنقل العدل الضابط عن الضابط كذا إلى منتهاه. بناءً عليه لا محلّ للادعّاء، ادّعاء شادي ناصر أنّ ابن مجاهد وعلماء آخرين كالطبريّ اعتمدوا الإجماع شرطاً لصحّة القراءة وقبولها (دون صحّة السند)، ثمّ جاء مِنْ بعدهم أمثال مكّيّ القيسيّ (ت: ٤٣٧هـ) والدانيّ (ت: ٤٤٤هـ) والشاطبيّ (ت: ٥٩٠هـ) وغيرهم، فأسقطوا عنصر الإجماع واستبدلوا به مبدأ صحّة السند من منظور مصطلح الحديث وعلومه[3]. لا حاجة هنا لمزيد من البيان منعاً للإطالة، لكن يكفي التذكير هنا: لماذا قامت الدنيا ولم تقعد، حين طُعِنَ على ابن مِقْسَم البغداديّ (ت: ٣٥٤هـ) ما «يُذْكَرُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ كُلَّ قِرَاءَةٍ

(١) كتاب السبعة (١٨٢) (٧٣).

(٢) كتاب السبعة (١٨٣) (٧٧).

(٣) Nasser: "Revisiting Ibn Mujāhid's position on the seven canonical readings" 85.

وَافَقَتِ الْمُصْحَفَ وَوَجْهاً في الْعَرَبِيَّةِ، فالْقِرَاءَةُ بها جَائِزَةٌ وَإِنْ لَم يَكُنْ لَهَا سَنَدٌ»[1]؟ فإسقاطُهُ السَّنَدَ يَهْدِمُ مثلّثَ الأركان الثلاثة، وهو مثلّثٌ متساوي الأضلاع. لذا عُقد له مجلسٌ[2] سنة (٣٢٢هـ) لاسْتِتَابَتِهِ من ذلك، قد شارك فيه ابن مجاهد[3]. ثمّ يقول ابن الجزريّ: «وهذا غَيْرُ مَا كَانَ بِنَحْوِهِ ابْنُ شَنَبُوذَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى السَّنَدِ وَإِنْ خَالَفَ الْمُصْحَفَ. وهذا [= ابن مقسم] يَعْتَمِدُ عَلَى الْمُصْحَفِ وَإِنْ خَالَفَ النَّقْلَ. وَاتَّفَقَا عَلَى مُوَافَقَةِ الْعَرَبِيَّةِ»[4]. أقول: في هذا دلالة قاطعة على حضور ركن السند عند ابن شنبوذ (ت: ٣٢٨هـ) الذي عُقِدُ له أيضاً مجلسٌ[5] سنة (٣٢٣هـ) لعدم اعتباره موافقة المصحف شرطاً سابقاً، قد شارك فيه كذلك ابن مجاهد[6]، لكنّ إشكالَ ابنِ شنبوذ وإشكالَ ابنِ مقسمٍ يكمنان في هَدْمِ مُثَلَّثِ الأركانِ الثلاثةِ للقراءة الصحيحة بإسقاط أحد أضلاعه المتساوية، إذ بتوافرها جميعاً في آنٍ واحدٍ يقع التواترُ.

بذلك لم يكن نقد الطبريّ ولا نقد ابن مجاهد بدعاً في ذلك[7]، بل هما كغيرهما من المتقدّمين والمتأخّرين من علماء القراءات الذين نهجوا هذا النهج من باب ضبط الرواية وصحّة النقل[8]؛ فابن مجاهد ينقل بدوره في كتاب السبعة بعض المواضع التي

(١) غاية النهاية (١٢٤/٢) (س١٢ - ١٣).

(٢) للمزيد عن تفاصيل هذا المجلس ومن شارك فيه، في ترجمته في المصادر التالية: يُراجَع تاريخ بغداد (٢٠٦/٢ - ٢٠٨) (٦٣٨)، نزهة الألبّاء (١٧٣ - ١٧٤) (١٠٨)، معجم الأدباء (٢٥٠٣/٦ - ٢٥٠٥) (١٠٣٤)، غاية النهاية (١٢٤/٢). كذلك مقال مصطفى شاه (٧٩ - ٨١).

(٣) تاريخ بغداد (٢٠٧/٢) (س١٣ - ١٨)، معجم الأدباء (٢٥٠٤/٦).

(٤) غاية النهاية (١٢٤/٢) (س١٤ - ١٦).

(٥) للمزيد عن تفاصيل انعقاد هذا المجلس، في ترجمته في الفهرست (٥٠ - ٥١)، تاريخ بغداد (٢٨٠/١ - ٢٨١) (١٢٢)، معجم الأدباء (٢٣٢٤/٥ - ٢٣٢٦)، غاية النهاية (٥٤/٢ - ٥٥). كذلك مقال مصطفى شاه (٨١ - ٨٢).

(٦) معجم الأدباء (٢٣٢٥/٥ و٢٣٢٦).

(٧) لقد تحدّث إسماعيل الطحّان عن ظاهرة نقد القراءات في مرحلة ما قبل الطبريّ وفي مرحلته وما بعدها مشفوعة بأمثلة في مقاله «ظاهرة نقد القراءات ومنهج الطبريّ فيها» (٣٢٢ - ٣٢٩.) قال هناك (٣٢٩): «هذه نماذج للقراءات المردودة عبر سبعة قرون من الزمان، ردّها أئمّةٌ أعلامٌ على قرّاء أعلامٍ من السبعة والعشرة ومَنْ فوقَهم».

(٨) يُقابَل ظاهرة نقد القراءات ومنهج الطبريّ فيها (٣٢٠ - ٣٢١).

وهّم فيها شَيْخُه قُنْبُلٌ (١٩٥ - ٢٩١هـ) شيخَه البَزّيّ (١٧٠ - ٢٥٠هـ)[١]. كذلك ينقل قراءة ابن كثير المكّيّ ﴿وَضِئَاءً﴾ [الأنبياء: ٤٨] بهمزتين، فيورد بشأنها: «كذلك قال قُنْبُلٌ عن القوّاسِ، وأَبَاهُ ابنُ فُليحٍ وغيرُه وقالوا: ﴿وَضِيَآءً﴾ بهمزةٍ واحدةٍ بعدَ الألفِ، مثل سائرِ الناس، وبذلك قرأ الباقون»[٢].

من جهة أخرى قد غُلِّط ابنُ مجاهد بين الحين والآخر فيما صدر عنه من أقوال وإجابات، بعضها ذكره ابنُ مهران (٢٩٥ - ٣٨١هـ) في «المبسوط في القراءات العشر» له[٣]، كالتالي:

«حدّثني أبو عليّ الصفّار المقرئ، قال: اختَلَفَ في هذا الحرف [= ﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ [هود: ٤٢]] رجلانِ عند ابن مجاهدٍ، فسَأَلَاهُ، فقال: لا يُظهِرُ إلّا حمزةُ، وهذا غلطٌ منه»[٤].

«قال ابنُ مجاهد في مَسَائِلَ رُفعت إليه وأجاب عليها: لا يُدْغِمُهُ [= ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم﴾ [المرسلات: ٢٠]] إلّا أبو عمرٍو، وهذا منه أيضاً غلطٌ كبيرٌ»[٥].

كذلك نهج علماء القراءات في مختلف الطبقات والأعصار أسلوب النقد والتصحيح، لا يسعُ المجال هنا التطرُّق إليهم واحداً واحداً، أمثال الدانيّ (ت: ٤٤٤هـ) والأهوازيّ (ت: ٤٤٦هـ) والهذليّ (ت: ٤٦٥)، بل يكفي هنا التوقّف عند الدانيّ، من كبار علماء القراءات في عصره وشيخ مشايخ المقرئين؛ فقد نهج هذا النهج بتحرٍّ وعناية. من الأمثلة على ذلك نقده أبا عُبيدٍ والطبريَّ وابنَ مجاهدٍ على السواء.

أمّا الأوّل فنقده في سياق كلامه على قراءة قوله: ﴿لَّدُنِّي﴾ [الكهف: ٧٦]: «قال

(١) يُنظَر كتاب السبعة (٤٥٢) (٢) [الآية ٢٤: ٢ و٥٧: ٢٧].

(٢) كتاب السبعة (٤٢٩) (٨). للمزيد من هذه الأمثلة يُراجَع كتاب السبعة (٦٦٥) (٦)، الحجّة للقرّاء السبعة (٣٦١/٦)، جامع البيان (٧٦٨).

(٣) المبسوط في القراءات العشر (١٠١) (٣٠).

(٤) كذلك تطرّق ابن مهران فيه إلى مواضع أخرى من التغليط من قبل آخرين، كما في (٨٧، ١٧٢) (٥٠)، (١٩٧) (٢٣)، (٢٠٧) (٢)، (٢٧٥) (١).

(٥) المبسوط في القراءات العشر (١٠٢) (٣١).

أبو عبيد في كتاب القراءات[1] عنه عن أبي بكرٍ يشمّ اللام الضمّة مع جزم الدال؛ وإشمام اللام خطأٌ منه. وقد قال في كتاب «المعاني» عن الكسائيّ عن أبي بكرٍ بفتح اللام، وهو الصواب، غير أنّه لم يَذْكُرِ الدالَ هناك»[2].

أمّا الثاني، فوجّه إليه انتقاده، كما يلي: «أجمعوا على الياء في الموضع الأوّل من هذه السورة، وهو قوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩]، لأنّ قولَه: ﴿مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩] وهو للغيبة ورد عليها. وقد غلط محمّدُ بنُ جَريرٍ مع تيقُّظِه وحسنِ معرفتِه في هذا الموضع، فجعل في جامِعِه الاختلافَ فيه [النساء: ٤٩] دون الثاني [النساء: ٧٧]، فصَيَّرَ المختلَفَ بذلك فيه مجمَعاً عليه والمجمَعَ عليه مختلَفاً فيه»[3]. ثمّ ذكره في موضع آخر بنقد مضمَّن: «كلُّهم قرأ ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ [طه: ٤٠] بفتح القاف، إلّا ما رواه عبد الحميد ابن بكّار، عن أيّوبَ، عن يحيى، عن ابن عامرٍ أنّه قرأ «تَقِرَّ» بكسرِ القافِ، وهو عندي وَهمٌ من ابن بكّار. والكسرُ لغةٌ معروفةٌ، ولم يذكر ابنُ جرير هذا الحرفَ في جامعه»[4].

أمّا الثالث، فانتقده في الموضع التالي: «قال ابن مجاهد عن التغلبيّ عن أبي عبيد عن إسماعيل «هُزْواً» [البقرة: ٦٧] بالتخفيف؛ وهو وَهمٌ من ابن مجاهد؛ لأنّ أصحاب التغلبيّ رَوَوْا ذلك عن أبي عبيد عن إسماعيل بالتثقيل. وكذلك ذكره أبو عبيد عن إسماعيل بالتثقيل. وكذلك ذكره أبو عبيد في كتابه»[5].

نجد أبا عمرو الدانيَّ قد انتقد أيضاً بعض تلاميذ ابن مجاهد النجباء المبرَّزين، كالمقرئ مسند القرّاء في زمانه عبد الله بن الحسين البغداديّ، نزيل مصر (ت: ٣٨٦هـ).

(١) القراءات: القرآن، كذا في المطبوع.
(٢) جامع البيان (٦٠٥).
(٣) جامع البيان (٤٧٧).
(٤) جامع البيان (٦٢٣).
(٥) جامع البيان (٤٠٠).

من ذلك ما ذكره في قراءة قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾ [الأنعام: ٩٦] في مفردة يعقوب: «﴿وَجَٰعِلُ ٱلَّيۡلِ (سُكِناً)﴾: كذا قرأتُ على فارس عن قراءته على عبد الله بن الحسين، وهو عندي وَهمٌ من عبدِ الله، وأَحْسبُه أنّه لَمَّا رأى في كتابِ قراءةِ يعقوبَ ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾ بالألفِ، ظَنَّ المرادَ بإثبات الألفِ فيه في قوله: (سُكِناً) بالألف، وإنّما المرادُ بذلك قوله: ﴿وَجَٰعِلُ﴾ [الأنعام: ٩٦] من حيث كان مُخْتَلَفاً فيه وكان ذلك مُجْمَعاً عليه. ولأجلِ هذا وهم عبدُ اللهِ أيضاً في رواية رَوْحٍ في قوله في الشعراء: ﴿وَأَتۡبَعُكَ ٱلۡأَرَاذِلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]؛ فحَكَى عنه أنّه أَثْبَتَ الألفَ في الحرفين معاً، وإنّما أراد رَوْحٌ أنَّ يعقوبَ يُثْبِتُها في قوله: ﴿وَأَتۡبَعُكَ﴾ خاصّةً دون قوله: (الأَرَاذِلُونَ). والوَهمُ في مِثْلِ هذا لِمَن يَخْتَلُّ(١) حِفْظُهُ، ويَرْجِعُ إلى المصحف يَقَعُ كثيراً»(٢).

(١) يختلّ: يحتنك، كذا في مطبوع مفردة يعقوب (١٤٧) بتحقيق حسين محمّد العواجي، وهو المعتمد هنا في هذا البحث، أو مفردة يعقوب بن إسحاق الحضرميّ (١١٩) بتحقيق حاتم صالح الضامن، الرياض، دار ابن الجوزيّ (ط١) (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) (١٥٢ص).

(٢) مفردة يعقوب (١٤٧). كذلك مفردة يعقوب (٨٠) [الأنعام: ٩٦] «بألفٍ بعد السين، كذا قرأتُ على أبي الفتح [= فارس بن أحمد (ت: ٤٠١هـ)] عن قراءته [= على عبد الله بن الحسين]؛ وهو غلطٌ. وقرأتُ على أبي الحسن [= ابن غلبون (ت: ٣٩٩هـ)] بغير ألف؛ وهو المعروف عند التالِينَ بقراءة يعقوب» (١٠٥) [الشعراء: ١١] «رَوَى لي فارس بن أحمد عن عبد الله بن الحسين عن أصحابه عن رَوحٍ عن يعقوبَ (الأَرَاذِلُونَ) بفتح الراءِ وألفٍ بعدها وكسرِ الذال. قال لي: ولم أقرأْ بذلك عليه. وقرأتُ أنا عليه وعلى أبي الحسن بغير ألفٍ؛ وهو الصواب. وما رواه عبدُ الله غلطٌ منه، لا يعرفُه أحدٌ من أهل الأداء ولا يأخُذُ به». ثمّة مواضع أخرى من هذا القبيل في مفردة يعقوب (٧٢) [آل عمران: ١٥٤]، (١١٥) [يس: ٨١].

المبحث الثاني

روايات الطبريّ في القراءات

كما تقدّم ذكره، فقد كان الطبريّ يقرأ قديماً لحمزة بن حبيب الزيّات (ت: ١٥٦هـ) قبل أن يختار لنفسه اختياراً في القراءة. هنا لا بدّ من التوقّف عند مسألة جديرة، هي لِمَ كان يقرأ قديماً لحمزة، لا لغيره من أئمّة الكوفة مثل عاصم والكسائيّ، أو لغيره من أئمّة البصرة مثلاً مثل أبي عمرٍو ويعقوب الحضرميّ؟

كنتُ قد أشرتُ عند كلامي على أبي حاتم أنّ الطبريّ لم يرغب في أبي حاتم شيخاً وأستاذاً لتصرُّفات صدرت عنه أَمَامَهُ، وقد كانت البصرة وجهته الأُولى بعد ما غادر بغداد التي دخلها سنة (٢٤١هـ) وكان في نفسه أَنْ يَسْمَعَ مِنِ ابْنِ حنبلٍ (ت: ٢٤١هـ)، فلم يتّفق ذلك لمَوْتِهِ قُبَيْلَ دُخُولِهِ إليها، فأقام فيها عدّة أشهرٍ، يحضر دروس بعض علمائها ويكتب عنهم، ثمّ انحدر إلى البصرة سنة (٢٤٢هـ)، ثمّ توقّف قليلاً بواسط ثمّ الكوفة[١]. ثمّ رجع بعد أقلّ من سنتين إلى بغداد نحو (٢٤٤هـ).

واضح ممّا تقدّم أنّه لم يكن له في البصرة نصيبٌ من تحصيل القراءات، فلا رواية له فيها عن البصريّين، بخلاف الكوفة التي كانت محطّته الثالثة بعد إقامته القصيرة بواسط، وحظي فيها بالقراءة على الطَّلْحِيّ (ت: ٢٥٢هـ)[٢]، كما سيأتي بيانه، فكانت قراءة حمزة الزيّات ذات سَبْقٍ وحَظْوَةٍ عند الطبريّ قبل غيرها من القراءات في رحلاته في طلب العلم، وهي المأخوذ بها عصرئذٍ عند أهل الكوفة. أمّا قراءة الكسائيّ (ت: ١٨٩هـ)، فلم تشتهر بها رغم أنّه في عداد أئمّتهم؛ لأنّ اختياره عُرف بادئ ذي بدءٍ بمدينة السلام في أواخر وقته كما مضى بيانه. أمّا قراءة عاصم (ت: ١٢٧هـ)، فكان أهل الكوفة لا يأتَمُّونَ في قراءتها بأحدٍ ممّن يثبتونه في القراءة عليه إلّا بشُعْبَةَ

(١) معجم الأدباء (٦/٢٤٤٧).
(٢) غاية النهاية (١/٣١٤) (١٣٨٢).

(٩٥ - ١٩٣هـ)، وكان لا يكادُ يمكّنُ مِنْ نَفْسِه مَنْ أرادها منه، فَقَلَّتْ بالكوفة من أجل ذلك، وعَزَّ مَنْ يُحْسِنُهَا[١].

كانت قراءةُ حمزة الزيّات عند الطبريّ برواية سُلَيْمِ بنِ عيسى الحنفيّ (ت: ١٨٨هـ) من طريقين:

طريق الطَّلْحِيّ (ت: ٢٥٢هـ):

قال الأهوازيّ (ت: ٤٦٥هـ): «قرأ أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ على سليمان بن عبد الرحمن بن حمّاد الطَّلْحِيّ، وقرأ سليمان على خلّاد بن خالد الصيرفيّ، وقرأ خلّاد على سُليم بن عيسى الحنفيّ؛ وقرأ سُليم على حمزة بن حبيب الزيّات»[٢]، فالطَّلْحّي أحد شيوخ الطبريّ في القراءة، قرأ عليه القرآن مراراً[٣]. قال ابن الجزريّ عنه: «كان ثقةً، ضابطاً، جليلاً، متصدّراً»[٤].

طريق ابن كِيسَةَ الكوفيّ نزيل مصر (ت: ٢٠٢هـ):

قال الفرغانيّ (٢٨٢ - ٣٦٢هـ): «ثمّ أخذها أبو جعفرٍ، عن يونس بن عبد الأعلى، عن عليِّ بنِ كِيسَةَ، عن سُلَيْمٍ، عن حمزة»[٥]؛ فيونس بن عبد الأعلى (ت: ٢٦٤هـ) فقيه كبير، محدّث مقرئ، ثقة. قد انتهت إليه رئاسة العلم وعلوّ الإسناد في الكتاب والسنّة بمصر. كان الطبريُّ روى القراءة عنه وتفقّه عليه وحدّث عنه في أثناء إقامته في مصر[٦].

---

(١) كتاب السبعة (٧١) بتصرُّف طفيف.

(٢) يُنظَر هنا الملحق، كتاب الإقناع (٢٤٠ - ٢٤١). يُقابَل كتاب الكامل في القراءات الخمسين (٢٧٨/٣ - ٢٧٩) طريق الطَّلْحِيّ، تاريخ مدينة دمشق (٢٠٤/٥٢)، معجم الأدباء (٢٤٥٥/٦)، معرفة القرّاء الكبار (٥٢٧/٢): «قرأ القرآن على سليمان بن عبد الرحمن الطَّلْحِيّ، صاحب خلّاد». كذلك يُقابَل الطبريّ لجيليو (١٠) (ش٢٣). الإسناد: الطبريّ > الطلحيّ > خلّاد > سُليم > حمزة.

(٣) كتاب الكامل في القراءات الخمسين (٢٧٨/٣ - ٢٧٩). يُقابَل غاية النهاية (١٠٧/٢) «أخذ القراءة عن سليمان بن عبد الرحمن بن حمّاد عن [في المطبوع (حامد بن)] خلّاد».

(٤) النشر في القراءات العشر (١٦٧/١). نظيره غاية النهاية ٣١٤/١ (١٣٨٢) «مقرئ ثقة». هذه النسبة (الطَّلْحّي) إلى طَلْحَة بن عُبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. يُنظَر: الأنساب للسمعانيّ (٢٤٦/٨ - ٢٤٧).

(٥) تاريخ مدينة دمشق (٢٠٤/٥٢)، معجم الأدباء (٢٤٥٥/٦) اللفظ له. يُقابَل الطبريّ لجيليو (١٤).

(٦) غاية النهاية (٤٠٦/٢ - ٤٠٧) (٣٩٤٩).

أمّا قراءة نافع، فكانت عنده برواية ورشٍ (ت: ١٩٧هـ) من طريق يونس بن عبد الأعلى (١٧٠ - ٢٦٤هـ)[١] الذي سمعها الطبريُّ منه[٢] ورواها عنه. قال ابن كامل: «وكان عند أبي جعفرٍ روايةُ ورشٍ عن نافعٍ، عن يونس بن عبد الأعلى عنه، وكان يُقْصَدُ فيها، فحَرَصَ على ما بَلَغَنِي أبو بكر بنُ مجاهدٍ مَعَ مَوْضِعِه في نَفْسِهِ وعند أبي جعفرٍ أن يَسْمَعَ منه هذه القراءةَ مُنْفَرِداً، فأبَى إلّا أَنْ يَسْمَعَهَا مَعَ الناس، فما أَثَّرَ ذلك في نَفْسِ أبي بكرٍ. وكان ذلك كرهاً من أبي جعفرٍ أنْ يَخُصَّ أحداً بشيءٍ من العلم. وكان في أخلاقه ذلك»[٣].

يبدو أنّ ذلك أثّر في نفس ابن مجاهد؛ فقد رَوَى قراءةَ نافع بهذا السند عن شيخه الطبريّ مدلّساً، «غير أنّه دلّس اسمَه. قال في إسناده قراءة نافع: حدّثني محمّد ابن عبد الله، قال: حدّثنا يونس، عن ورشٍ وسقلاب، عن نافعٍ. قال صالح بن إدريس: محمّد بن عبد الله هذا هو محمّد بن جرير»[٤].

أمّا قراءة ابن عامر (ت: ١١٨هـ)، فقرأ بها القرآن من أوّله إلى خاتمته على العبّاس ابن الوليد بن مَزْيَد البيروتيّ (١٦٩ - ٢٧٠هـ) على عبد الحميد بن بكّار البيروتيّ على أيّوب بن تميم الدمشقيّ (ت: ١٩٨/٢١٩هـ) على يحيى بن الحارث الذماريّ (ت: ١٥٤هـ) عليه، كما قال الأهوازيّ (ت: ٤٦٥هـ)[٥]، زاد الذهبيّ (ت: ٧٤٨هـ) المكان والمدّة: «تلا بحرفِ ابنِ عامرٍ على العبّاس بن الوليد ببيروت في سبعِ ليالٍ خَتْمَةً عن تلاوته على

---

(١) طريقه من طرق الهذليّ في كتاب الكامل في القراءات الخمسين (١١٤/٢) طريق يونس بن عبد الأعلى.

(٢) معرفة القرّاء الكبار (٥٢٧/٢) «سمع حرف نافع من يونس بن عبد الأعلى».

(٣) معجم الأدباء (٢٤٥٥/٦). الإسناد: الطبريّ > يونس بن عبد الأعلى > ورش > نافع.

(٤) غاية النهاية (١٠٧/٢) نقلًا من جامع البيان للدانّي. كذلك ذكر ذلك في ترجمة ابن مجاهد في غاية النهاية (١٤٠/١) (٦٦٣) «(ج) محمّد بن جرير الطبريّ - ودلّسه، فقال فيه: محمّد بن عبد الله» [حرف (ج) رمز لجامع البيان]. أمّا الدانيّ، فقال بعد ذكر الإسناد في جامع البيان (١٠٨): «قال أبو عمرو [= الدانيّ]: محمّد بن عبد الله هذا هو الذي يروي عنه ابنُ مجاهدٍ هو محمّد بن جرير بن يزيد الطبريّ. دلّسه ابنُ مجاهد».

(٥) يُنظَر هنا الملحق، كتاب الإقناع (٢٤١ - ٢٤٢). يُقابَل جامع البيان (١٢٥)، كتاب الكامل في القراءات الخمسين (٤٣٠/٢) رواية عبد الحميد بن بكّار. كذلك يُقابَل الطبريّ لجيليو (١٣).

عبد الحميد بن بكّار عن أيّوب بن تميم»[1]. ما ذكره الأهوازيُّ والذهبيُّ بهذا الصدد قد تقدّم عليهما بالنصّ عليه أبو عليّ الأصبهانيّ (ت: ٣٩٣هـ)[2]، شيخ القرّاء بدمشق في وقته، في كتاب تلخيص قراءات الشاميّين له «أنّ أبا جعفرٍ - يعني محمّد بن جرير الطبريّ - أقام ببيروت أيّاماً، منها تسع ليالٍ، يَبِيتُ في المسجد الجامع بها حتّى ختم القرآن بهذه الرواية تلاوةً على العبّاس بن الوليد»[3]. أقول: هذه همّة عالية من طرف الطبريّ، سواء كان ذلك في سبع ليالٍ أو تسع ليال.

هذه الروايات الثلاث التي تحدّثت عنها المصادر هي مجمل روايات الطبريّ في القراءات، قليلة العدد على نَفَاسَتِهَا. لذا قد يُفهَمُ ما ذكره ابن الجزريّ، بعدما نصّ على أخذِ الطبريِّ القراءةَ عن الطَّلْحيّ وعن العبّاس بن الوليد، من أنّه «رَوَى الحروفَ سماعاً عن العبّاسِ بنِ الوليدِ، ويونسَ بنِ عبدِ الأعلى، وأبي كُرَيب محمّدِ بنِ العَلَاء، وأحمدَ بنِ يوسفَ التَّغْلِبِيّ»[4] على أنّه بعض تقوية للانطباع الصادر عن ضعف اشتغال الطبريّ بالقراءات ورواياتها.

أمّا العبّاس بن الوليد، فقد تقدّم أنّ الطبريَّ أَخَذَ القراءةَ [= قراءة ابن عامر] عنه ختمةً بالتلاوة. «ثمّ سَمِعَ منه الكِتَابَ بعد القراءة. وأخبره أنّه قرأ به على عبد الحميد بن بكّار القرآنَ مرّتين»، كما نصّ على ذلك أبو عليّ الأصبهانيّ المقرئ (ت: ٣٩٣هـ) في كتاب تلخيص قراءات الشاميِّين له[5]. هذا يظهر حرص الطبريّ الشديد على أخذها تلاوةً، كما مضى، وكتابةً، مثلما حرص العبّاس بن الوليد، صاحب الكتاب، مِنْ قَبْلِهِ.

(١) معرفة القرّاء الكبار (٥٢٧/٢). يُقابَل غاية النهاية (٣٥٥/١) (١٥٢١)، (١٠٧/٢) «أخذ القراءة [...] عن (ج ك) العبّاس ابن الوليد بن مزيد ببيروت عن عبد الحميد بن بكّار». عنه تاريخ مدينة دمشق (٤٤٩/٢٦ - ٤٥٣) (٣٢٢٨).

(٢) عنه معرفة القرّاء الكبار (٧٠٦/٢) (٤٢٣)، غاية النهاية (١٠١/١) (٤٦٤).

(٣) تاريخ مدينة دمشق (١٩١/٥٢).

(٤) غاية النهاية (١٠٧/٢).

(٥) تاريخ مدينة دمشق (١٩١/٥٢).

أمّا يونس بن عبد الأعلى، فقد تقدّم كذلك أنّ الطبريّ أَخَذَ عنه قراءةَ حمزةَ وقراءةَ نافعٍ.

أمّا أبو كُرَيب الكوفيّ (ت: ٢٤٣هـ)[١]، فهو من كبار أصحاب الحديث الذين كتب عنهم في الكوفة، حين صار إليها، فعرف قدرَه على حَدَاثَتِه ومكّنه من حديثه، فأكثَرَ عنه[٢]. أمّا في القراءة، فكان أبو كُرَيب من المقلّين، فرَوَى الحروفَ عن أبي بكر عن عاصم؛ فبالتالي يكون الطبريُّ رواها سماعاً عنه، كما ذكر ابن الجزريّ.

أمّا التَّغْلِبِيُّ (ت: ٢٧٣هـ)[٣] صاحب أبي عُبيد، فهو من أهل بغداد، أحدُ شيوخ الطبريّ (ت: ٣١٠هـ) وابن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ) والخاقانيّ (ت: ٣٢٥هـ) وغيرهم في القراءة. يظهر دوره عند الطبريِّ في سياقين:

١. رواية الطبريّ كتابَ القراءات لأبي عُبيدٍ عنه. قال ياقوت الحمويّ (ت: ٦٢٦هـ) بهذا الصدد: «كتابُه في القراءات يَشْتَمِلُ على كتاب أبي عبيد القاسم بن سلّام؛ لأنّه كان عنده عن أحمد بن يوسف التغلبيّ[٤] عنه، وعليه بَنَى كتابَه»[٥].

٢. أخْذُ الطبريِّ القراءةَ عنه، كما في ترجمة التغلبيّ، وروى الحروفَ سماعاً عنه، كما في ترجمة الطبريّ. لعلّ الأمر هنا يتعلّق برواية ابن ذكوان.

أمّا مَن أخذ القراءة عن الطبريّ، فليسوا بكُثرٍ، هم: ابن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ)، والداجونيّ الكبير (ت: ٣٢٤هـ)، وأبو طاهر بن أبي هاشم (ت: ٣٤٩هـ)[٦]، وعبد الله بن

(١) عنه غاية النهاية (١٩٧/٢) (٣٢٣٥). يُقابَل الطبريّ جيليو (٩) (ش١٦).
(٢) معجم الأدباء (٢٤٤٧/٦).
(٣) عنه غاية النهاية (١٥٢/٢ - ١٥٣) (٧١٠). يُقابَل الطبريّ لجيليو (١١ - ١٢) (ش٣٣). للتنبيه: قد ضبطه روزنتال (الثعلبيّ) مقدّمة عامّة (٩٧) وقال قُبَيْلَها [مقدّمة عامّة (٩٦)، حاشية (٣٣٩)]: نسبته المذكورة أيضاً (التغلبيّ) من المحتمل أنّها غير صحيحة. أقول: بذلك حاد مرّتين عن الصواب.
(٤) التغلبيّ: الثعلبي، كما في المطبوع.
(٥) معجم الأدباء (٢٤٥٦/٦).
(٦) روى عن الطبريّ قراءةَ حمزة برواية سُليم بن عيسى الحنفيّ (ت: ١٨٨هـ) من طريق الطَّلْحيّ (ت: ٢٥٢هـ)، كما في كتاب الكامل في القراءات الخمسين (٢٧٨/٣ - ٢٧٩). كذلك روى عنه قراءةَ ابنِ عامرٍ برواية عبد الحميد بن بكّار، كما في كتاب الكامل في القراءات الخمسين (٤٣٠/٢).

أحمد الفرغانيّ (ت: ٣٦٢هـ)[١]. كذلك قرأ عليه الكَرجيُّ[٢]، شيخ الأهوازيّ الذي قرأ عليه بالأهواز بروايات، فقد «ذكر الأهوازيُّ أنّه تلا على ابن فيروز الكَرجيّ عن قراءته على ابن جرير»[٣]. يُضَافُ إلى هؤلاء محمّد بن القاسم الصَّفَّار[٤]، «شَيْخٌ كان ببغداد في الجانب الشرقيّ، يقرئُ عنه برواية عبد الحميد بن بكّار عن ابن عامر»[٥].

فالحاصل أنّه لم يَقْرَأْ عليه إلّا آحادٌ من الناس، كما قال الأهوازيُّ في كتاب الإقناع[٦].

(١) معرفة القرّاء الكبار (٥٢٨/٢)، غاية النهاية (١٠٧/٢) (س٩ - ١١) [الأخير، وهو الفرغانيّ، ذكره ابن الجزريّ فقط].

(٢) هو أبو عبيد الله محمّد بن محمّد بن فيروز. عنه معرفة القرّاء الكبار (٦٤٧/٢) (٣٦٨)، غاية النهاية (٢٤٧/٢) (٣٤٣٢)، الأهوازيُّ وجهوده في علوم القراءات (١٧ - ١٨).

(٣) معرفة القرّاء الكبار (٥٢٨/٢)، غاية النهاية (١٠٧/٢) (س١٣ - ١٤).

(٤) هنا الملحق «كالصّفار»، معرفة القرّاء الكبار (٥٢٩/٢) «تلا عليه محمّد بن القاسم الصّفار».

(٥) يُنظَر هنا الملحق.

(٦) يُنظَر هنا الملحق.

المبحث الثالث

اختيار الطبريّ في القراءة[1]

اختار الطبريّ من القراءات المشهورات دون الشواذِّ اختياراً في القراءة، قد دوّنه في كتابه في القراءات، كما قال الأهوازيّ (ت: ٤٦٥هـ): «ذَكَرَ فيه جميعَ القراءاتِ من الْمَشْهُورِ والشَّوَاذِّ، وعَلَّلَ ذلك وشَرَحَهُ، واخْتَارَ مِنْهَا قِرَاءَةً لَمْ يَخْرُجْ بها عَنِ المشهور»[2]. وكان يقرأ قديماً لحمزة قبل أن يختار لنفسه اختياراً في القراءة، كما مضى ذكره.

هنا لا بدّ من الإشارة إلى مسألة في غاية الأهمّيّة، هي أنّ ما اختاره في القراءة تَمَّ له بعد تجربةٍ واسعةِ المدارك والمعارف العلميّة وإحكامِه شَتَّى العلوم والفنون التي اكتسبها أثناء رحلاته في طلب العلم. هذا ما يُستَفَادُ من كلام القاضي أبي بكر الدينوريّ (ت: ٣٣٣هـ)[3]، صاحب الأمالي الموسومة بالمجالسات وجواهر العلم (ط): «فابْتَدَأَ بعد ما أَحْكَمَ ما أمكَنَه إحْكَامه من علمِ القرآنِ والعربيّةِ والنحوِ وروايةِ شعرِ الجاهليّةِ والإسلامِ ومسندِ حديثٍ للنبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما رُوي عن الصحابةِ والتابعين من علمِ الشريعةِ وعلمِ اختلافِ علماءِ الأمصارِ وعِلَلِهِمْ وكُتُبِ أصحابِ الكلامِ وحُجَجِهِمْ وكلامِ الفلاسفةِ وأصحابِ الطبائع وغيرِهم بِتَصْنِيفِ كُتُبِهِ. وكان قَبْلَ تَصْنِيفِهِ كُتُبَهُ يَقْرَأُ وَيُجَوِّدُ بحَرْفِ حَمْزَةَ الزيّاتِ»[4].

إنّ هذا الاختيار - اختياره في القراءة - لَمْ يَحْظَ بشُهْرَةٍ وشُيُوعٍ؛ لأنّ الطبريَّ لم يَشْتَغِلْ بالقراءات ولم يَنْتَصِبْ للإقراء بها، فلم يقرأ عليه إلّا بعضُ الأفراد، كما ذكر

(١) يُقابَل:
Exégèse, langue, et théologie en Islam (154-155) (3).

(٢) كتاب الإقناع (٢٤٥).

(٣) هو أحمد بن مروان المالكيّ، قاضٍ، من رجال الحديث. كان على قضاء القلزم. ثمّ ولي قضاء أسوان بمصر عدّة سنين. عنه الأعلام للزركليّ (٢٥٦/١).

(٤) تاريخ مدينة دمشق (٢٠٣/٥٢ - ٢٠٤).

ذلك الأهوازيّ بقوله: «ولم يكن مُنْتَصِباً للإقراء، ولا قرأ عليه إلّا آحادٌ من الناس، كالصفّار، شيخ كان ببغداد في الجانب الشرقيّ، يُقرِئُ عنه بروايةِ عبدِ الحميدِ بنِ بكّارٍ عَنِ ابْنِ عَامِرٍ»[1]، فلم يُقرِئْ باختياره أحدٌ غير الْـجُبِّـيِّ (ت: ٣٨١هـ)[2] الذي كان يضنّ به على ما قاله الأهوازيّ: «وأمّا القراءة عليه باختياره، فإنّي ما رأيتُ أحداً أَقْرَأَ به غير أبي الحسين الجُبّيّ، وكان ضَنِيناً به»[3]، فمُجْمَلُ مَنْ قَرَأ على الْـجُبِّـيِّ باختيار الطبريّ ثلاثة فقط، آخرُهم الأهوازيّ، وذلك بعد إلحاحٍ وإصرارٍ شديدين من قبله. قال: «ولقد سَأَلْتُهُ زَمَاناً حَتَّى أَخَذَ عَلَيَّ بِهِ وقال [= الْجُبِّيُّ]: تردّدتُ إلى أبي جعفرٍ نَحْواً مِنْ سَنَةٍ أَسْأَلُهُ ذلك وَيَأْبَاهُ حَتَّى أجرَمْتُ عليه وَسَأَلْتُهُ. وكُنْتُ قَدْ سَمِعْتُ منه صَدْراً مِنْ كُتُبِهِ، فأَخَذَهُ عَلَيَّ عَلَى جَهْدٍ وقال [= الطبريّ]: لَا تَنْسُبْهَا إِلَيَّ وَأَنَا حَيٌّ! فما أَقْرَأْتُ به أَحَداً حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شَوَّالٍ من سَنَةِ عشرٍ [٢٤٦] وثلاثمائة. وقال أبو الحسين الْجُبِّيّ: ما قرأ عَلَيَّ به إلّا اثنانِ وأنتَ ثالثُهم. وقال لي: لَا أَدْرِي كَيْفَ نَشِطْتُ له؟ ولا قَرَأَ عَلَيْهِ بِهِ أَحَدٌ بَعْدِي إلى أن مات سنة إِحْدَى وثمانين وثلاثمائة»[4].

واضح ممّا تقدّم أنّ وراء عدم اشتهارِ اختيار الطبريّ وشيوعه سَبَبَيْنِ: لَمْ يَكُنْ مُنْتَصِباً للإِقْرَاءِ، فَلَمْ يَقْرَأْ عليه إلّا أَفْرَادٌ من جهة، كما مضى، وضَنَّ الْجُبِّيُّ (ت: ٣٨١هـ) به طِوَالَ وَاحِدَةٍ وسبعين سَنَةً مِنْ بَعْدِ وَفَاةِ الطبريّ، فَلَمْ يَقْرَأْ على هذا الْجُبِّيّ به إلّا ثلاثةٌ فقط، لا يُعْرَفُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إلّا الأهوازيّ (ت: ٤٤٦هـ) الذي تحدّث عن نفسه بهذا الصدد، فأسند قراءته عَلَيْهِ بِهِ فيما يلي: «أمّا اختيارُ ابنِ جريرٍ الطبريِّ، فإنّي قرأتُ به

(١) كتاب الإقناع (٢٤٥). يُنظَر الطبريّ المفسّر للأسعد (١٤٧).

(٢) هو أبو الحسين أحمد بن عبد الله بن الحسين بن إسماعيل المقرئ، شيخ الأهوازيّ الذي قرأ عليه بالأهواز. عنه كتاب الكامل في القراءات الخمسين (٣٨٣/٣)، معرفة القرّاء الكبار (٦٤٥/٢ - ٦٤٦) (٣٦٥)، غاية النهاية (٧٢/١) (٣١٨)، الأهوازيُّ وجهوده في علوم القراءات (١٩ - ٢١).

(٣) كتاب الإقناع (٢٤٥).

(٤) يُنظَر هنا الملحق، كتاب الإقناع (٢٤٥ - ٢٤٦).

القرآنَ من أوّلِهِ إلى خاتمتِهِ على أبي الحسين أحمد بن عبد الله بن الحسين بن إسماعيل الجُبّيّ بالأهواز سنةَ ثمانين وثلاثمائة؛ وأخبرني أنّه قرأ القرآنَ من أوّلِهِ إلى خاتمتِهِ على أبي جعفرٍ محمّد بن جرير بن يزيد الطبريِّ الفقيهِ في داره سَنَةَ ثَمَانٍ وثلاثمائة باختياره»(١).

فالحاصل أنّه لم يَقْرَأْ على الطبريّ باختياره إلّا الْجُبّيّ. لذلك لم يذكر ابنُ الجزري في ترجمة الطبريّ غيره، فقال: «قرأ عليه باختيارِه (ك) أحمد بن عبد الله الْجُبّيُّ»(٢).

إنّه في ظلّ هذه النتيجة (واحد أخذ عنه اختياره) والسابقة لها (خمسة أخذوا عنه القراءة) وأخرى (قراءته القرآن على ثلاثِ قراءاتٍ بثلاثِ رواياتٍ من أربعةِ طُرُقٍ(٣): (١) قراءة حمزة برواية سُليم من طريق الطلحيّ وطريق ابن كيسة، (٢) قراءة نافع برواية ورشٍ من طريق ابن عبد الأعلى (٣) وقراءة ابن عامر برواية ابن بكّار من طريق العبّاس بن الوليد) لا يمكن الادّعاء، كما ادّعى شادي ناصر «أنّ الطبريّ لم يحاول تقنين القراءات القرآنيّة أو تحديد عددها في مجموع مرجعيّ، إنّما قارن بين القراءات المختلفة محاولاً اختيار أفضلها بناءً على موافقة رسم المصحف وإجماع الحجّة من القرّاء وموافقة العربيّة، (لأنّه) لَمْ يَمْلِكِ النُّفُوذَ السياسيَّ الكافيَ ولا العلاقات الاجتماعيّة ليُحَاوِلَ ويَفْرِضَ بالقُوَّة اختيارَه على جمهورِ قُرَّاءِ عَصْرِه»(٤). ثمّ ادّعاؤه أيضاً: «لعلّ خلافه مع الحَنَابِلَةِ وانْحِبَاسه في داره بعد اتّهامِهِ بالتشيُّع صاغت الأسباب التي وقفت وراء فَشَلِهِ في وضع (قانون) القراءات الذي نَجَحَ تلميذُهُ ابنُ مجاهدٍ في تأسيسِهِ»(٥).

---

(١) يُنظَر هنا الملحق، كتاب الإقناع (٢٤٠).

(٢) غاية النهاية (١٠٧/٢) (س١٤ - ١٥).

(٣) في ضوء هذه النتيجة يجب أن يُؤخَذَ بعين الحسبان، بل وَفْقَ اختيارِه، ضَبْطُ آي القرآن في تفسيره، لا نقلها آلياً فيه على قراءة عاصم برواية حفص.

(٤) Nasser: *The Transmission of the variant readings of the Qur'an* 47.

(٥) يُنظَر هنا الحاشية السابقة.

مثل هذا الكلام لا يتّفق والنتائج المطروحة هنا، فهي تدحضه جملةً وتفصيلاً. لذا لا حاجة لمزيد من الردّ على ذلك، غير أنّه يجب التنبيه هنا أنّ وجه مقارنة الطبريّ مع ابن مجاهد في علم القراءات تحديداً لا يستقيم تماماً؛ فالأخير شيخ الصنعة فيها، كما قال ابن النديم: «آخرُ مَن انتهت إليه الرئاسة بمدينة السلام»(١)، يعني رئاسة الإقراء، فقد تصدّر للإقراء وكانت له حلقة إقراءٍ عظيمة في مسجده؛ فقد ذكر ابنُ الأَخْرَم الدمشقيّ (٢٦٠ - ٣٤١هـ)(٢)، شيخ الإقراء بالشام، أنّه دخل بغداد، فرأى في أحد مساجدها نحواً من ثلاثمائة مقرئٍ(٣) - في رواية أكثر تفصيلًا: «قدمتُ بغدادَ سنة عشرين وثلاثمائة في وفد الدمشقيّين، فأتيتُ مسجد ابن مجاهد، فحَزَرْتُ أنّ فيه ثلاثمائة متصدّر، ولم أَجِدْ فيه موضعاً، فجلستُ في أقصاه»(٤). كذلك وضع ابن مجاهد مجموعة من التواليف المتخصّصة في القراءات، ذكر ابن النديم منها (١٢) كتاباً(٥)، سبعة منها في مفردات السبعة، تمخّض عنها كتاب السبعة في القراءات (ط) له وهو عمل التسبيع. بالمقابل لم يشتغل الطبريُّ بالإقراء ولم تكن له حلقة إقراء، بل حلقة تدريس، ولم يؤلّف في هذا الفنّ إلّا جامعه الذي بناه على كتاب القراءات لأبي عبيد، وهو حلقة ضمن حلقات سلسلة الكتب الجوامع في القراءات، المشهور منها والشاذّ، مثل جامع ابن مجاهد وغيره.

يجب التذكير هنا بكلام الدانيّ على اختيار الطبريّ في الأرجوزة المنبّهة:

وَالطَّبَرِيُّ صَاحِبُ التَّفْسِيرِ ... لَهُ اخْتِيَارٌ لَيْسَ بِالشَّهِيرِ
وَهُوَ فِي جَامِعِهِ مَذْكُورُ ... وَعِنْدَ كُلِّ صَحْبِهِ مَشْهُورُ(٦)

(١) الفهرست (٥٠).
(٢) هو محمّد بن النضر الرَّبَعّي المقرئ. عنه معرفة القرّاء الكبار (٢/٥٧١ - ٥٧٥) (٢٩٥)، غاية النهاية (٢/٢٧٠ - ٢٧١) (٣٥٠٢).
(٣) معرفة القرّاء الكبار (٢/٥٣٧).
(٤) معرفة القرّاء الكبار (٢/٥٧٣).
(٥) الفهرست (٥٠) «له من الكتب: كتاب القراءات الكبير، كتاب القراءات الصغير، كتاب الياءات، كتاب الهاءات، كتاب قراءة أبي عمرو، كتاب قراءة ابن كثير، كتاب قراءة عاصم، كتاب قراءة نافع، كتاب قراءة حمزة، كتاب قراءة الكسائي، كتاب قراءة ابن عامر، كتاب قراءة النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».
(٦) الأرجوزة المنبّهة (١٦٢) البيتان (٤٥٢ - ٤٥٣).

فهو هنا ينصّ على ثلاث حقائق: (١) في عجز البيت الأوّل أنّ اختيار الطبريّ ليس شهيراً. (٢) في صدر البيت التالي أنّه منصوص عليه في جامعه. (٣) في عجزه أنّه مشهور بين أصحابه، سواء قَصَدَ جامعَهُ أو اختيارَهُ؛ لأنّ هذا يؤدّي إلى ذاك وبالعكس، لكنّها تستوجب مزيداً من التحقيق، فها هو ابن النديم يخصّص الكلام على (الطبريّ وأصحابه) في الفنّ السابع من المقالة السابعة[١]، فيذكر اثْنَيْ عشَر من أصحابه المتفقّهين على مذهبه[٢]. لاثنَيْنِ منهم اهتمامٌ في علم القراءات: عليّ بن عبد العزيز ابن محمّد الدُّولابيّ، من كتبه كتاب القراءات[٣]، والقاضي المُعَافَى بن زكريّا النَّهْرَوانيّ (٥/٣٠٣ - ٣٩٠هـ)، من كتبه الكثيرة كتاب القراءات[٤]. قد سبق له ذكر اثنين آخرين من أصحابه في الفنّ الثالث من المقالة الأولى، هما أبو بكر أحمد بن كامل (ت: ٣٥٠هـ)، من كتبه كتاب القراءات، لم يتمّه[٥]، وأبو طاهر بن أبي هاشم (ت: ٣٤٩هـ)، له كتاب القراءات[٦]. لا شكّ أنّ هؤلاء الأربعة قد ضَمَّنُوا اختيارَ الطبريّ في كتبهم في القراءات، إن لَمْ يَكُنْ قَدِ اعْتَمَدُوا جامِعَهُ بالكلّيّة وضمّنوه كتبهم.

كذلك اختيار الطبريّ مذكور في كتاب الإقناع لأبي عليّ الأهوازيّ (ت: ٤٤٦هـ) بسنده، منصوص على حروفه فيه، كما تقدّم ذكره. هذا الكتاب بمنزلة موسوعة قِرَائِيّة، يشمل إحدى عشرة قراءة وعشرة اختيارات، لكنّه في عداد الكتب المفقودة باستثناءِ قطعةٍ منه حقّقتُها[٧]. من هنا يبرز دور الأهوازيّ في روايتِهِ اختيارَ الطبريّ وتظهر قيمة كتاب الإقناع لاشتماله عليه في جملةِ ما حَوَى.

---

(١) الفهرست (٢٨٧ - ٢٨٩).
(٢) الفهرست (٢٨٨ - ٢٨٩).
(٣) الفهرست (٢٨٨).
(٤) الفهرست (٢٨٩).
(٥) الفهرست (٥١ و٥٥) الكتب المؤلَّفة في القراءات.
(٦) الفهرست (٥٥) الكتب المؤلَّفة في القراءات.
(٧) فيها ذكر أسانيد الأهوازيّ إلى أصحاب الاختيارات ثمّ بعض الأبواب [باب ذكر مذاهبهم في الاستعاذة، باب كيف الاستعاذة، باب التسمية، باب الإدغام والإظهار]. للمزيد عن هذا الكتاب يُراجَع الأهوازيُّ وجهودُه في علوم القراءات (١٠٦ - ١١١ و١٧٧ - ٢٦٤).

من أجل الوقوف على اختياره لا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ مَنِ اعْتَمَدَ على كتابِ الإقناع ونقل منه؛ لأنّ القطعة المتوافرة منه لا تفي بهذا الغرض. من هؤلاء أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن عليّ القوّاسيّ، يُعرَف بالمَرَنْدِيّ، من علماء القرن السادس الهجريّ، صاحب كتاب قُرَّة عَيْن القُرَّاء في القراءات (خ) الذي لا يتوافر منه إلّا نسخة واحدة على حدّ علمي القاصر، هي نسخة مكتبة الإسكوريال (رقم ١٣٣٧). قال فيه:

«أمّا لفظُ كتاب الإقناع، وهم أحدَ عشرَ إماماً: أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ، وشيبة بن نِصَاح، ومحمّد بن محيصن، وحُمَيد بن قيس، وابن شهاب الزهريّ، والحسن ابن أبي الحسن البصريّ، وسليمان بن مِهْران الأعمش، ومحمّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وطلحة بن مصرّف، وأبو بحريّة السكونيّ، وابن مناذر المدنيّ، وذلك معهم اختيار عشرة أئمّة من المختارين، وهم يعقوب بن إسحاق الحضرميّ، وأيّوب بن المتوكّل القارئ، وأبو محمّد يحيى بن المبارك اليزيديّ، وأبو عبيد القاسم بن سلّام الخراسانيّ، وخلف ابن هشام البزّار، وأبو جعفر محمّد بن سَعْدان النحويّ، ومحمّد بن عيسى الأصفهانيّ، وأبو حاتم سهل بن محمّد السجستانيّ، وأبو بكر أحمد بن جُبير الأنطاكيّ، وأبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ، إحدى وعشرين [قراءةً وَ] اختياراً من كتاب الإقناع من تصانيف الأهوازيّ» [هناك ١٢ب].

يزيد هذا السرد من التفاصيل صحّة وتوكيداً ما أورده الرافعيّ (ت: ٦٢٣هـ) من بيان محتوى هذا الكتاب، في ترجمة أحمد بن الحسن بن أبي الفرج الضرير المقرئ الزنجانيّ في كتابه التدوين: «قرأ القرآنَ بالقراءاتِ والاختياراتِ التي تضمّنها كتابُ الإقناع لأبي عليّ الحسن بن عليّ بن إبراهيم المقرئ الأهوازيّ. ويشتمل كتابُه على إحدى عشرة قراءةً وعشرة اختيارات. القراءات هي قراءة أبي جعفر المدنيّ، وشيبة بن نصاح، ومحمّد بن مُحيصن، وحُميد بن قيس، وابن شهاب الزهريّ، والحسن البصريّ، وسليمان بن مهران الأعمش، ومحمّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وطلحة بن مصرّف،

وأبي بحريّة السكونيّ، ومحمّد بن مناذر المدنيّ. الاختيارات: اختيار يعقوب بن إسحاق الحضرميّ، وأيّوب بن المتوكّل، وأبي محمّد يحيى بن المبارك اليزيديّ، وأبي عبيد القاسم ابن سلّام، وخلف بن هشام البزّار، وأبي جعفرٍ محمّد بن سعدان النحويّ، [و]محمّد بن عيسى الأصبهانيّ، وأبي حاتم سهل بن محمّد السجستانيّ، وأبي بكر أحمد بن جُبير الأنطاكيّ، وأبي جعفر محمّد بن جرير الطبريّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ»[1].

فالطبريّ أحد الأئمّة المختارين، واختياره آخِرُ الاختيارات المنصوص عليها والبالغ عددها أحد عشر اختياراً في كتاب «الإقناع» للأهوازيّ.

فيما يلي بعض اختيار الطبريّ[2] حسبما أورده المَرَنْدِيّ، من علماء القرن السادس للهجرة، في كتاب قرّة عين القرّاء في القراءات (خ) نَقْلاً مِنْ كتابِ الإقناع للأهوازيّ، وذلك من أجل تحديد بعض خصائصه ولو على عُجَالَةٍ:

١. «قوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠] قرأ حمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ وعاصمٌ إلّا أبانَ وسلّامٌ والجحدريُّ وقتادةُ والحسنُ والزعفرانيُّ في اختياره وابنُ صالحٍ وأبو بحريّة والزهريُّ والأعمشُ وطلحةُ وابنُ أبي ليلى وابنُ مناذر وأيّوبُ وابنُ سعدان وابنُ عيسى وابنُ جريرٍ بتخفيف الكاف» [٤٣ب].

٢. «قوله: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] قرأ حمزةُ والكسائيُّ غير الشيزريِّ ورُويسٌ عن يعقوبَ والزعفرانيُّ في اختياره وابنُ مقسم وعليُّ بنُ نصر والأعمشُ وطلحةُ وابنُ أبي أويس عن نافعٍ وأبو عُبيدٍ وابنُ سعدان وابنُ عيسى وابنُ جريرٍ وابنُ أبي ليلى وخلفٌ بفتح الحاء والسين» [٤٩أ].

---

(١) التدوين في أخبار قزوين (١٥٩/٢).

(٢) بالطبع لا يمكن تماماً متابعة اختياره في القراءة من خلال ما أورده من القراءات في تفسيره الموسوم بجامع البيان عن تأويل آي القرآن (ط)؛ لأنّه ذكر فيه فقط «جُمَلاً من القراءات واختلاف القراءة فيما فيه من المصادر واللغات والجمع والتثنية». معجم الأدباء (٢٤٥٣/٦) ولأنّه قال فيه: «إذْ كان الذي قَصَدْنَا له في كتابنا هذا البيانَ عن وجوه تأويل آي القرآن دون وجوه قراءتها» جامع البيان (٩٥/١). يُراجَع ظاهرة نقد القراءات ومنهج الطبريّ فيها (٣٤٦ - ٣٥٤)، الإمام الطبريّ للزحيليّ (٢٧٥ - ٢٧٧).

٣. «قوله: ﴿أُسَرَىٰ﴾ [البقرة: ٨٥] قرأ حمزةُ والزهريُّ وشيبةُ والحسنُ وأبو بحريّة والأعمشُ وطلحةُ وابنُ أبي ليلى وابنُ مناذر وأبو عُبيدٍ وابنُ جريرٍ ﴿أَسْرَىٰ﴾ بغير ألفٍ وجزم السين. الآخرون بألفٍ، إلّا أبا رزين بغير الألف. قوله: ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ [البقرة: ٨٥] قرأ نافعٌ وعاصمٌ إلّا أَبَانَ عنه والكسائيُّ واللؤلؤيُّ عن أبي عمرٍو وأبو جعفرٍ وشيبةُ ويعقوبُ وأيّوبُ والحسنُ وابنُ عيسى وابنُ جريرٍ وأبو حاتمٍ ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ بألف. الآخرون ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ [البقرة: ٨٥] بغير ألفٍ» [٤٩ب].

٤. «قوله: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦] قرأ كرداب وابنُ عامرٍ إلّا هشاماً عنه وحمزةُ والكسائيُّ وحفصٌ عن عاصمٍ وابنُ أبي عبلة وأبو جعفرٍ وخلفٌ والأعمشُ وطلحةُ وابنُ سعدان وابنُ عيسى وابن جُبيرٍ وابنُ جريرٍ وابنُ مقسمٍ والقارئُ والجونيُّ وابنُ الحصين بفتح الدال فيهما» [٦٠ب].

٥. «قوله: ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] وقفٌ كافٍ لِمَن قرأ ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ [آل عمران: ٨٠] برفع الراء. ومَن فَتَحَ، لَم يقف؛ وهي قراءةُ ابنِ عامرٍ وحمزة وعاصم إلّا الأعشى وحسيناً عن أبي بكرٍ عنه، ويونس ومحبوب وعبد الوارث إلّا القصبيّ عنه عن أبي عمرٍو، وأبو بحريّة والحسن والزهريّ والأعمش وابن مناذر ويعقوب وابن سعدان وأبو حاتم وابن جُبيرٍ وابن جريرٍ كلّهم بفتح الراء. الآخرون برفع الراء» [٧١ب].

٦. «أمّا التاء في ﴿تَبْغُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] و﴿تُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] فيهما، فقراءةُ أبي بحريّة وأبي جعفرٍ وشيبة وابن محيصن والأعمش وطلحة وابن أبي ليلى وابن الحصين وابن مناذر وأيّوب وحمزة والكسائيّ وابن عامر وابن كثير ونافع وأبي بكر وخلف وابن عيسى وأبي عُبيدٍ وابن جريرٍ وغيرهم» [٧٢أ].

٧. «قوله: ﴿تَغْشَىٰ طَآئِفَةً﴾ [آل عمران: ١٥٤] بالتاء حمزةُ والكسائيُّ والأزرقُ عن أبي بكرٍ وخلفٌ والأعمشُ وطلحةُ وابنُ أبي ليلى وابنُ عيسى وابنُ جريرٍ. الآخرون بالياء» [٧٤أ].

٨. «قوله: ﴿أَوْ مِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١٥٧] وبابه: قرأ نافعٌ وحمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ وحُميدٌ وابنُ مُحيصنٍ والأعمشُ وطلحةُ وأبو عُبيدٍ وابنُ عيسى وابنُ جريرٍ وابنُ جُبيرٍ بكسرِ الميم. الآخرون برفع الميم» [٧٤ب].

٩. «قوله: ﴿مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٩] بكسر الراء، حيث جاء، الكسائيُّ واللؤلؤيُّ ومغيثٌ عن أبي عمرٍو وابنُ مقسم وحميدٌ وأبو جعفرٍ غير الشيزريِّ وعليُّ بنُ الحسينِ والنهاونديُّ عن ابن محيصنٍ كلاهما وجريرٌ والأعمشُ والزعفرانيُّ في اختياره وابنُ أبي ليلى وأبو عُبيد [٩٨ب] وابنُ عيسى وابنُ جرير» [٩٨ب - ٩٩أ]

١٠. «قرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو وجبلةُ عن المفضَّلِ عن عاصمٍ والكسائيّ عنه وأبو جعفرٍ ويعقوبُ والحسنُ واليزيديُّ في اختياره وابنُ جريرٍ وحُميدٌ وأبو بحريّة وابنُ مُحيصنٍ ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ [البقرة: ١٩٧] بالرفع مع التنوين» [٥٨أ].

١١. «قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الحجر: ٢٢] بغير ألفٍ حمزةُ وخلفٌ والأعمشُ وطلحةُ وابن خثيم والجونيُّ وابنُ جريرٍ وابنُ الحصين» [١٢٦أ].

١٢. «قوله: ﴿مَا هِيَهْ * نَارٌ﴾ [القارعة: ١٠، ١١] قرأ حمزةُ ويعقوبُ والنهاونديُّ عن ابنِ مُحيصنٍ والحسنُ وأبو بحريّة وابن جرير وعبد الرحمن بفتحِ الياءِ من غيرِ هاءٍ في الوصل» [٢١٨أ].

يتّضح ممّا تقدّم من بعض الحروف في اختيار الطبريّ أنّه موافق للقراءات المشهورات، لَمْ يَخْرُجْ به عنها البتّة، فلم يعوّل إطلاقاً على الشواذّ منها، كما أكّد ذلك الأهوازيُّ بقوله: «واختار منها قراءةً لَمْ يَخْرُجْ بِهَا عَنِ المَشْهُورِ»[١]. بالتالي ما يسري بحقّ القراءات المقبولات من الأركان أو الشروط الثلاثة: ١) النقل المستفيض. ٢) وموافقة الرسم (رسم أحد المصاحف العثمانيّة). ٣) وموافقة العربيّة[٢]، يَسِرْي بدوره على اختياره[٣].

---

(١) كتاب الإقناع (٢٤٥).

(٢) يُنظَر النشر في القراءات العشر (٩/١). كذلك القراءات القرآنيّة لقابة (١٥٥ - ١٧٠).

(٣) يُقابَل ظاهرة نقد القراءات ومنهج الطبريّ فيها (٣٤٦ - ٣٥٤)، الإمام الطبريّ (٢٧٥ - ٢٧٧).

فاتّفاقُ رسومِ المصاحِفِ ضابِطٌ مُعْتَمَدٌ عِنْدَهُ، محلّ احتجاج للأخذ بالقراءة[1]. من الأمثلة على ذلك ما قاله رادّاً قراءةَ مَنْ قرأ: (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن لَّا يَطَّوَّفَ بِهِمَا): «فكيف وهو خِلَافُ رُسُومِ مَصَاحِفِ المسلمين، وممّا لو قرأه اليومَ قارئٌ كان مُسْتَحِقّاً العقوبةَ لزيادتِهِ في كتابِ الله عَزَّوَجَلَّ ما ليس فيه»[2].

«على هذه القراءة، أعني على ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ [المؤمنون: ٦٠] قَرَأَةُ الأمصارِ، وبه رُسُوم مصاحفهم، وبه نقرأ لإجماع الحجّة من القرّاء عليه ووفاقه خطّ مصاحف المسلمين»[3].

يُستفاد من هذا المثال بالإضافة إلى موافقة الرسم كذلك شرط النقل المستفيض الذي عبّر عنه هنا بإجماع الحجّة من القرّاء. نظيره ما قاله في اختلاف القرّاء في قراءة ﴿سُعِّرَتْ﴾ [التكوير: ٨]: «أَوْلَى القراءتَين في ذلك عندي بالصواب قراءةُ مَنْ قرأ ذلك ﴿سُعِّرَتْ﴾ [التكوير: ٨] بضمّ السين ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٩] على وجه الخبر لإجماع الحجّة من القرّاء عليه»[4].

أمّا شرط موافقة العربيّة مع قوّة الوجه فيها، فمن الأمثلة على ذلك ما قاله في اختلاف القرّاء في قراءة ﴿فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧] بتخفيف الدال وتشديدها: «أَوْلَى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أنْ يُقَالَ: إنّهما قراءتان معروفتان في قَرَأَةِ الأمصار، صحيحتا المعنى؛ فبأيّتهما قرأ القارئُ فمصيبٌ، غير أنّ أَعْجَبَهُما إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ به، قراءةُ مَنْ قرأ ذلك بالتشديد؛ لأَنَّ دُخُولَ (فِي) للتعديل أحسنُ في العربيّة من دخولها للعدل. أَلَا تَرَى أنّك تقولُ: عَدَّلْتُكَ في كذا وصَرَّفْتُك إليه، ولا تكادُ تقول: عَدَلْتُكَ إلى كذا وصَرَفْتُكَ فِيهِ؛ فلذلك اخترتُ التشديد»[5].

---

(١) تفسير الطبريّ (٥٤/٢ - ٥٥) [الآية ٢: ١٥٨].

(٢) تفسير الطبريّ (٥٥/٢) [الآية ٢: ١٥٨].

(٣) تفسير الطبريّ (٢٢٥/٩).

(٤) تفسير الطبريّ (٤٦٤/١٢).

(٥) تفسير الطبريّ (٤٧٩/١٢).

الخلاصة

عالجتُ في هذا البحث العديد من القضايا والمسائل، وخلصتُ فيها إلى نتائج حيثيّة مطروحة في مواضعها؛ لذا أكتفي هنا في هذه الخلاصة بإجمال النقاط الأربع فيما يلي:

أوّلاً: كتاب الطبريّ في القراءات يندرج ضمن سلسلة الكتب الجوامع في القراءات التي ساهمت بشكل ملحوظ وبارز في محاور أربعة:

١. ذكر جميع القراءات من المشهور والشاذّ؛ وهذا أقرب ما يكون إلى جمع القراءات المرويّة عن القرّاء، وضمِّها في مجموع، وذكر اختلافهم فيها مرتّبة على أصول وفرش حروف، لذا يصحّ أن يُطلق على كتاب الطبريّ في القراءات جامعاً، وهو أحد العناوين التي عُرف بها، كما أُطلِقَ على غيره من كتب القراءات من النمط ذاته، أمثال جامع خلف القارئ (ت: ٢٢٩هـ)، وجامع ابن سعدان (ت: ٢٣١هـ)، وجامع محمّد بن عيسى الأصبهانيّ (ت: ٢٤٢هـ)، وجامع الرفاعيّ (ت: ٢٤٨هـ).

٢. تعليل القراءات بالوقوف على وجوهها وعللها.

٣. شرح القراءات وبيان معانيها، وهو التأويل وفق عبارته.

٤. الاحتجاج للقراءات بالأحاديث والأخبار وعلوم اللغة من النحو والصرف والشواهد الشعريّة.

ثانياً: أكّد الطبريّ بكتابه في القراءات حضور ثلاث ظواهر في علم القراءات:

١. الاختيار في القراءة، فإنّه لم يكن حكراً على عالم دون آخر، ولم يكن الطبريُّ أوّلَ من اختار اختياراً، بل اختياره يندرج ضمن سلسلة أصحاب الاختيارات، كتلك التي ذكرها الأهوازيّ في كتاب الإقناع بدءاً باختيار يعقوب الحضرميّ، ومروراً باختيار أبي عبيد، وانتهاء باختيار الطبريّ. يجب أن يؤخَذ بعين الاعتبار اختيارُهُ في ضبط الآيات القرآنيّة في تفسيره على وجه الخصوص، فثمّة مواضع

متعلّقة بمسائل فقهيّة وقضايا عقديّة، لا الاكتفاء بنقلها حاسوبيّاً على قراءة عاصم برواية حفص.

٢. أَخْذه بما عُرف بأركان القراءة المقبولة التي طوّرها واعتمدها علماء القراءات في كتبهم.

٣. نقد الروايات والأسانيد في القراءة الذي لم يكن محصوراً في الطبريّ، ولا مقصوراً على شيخه ابن مجاهد، بل هذا ما نهج عليه علماء القراءات من المتقدّمين والمتأخّرين في تحرّي الدقّة في سلامة النقل وضبط الرواية.

ثالثاً: فكرة تقسيم القراءات على خمسة أمصار تعود أدراجها إلى مرحلة مبكّرة في تاريخ تدوين القراءات، فديباجة أبي عبيد في كتابه في القراءات تظهر أنّه اعتمد مسألة تخميس الأمصار، فإنْ لم يكن هو السبّاق في ذلك، فيكون قد أخذ بذلك ممّن تقدّمه، كما أخذ بذلك أيضاً من جاء بعده، وأصبح النظام المعتمد عليه بالإجماع.

رابعاً: تَبِعَ فكرة تخميس الأمصار اختيارُ الأئمّة القرّاء فيها حسب اشتهارِهم بالثقة والعدل، وملازمتهم القراءةَ والإقراءَ، واتّفاقِ أهالي الأمصار الخمسة على الأخذ عنهم. لقد أفرزت هذه المقاييس التي اعتمدها أبو عبيد في اختياره الأئمّة القرّاء إماماً قارئاً عن كلّ مصر وثلاثة آخرين من الكوفة؛ فأَخَذَ مَنْ جاء بَعْدَه من علماء القراءات في القرن الثالث الهجريّ بهذه النتيجة مع تعديل فيها، إضافة يعقوب الحضرميّ (من البصرة) والكسائيّ (من الكوفة)، فكلاهما صاحب اختيار، وذلك للمقاربة بين الأمصار الخمسة من جهة، وللموازنة بين الكوفة والبصرة من جهة أخرى. بقي الحال على ذلك إلى أن جاء ابن مجاهد، فعمل بعمل أبي عبيد في تخميس الأمصار، واختياره الأئمّة القرّاء، مُسْتَأْنِساً بشَيْخه الطبريّ (البغداديّ)، عَلَم زمانه، الذي وجده قد أخذ بصنيع أبي عبيد، وتبنّاه في كتابه الجامع في القراءات، فأكّده ووكّد بحقّ أهل الكوفة عاصماً وحمزة دون الاثنين الآخرين (يحيى والأعمش) وأخذ بالكسائيّ دون يعقوب المعدَّلَين على عمل أبي عبيد؛ تباعاً لنتيجة دائرة التقاطع المتولّدة عن جهود علماء القرن الثالث في القراءات، فثبت عنده سبعةٌ من الأئمّة القرّاء، وهو ما يُعرَف بظاهرة التسبيع.

كتاب الإقناع للأهوازيّ

بعض الصور من نسخة الظاهريّة[1]

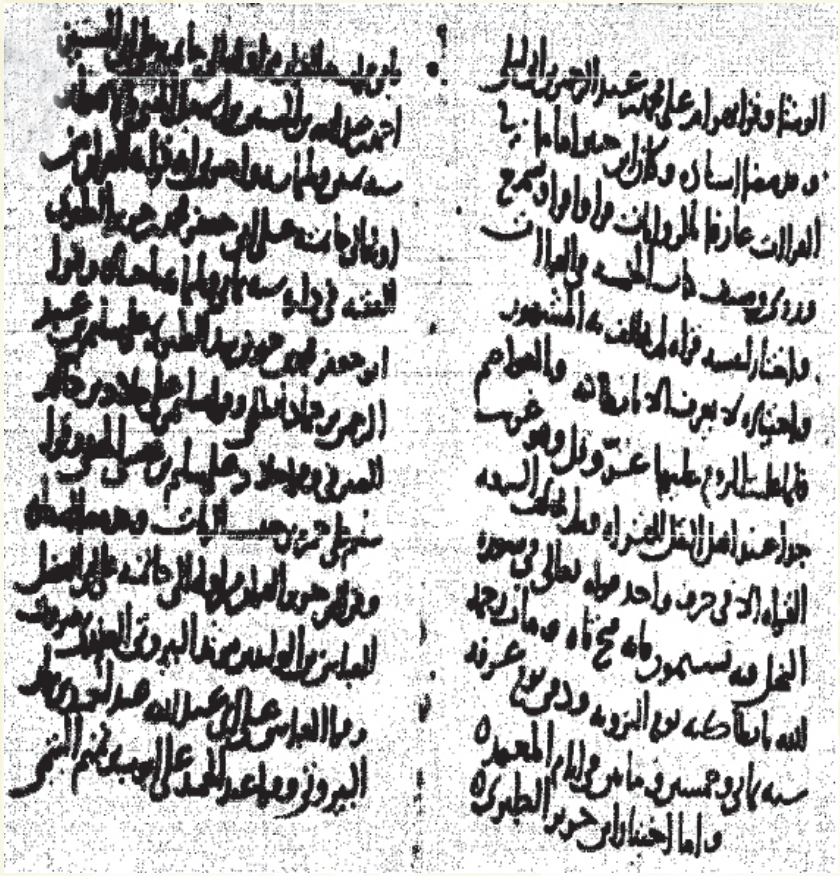

ظهر الورقة [٢٩ب] على الجانب الأيمن
في آخرها بداية اختيار ابن جرير الطبريّ
ووجه الورقة [٣٠أ] على الجانب الأيسر

(١) هي قطعة بخطّ النسخ، قليلة الإعجام، محفوظة ضمن مجموع في دار الكتب الظاهريّة، رقمه (٣٤٣)، عدد أوراقها (٢٠) ورقة (١٥ - ٣٤). يُراجَع فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهريّة «المجاميع» (١٨٣/١ - ١٨٤) (٢)، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهريّة: علوم القرآن الكريم (٤٤١/١). في الفهرسين عنوان الكتاب غير مضبوط [كتاب في القراءات] والمؤلِّف مجهول.

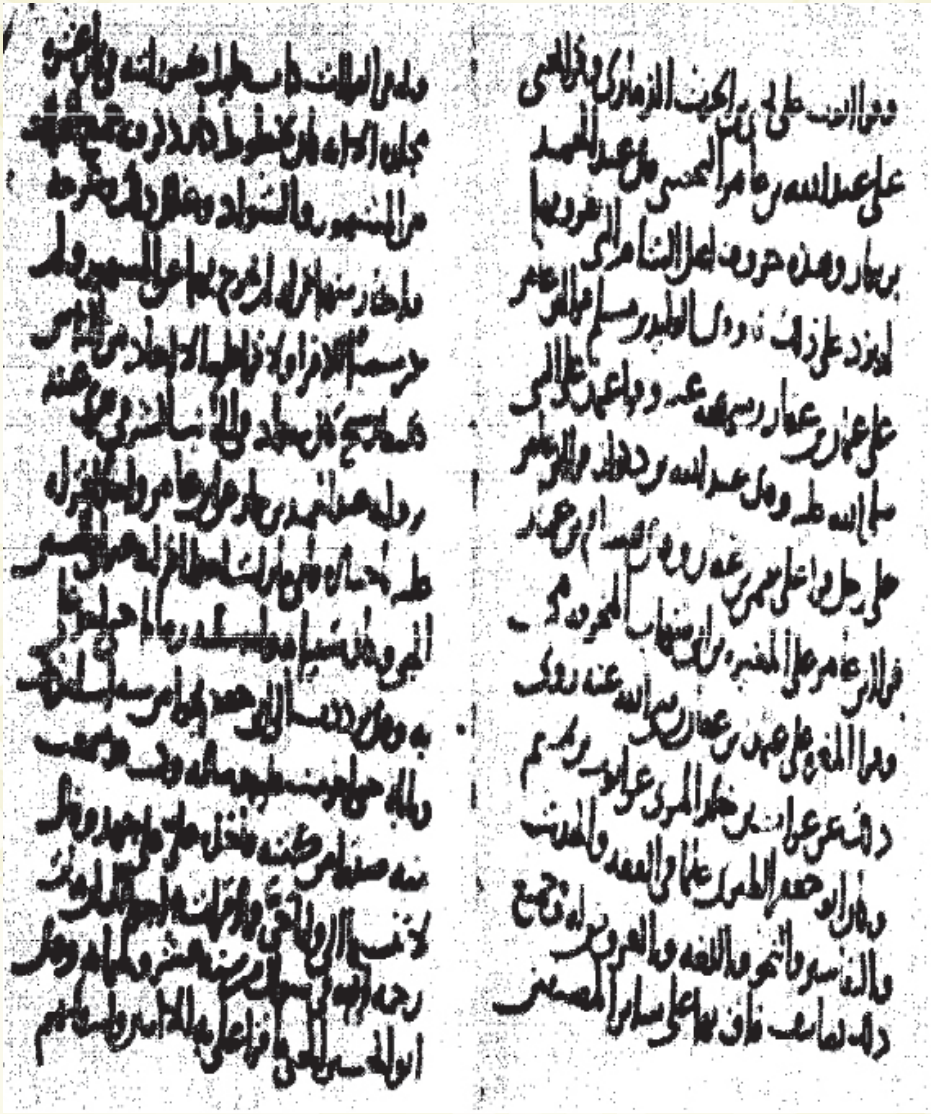

ظهر الورقة [٣٠ب] ووجه الورقة [٣١أ]

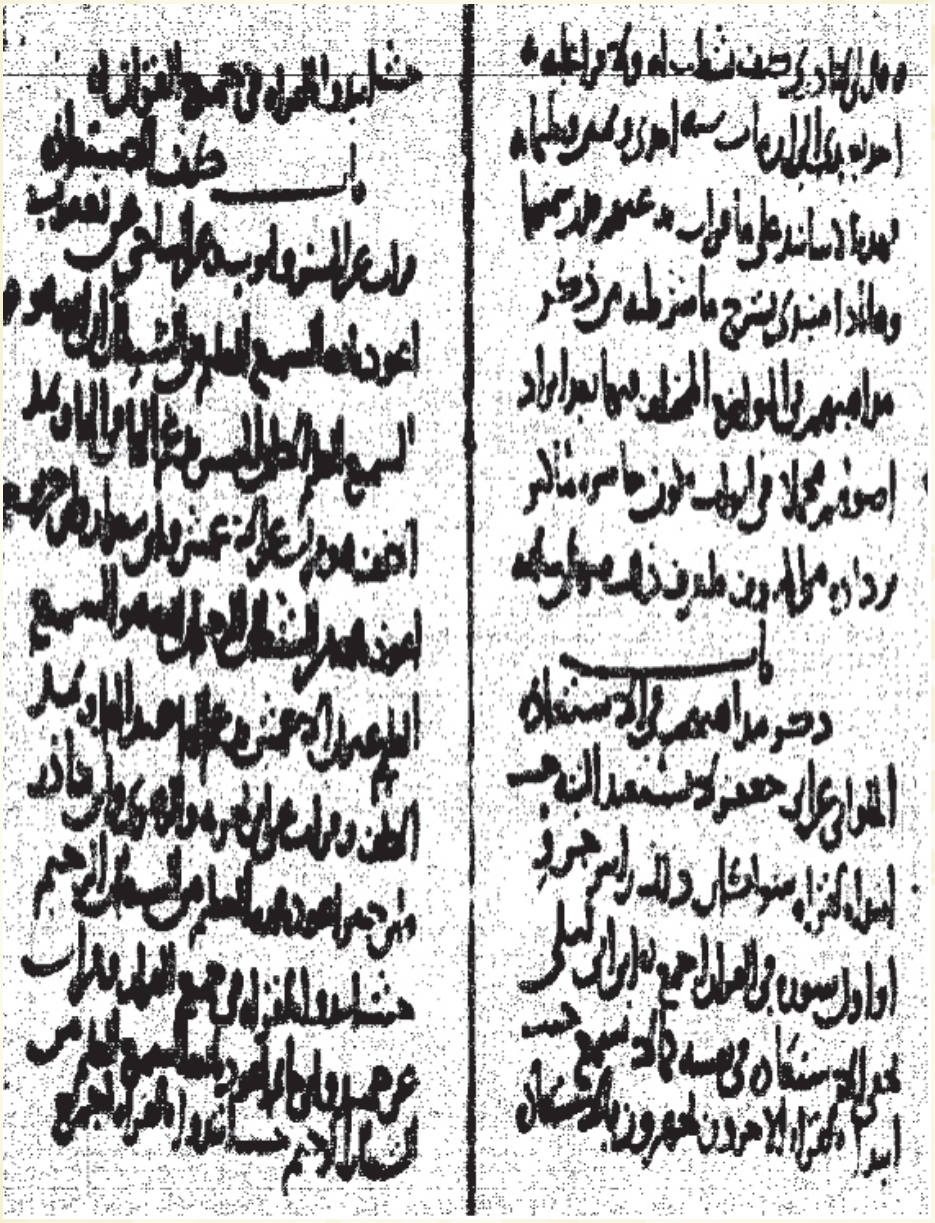

ظهر الورقة [٣١ب]
فيها [السطر السابع] ينتهي النصّ المعاد تحقيقه لأجل هذا البحث
قبل (باب ذكر مذاهبهم في الاستعاذة) [السطر الثامن والتاسع]
ووجه الورقة [٣٢أ]

الملحق

أمّا اختيار ابن جرير الطبريّ، [٣٠أ] فإنّي قرأتُ به القرآنَ من أوّله إلى خاتمته على أبي الحسين أحمد بن عبد الله بن الحسين بن إسماعيل الجُبِّيِّ بالأهواز سنةَ ثمانين وثلاثمائة، وأخبرني أنّه قرأ به[١] القرآنَ من أوّله إلى خاتمته على أبي جعفرٍ محمّد بن جرير بن يزيد الطبريِّ الفقيهِ في داره سنة ثمانٍ[٢] وثلاثمائة باختياره، وقرأ أبو جعفرٍ محمّد بن جرير بن يزيد[٣] الطبريّ على سليمان بن عبد الرحمن بن حمّاد الطَّلْحّي، وقرأ سليمان على خلّاد بن خالد الصَّيْرفيّ، وقرأ خلّاد على سُلَيْم بن عيسى الحنفيّ، وقرأ سُليمٌ على حمزة بنِ حَبِيبٍ الزيّات، وقد مضى[٤] إسنادُه.

وقرأ ابنُ جرير القرآنَ من أوّله إلى خاتمته على أبي الفضل العبّاس بن الوليد بن مزيد البيروتيّ العذريّ ببيروت[٥]؛ وقرأ العبّاسُ على أبي عبد الله عبد الحميد بن بكّار البيروتيّ، وقرأ عبد الحميد على أيّوب بن تميم التميميّ، [٣٠ب] وقرأ أيّوبُ على يحيى بن الحارث الذماريّ، وقرأ يحيى على عبد الله بن عامر اليحصبيّ.

قال عبد الحميد بن بكّار: وهذه حُرُوفُ أهلِ الشام التي يقرؤونها. لَمْ يَزِدْ على ذلك. وقال الوليد بن مسلم: قرأ ابنُ عامر على عثمان بن عفّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقرأ عثمانُ على النبيّ[٦] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقال عبد الله بن ذكوان: قرأ ابنُ عامرٍ على رجلٍ قرأ على عثمانَ بنِ عفَّان. وقال هشام بن عمّار: قرأ ابنُ عامرٍ على المغيرة بن أبي شهاب المخزوميّ؛ وقرأ المغيرةُ على عثمانَ بنِ عفّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رَوَى ذلك عن عِرَاك بن خالد الْمُرّيّ عن أيّوب بن تميم.

---

(١) به: ساقط في المطبوع.
(٢) ثمانٍ: ثمانى، كما في الأصل.
(٣) ساقط في المطبوع: بن يزيد.
(٤) مضى: مصا، كما في الأصل.
(٥) ببيروت: روى، كما في المطبوع.
(٦) وسلّم: ليس في الأصل.

وكان[١] أبو جعفر الطبريّ عَلَماً في الفِقْهِ[٢] والحديث والتفاسير والنحو واللغة والعَرُوضِ. له في جميع ذلك تصانيفُ، فاق بها على سَائِرِ المصنِّفين. [٣١أ] وله في القراءات كِتَابٌ جَلِيلٌ كبيرٌ، رأيتُه في ثمانيَ[٣] عشرةَ مجلدةً، إلاّ أنّه كان بُخُطُوطٍ كِبَارٍ. ذَكَرَ فيه جميعَ القراءاتِ من المشهورِ والشَّوَاذِّ وعَلَّلَ ذلك وشَرَحَهُ، فاختار[٤] منها قراءةً لَمْ يَخْرُجْ بها عَنِ[٥] الْمَشْهُورِ.

ولم يكن مُنْتَصِباً للإقراء ولا قرأ عليه[٦] إلاّ آحاد من الناس، كالصَّفَّار، شَيْخ[٧] كان ببغداد في الجانبِ الشرقيّ، يُقْرِئُ[٨] عنه برواية[٩] عبد الحميد بن بكّار عن ابن عامر.

وأمّا القراءة عليه باختياره، فإنّي ما رأيتُ أحداً أَقْرَأَ بِهِ[١٠] غير أبي الحسين الجُبّي وكان ضَنِيناً به[١١]. ولقد سَأَلْتُهُ زَمَاناً حَتَّ أَخَذَ علـيَّ به وقال: تردّدتُ إلى أبي جعفرٍ نحواً من سَنَةٍ أسأله ذلك وَيَأْبَاهُ[١٢] حتّى أَجْرَمْتُ[١٣] عليه وَسَأَلْتُهُ. وكنتُ قد سَمِعْتُ منه

(١) من هنا يبدأ النصّ المنقول في معجم الأدباء من كتاب الإقناع للأهوازيّ: «وحدّث أبو عَلي الحسن بن عَلي الأهوازيّ المقرئ في كتاب الإقناع في إحدى عشرة قراءةً. قال: كان أبو جعفر الطبريّ» إلخ.
(٢) عَلَماً في الفقه: عالماً في الفقه، كما في المطبوع، عالماً بالفقه، كما في مطبوع معجم الأدباء.
(٣) ثماني: ثمان، كما في الأصل.
(٤) فاختار: واختار، كما في المطبوع ومطبوع معجم الأدباء.
(٥) عن: على، كما في المطبوع.
(٦) عليه: أحد، كما في مطبوع معجم الأدباء.
(٧) كالصفار شيخ: قال، كما في المطبوع.
(٨) يقرئ: تُعزَى، كما في المطبوع، يَرْوِى، كما في مطبوع معجم الأدباء.
(٩) برواية: رواية، كما في المطبوع ومطبوع معجم الأدباء.
(١٠) أقرأ به: أقرأه، كما في المطبوع.
(١١) ضنيناً به: نَسَيّاً، كما في المطبوع.
(١٢) ويأباه: زماناً، كما في مطبوع معجم الأدباء.
(١٣) وأجرمت: احزمت، كما في الأصل، أخذتُ، كما في المطبوع.

صَدْراً من كتبه، فأَخَذَهُ عَلَيَّ[١] علَى جَهْدٍ[٢] وقال: لا تَنْسُبْهَا إِلَيَّ وَأَنَا حَـيٌّ! فما أقرأتُ به[٣] أحداً حتّى مات رَحِمَهُ اللَّهُ في شَوَّالٍ من[٤] سَنَةِ عَشْرٍ وَثَلَاثمائةٍ.

وقال أبو الحسين الجُبّيّ: ما قرأ عَلَيَّ[٥] به إلاّ اثْنَانِ[٦] وأَنْتَ ثالُثهُمْ. [٣١ب] وقال لي: لا أَدْرِي كَيْفَ نَشِطْتُ له. ولا قَرَأَ عليه به أَحَدٌ بعدي[٧] إلى أن مات سنة إحدى وثمانين[٨] وثلاثمائة[٩].

فهذه الأسانيدُ على ما قرأتُ به عنهم قد رَسَمْتُها. وهٰأَنَا ذا مُبْتَدِئٌ بِشَرْحِ ما شَرَطْتُه من ذِكْرِ مذاهبِهم في المواضعِ المختلَفِ فيها بعد إيرادِ أصولهم مُجْملاً في أبوابٍ تكون حاصرةً ما كثر ترددُه من الحروفِ، فَليُعْرَفْ[١٠] ذلك، فَيَسْهُل شَأْنُهُ[١١].

---

(١) فأخذه علي: فأخذتها، كما في المطبوع.
(٢) جهد: جِهَتِهِ، كما في مطبوع معجم الأدباء.
(٣) به: بها، كما في مطبوع معجم الأدباء.
(٤) من: ليس في مطبوع معجم الأدباء.
(٥) عَلِي: عليه، كما في مطبوع معجم الأدباء.
(٦) اثنان: اسن، كما في الأصل.
(٧) به أحد بعدي: أحد، كما في مطبوع معجم الأدباء.
(٨) إحدى وثمانين: ثمانين، كما في مطبوع معجم الأدباء.
(٩) إلى هنا ينتهي النصّ المنقول في معجم الأدباء.
(١٠) فليعرف: ـلعرف، كما في الأصل، ليعرف، كما في المطبوع.
(١١) شأنه: ساقط في المطبوع. للتوكيد: ما ضبطته يتوافق مع الأصل، دون ذلك (نَيْلُهُ) احتمالًا. من المتوقّع (حِفْظُهُ)، لكنّه لا يتماشى مع الأصل.

ثبت المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**: مصحف المدينة النبويّة المضبوط على قراءة أبي بكر عاصم بن أبي النَّجُود الكوفيّ الأسديّ (٧٤٥/١٢٧) برواية أبي عمر حفص بن سليمان بن المغيرة الأسديّ (٩٠ - ٧٠٩/١٨٠ - ٧٩٦)، المدينة المنوّرة، مُجَمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (١٤١١هـ - ١٩٩٠م) (٦٠٤ص) «ن» ص.
- **أحاسن الأخبار في محاسن السبعة الأخيار أئمّة الخمسة الأمصار الذين انتشرت قراءتهم في سائر الأقطار**: ابن وهبان، أمين الدين عبد الوهّاب بن أحمد بن وهبان الحارثيّ الدمشقيّ (١٣٦٧/٧٦٨)، تحقيق: أحمد بن فارس السلّوم، بيروت، دار ابن حزم (ط١) (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) (٥٣٠ص).
- **الأرجوزة المنبّهة على أسماء القرّاء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات**: أبو عمرو الدانيّ، عثمان بن سعيد بن عثمان (٣٧١ - ٩٨١/٤٤٤ - ١٠٥٣)، حقّقه وعلّق عليه: محمّد بن مجقان الجزائري، الرياض، دار المغني (ط١) (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) (٣٤٦ص).
- **إعراب القرآن**: أبو جعفر النحّاس، أحمد بن محمّد بن إسماعيل المراديّ المصريّ (٩٥٠/٣٣٨)، تحقيق: زهير غازي زاهد، [د. م.]، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربيّة (ط١) (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) (٥ج/٥مج).
- **إعلام أهل البصائر بما أورده ابن الجزريّ من الكنوز والذخائر (دليل مفهرس لكتب علوم القرآن الواردة في غاية النهاية)**: حمدان، عمر يوسف عبد الغنيّ، مجلّة معهد الإمام الشاطبيّ للدراسات القرآنيّة (٥/٣) (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) (٢٩٧ - ٤٤٤).
- **الإمام الطبريّ شيخ المفسّرين وعُمدة المؤرِّخين ومُقدَّم الفقهاء المحدِّثين صاحب المذهب الجريريّ (٢٢٤هـ - ٣١٠هـ)**: الزحيليّ، محمّد، دمشق، دار القلم (ط١) (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) (٣١١ص) [أعلام المسلمين: ٣٣].

- **الأنساب**: السمعانيّ، أبو سعيد عبد الكريم بن محمّد بن منصور التميميّ (٥٠٦ - ٥٦٢هـ/١١١٣ - ١١٦٧م)، حقّق نصوصه وعلّق عليه: عبد الرحمن بن يحيى المعلّمي اليماني [وغيره]، القاهرة، مكتبة ابن تيمية (ط٢) (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، (١٢ج/١٢مج).
- **الأهوازيّ وجهوده في علوم القراءات ومعه قطعة من كتاب الإقناع وقطعة من كتاب التفرُّد والاتّفاق للأهوازيّ** (٣٦٢ - ٤٤٦هـ/٩٧٢ - ١٠٥٥م): حمدان، عمر يوسف عبد الغنيّ، عمّان، بيروت، المكتب الإسلاميّ، مؤسّسة الريّان (ط١) (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م) (٤٤٠ص).
- **إِنْبَاهُ الرُّوَاةِ على أَنْبَاهِ النُّحَاةِ**: القفطيّ، أبو الحسن جمال الدين عليّ بن يوسف بن إبراهيم الشيبانيّ (٥٦٨ - ٦٤٦/١١٧٢ - ١٢٤٨)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، بيروت، دار الفكر العربيّ، مؤسّسة الكتب الثقافيّة (ط١) (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) (٤ج/٤مج).
- **البيان في عدّ آي القرآن**: أبو عمرو الدانيّ، عثمان بن سعيد بن عثمان (٣٧١ - ٤٤٤/٩٨١ - ١٠٥٣)، تحقيق: غانم قدّوري الحمد، الكويت، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق (ط١) (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) (٣٧٨ص).
- **تاريخ الإسلام ووَفَيَات المشاهير والأعلام**: الذهبيّ، أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ - ٧٤٨/١٢٧٤ - ١٣٤٨)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربيّ (ط١) (١٤٠٧ - ١٤٢٤هـ/١٩٨٧ - ٢٠٠٤م) (طبقة ٢ - ٧٥) (٥١مج).
- **تاريخ بغداد**: الخطيب البغداديّ، أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت (٣٩٢ - ٤٦٣هـ/١٠٠٢ - ١٠٧٢م)، بيروت، دار الكتب العلميّة، [د. س.] (١٤مج).
- **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية مَن حلّها من الأماثل واجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**: ابن عساكر، أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله الشافعيّ

الدمشقيّ (٤٩٩ - ٥٧١/١١٠٥ - ١١٧٦)، دراسة وتحقيق: محبّ الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر (١٤١٥هـ- ١٤٢١هـ/١٩٩٥م - ٢٠٠١م) (٨٠ج/٨٠مج).

- **التدوين في أخبار قزوين**: الرافعيّ، أبو القاسم عبد الكريم بن محمّد بن عبد الكريم القزوينيّ (٥٥٧ - ٦٢٣/١١٦٢ - ١٢٢٦)، تحقيق: عزيز الله العطاردي، بيروت، دار الكتب العلميّة (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م) (٤ج).
- **تفسير ابن المنذر [= كتاب تفسير القرآن]**: ابن المنذر، أبو بكر محمّد بن إبراهيم ابن المنذر النيسابوريّ (٢٤٢ - ٣١٨/٨٥٦ - ٩٣١)، حقّقه وعلّق عليه: سعد بن محمّد السَّعْد، المدينة النبويّة، دار المآثر (ط١) (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م) (٢ج/٢مج).
- **تهذيب اللغة**: أبو منصور الأزهريّ، محمّد بن أحمد بن الأزهر الهرويّ (٢٨٢ - ٣٧٠/٨٩٥ - ٩٨١)، إشراف: محمّد عوض مرعب، علّق عليها: عمر سلامي، عبد الكريم حامد، تقديم: فاطمة محمّد أصلان، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ (ط١) (١٤٢١هـ- ٢٠٠١م) (١٥مج).
- **جامع البيان في القراءات السبع المشهورة**: أبو عمرو الدانيّ، عثمان بن سعيد بن عثمان (٣٧١ - ٤٤٤/٩٨١ - ١٠٥٣)، تحقيق: محمّد صدوق الجزائري، بيروت، دار الكتب العلميّة (ط١) (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م) (٨٠٧ص).
- **جمال القرّاء وكمال الإقراء**: السخاويّ، أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عبد الصمد المصريّ الشافعيّ (٥٥٨ - ٦٤٣/١١٦٣ - ١٢٤٥)، تحقيق: علي حسين البوّاب، مكّة المكرّمة، مكتبة التراث (ط١) (١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م) (٢ج/٢مج).
- **جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد (خ)**: الجعبريّ، أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الشافعيّ (٦٤٠ - ٧٣٢/١٢٤٢ - ١٣٣٢)، نسخة الأزهر، رقمها (٣١٧٣٨٩) (١٥٥) ورقة، لا تاريخ للنسخ.

- **جهود الإمام أبي عبيد القاسم بن سلّام في علوم القراءات وتحقيق اختياره في القراءة**: السلُّوم، أحمد بن فارس. بيروت: دار ابن حزم (ط١) (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م) (٣٥٦ص).
- **حجّة القراءات**: ابن زنجلة، أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمّد بن زنجلة (ق١١/٥)، محقّق الكتاب ومعلّق حواشيه: سعيد الأفغاني، بيروت، مؤسّسة الرسالة، (ط٤) (١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م) (٨١٤ص).
- «**دعوى ابن جرير الطبريّ في عدم اتّصال قراءة ابن عامر الدمشقيّ (عرض ومناقشة)**»: الفيفي، يحيى، القراءات القرآنيّة في العالم الإسلاميّ: أوضاع ومقاصد [٢٨١/١ - ٣١٨]، مرّاكش، مركز الإمام أبي عمرو للدراسات والبحوث القرائيّة المتخصّصة، (ط١) (١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م) (٢مج).
- **رسالة في حكم القراءة بالقراءات الشواذّ**: يوسف أفندي زاده، أبو محمّد، عبد الله ابن محمّد بن يوسف الأماسيّ، الإسلامبوليّ، الحنفيّ، (١٠٨٥ - ١١٦٧هـ/١٦٧٤ - ١٧٥٤هـ)، تصدير وتقديم وتحقيق: عمر يوسف عبد الغنيّ حمدان، تغريد محمّد عبد الرحمن حمدان، عمّان، دار الفضيلة، (ط١) (١٤٢٥- ٢٠٠٤) (١٥٠ص).
- **سِيَر أعلام النبلاء**: الذهبيّ، أبو عبد الله، شمس الدين، محمّد بن أحمد بن عثمان، (٦٧٣ - ٧٤٨هـ/١٢٧٤ - ١٣٤٨)، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، [وآخرون]، بيروت، مؤسّسة الرسالة (ط١) (١٤٠١هـ- ١٤٠٩هـ/١٩٨١م - ١٩٨٨م) (٢٥مج).
- **شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع**: المِنْتَوْرِيّ، أبو عبد الله، محمّد بن عبد الملك بن عليّ القيسيّ، (٨٣٤/١٤٣١)، تقديم وتحقيق: الصدّيقي سيدي فوزي، [د. م.]، [د. ن.] (ط١) (١٤٢١هـ- ٢٠٠١م) (٢ج).
- **شرح مشكل الآثار**: الطَّحاويّ، أبو جعفر، أحمد بن محمّد بن سَلَامة (٢٣٩ - ٣٢١هـ/٨٥٣ - ٩٣٣م)، حقّقه وضبط نصّه، وخرّج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسّسة الرسالة، (ط١) (١٤١٥هـ- ١٩٩٤م) (١٨ج/١٨مج).

- **شمول التعاريف لما أورده الدانيّ من نقول التصانيف**: حمدان، عمر يوسف عبد الغنيّ، مجلّة البحوث والدراسات القرآنيّة، (٨/٤) (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م) (٢٠٧ - ٢٧٧).
- **الطبريّ المفسّر**: الأسعد، عمر، [الإمام الطبريّ في ذكرى مرور أحد عشر قرناً على وفاته، (٣١٠هـ - ١٤١٠هـ) «مؤرّخاً ومفسّراً»]، دمشق، إيسيسكو، (ج٢) (١٩٩٢م) (١٣٩ - ١٥٧).
- **الطبريُّ: تحصيلُه الثقافيّ، (٢٢٤ - ٣١٠هـ/٨٣٩ - ٩٢٣م)**: جيليو، كلود، (Gilliot Claude)، ترجمة: محمّد خير البقاعي، المورد (٢/١٩) (١٩٩٠م) (٥ - ٢٩).
- **طبقات الشافعيّة الكبرى**: السبكيّ، أبو نصر، تاج الدين، عبد الوهّاب بن عليّ بن عبد الكافي، (٧٢٧ - ٧٧١هـ/١٣٢٧ - ١٣٧٠م). تحقيق: محمود محمّد الطناحي، عبد الفتّاح الحلو، القاهرة، دار إحياء الكتب العربيّة، [د. س.] (١٠ج/١٠مج).
- **ظاهرة نقد القراءات ومنهج الطبريّ فيها**: الطحّان، إسماعيل أحمد، [الإمام الطبريّ في ذكرى مرور أحد عشر قرناً على وفاته، (٣١٠هـ - ١٤١٠هـ) «مؤرّخاً ومفسّراً»]، دمشق، إيسيسكو (ج٢) (١٩٩٢م) (٣١٩ - ٣٥٩).
- **علوم الحديث**: ابن الصَّلَاح، أبو عمرو، تقيّ الدين، عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشَّهْرَزُوريّ، (٥٧٧ - ٦٤٣هـ/١١٨١ - ١٢٤٥م)، تحقيق وشرح: نور الدين عتر، دمشق، بيروت، دار الفكر، دار الفكر المعاصر (ط١٥) (١٤٣٠م - ٢٠٠٩م) (٤٨/٤٦٩ص).
- **الغاية في القراءات العشر**: ابن مهران، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن مهران، الأصبهانيّ، النيسابوريّ، (٢٩٥ - ٣٨١هـ/٩٠٨ - ٩٩١م)، تحقيق: محمّد غياث الجنباز، راجعه: سعيد عبد الله العبد الله، الرياض، شركة العبيكان، (ط١) (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) (٣٧٥ص).

- **غاية النهاية في طبقات القرّاء**: ابن الجزريّ، أبو الخير محمّد بن محمّد بن محمّد الشافعيّ، (٧٥١ - ٨٣٣هـ/١٣٥٠ - ١٤٢٩م)، عنى بنشره: ج. برجشتريسر (١٣٠٣ - ١٣٥٢هـ/١٨٨٦ - ١٩٣٣م). القاهرة، مطبعة السعادة، (ج١) (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م) (ج٢ - ٣) (١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م) (٣ج/٢مج).
- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: ابن حجر العسقلانيّ، أبو الفضل، شهاب الدين، أحمد بن عليّ بن حجر، (٧٧٣ - ٨٥٢هـ/١٣٧٢ - ١٤٤٩)، بيروت، دار المعرفة، [د. س.] (١٤ج/١٤مج).
- **فهرس مخطوطات درا الكتب الظاهريّة (علوم القرآن الكريم)**: الخيمي، صلاح محمّد، دمشق، مجمع اللغة العربيّة، (١٤٠٣هـ - ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م - ١٩٨٤م) (٣ج).
- **فهرس مخطوطات درا الكتب الظاهريّة (المجاميع)**: السوّاس، ياسين محمّد، دمشق، مجمع اللغة العربيّة، قسم (١) (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، قسم (٢) (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) (٢ق).
- **الفهرست**: ابن النديم، أبو الفرج، محمّد بن إسحاق بن محمّد، (٣٨٠/٩٩٠)، اعتنى بها وعلّق عليها: إبراهيم رمضان، بيروت، دار المعرفة، (ط١) (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) (٤٦٤ص).
- **فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنَّفة في ضروب العلم وأنواع المعارف**: ابن خير الإشبيليّ، أبو بكر، محمّد بن خير بن عمر بن خليفة الأمويّ، (٥٠٢ - ٥٧٥هـ/١١٠٩ - ١١٩٧م)، وقف على نسخها وطبعها. ومقابلتها على أصل محفوظ في خزانة الإسكوريال: فرنسشكه قدار زيدين، خليان ربارة طرغوه، القاهرة، مكتبة الحانجي، (ط٢)، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) (٥٧٩ص).
- **القراءات التي حكم عليها ابن مجاهد بالغلط أو الخطأ في كتابه السبعة (عرضٌ ودراسةٌ)**: الجكني، السالم محمّد محمود أحمد، المدينة المنوّرة، جامعة طيبة، [د. س.] (٣١ص).

- **قراءات القرّاء المعروفين بروايات الرواة المشهورين**: الأندرابيّ، أبو عبد الله أحمد ابن أبي عمر الخراسانيّ المقرئ (بعد ٤٧٠/١٠٧٧)، حقّقه وقدّم له: أحمد نصيف الجنابي، بيروت، مؤسّسة الرسالة (ط١) (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م) (١٦٧ص).
- **القراءات القرآنيّة: تاريخها، ثبوتها، حجّيّتها وأحكامها**: قابة، عبد الحليم بن محمّد الهادي، بيروت، دار الغرب الإسلاميّ (ط١) (١٤١٩هـ- ١٩٩٩م) (٣١٨ص).
- **كتاب الإبانة عن معاني القراءات**: مكّيّ القيسيّ، أبو محمّد مكّيّ بن أبي طالب حمّوش بن محمّد الأندلسيّ (٣٥٥ - ٤٣٧/٩٦٦ - ١٠٤٥)، حقّقه وقدّم له: محيي الدين رمضان، دمشق، دار المأمون للتراث (ط١) (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م) (١١٠ص).
- **كتاب الإقناع = الأهوازيّ وجهوده في علوم القراءات.**
- **كتاب الإيضاح في القراءات (خ)**: الأندرابيّ، أبو عبد الله أحمد بن أبي عمر الخراسانيّ المقرئ (بعد٤٧٠/١٠٧٧)، مكتبة معهد الدراسات الشرقيّة التابع لجامعة إستانبول، رقمه (١٣٥٠)، عدد الأوراق (٢٠٥)، سنة النسخ (٥٦٦هـ- ١١٧١م). [القسم المطبوع منه بعنوان: قراءات القرّاء المعروفين بروايات الرواة المشهورين].
- **كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله** عَزَّوَجَلَّ: ابن الأنباريّ، أبو بكر محمّد بن القاسم بن بشّار النحويّ (٢٧١ - ٣٢٨/٨٨٤ - ٩٤٠)، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دمشق، مجمع اللغة العربيّة (١٣٩٠هـ- ١٩٧١م) (٢ج/٢مج).
- **كتاب السبعة في القراءات**: ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العبّاس البغداديّ (٢٤٥ - ٣٢٤/٨٥٩ - ٩٣٦)، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف (ط٣) [د. س.] (٧٨٦ص).
- **كتاب قرّة عين القرّاء في القراءات (خ)**: المرنديّ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد ابن عليّ القوّاسيّ (ق١٢/٦)، مخطوطة مكتبة الإسكوريال، الرقم (١٣٣٧)، عدد الأوراق (٢٢٠) ورقة.

- **كتاب الكامل في القراءات الخمسين**: الهذليّ، أبو القاسم يوسف بن عليّ بن جبارة البسكريّ المغربيّ (٤٠٣ - ١٠١٢/٤٦٥ - ١٠٧٣)، تحقيق: عمر يوسف عبد الغنيّ حمدان، تغريد محمّد عبد الرحمن حمدان، بيروت، دار ابن حزم (ط١) (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م) (٧مج).
- **كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**: مكّيّ القيسيّ، أبو محمّد مكّيّ بن حمّوش بن محمّد الأندلسيّ (٣٥٥ - ٩٦٦/٤٣٧ - ١٠٤٥)، تحقيق: محيي الدين رمضان، بيروت، مؤسّسة الرسالة (ط٤) (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) (٢ج/٢مج).
- **كتاب المرشد الوجيز إلى علوم تتعلّق بالكتاب العزيز**: أبو شامة المقدسيّ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (١٢٦٧/٦٦٥)، حقّقه: طيّار آلتي قولاج، أنقرة، وقف الديانة التركيّ (ط٢) (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) (٢٨٨ص/٤٠ص).
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب چلبي (١٠١٧ - ١٦٠٩/١٠٦٧ - ١٦٥٧)، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، (٢مج). [تصوير طبعة إستانبول، مطبعة وكالة المعارف (١٣٦٠هـ - ١٣٦٢هـ/١٩٤١م - ١٩٤٣م) (٢مج).
- **المبسوط في القراءات العشر**: ابن مهران، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهانيّ النيسابوريّ (٢٩٥ - ٩٠٨/٣٨١ - ٩٩١)، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، دمشق: مجمع اللغة العربيّة، دار المعارف للطباعة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) (٦١٦ص).
- **المحتسَب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها**: ابن جنّي، أبو الفتح عثمان بن جنّي الأزديّ الموصليّ (١٠٠٢/٣٩٢)، تحقيق: عليّ النجدي ناصف وعبد الحليم النجّار وعبد الفتّاح إسماعيل شلبي، القاهرة، مؤسّسة دار التحرير (ج١) (١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م) (ج٢) (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م).

- **المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: ابن عطيّة، أبو محمّد عبد الحقّ بن غالب بن عبد الرحمن المحاربيّ الغرناطيّ (٤٨١ - ٥٤٢/١٠٨٨ - ١١٤٨)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمّد، بيروت، دار الكتب العلميّة (ط١) (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) (٥ج/٥مج).
- **المذكّر والمؤنّث**: ابن الأنباريّ، أبو بكر محمّد بن القاسم بن بشّار النحويّ (٢٧١ - ٣٢٨/٨٨٤ - ٩٤٠)، تحقيق: محمّد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، لجنة إحياء التراث، المجلس الأعلى للشئون الإسلاميّة، وزارة الأوقاف (ج١) (١٤٠١هـ-١٩٨١م) (ج٢) (١٤١٩هـ- ١٩٩٩م) (٢مج).
- **مشروع المصاحف الثاني في العصر الأمويّ**: حمدان، عمر يوسف عبد الغنيّ، مجلّة البحوث والدراسات القرآنيّة (٤) (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م) (٦٣ - ١١٦).
- **معجم الأدباء [= إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب]**: ياقوت الحمويّ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الروميّ (٥٧٤ - ٦٢٦/١١٧٨ - ١٢٢٩)، تحقيق: إحسان عبّاس، بيروت، دار الغرب الإسلاميّ (ط١) (١٤١٤هـ- ١٩٩٣م) (٧ج/٧مج).
- **معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار**: الذهبيّ، أبو عبد الله محمّد بن أحمد ابن عثمان (٦٧٣ - ٧٤٨/١٢٧٤ - ١٣٤٨)، تحقيق: طيّار آلتي قولاچ، إستانبول، وقف الديانة التركيّ (ط١) (١٤١٦هـ- ١٩٩٥م) (٤مج).
- **مفردة يعقوب**: أبو عمرو الدانيّ، عثمان بن سعيد بن عثمان (٣٧١ - ٤٤٤/٩٨١ - ١٠٥٣)، دراسة وتحقيق: حسين بن محمّد العواجي، الرياض، كنوز إشبيليا (ط١) (١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م) (١٧٥ص).
- **مقاييس ابن مجاهد في اختيار القرّاء السبعة**: العلاني، محمّد الحبيب، القراءات القرآنيّة في العالم الإسلاميّ: أوضاع ومقاصد، [مرّاكش] (١) (١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م) (١٩١ - ٢٢٤).

- **مقدّمة في أصول التفسير**: ابن تيمية، أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الدمشقيّ الحنبليّ (٦٦١ - ٧٢٨/١٢٦٣ - ١٣٢٨)، تحقيق: محمود محمّد محمود نصّار، القاهرة، مكتبة التراث الإسلاميّ [د. س.] (١١٢ص).
- **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**: ابن الجزريّ، أبو الخير شمس الدين محمّد بن محمّد بن محمّد الشافعيّ (٧٥١ - ٨٣٣/١٣٥٠ - ١٤٢٩)، بيروت، دار الكتب العلميّة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) (٧٩ص).
- **نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء**: أبو البركات الأنباريّ، عبد الرحمن بن محمّد بن عبيد الله (٥١٣ - ٥٧٧/١١١٩ - ١١٨١)، تحقيق: عطيّة عامر، استكهولم: Almqvist & Wiksell، (١٩٦٢م) (٢٧٨ص)/XXXVIص.
- **النشر في القراءات العشر**: ابن الجزريّ، أبو الخير محمّد بن محمّد بن محمّد الشافعيّ (٧٥١ - ٨٣٣/١٣٥٠ - ١٤٢٩)، أشرف على تصحيحه ومراجعته للمرّة الأخيرة: عليّ محمّد الضبّاع، بيروت، دار الفكر [١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م] (٢ج/٢مج).
- **هديّة العارفين - أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين**: إسماعيل باشا البغداديّ، إسماعيل بن محمّد أمين بن مير سليم الباباني (١٢٥٥ - ١٣٣٩/١٨٣٩ - ١٩٢٠)، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، (٢مج)، [تصوير طبعة إستانبول، مطبعة وكالة المعارف (١٣٦٠هـ - ١٣٦٢/١٩٤١هـ - ١٩٤٣هـ) (٢مج).
- Bosworth, C. E.: "al-Ṭabarī", *EI2* (2000) 10/11 - 15.
- Gilliot, Claude: *Exégèse, langue, et théologie en Islam: l'exégèse coranique de Tabari (m. 311/923)*. Paris: Vrin, 1990, 320 S. (*Études musulmanes;* 32)
- Gilliot, Claude: "Les œuvres de Tabari (mort en 310/923)", *Midéo* 19 (1989) 49 - 90.
- Gilliot, Claude: "Les sept "lectures": Corps social et écriture révélée". *Studia Islamica* 61 (1985) 5 - 25.

- Hamdan, Omar: "Können die verschollenen Korantexte der Frühzeit durch nichtkanonische Lesarten rekonstruiert werden?", *The Qur'an as Text*; ed. Stefan Wild. Leiden: Brill, S. 27 - 40. [*Islamic Philosophy, Theology, and Science;* v. 27]
- Nasser, Shady Hekmat: "Revisiting Ibn Mujāhid's position on the seven canonical readings: Ibn ʿĀmir's problematic reading of *kun fa-yakūna*", *Journal of Qur'anic Studies* 17. 1 (2015) 85 - 113.
- Nöldeke, Theodor: *Geschichte des Qorāns*. Leipzig: Dieterich'sche Verlagsbuchhandlung, 2. Aufl. , Bd. 1 (^{2}1909), 2 (^{2}1919) und 3 (^{2}1938)]. [Nachdruck: Hildesheim/New York, 1970, III in einem Band]
- Rosenthal, Franz: The history of al-Ṭabarī (*Ta'rīkh al-rusul wa'l-mulūk*): 1. General introduction and from the creation to the flood; translated and annotated by Franz Rosenthal. Albany, NY: State University of New York Press, 1989, 413 S.
- Shah, Mustafa: "The early Arabic grammarians' contributions to the collection and authentication of Qur'anic readings: The prelude to Ibn Mujāhid's *Kitāb al-Sab'a*", *Journal of Qur'anic Studies* 6. 1 (2004) 72 - 102.
- Sezgin, Fuat: *Geschichte des arabischen Schrifttums*. Leiden: Brill, 1967 - 2000, Bd. 1 - 12.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	٨٩
المقدمة	٩٠
خطة البحث	٩١
منهج البحث	٩١
أهمّيّة البحث وقيمته العلميّة وأهدافه	٩٢
تمهيد	٩٣
المبحث الأول	٩٦
المطلب الأوّل: تاريخ التأليف في القراءات	٩٦
المطلب الثاني: الطبريّ مُصَنِّف الجامع في القراءات	١٢٥
المطلب الثالث: مبنى كتاب الجامع	١٣٧
المطلب الرابع: ما انتُقِدَ عليه الطبريُّ	١٤٩
الباب الأوّل: نقد ابن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ)	١٥٠
الباب الثاني: نقد مكّيّ القيسيّ (ت: ٤٣٧هـ)	١٥٠
الباب الثالث: نقد أبي عمرو الدانيّ (ت: ٤٤٤هـ) والشاطبيّ (ت: ٥٩٠هـ) وعلم الدين السخاويّ (ت: ٦٤٣هـ) وابن وهبان (ت: ٧٦٨هـ) وابن الجزريّ (ت: ٨٣٣هـ)	١٥١
الباب الرابع: الطبريّ وابن مجاهد البغداديّان وطبيعة العلاقة العلميّة بينهما	١٥٥
المبحث الثاني: روايات الطبريّ في القراءات	١٦٩
المبحث الثالث: اختيار الطبريّ في القراءة	١٧٥
الخلاصة	١٨٥
كتاب الإقناع للأهوازيّ: بعض الصور من نسخة الظاهريّة	١٨٧
الملحق	١٩٠
ثبت المصادر والمراجع	١٩٣
فهرس الموضوعات	٢٠٤

توجيه علي بن حمزة الكسائي (المتوفى سنة ١٨٩هـ) للقراءات المتواترة

جمعًا ودراسةً

د. محمد يحيى ولد الشيخ جار الله (*)

ملخص البحث

يتناول هذا البحث جَمْعَ توجيه الكسائي للقراءات المتواترة ودراسته، فقد قام الباحث بجمع كل ما وقف عليه في كتب أهل العلم من توجيه الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ للقراءات المتواترة ودراسته دراسةً علمية، وقد بدأه بمقدمة تضمنت: مشكلة البحث، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه، وبعد المقدمة: التمهيد، وقد شمل ترجمة الإمام الكسائي، وتعريف التوجيه لغة واصطلاحاً، ثم بعد التمهيد قسمان، هما صلب البحث، تضمن الأول منهما: التعريف بقراءة الكسائي ودراسة توجيهه، وفيه مبحثان، الأول منهما: في التعريف بقراءة الكسائي من خلال اهتمامه بالإقراء، وسنده في القراءة، ومكانة قراءته. أما الثاني فقد تضمن دراسة توجيه الكسائي للقراءات، من خلال مميزات توجيهه، ومصادره في التوجيه، ثم بعد ذلك القسم الثاني، وقد أورد الباحث فيه جميع ما وقف عليه من توجيه الكسائي للقراءات المتواترة، مرتباً الآيات فيه حسب ورودها في المصحف الشريف، وبعد القسمين: خاتمة البحث، وفيها أهم النتائج المستخلصة منه، وختم الباحث بحثه بفهرسَي المصادر والمراجع والموضوعات.

(*) أستاذ مشارك بقسم القراءات بكلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى.

المقدمة

الحمد لله الذي اصطفى العلماء لخدمة كتابه العزيز، وخَصَّهم باشتغالهم بهذا العمل الشريف، فخدموا كتاب الله عَزَّوَجَلَّ حفظاً وتلاوة، وضبطاً ودراية، وتفسيراً وإعراباً، فمنهم القارئ المتقن الذي لا يشق له غبار في إتقان أوجه قراءاته ورواياته وطرقه، ومنهم المفسر البارع في بيان معانيه ومقاصده وهداياته، ومنهم اللغوي النحرير في معرفة أوجه إعرابه وبلاغته، فحاز كل عالم من علماء الأمة الفضل والأجر العظيم على قدر خدمته لهذا الكتاب العظيم.

وإن من علماء الأمة الأجلَّاء الذين جمعوا بين قراءة القرآن ودرايته، ومعرفة قراءاته ورواياته وتوجيه تلك القراءات: الإمامَ العالم القارئ علي بن حمزة الكسائي (ت: ١٨٩هـ)، أحد القراء العشرة الذين أجمعت الأمة على تَلَقِّي قراءاتهم بالقبول، وأنها قرآن منزل من عند الله عَزَّوَجَلَّ.

ونظراً لمكانة الكسائي - وهو أحد القراء العشرة، وإمام مدرسة الكوفة النحوية - لفت نظري كلامه في توجيه القراءات المبثوث في كتب التوجيه والتفسير وعلوم القرآن واللغة، فتتبعتُ ما نُسب إليه من توجيه في تلك الكتب، وجمعته في هذا البحث الموسوم بـ «**توجيه علي بن حمزة الكسائي للقراءات المتواترة جمعاً ودراسة**»، فجاء بحمد الله بحثاً أصيلاً في التوجيه، جَمَعَ ما نُسب لهذا العَلَم الكبير من توجيه القراءات المتواترة.

وبعد طول الاستقراء وكثرة التنقيب في كتب أهل العلم، وقفتُ له على توجيهِ ما يقرب من ثمانين قراءة متواترة ضمنتها هذا البحث.

ولست أدَّعي الإحاطة بكل توجيه الكسائي للقراءات؛ لتعسر الجزم بذلك، لكني أعتقد أني قدمت صورة جلية عن جهوده في توجيه القراءات من خلال هذا البحث.

وأنبه هنا على أن هذا التوجيه المنسوب إليه يكتسب مصداقية كبيرة من حيث صحة نسبته إليه بسبب كون أغلب القراءات التي تضمنتها هذه الدراسة من القراءات التي قرأ بها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فما كان في هذا العمل من صواب فمن توفيق الله عَزَّوَجَلَّ وفضله عليَّ، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان، وأسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى السداد في القول والعمل.

مشكلة البحث:

يعالج هذا البحث مشكلة ندرة البحوث العلمية التي اهتمت بتوجيه علماء السلف الأقدمين للتوجيه - ولاسيما أئمة القراءات- فتحاول هذه الدراسة الإسهام في جمع توجيه علم من أعلام الأمة وقارئ من قرائها للقراءات المتواترة ودراسته دراسة علمية، ولعله يضيف جديداً في سبيل تأصيل هذا العلم، وبيان اهتمام السلف به.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

وتتجلى أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره في الأمور التالية:

١. أنه متعلق بكلام الله تعالى، ولعل في الكتابة فيه خدمةً لعِلْمَين شريفين من علوم القرآن العظيم، هما: علم القراءات، وعلم التوجيه.

٢. مكانة علي بن حمزة الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين القراء، وعلماء الأمة، بوصفه أحد القراء الذين أجمعت الأمة على تلقي قراءتهم بالقبول، وبوصفه كذلك إمام مدرسة الكوفة النحوية.

٣. المميزات الجليلة التي يمتاز بها توجيه الكسائي للقراءات، وسيأتي بعضها في قسم الدراسة إن شاء الله تعالى.

٤. أن العلماء نَصُّوا على أن من أهداف التأليف: جمع المتفرق من كلام أهل العلم، حتى يستفاد منه، وهذا ينطبق على كلام الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التوجيه، فهو متفرق في كتب التوجيه، والتفسير، وغيرها، مما يَحْسُنُ جَمْعُه.

٥. أن في جمع كلام الكسائي وأقرانه من الرعيل الأول تأصيلاً لعلم التوجيه، وبياناً لنشأته مبكراً إلى جانب علم القراءات.

٦. أنه لم يقم أحد حسب علمي بجمع توجيه الكسائي رَحِمَهُ اللَّهُ في مكان واحد ودراسته، مع أنه جدير بذلك لما له من مكانة علمية.

٧. إضافة بحث في توجيه القراءات يفيد المتخصصين في هذا الباب من العلم.

الدراسات السابقة:

لم أقف بعد كثرة البحث والتنقيب على دراسة علمية تناولت توجيه الكسائي للقراءات وكل ما هو من توجيهه - حسب علمي - عبارة عن شذرات متفرقة في كتب أهل العلم، وهي التي تناولتها هذه الدراسة.

خطة البحث:

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وقسمين، وخاتمة:

المقدمة: وتتضمن: مشكلة البحث، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد: ويتضمن ترجمة الإمام الكسائي، وتعريف التوجيه لغة واصطلاحاً.

القسم الأول: التعريف بقراءة الكسائي، ودراسة توجيهه للقراءات، وتحته مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بقراءة الكسائي، وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اهتمامه بالإقراء ومنهجه فيه.

المطلب الثاني: سنده في القراءة ورواته.

المطلب الثالث: مكانة قراءته.

المبحث الثاني: دراسة توجيه الكسائي للقراءات، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: مميزات توجيه الكسائي للقراءات.

المطلب الثاني: مصادر الكسائي في التوجيه.

القسم الثاني: توجيه علي بن حمزة الكسائي للقراءات مرتب الآيات حسب ورودها في المصحف الشريف.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج.

الفهارس العلمية: وهي على النحو الآتي:

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

وقد سلكت في إخراج هذا البحث المنهج الآتي:

١. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وفق مصحف المدينة النبوية.

٢. عزو القراءات لمن قرأ بها من القراء العشرة، وتوثيقها من مصادرها الأصلية.

٣. بيان ما يحتاج إلى بيان من كلام الكسائي وغيره.

٤. عزو الآيات لسورها بأرقامها في متن البحث تسهيلاً على القارئ.

٥. الترجمة للأعلام الواردة في البحث ترجمة مختصرة، سوى الأعلام التي في قسم الدراسة، فلم أترجم لها خشية إثقال البحث، وكذلك إذا كان العَلَم مشهوراً، كالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والقراء العشرة؛ لشهرتهم عند المشتغلين بعلم القراءات.

٦. الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

٧. تصدير كلام الكسائي رَحِمَهُ اللَّهُ في التوجيه بالآية التي فيها القراءة الموجهة، ثم أتبعها بنقل توجيهه لتلك الكلمة، وأعلق على توجيهه إن رأيت أن ذلك ضروري.

٨. لا أذكر اسم المؤلِّف الذي أورد التوجيه في بداية نَقْلِ كلامه، مكتفياً بالإحالة إلى المصدر في آخر الكلام، إلا إذا كان حَذْفُ اسم المؤلف يُخِلُّ بالسياق، فعندئذ أذكر اسمه.

٩. أسلك المنهج الاستقرائي في جمع كلام الكسائي في التوجيه، من كتب التفسير، واللغة وعلوم القرآن، وغيرها من الكتب التي ذكرت توجيهاً له لبعض القراءات.

١٠. إذا كان النص المنقول عن الكسائي ورد في عدة مصادر، فإني أنقل كلامه من أكمل تلك المصادر نصاً، وإن لم يكن أقدمها زمناً، وأحيل القارئ على باقي المصادر.

١١. تذييل البحث بالفهارس العلمية حسب ما هو مبين في خطة البحث.

تمهيد

يتناول الكلام في هذا التمهيد مسألتين مهمتين أحببت الحديث عنهما قبل الدخول في صلب الموضوع، هما: ترجمة للكسائي، وتعريف التوجيه لغة واصطلاحاً.

أولاً: ترجمة الكسائي:

وتتضمن الحديث عن: مولده، واسمه، ونسبه، ونشأته، وشمائله، وشيوخه وتلاميذه، ومؤلفاته، ووفاته.

مولده، واسمه، ونسبه، ونشأته: هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن ابن فيروز الكوفي الأسدي مولاهم المقرئ، الملقب بالكسائي، أحد القراء السبعة، ولد بسواد العراق ثم قدم البصرة، وأخذ عن علمائها، كان أحد أئمة القراءة من أهل الكوفة، وإمام مدرستها النحوية، ثم استوطن بغداد، فكان مؤدِّباً بها للأمين والمأمون ابنَي أمير المؤمنين هارون الرشيد، وقد أقرأ ببغداد زماناً بقراءة حمزة، ثم اختار لنفسه قراءة فأقرأ الناس بها، وقرأ عليه بها خَلْقٌ كثير، وحُفِظَتْ عنه، قيل: لقب بالكسائي لأنه أحرم في كساء، وقيل: لأنه دخل الكوفة فأتى مسجداً فيها، وكان حمزة بن حبيب الزيات يقرئ فيه، فتقدم مع أذان الفجر فجلس وهو ملتف بكساء، فلما صلَّى حمزة قال: من تقدم فِي الوقت يقرأ، قيل له: الكسائي أول من تقدم، يعنون صاحب الكساء، وقد انتهت إليه الإمامة في القراءة والعربية(١).

شمائله: يتمتع الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بخصال جليلة قلَّ أن تتوافر في غيره، ومنها تواضعه الجَمّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد روي عنه أنه قال: صليت بهارون الرشيد فأعجبتني قراءتي، فغلطت في آية ما أخطأ فيها صبي قط، أردت أن أقول: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢]، فقلت: «لعلهم يرجعين!»، قال: فوالله ما اجترأ هارون أن يقول لي: أخطأت، ولكنه لما

(١) ينظر: الجرح والتعديل (١٨٢/٦)، والثقات لابن حبان (٤٥٧/٨ - ٤٥٨)، وسير أعلام النبلاء: (١٣١/٩ - ١٣٢)، وغاية النهاية (٥٣٥/١ - ٥٤٠).

سَلَّمت قال لي: يا كسائي أي لغة هذه؟ قلت: يا أمير المؤمنين قد يعثر الجواد، فقال: أما هذا فنعم. ومِنْ ورعه كذلك ما ذكر الفراء، قال: لقيت الكسائي يوماً فرأيته كالباكي، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: هذا الملك يحيى بن خالد يُوَجِّه إلي فيُحضرني، فيسألني عن الشيء، فإن أبطأت في الجواب لحقني منه عيب، وإن بادرت لم آمن الزلل. قال: فقلت له ممتحناً: يا أبا الحسن من يعترض عليك؟ قل ما شئت فأنت الكسائي، فأخذ لسانه بيده فقال: قطعه الله إذاً، إن قلت ما لا أعلم[1].

شيوخه وتلاميذه: للكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيوخ كثيرون، روى عنهم القراءات واللغة والغريب وغيرها من العلوم، فقد روى عن أبي عمرو ويونس، وقرأ القرآن وجوده على حمزة بن حبيب الزيات، وعيسى بن عمر الهمداني، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، ورحل إلى البصرة فأخذ العربية عن الخليل بن أحمد، وقال: أدركت أشياخ أهل الكوفة: أبان بن تغلب، وابن أبي ليلى، وحَجَّاج بن أَرْطأة، وعيسى بن عمر الهمداني، وحمزة، كما أخذ الحروف أيضاً عن الأعمش، وعاصم بن أبي النجود، ومحمد بن سهل، وأبي بكر بن عياش، وخرج إلى البوادي فكتب الكثير من اللغات والغريب عن الأعراب بنجد وتهامة، وقدم وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبر، وله شيوخ كثيرون غير من ذُكر[2].

أما تلاميذه: فقد قرأ على الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ خَلْقٌ كثير. ومن أشهر من قرأ عليه أبو عمر حفص بن عبد العزيز الدُّوري، وأبو الحارث الليث بن خالد، وسيأتي الكلام عليهما لاحقاً، وممن قرأ عليه غيرهما: أبو عبيد القاسم بن سلام، وأحمد بن أبي سريج النهشلي، وأبو توبة ميمون بن حفص، وأبو زكريا الفراء، ونصير بن يوسف الرازي، وقتيبة بن مهران الأصبهاني، وغير هؤلاء كثير[3].

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد (٤٠٦/١١)، ومعرفة القراء الكبار (٧٥ - ٧٦).

(٢) ينظر: الجرح والتعديل (١٨٢/٦)، والثقات لابن حبان (٤٥٧/٨)، وتاريخ العلماء النحويين (ص١٩٠ - ١٩٢).

(٣) ينظر: الجرح والتعديل (١٨٢/٦)، والثقات لابن حبان (٤٥٧/٨)، وسير أعلام النبلاء (١٣٣/٩).

مؤلفاته: لم يشغل الإقراء الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن التأليف، فقد صنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة مصنفات، وقد أتحفتنا كتب التراجم بذِكْرِ عدد من مصنفاته، ومنها: «معاني القرآن»، و«الآثار»، و«كتاب في القراءات»، و«النوادر الكبير»، و«مختصر في النحو»، و«كتاب العدد واختلافهم فيه»، و«كتاب النوادر الأوسط»، و«كتاب النوادر الأصغر»، و«كتاب النحو»، و«كتاب الهجاء»، و«كتاب مقطوع القرآن وموصوله»، و«كتاب المصادر»، و«كتاب الحروف»، و«كتاب أشعار المعاياة»، و«كتاب الهاءات»[١].

وفاته: بعد هذه الحياة الحافلة بالعلم والتعليم توفي الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأرجح الأقوال في تاريخ وفاته أنه توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالري سنة (١٨٩هـ) هو ومحمد بن الحسن الشيباني في يوم واحد، فدفنهما أمير المؤمنين هارون الرشيد وقال: اليوم دفنت الفقه والنحو، وقيل: في تاريخ وفاته غير ذلك[٢].

قال عبد الوهاب بن حريش: «رأيت الكسائي في النوم، فقلت: له ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بالقرآن»[٣].

ثانياً: تعريف التوجيه لغةً واصطلاحاً:

توجيه القراءات: مركب إضافي[٤] يتوقف تعريفه على تعريف جزأيه[٥]، فلذلك أبدأ بتعريف القراءات قبل تعريف التوجيه، فأقول:

القراءات: في اللغة جمع قراءة، وهي مصدر: قرأ يقرأ، إذا تلا، يقال: قرأ فلان يقرأ قراءة، وقرآناً فهو قارئ، من قرَأة، وقُرَّاء، وقارِئين بمعنى تلا[٦].

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣٣/٩).

(٢) ينظر: تاريخ بغداد (٤٠٢/١١ - ٤١٢)، وسير أعلام النبلاء (١٣٤/٩)، وغاية النهاية (٥٣٥/١ - ٥٤٠).

(٣) ينظر: تاريخ بغداد (٤٠٢/١١ - ٤١٢)، وسير أعلام النبلاء (١٣٤/٩).

(٤) المركب الإضافي: هو ما ركب من مضاف، ومضاف إليه، ويدل جزؤه على جزء معناه. ينظر: التعريفات (ص٢١٠)، ومعجم: الشامل في مصطلحات اللغة العربية (ص٨٣٤).

(٥) ينظر: المعجم الوسيط (ص٣٦٨).

(٦) ينظر: لسان العرب (١٢٨/١ - ١٢٩) مادة «قرأ»، والقاموس المحيط (ص٤٩) مادة «قرأ».

أما القراءات اصطلاحاً: فقيل: «هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف، أو كيفياتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما»(١).

وقيل: هي: «عِلْمٌ بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله»(٢).

أما التوجيه: فهو **لغة**: مصدر «وجَّه يُوَجِّه»، وله عدة معان في اللغة، منها: انقاد، واتَّبَع، وولّى وَجْهَه إليه، وجَعَله على جهةٍ واحدة(٣).

وأما التوجيه اصطلاحاً: فقيل: هو «تبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ»(٤).

وقيل: هو «إيجاد وجه في العربية لما اختاره القارئ من ألفاظ اللغة، أو حالة إعرابية في عنصر من عناصر التركيب»(٥).

(١) البرهان في علوم القرآن (٣١٨/١).
(٢) منجد المقرئين (ص٤٩).
(٣) لسان العرب (٥٥٨/١٣) مادة «وجه»، والقاموس المحيط (ص١٢٥٥) مادة «وجه»، والمعجم الوسيط (ص١٠١٦).
(٤) البرهان في علوم القرآن (٣٣٩/١).
(٥) التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء (ص١٨).

القسم الأول

التعريف بقراءة الكسائي، ودراسة توجيهه للقراءات

وتحته مبحثان:

المبحث الأول

التعريف بقراءة الكسائي

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اهتمامه بالإقراء ومنهجه فيه:

مما لا ريب فيه أن الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علم من أعلام المقرئين، وقد قصده الناس لأخذ القراءة عنه، فكان مجلسه الإقرائي يزخر بالعلماء المقرئين الذين حضروا لأخذ القراءة عنه مشافهة، وكان لا يستطيع لكثرتهم إفرادَ كل طالب بوقت، فيجمعهم ويقرأ عليهم القرآن. قال أبو بكر بن الأنباري: اجتمعَتْ للكسائي أمور لم تجتمع لغيره، فكان واحدَ الناس في القرآن، يُكثرون عليه، حتى لا يضبط الأخذ عليهم، فيجمعهم ويجلس على كرسي ويتلو القرآن من أوله إلى آخره، وهم يستمعون، حتى كان بعضهم ينقط المصاحف على قراءته، وآخرون يتبعون مقاطعه ومباديه، فيرسمونها في ألواحهم وكتبهم. وقال إسحاق بن إبراهيم: «سمعت الكسائي يقرأ القرآن على الناس مرتين». وعن خلف قال: كنت أحضر بين يدي الكسائي وهو يتلو، وينقطون على قراءته مصاحفهم[1].

وكان إذا أخطأ في مجلس الإقراء ثم نُبه رجع إلى الصواب. يقول خلف - وهو يصف مجلس الكسائي وقت الإقراء-: «كنت أجلس أسفل المنبر، فقرأ يوماً - أي الكسائي- في سورة الكهف: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا﴾ [الكهف: ٣٤]، فنصب ﴿أَكۡثَرُ﴾ فعلمت أنه قد وقع فيه، فلما فرغ أقبل الناس يسألون عن العلة في ﴿أَكۡثَرُ﴾ لم

(١) ينظر: تاريخ بغداد (٤٠٥/١١)، وسير أعلام النبلاء (١٣٢/٩).

نصبه، فثرت فِي وجوههم أنه أراد فتحة «أقل»: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا﴾ [الكهف: ٣٩]، فقال الكسائي: «أكثرُ» فمحوه من كتبهم، ثم قال لي: يا خلف يكون أحد من بعدي يسلم من اللحن؟ قال: قلت: لا، أمّا إذا لم تسلم أنت فليس يسلم أحد بعدك، قرأتَ القرآن صغيراً، وأقرأتَ الناس كبيراً، وطلبتَ الآثار فيه والنحو(١).

المطلب الثاني: سنده في القراءة ورواته:

أما سنده في القراءة: فقد تقدم في ذكر شيوخه أنه قرأ على عدد كبير من علماء القراءات، منهم: ابن أبي ليلى، وعاصم بن أبي النجود، وحمزة بن حبيب، وأبو عمرو. وسند الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرجع إلى أسانيد هؤلاء. قال ابن مجاهد: «وكان علي بن حمزة الكسائي قد قرأ على حمزة، ونظر في وجوه القراءات، وكانت العربية علمه وصناعته، واختار من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار من تقدم من الأئمة، وكان إمام الناس في القراءة في عصره، وكان يأخذ الناسُ عنه ألفاظه بقراءته عليهم»(٢).

وسأذكر هنا أحد أسانيد الكسائي في قراءته، فقد قرأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على حمزة، وقرأ حمزة على الأعمش، وقرأ الأعمش على يحي بن وثاب، وقرأ يحي على علقمة بن قيس، وقرأ علقمة على عاصم بن ضمرة، وقرأ عاصم على عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقرأ ابن مسعود على النبي (٣)صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وباقي أسانيد قراءة الكسائي عن حمزة وغيره مبسوط في كتب القراءات، فليرجع إليه فيها(٤).

وأما تلاميذه في القراءة فهم خَلْقٌ كثير كما تقدم أيضاً، لكن أسانيد قراءته تدور على راوييه الدوري وأبي الحارث.

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣١/٩ - ١٣٤).
(٢) السبعة (ص٧٨).
(٣) ينظر: المبسوط لابن مهران (ص٧٢ - ٧٣)، والنشر (١٦٥/١ - ١٧٢).
(٤) ينظر: المبسوط (ص٧٢ - ٧٣)، والنشر (١٦٥/١ - ١٧٢).

فأما الدُّوري: فهو أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صَهْبان الدُّوري، المقرئ النحوي البغدادي الضرير، شيخ العراق في وقته، قرأ على إسماعيل بن جعفر، والكسائي، ويحيى اليزيدي، وسليم، وغيرهم. ويقال: إنه أول من جمع القراءات وألَّفها، قصده الناس من الآفاق، وازدحموا عليه لعلو سنده وسعة علمه، وقرأ عليه خلق كثير منهم: أحمد بن يزيد الحلواني، وأبو الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس، وأحمد بن فرح، وجعفر بن أسد النصيبي، وكتب عنه أحمد بن حنبل، توفي سنة (٢٤٦هـ)[١].

وأما أبو الحارث: فهو الليث بن خالد أبو الحارث البغدادي المقرئ صاحب الكسائي، والمقدَّم من بين أصحابه، قرأ عليه وروى قراءته، وسمع الحروف من حمزة ابن القاسم الأحول، وأبي محمد اليزيدي، وقرأ عليه سلمة بن عاصم، ومحمد بن يحيى الكسائي الصغير، توفي سنة (٢٤٠هـ)[٢].

المطلب الثالث: مكانة قراءة الكسائي:

من المسلَّم به عند أهل العلم أن لقراءة الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مكانة عظيمة بين الناس، فهو أحد القراء السبعة، وإمام مدرسة الكوفة النحوية. يقول أبو عبيد عن قراءة الكسائي: «كان الكسائي يتخير القراءات، فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضاً، وكان من أهل القراءة، وهي كانت علمه وصناعته، ولم نجالس أحداً كان أضبط ولا أقوم بها منه». وقال ابن مجاهد عن قراءة الكسائي: «فاختار من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار مَنْ تقدَّم من الأئمة، وكان إمام الناس في القراءة». وقال أبو عمر الدوري: «سمعت يحي بن معين يقول: ما رأيت بعيني أصدق لهجة من الكسائي، وقد قرأ الكسائي على حمزة القرآن أربع مرات». وقال أحمد بن رستم: «حدَّثنا نصير بن يوسف، قال: قرأت على الكسائي وأخبرني أنه قرأ القرآن على حمزة، وعلى

(١) ينظر: معرفة القراء (ص١١٣ - ١١٤)، وسير أعلام النبلاء (٥٤١/١١ - ٥٤٣)، وغاية النهاية (٢٥٥/١ - ٢٥٧).
(٢) ينظر: معرفة القراء (ص١٢٤)، وغاية النهاية (٣٤/٢).

جماعة في عصر حمزة، منهم ابن أبي ليلى، والهَمْدانيُّ، وأبو بكر بن عياش». وقيل لأبي حفص الدوري: كيف صحبتم الكسائي على الدعابة التي فيه؟ قال: لصدق لسانه. وقال أحمد بن أبي سريج: «سمعت أبا المعاني وكان عالماً بالقراءات يقول: الكسائي القاضي على أهل زمانه». وقال أبو بكر بن أبي داود السجستاني: «أبو الحسن الكسائي الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات». وقال الكسائي: «كنت أقرئ الناس في مسجد دمشق فأغفيت في المحراب فرأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داخلاً من باب المسجد، فقام إليه رجل فقال: بحرفِ مَنْ تقرأ؟ فأومأ إلي»[1].

(١) ينظر: كتاب السبعة (ص٧٨ - ٧٩)، ومعرفة القراء الكبار (ص٧٢ - ٧٧)، وغاية النهاية (٥٣٥/١ - ٥٤٠).

المبحث الثاني

دراسة توجيه الكسائي للقراءات

وتحته مطلبان: سيتناول الكلام في هذا المبحث دراسة توجيه الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ للقراءات من خلال مسألتين جوهريتين في توجيهه، هما: مميزاته في التوجيه، ومصادره فيه، وذلك في المطلبين التاليين، وهما:

المطلب الأول: مميزات توجيه الكسائي للقراءات:

يتميز توجيه الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ للقراءات بمميزات عدة هي:

أولاً: كونه أحدَ العشرة: فالكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد القراء العشرة الذين أجمعت الأمة على تلّقي قراءتهم بالقبول، وهو أمر يعطي توجيهه مصداقية علمية كبيرة؛ لأن من عرف القراءة ووجهها ليس مثل من وجَّهها من غير علم دقيق بها.

ثانياً: سعة علمه: فمِمَّا لا شك فيه أن الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد علماء الأمة الأفذاذ، وقد شهد له بغزارة العلم جمع من العلماء. قال الفراء: قال لي قوم: ما اختلافك إلى الكسائي وأنت مثله فِي العلم؟ فأعجبتني نفسي فناظرته وزدت، فكأني كنت طائراً أشرب من بحر، وقد تقدمت نبذة من الكلام على سعة علمه[1].

ثالثاً: إمامته في اللغة: فالكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علم من أعلام النحو واللغة، وهو إمام مدرسة النحو الكوفية، وقد شهد بسعة معرفته بلغة العرب القاصي والداني، يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أراد أن يتبحر فِي النحو فهو عيال على الكسائي[2]. وكان أعلم الناس بالنحو، وواحدهم في الغريب، وسمعه أعرابي يتكلم فقال: «ما في العرب أعلم منك». وقال أحمد بن فرح: «سمعت أبا عمر الدوري يقول: قرأت هذا الكتاب «معاني الكسائي» فِي مسجد السَّواقين ببغداد على أبي مسحل وعلى الطوال، وعلى سلمة، وجماعة.

(١) ينظر: تاريخ بغداد (٤٠٥/١١)، وسير أعلام النبلاء (١٣٢/٩).

(٢) ينظر: غاية النهاية (٥٣٨/١).

قال: فقال أَبُو مسحل: لو قرئ هذا الكتاب عشر مرات لاحتاج من قرأه أن يقرأه»[1].

ومواقفه التي تدل على سعة علمه بلغة العرب كثيرة جداً، ولو استفضنا فيها لطال الكلام[2].

رابعاً: أن التوجيه عنده تابع للرواية: فالكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يعتمد على وجه في اللغة في قبول القراءة ما لم تصح القراءة عنده بالأثر، فاستمع إليه وهو يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو قرأت على قياس العربية لقرأت: ﴿كِبْرَهُۥ﴾ [النور: ١١] برفع الكاف[3]؛ لأنه أراد عظمه، ولكني قرأت على الأثر»[4].

فهو هنا يرفض أن يقرأ على قياس العربية لعدم اعتضاد وجهها بالأثر عنده.

مع أن قراءة رفع الكاف قراءة متواترة قرأ بها يعقوب الحضرمي- أحد القراء العشرة - لكن يبدو من هذا الكلام أنها لم تصل الكسائي بسند يمكن أن يعتمد عليه في القراءة بها في ذلك الوقت.

خامساً: وَرَعُه: فالكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتحلَّى بالورع وعدم القول في توجيه القراءة بغير علم، ولهذا نراه يتوقف في توجيه بعض القراءات فيصرح بأنه لا يدري وجهها في اللغة، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قراءة تشديد «إنّ»[5] من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [هود: ١١١]: «ما أدري ما وجه هذه القراءة»[6]؟ وفي رواية عنه أنه قال في توجيهها:

(١) ينظر: تاريخ بغداد (٤٠٥/١١ - ٤٠٨)، ومعجم حفاظ القرآن عبر التاريخ (٣٤٥/١).

(٢) للاستزادة عن هذا الموضوع ينظر: الجرح والتعديل (١٨٢/٦)، والثقات لابن حبان (٤٥٧/٨ - ٤٥٨).

(٣) قرأها يعقوب الحضرمي بضم الكاف، وقرأها الباقون بكسرها. ينظر: النشر (٣٣١/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٤٠٩)، وسيأتي نقل كلامه في توجيهها عند الكلام عليها في محلها.

(٤) جمال القراء (ص٣٣٠).

(٥) قرأ نافع وابن كثير بتخفيف نون «إن» وميم «لما»، وقرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب وخلف العاشر بتشديد «إن» وتخفيف «ما»، وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة وأبو جعفر بتشديدهما معاً، وقرأ شعبة عن عاصم بتخفيف نون «إن» وتشديد ميم «لما». ينظر: النشر (٢١٨/٢، ٣٢٨/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣٢٦).

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٢١٧/٦)، وينظر: غرائب التفسير (٥٢١/١)، وإيجاز البيان عن معاني القرآن (٤٢٧/١)، ومدارك التنزيل (٨٧/٢).

«الله أعلم، لا أعرف لهذه القراءة وجهاً»(١).

وهذه الأمور هي - فيما أرى - مميزات توجيه الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ للقراءات من خلال هذه النصوص المروية عنه في هذا البحث، والعلم عند الله.

المطلب الثاني: مصادر الكسائي في التوجيه:

إن المتتبع لتوجيه الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدرك أن مصادره في توجيه القراءات تتلخص فيما يلي:

أولاً: القرآن الكريم والقراءات القرآنية: فالكسائي أحياناً يوجه القراءة بأن وجهها اللغوي جاء في آية أخرى، مثل: كلامه على توجيه القراءتين في ﴿وَوَصَّىٰ﴾(٢) [البقرة: ١٣٢]، إذ قال: «هما لغتان معروفتان، تقول: وصَّيتك وأوصيتك، كما تقول: كرَّمتك وأكرمتك، والقرآن ينطق بالوجهين، قال الله: ﴿وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ١٣١] ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣]».

وأحياناً يستدل بأن وجه القراءة اللغوي جاءت عليه قراءة أخرى مثل: كلامه على قراءة أبي جعفر في «ليجزي»(٣) من قول الله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤]، فقال: «معناه ليجزي الجزاء قوماً، نظيره: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُجِّى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] على قراءة ابن عامر وأبي بكر في سورة الأنبياء»(٤)(٥).

ثانياً: اعتماده على لغة العرب في التوجيه: فكثيراً ما يوجِّه القراءة أو القراءات بأن توجيهها راجع لاختلاف لغات العرب في النطق بهذه الكلمة، مثل: كلامه على

---

(١) اللباب (٥٨٦/١٠).

(٢) قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر: ﴿وَأَوْصَىٰ﴾ بهمزة مفتوحة بين الواوين، مع تخفيف الصاد، وقرأ باقي العشرة: بتشديد الصاد من غير همزة. ينظر: النشر (٢٢٢/٢ - ٢٢٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص١٩٣).

(٣) قرأ أبو جعفر بالياء المضمومة وفتح الزاي، وقرأ الباقون بالنون المفتوحة وكسر الزاي، وقرأها نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء المفتوحة وكسر الزاي. ينظر: النشر (٣٧٢/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٥٠٢).

(٤) قرأ: ﴿نُجِّي﴾ بنون واحدة مشددة مع تشديد الجيم. ينظر: النشر (٣٢٤/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣٣٤).

(٥) سيأتي نقل كلامه بتمامه في كلامه على الآية [١٤] من سورة الجاثية.

القراءتين في كلمة: «حج»[1] من قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، حيث عللهما بأنهما لغات للعرب لا فرق بينهما[2].

والكسائي عند توجيهه باللغة أو اللغات لا ينسب اللغة أحياناً لمن نطق بها مكتفياً بقوله: «لغتان» أو «لغات» مثل كلامه المتقدم قبل قليل في القراءتين في «حج»، وأحياناً ينسب اللغة لمن نطق بها من العرب، مثل كلامه على القراءتين في: «للملائكة»[3] من قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]، فقد وجَّه قراءة ضم التاء بأنها لغة إحدى القبائل العربية، هي أزد شنوءة[4].

ثالثاً: اعتماده على الشعر: فالشعر مصدر أصيل من مصادر الكسائي في التوجيه، فكثيراً ما يستشهد للوجه اللغوي للقراءة بوروده في الشعر، مثل ما ذكر عند توجيهه قراءة عدم الهمز في: «النبي» بغير همز[5]، إذ استدلَّ لوَجْهِها اللغوي بوروده في الشعر[6].

رابعاً: اعتماده على كلام النحاة: فربما وجَّه القراءة بأن أئمة النحو يرجحون هذا الوجه، كما في كلامه على القراءات في ﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ﴾[7] من قول الله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣]، فقد استدل لقراءة الجمهور بكلام النحاة، فقال: «أما قدماء

(١) قرأ حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف العاشر: بكسر الحاء، وقرأ باقي العشرة بفتحها. ينظر: النشر (٢/٢٤١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٢٧).

(٢) سيأتي نقل كلامه بنصه عند توجيه الآية المذكورة.

(٣) قرأ أبو جعفر بخلف عن ابن وردان بضمها، والوجه الثاني لابن وردان عنه إشمام الكسرة الضم، وقرأ باقي العشرة بكسرها. ينظر: النشر (٢/٢١٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص١٧٥).

(٤) سيأتي نقل كلامه بنصه عند الكلام على القراءة المذكورة.

(٥) قرأ نافع ما اشتق من لفظ النبوءة بالهمز في جميع القرآن، وقرأه باقي العشرة بالياء. ينظر: النشر (٢/٢١٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص١٨٠).

(٦) سيأتي نقل كلامه بنصه عند الكلام على القراءة المذكورة في الآية [٦١] من سورة البقرة.

(٧) قرأ نافع وابن عامر وشعبة عن عاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف البزار بتشديد «إن» و«هذان» بالألف، وتخفيف النون، وقرأ ابن كثير بتخفيف «إن» و«هذان» بالألف مع تشديد النون، وقرأ حفص عن عاصم مثله، غير أنه خفف نون «هذان»، وقرأ أبو عمرو بتشديد «إن» و«هذين» بالياء مع تخفيف النون. ينظر: النشر (٢/٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣٨٤).

النحويين فإنهم قالوا: هو على تقدير: إنه هذان، فحذف الهاء...»[1].

خامساً: اعتماده على الأساليب العربية في التوجيه: مثل تعليله اختيار قراءة المد في «مالك» بالمد[2] من قول الله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، فقد عللها تعليلاً بلاغياً هو دلالته على سعة الفضل والرحمة، وهو أمر يناسب اختصاصه بملك يوم الدين؛ لشدة حاجة الناس لكثرة رحمته عَزَّوَجَلَّ وسعة فضله في ذلك اليوم، كما تدل كذلك على تفرُّده بالملك في يوم الدين، وكثرة مملوكاته من جن وإنس وطير وغيرها[3].

هذه هي مصادر الكسائي في توجيه القراءات حسب رأيي.

وبهذا ينتهي القسم الأول من هذا البحث، ويليه القسم الثاني وهو توجيه الكسائي للقراءات القرآنية مرتباً على سور القرآن الكريم.

---

(١) سيأتي نقل كلامه بكماله عند توجيهه للقراءات في الآية [٦٣] من سورة طه.

(٢) قَرَأ: ﴿مَٰلِكِ﴾ بالمد: عاصم، والكسائي، ويعقوب، وخلف العاشر، وقرأ الباقون بالقصر. ينظر: النشر (٢٢٧/١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص١٦٢ - ١٦٣).

(٣) ينظر: الكشف (١١٤/١ - ١١٥)، ومعالم التنزيل (٧٨/١)، وسيأتي نقل كلام الكسائي بنصه والتعليق عليه عند الكلام على الآية المذكورة بعد قليل.

القسم الثاني

توجيه الكسائي مرتب الآيات حسب ورودها في المصحف الشريف

يتضمن هذا القسم من البحث توجيه علي بن حمزة الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ للقراءات المتواترة مرتباً على ترتيب الآيات في المصحف الشريف.

الآية الأولى: قال الله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، قال الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليل اختياره قراءة «مالك» بالمد[١]: «اقْرَأ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾؛ لأن هذه القراءة هي الدالة على الفضل الكثير والرحمة الواسعة»[٢].

فقد وجَّه هذه القراءة بتوجيه بلاغي، وهو أنها أكثر دلالة على سعة رحمة الله عَزَّوَجَلَّ وفضله، لكن ذلك لا يدل على عدم دلالة قراءة القصر على سعة الرحمة والفضل، فقد علل من قرأ بالقصر اختياره بأن القصر أبلغ؛ لأدلة ذكروها منها: أن كل مَلِك مالكٌ، وليس كل مالك مَلِكاً، وأن صفة المُلك لا تطلق إلا على مَنْ مَلَكَ أشياء كثيرة[٣].

الآية الثانية: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]. قال القرطبي[٤] في الكلام على «قيل»[٥]: «وقال الكسائي: ويجوز إشمام القاف الضم؛ ليدل على أنه لما لم يُسَمَّ فاعلُه»[٦].

فقوله: «ليدل على أنه لما لم يسم فاعله»: توجيه لقراءة الإشمام التي اختارها، وهو تعليل سديد؛ لأن هذا الفعل إذا أسند لما لم يسم فاعله جاز فيه الكسر، والإشمام، وسُمع فيه الضم أيضاً[٧].

---

(١) تقدم عزو القراءتين فيها في (ص١٣).
(٢) مفاتيح الغيب (٢٠٧/١).
(٣) ينظر: معاني القراءات (ص٢٢ - ٢٣)، والكشف لمكي (١١٥/١ - ١١٨).
(٤) هو محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، أحد كبار العلماء المفسرين، من كتبه «الجامع لأحكام القرآن»، و«التذكرة»، (ت: ٦٧١هـ). ينظر: الأعلام للزركلي (٣٢٢/٥)، ومعجم المؤلفين (٢٩٦/٨).
(٥) قرأ هشام عن ابن عامر، والكسائي ورويس عن يعقوب: بإشمام كسر القاف الضم، وقرأ الباقون بالكسر الخالص. ينظر: النشر (٢٠٨/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص١٧١).
(٦) الجامع لأحكام القرآن (٢٠١/١).
(٧) ينظر: شرح الكافية الشافية (٦٠٤/٢).

الآية الثالثة: قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، قال الكسائي في توجيه قراءة فتح الياء في «إني»[١]: «رأيت العرب إذا لقيت عندهم الياء همزة فتحوها»[٢].

فقد وَجَّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ فتح ياء الإضافة بأنه رأى العرب تفعله.

وتوجيه بعض القراءات بأنها لغة للعرب معروف عند علماء التوجيه، وسيمرُّ بنا في البحث توجيه الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكثير من القراءات بأنها لغات للعرب، وهو توجيه صحيح، فبعض القراءات ليس له توجيه إلا أنها راجعة لاختلاف لغات العرب في النطق بالكلمة، وأمثلته كثيرة في كتب التوجيه[٣].

والكسائي هنا وَجَّه قراءة فتح الياء - مع أنه لم يقرأ بها- ولذلك نظائرُ في توجيهه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو أمر يدل ذلك على تجرُّده للحق، وعدم تعصبه لقراءته.

الآية الرابعة: قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]. قال ابن الجوزي[٤]: «عامة القراء على كسر التاء من: «الْمَلَائِكَةِ»[٥]، وقرأ أبو جعفر والأعمش[٦] بضمها في الوصل». قال الكسائي: «هي لغة أزد شنوءة»[٧].

فقد وَجَّه القراءة بأنها جاءت على لغة أزد شنوءة، وهي قبيلة عربية معروفة، وهو هنا نسب اللغة للقبيلة التي نطقَتْ بها، وهو أمر كثيراً ما يفعله.

---

(١) قرأ بفتح الياء فيها: نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر، وقرأ الباقون بإسكانها. ينظر: النشر (١٢٣/١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص١٤٥).

(٢) المحرر الوجيز (١٢٣/١).

(٣) ينظر: معاني القراءات (ص٩٢، ٩٩)، والكشف (٣٠٢/١، ٣٠٥).

(٤) هو عبد الرحمن بن علي أبو الفرج بن الجوزي القرشي البغدادي، علَّامة عصره في التاريخ والحديث وغيرها، كان عالماً واعظاً كثير التأليف، له نحو ثلاثمائة مصنف، (ت: ٥٩٧هـ). ينظر: وفيات الأعيان (١٤٠/٣ - ١٤٢)، والأعلام (٣١٦/٣ - ٣١٧).

(٥) تقدم عزو القراءتين فيها.

(٦) هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، الملقب بالأعمش: تابعي، مشهور، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض. من شيوخه في القراءة: إبراهيم النخعي وزر بن حبيش. وممن أخذ عنه القراءة حمزة الزيات وابن أبي ليلى. (ت: ١٤٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٤٤/٦ - ٣٥٨)، وغاية النهاية (٣١٥/١ - ٣١٦).

(٧) زاد المسير (٥٤/١).

الآية الخامسة: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١]. قال الكسائي في توجيه قراءة المد في ﴿وَاعَدْنَا﴾[١]: «واعدنا موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إنما هو من باب الموافاة، وليس من الوعد في شيء، وإنما هو من قولك: موعدك يوم كذا وموضع كذا»[٢].

فقد وَجَّه قراءة إثبات الألف بأنها من الموافاة التي بمعنى الحضور في وقت الموعد، وليست من الوعد الذي هو مجرد التزام بالحضور في الموعد.

وقد وَجَّه بعضُهم هذه القراءةَ بالتوجيه الذي استبعده الكسائي، فرأى أنها من المواعدة، فالله عَزَّوَجَلَّ وعد موسى، وموسى وعد الله عَزَّوَجَلَّ بالحضور في الموعد، وعليه تكون المفاعلة على أصلها واقعة من طرفين، لكنها من الله عَزَّوَجَلَّ وَعْدٌ، ومن موسى قبول لهذا الوعد، ويمكن أن تكون من باب مجيء «فعل» على وزن «فاعل»، كطارَقْتُ النعل، وعاقبتُ اللص[٣].

الآية السادسة: قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١]. قال الكسائي في توجيه قراءة عدم الهمز في «النبي»: «النبي بغير همز[٤]: الطريق، فسُمِّي الرسول نبياً... لأنَّه طريق إلى الهدى، ومنه قول الشاعر[٥]:

---

(١) قرأ أبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب: «وَعَدْنَا» من غير ألف بعد الواو، وقرأ باقي العشرة بإثبات الألف بعدها. ينظر: النشر (٢/٢١٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص١٧٧ - ١٧٨).

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٢/١٦٠).

(٣) ينظر: معاني القراءات للأزهري (ص٤٧)، والكشف (١/٢٩٣)، والموضح (١/٢٧٤).

(٤) تقدم عزو القراءتين فيها.

(٥) البيت لأوس بن حجر من أبيات له يرثي فيها فضالة بن كلدة الأسدي، وأولها قوله:

عَلَى السَّيِّدِ الصَّعْبِ لَوْ أَنَّهُ ... يَقُومُ عَلَى ذِرْوَةِ الصاقِبِ

والرتم: الكسر، يقال: رتم أنفه، إذا كسره، والنبي: ما ارتفع من الأرض، ويطلق على الطريق أيضاً، والكاثب اسم موضع، أو المكان الذي تجتمع فيه الحصى النادرة، ومعنى البيت: لأصبحت دقاق الحصى متكسرة في الطريق من المكان المسمى بالكاثب. ينظر: شمس العلوم (١٠/٦٤٦٤)، ولسان العرب (١/٧٠٣)، وتاج العروس (٤/١٠٧، ١١١ - ١١٢)، والشاهد قوله: «مكان النبي»، ووجه الاستشهاد: مجيء لفظ «النبي» في هذا البيت بغير همز بمعنى الطريق.

لَأَصْبَحَ رَتْماً دِقَاقُ الْحَصَى مكَانَ النَّبِيِّ مِنَ الْكَاثِبِ»[1]

فقد وجَّه قراءة الهمز بأن معناها الطريق، مستشهداً لذلك بورود هذا المعنى في شعر العرب.

الآية السابعة: قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ١٠٢]. قال أبو حيان[2] في توجيه القراءتين في: ﴿وَلَٰكِنِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾[3]: «وقال الكسائي والفراء[4]: الاختيار التشديد إذا كان قبلها واو، والتخفيف إذا لم يكن معها واو، وذلك لأنها مخففة تكون عاطفة، ولا تحتاج إلى واو معها، كـ«بل» فإذا كانت قبلها واو لم تشبه «بل»؛ لأن «بل» لا تدخل عليها الواو، فإذا كانت (لكن) مشددة عملت عمل (إن)، ولم تكن عاطفة»[5].

فقد بَيَّنَ في هذا المثال اختياره التشديد، معللاً ذلك بأن «لكن» إن سبقت بواو شُددت، وعملت عمل «إن» الناسخة، وأنها إن لم تسبق بواو صارت عاطفة مخففة، ولم يغب عنه أن يبين اختياره قراءة التشديد، معللاً ذلك الاختيار بما تقدم.

لكن المتواتر عن الكسائي هنا التخفيف وليس التشديد، فكونه اختار التشديد محل نظر، لكن توجيهه لها مع أنه لم يقرأ بها فضيلة تشكر له رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) الكشف والبيان (٢٠٧/١).

(٢) هو محمد بن يوسف، العلامة أبو حيان الأندلسي المقرئ النحوي، كان عالماً بالقراءات والتفسير والنحو وغيرها، ومن مؤلفاته «البحر المحيط في التفسير» (ت: ٧٤٥هـ). ينظر: فوات الوفيات (٧١/٤ - ٧٢)، وطبقات الشافعية للسبكي (٢٧٦/٩ - ٢٧٩).

(٣) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف بتخفيف النون: «لكن» ورفع الاسم بعدها، وقرأ باقي العشرة بتشديد النون ونصب الاسم بعدها. ينظر: النشر (٢١٩/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص١٨٨ - ١٨٩).

(٤) هو يحيى بن زياد الفراء الكوفي، مولى لبني أسد، أخذ عن الكسائي وغيره، كان عالماً إماماً ثقة. قال عنه ثعلب: لولا الفراء لما كانت اللغة. (ت: ٢٠٧هـ). ينظر: نزهة الألباء (ص٨١ - ٨٤)، ووفيات الأعيان (١٧٦/٦ - ١٨٢).

(٥) البحر المحيط لأبي حيان (٥٢٣/١ - ٥٢٤). وينظر: الدر المصون (٣٠/٢).

الآية الثامنة: قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ﴾ [البقرة: ١٣٢]. قال الكسائي في توجيه القراءتين في: «وأوصى»[١]: «هما لغتان معروفتان، تقول: وصَّيتك وأوصيتك، كما تقول: كرَّمتك وأكرمتك، والقرآن ينطق بالوجهين، قال الله: ﴿وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [النساء: ١٣١]، ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا﴾ [الشورى: ١٣]، ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٢]، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١]، و﴿مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ﴾ [النساء: ١٢]، والتشديد أكثر»[٢].

فقد وَجَّه القراءتين بأنهما لغتان للعرب في هذه الكلمة، مستشهداً بورود اللغتين في القرآن الكريم، مثل ورود «وصَّى» بدون ألف في ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا﴾، والآيتين اللتين ذُكرتا بعدها، ومثل ورود «أوصى» في ﴿يُوصِيكُمُ﴾؛ لكونه مضارع «أوصى» بالألف، وكذاك في الآية التي ذكرت بعدها لكونها مصدر «أوصى»، ثم ختم كلامه بأن التشديد أكثر، ولعل ذلك بيان منه لسبب اختياره قراءة التشديد وحذف الألف.

الآية التاسعة: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة: ٢٠٨]. قال الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في توجيه القراءتين في «السلم»[٣]: «السَّلْمُ والسِّلْمُ واحد»[٤]. وفي رواية عنه أنه قال: «السَّلْم والسِّلْم، كالحِلِّ والحلال. قال[٥]:

وَقَفْنا فَقُلْنا أَيُّ سِلْمٍ فسَلَّمَتْ ... كَما الْتَكَّ بالبَرْقِ الْغَمامُ اللَّوائِحُ

سِلْم: أي سلام عليك»[٦].

---

(١) تقدم عزو القراءتين فيها.

(٢) حجة القراءات (ص١١٥).

(٣) قرأ نافع وابن كثير والكسائي وأبو جعفر بفتح السين فيها، وقرأ الباقون بكسرها. ينظر: النشر (٢/٢٢٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٠١).

(٤) إعراب القرآن للنحاس (١/١٠٤). وينظر: فتح القدير (١/٢٤١).

(٥) البيت ورد في عدة مصادر من غير عزو، وفي بعضها اختلاف في اللفظ. ينظر: المحكم (٣/٢٣٩)، وشمس العلوم (٥/٣١٥٢). والتك: ازدحم، تقول العرب: التك القوم: ازدحموا. ينظر: مقاييس اللغة (٥/٢٠٨)، مادة: ألك. واللوائح: الطوالع. ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف (ص٢٩٣).

(٦) شمس العلوم (٥/٣١٥٢).

فقد بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن معنى القراءتين واحد، مستدلاً على ذلك بورود السلم في الشعر بمعنى السلام.

الآية العاشرة: قال الله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]. قال الكسائي في توجيه قراءة الرفع في: ﴿لَا تُضَآرَّ﴾[١]، قال: «هو نسق على قوله: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣]»[٢].

فقد وجَّه قراءة الرفع بأن الفعل فيها معطوف على ﴿لَا تُكَلَّفُ﴾ وهو فعل مرفوع اتفاقاً بين القراء.

والكسائي هنا وَجَّه قراءة لم يَقرأ بها؛ لكنها متواترة قرأ بها غيره، والغالب عليه توجيه ما قرأ به، لكن توجيهه لها يدل على إنصاف أهل العلم وتجردهم للحق، فقد وجَّه الكسائيُّ - إمامُ الكوفيين - قراءة بصرية.

الآية الحادية عشرة: قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. قال محمد ثناء الله[٣]: «قرأ أهل الحجاز والبصرة: «غَرْفَةً» بفتح الغين، والباقون بالضم[٤]». قال الكسائي: «بالضم ما يحصل في الكف من الماء عند الاغتراف، وبالفتح الاغتراف، فهو منصوب على المفعولية، أو المصدرية على اختلاف القراءتين»[٥].

فقد بَيَّنَ في هذا المثال أثر اختلاف حركة الغين من الكلمة في توجيه القراءتين، موضحاً إعرابها على كل منهما.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب برفع الراء، وقرأ باقي العشرة غير أبي جعفر بفتحها، واختلف عن أبي جعفر فروي عنه إسكانها مخففة، وروي عنه الفتح مثل الجمهور. ينظر: النشر (٢/٢٢٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٠٤).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (٤/١٧٦).

(٣) هو محمد ثناء الله الهندي، الباني، النقشبندي، الحنفي، عالم مفسر، من مؤلفاته «التفسير المظهري». (ت: ١٢١٦هـ). ينظر: معجم المؤلفين (٩/١٤٤).

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر: بفتح الغين، وقرأ باقي العشرة بضمها. ينظر: النشر (٢/٢٣٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٠٧).

(٥) التفسير المظهري (١/٣٥٠). وينظر: معالم التنزيل (١/٣٣٦).

الآية الثانية عشرة: قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة:٢٦٠].

قال ابن زنجلة[١] في توجيه قراءة ضم الصاد في: ﴿فَصُرْهُنَّ﴾[٢]: «وقال الكسائي: وجِّههن إليك. قال: والعرب تقول: صُرْ وجهَك إليَّ؛ أي: أقبِلْ عليَّ واجعل وجهك إلي»[٣].

فقد بَيَّنَ أن معنى قراءة الضم: وَجِّهْهن إليك، مستدلاً لذلك بكلام العرب.

الآية الثالثة عشرة: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. قال الشوكاني[٤] في كلامه على القراءتين في: ﴿إِنَّ الدِّينَ﴾[٥]: «وقرئ بفتح «أن». قال الكسائي: أنصبهما جميعاً، يعني قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، بمعنى شهد الله أنه كذا، وأن الدين عند الله»[٦].

فقد وجه قراءته بنصب «إن» في الموضعين بأنها على عطف «أن» الثانية على «أن» الأولى، وحرف العطف هنا مقدر وليس مذكوراً، وهو مسموع في كلام العرب، ومن شواهده عند النحاة قول الشاعر[٧]:

كَيْفَ أَصْبَحْتَ كَيْفَ أَمْسَيْتَ مِمَّا ... يَزْرَعُ الْوُدَّ فِي فُؤَادِ الْكَرِيمِ

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، أبو زرعة، عالم بالقراءات، كان قاضياً مالكياً، قرأ على ابن فارس، من أشهر كتبه «حجة القراءات» توفي بعد سنة (٣٨٢هـ). ينظر: حجة القراءات (ص٢٥ - ٣٠)، والأعلام (٣٢٥/٣).

(٢) قرأ حمزة وأبو جعفر ورويس عن يعقوب بكسر الصاد، وقرأ الباقون بضمها. ينظر: النشر (٢٣٢/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٠٩).

(٣) حجة القراءات (ص١٤٥).

(٤) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني الفقيه المجتهد، من كبار علماء اليمن، ولي القضاء، وله مؤلفات كثيرة منها: «نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار»، و«البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع». (ت: ١٢٥٠هـ). ينظر: البدر الطالع (٢١٤/٢ - ٢٢٥)، والأعلام (٢٩٧/٦ - ٢٩٨).

(٥) قرأ الكسائي بفتح الهمزة من: «أن الدين» وقرأ الباقون بكسرها. ينظر: النشر (٢٣٨/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٢١).

(٦) فتح القدير (٣٧٤/١). وينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٣/٤).

(٧) البيت ورد في عدة مصادر من غير نسبة. ينظر: الخصائص لابن جني (٢٩١/١)، وشرح الكافية الشافية (١٢٦٠/٣ - ١٢٦١). ومعنى البيت: أن المواظبة على إفشاء السلام مما يورث صاحبه المودة والمحبة في قلوب الكرماء؛ لأنهم لا يريدون من الشخص إلا حسن الأخلاق.

أي: كيف أصبحت وكيف أمسيت؟ فحذف حرف العطف وهو مشهور عند النحاة(١).

الآية الرابعة عشرة: قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥]. قال أبو حيان في كلامه على القراءات في ﴿يُؤَدِّهِۦٓ﴾(٢): «وقد روى الكسائي أن لغة عَقيل وكِلاب: أنهم يختلسون الحركة في هذه الهاء إذا كانت بعد متحرك، وأنهم يسكنون أيضاً. قال الكسائي: سمعت أعراب عَقيل وكِلاب يقولون: «لِرَبِّهْ لَكَنُودٌ» بالجزم(٣)، و«لربهِ لكنود» بغير تمام و«لَهُ مال»، وغير عَقيل وكِلاب لا يوجد في كلامهم اختلاس، ولا سكون في: لهُ وشبهه، إلا في ضرورةٍ، نحو قوله(٤):

لَهُ زَجَلٌ كَأَنَّهُ صَوْتُ حادِ

وَقَالَ(٥):

إِلَّا لِأَنَّ عُيُونَهْ سَيْلُ وَادِيها»(٦)

---

(١) للاستزادة عن هذا الموضوع ينظر: الخصائص (٢٩١/١)، وشرح الكافية الشافية (١٢٦٠/٣ - ١٢٦١).

(٢) قرأ بإسكان الهاء من هذه الكلمة: شعبة وأبو عمرو وحمزة وأبو جعفر في أحد وجهيه، وهشام في أحد أوجهه كذلك، وقرأ بقصر الهاء من غير صلة فيها يعقوب وقالون، وأبو جعفر في الوجه الآخر له، وابن ذكوان في أحد وجهيه، وهشام في الوجه الثاني له، وقرأ باقي العشرة بإشباع الصلة فيها، بما فيهم هشام في الوجه الثالث، وابن ذكوان في وجهه الثاني. ينظر: النشر (٣٠٥/١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٥٠).

(٣) إن كان أوردها على أنها قراءة، فهي شاذة، لم يقرأ بها أحد من العشرة.

(٤) البيت للشمَّاخ بن ضرار الغطفاني يصف حمار وحش، وبقية البيت قوله:

إِذَا طَلَبَ الْوَسِيقَةَ أَوْ زَمِيرُ

ينظر: الكتاب لسيبويه (٣٠/١)، والجمل في النحو (ص٢٣٥).

والشاهد من البيت: قوله: «كأنه» بالاختلاس، حيث لم يصل الهاء بواو، وهو يشهد لقراءة الاختلاس في الآية.

(٥) البيت ورد في عدة مصادر من غير نسبة، وأوله قوله:

وَأَشْرَبُ الْمَاءَ مَا بِي نَحْوَهُ عَطَشٌ

ينظر: همع الهوامع (٢٣٥/١)، وخزانة الأدب (٢٧٠/٥).

والشاهد من البيت قوله: «لأن عيونهْ...» فقد سكن الهاء، وهو شاهد لقراءة من قرأ بإسكان الهاء فيها من القراء.

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٢٢٢/٣).

فقد وجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قراءة الاختلاس وقراءة الإسكان بأنهما جاءتا على لغة قبيلتين من العرب، هما عقيل وكلاب، وقراءة المد بأنها على لغة باقي العرب الذين ذكر عنهم أنهم لا يسكنون هاء الضمير ولا يختلسونها إلا في ضرورة الشعر الذي أورد شاهداً منه على ذلك.

الآية الخامسة عشرة: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران: ٨١]. قال النيسابوري[١]: «قال الكسائي: وأما قوله: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ فإن معناه - والله أعلم - لمهما آتيتكم، يريد مذهب الجزاء. قال: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [آل عمران: ٨١]، فكان هذا جواباً لقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾. قال الكسائي: وهذا قول من فتح اللام: ﴿لَمَآ﴾[٢]، وكذلك يقرؤها هو، وهي في قراءة أبي عمرو أيضاً، وكذلك قرأها أهل المدينة، إلا أنهم قرؤوا: «آتَيْنَاكُمْ» بالنون. قال الكسائي: «وقد ذكر عن يحي بن وثاب[٣] أنه كان يكسر اللام في قوله: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾، ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾، يعني: أنه إن أتاكم ذِكْرُ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التوراة لتؤمنن به؛ أي: ليكونن إيمانكم لِلذي عندكم فِي التوراة من ذكره»[٤].

فقد وَجَّه الكسائيُّ قراءةَ فتح اللام بأنها على الجزاء، وقوله وجوابه ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ﴾، أي: إنه وارد في سياقه؛ لأن الجواب هو ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾، ووجَّه قراءة كسرها أنها على الشرط، وجوابه: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾[٥].

---

(١) هو محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوريّ، أبو بكر، الفقيه المجتهد، أحد الحفاظ، كان شيخ الحرم بمكة، وله مؤلفات في عدد من العلوم (ت: ٣١٩هـ). ينظر: وفيات الأعيان (٤/٢٠٧)، والأعلام (٥/٢٩٤ - ٢٩٥).

(٢) قرأ حمزة: «لِمَا» بكسر اللام، وقرأ باقي العشرة بفتحها، وقرأ نافع وأبو جعفر «ءاتيناكمْ» بالنون والألف بعدها، وقرأ الباقون بتاء مضمومة بلا ألف. ينظر: النشر (٢/٢٤١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٢٦).

(٣) هو الإمام العالم القدوة، المقرئ، الفقيه، شيخ القراء، يحي بن وثاب الأسدي الكاهلي مولاهم، أحد الأئمة الأعلام، قرأ على أصحاب علي وابن مسعود، وروى مرسلاً عن عائشة وأبي هريرة وابن مسعود، وقرأ عليه الأعمش وطلحة ابن مصرف، وغيرهما، (ت: ١٠٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/٣٧٩ - ٣٨٢)، وغاية النهاية (٢/٣٨٠).

(٤) تفسير القرآن للنيسابوري (١/٢٧٣).

(٥) ينظر: معاني القراءات (ص١١١)، والكشف (١/٣٩٤).

الآية السادسة عشرة: قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. قال الكسائي في توجيه القراءتين في كلمة: «حج»[١]: «هما لغتان ليس بينهما في المعنى شيء مثل: رَطل ورِطل، بنصب وكسر»[٢].

فقد وَجَّه القراءتين بأنهما لغتان للعرب في هذه الكلمة، مورداً أمثلة على ذلك من كلامهم، وهو توجيه سديد، فبعض القراءات ليس له توجيه إلا أنها راجعة لاختلاف لغات العرب في النطق بالكلمة، وأمثلته كثيرة في كتب التوجيه[٣].

الآية السابعة عشرة: قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠]. قال نَشْوان بن سعيد[٤] في توجيه القراءتين في: «يضركم»[٥]: «قال الكسائي والفراء: الرفع هاهنا بإضمار الفاء، كما قال حسان[٦] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَناتِ اللهُ يَشْكُرُهَا ... وَالشَّرُّ بِالشَّرِّ عِندَ اللهِ مِثْلَانِ»[٧]

فقد وَجَّه قراءة الرفع بأنها جاءت على إضمار فاء الجواب، والمعنى: فلا يضركم، واستشهد لهذا الوجه بوروده في شعر حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) تقدم عزو القراءتين.

(٢) الكشف والبيان (٩٤/٢). وينظر: مفاتيح الغيب (٣٠١/٥)، واللباب (٣٥٧/٣).

(٣) ينظر: معاني القراءات (ص٩٢، ٩٩)، والكشف (٣٠٢/١، ٣٠٥).

(٤) هو نشوان بن سعيد أبو سعيد الحميري اليمني الأمير العلامة، كان فقيهاً فاضلًا عارفاً باللغة والنحو والتاريخ وسائر فنون الأدب، قدّمه أهل جبل صبر حتى صار ملكاً عليهم. من مؤلفاته: «شمس العلوم وشفاء كلام العرب من الكلوم» في اللغة، (ت: ٥٧٣هـ). ينظر: معجم الأدباء (٢٧٤٥/٦)، وبغية الوعاة (٣١٢/٢).

(٥) قرأها نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بكسر الضاد وجزم الراء، وقرأ الباقون بضم الضاد، ورفع الراء مشددة. ينظر: النشر (٢٤٢/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٢٨).

(٦) البيت عزاه سيبويه لحسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليس في ديوانه، ونسبه المبرد لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت. ينظر: الكتاب لسيبويه (٦٥/٣ - ٦٦)، والمقتضب (٧٢/٢)، ومعنى البيت: أن الحسنات لا تضيع عند الله عَزَّوَجَلَّ، وكذلك السيئات، فلكل منهما مثلها، والشاهد من البيت قوله: «الله يشكرها»، فقد أضمر فاء جواب الشرط، وهو جائز. ينظر: المقتضب (٧٢/٢).

(٧) شمس العلوم (٤٠٢٧/٦).

الآية الثامنة عشرة: قال الله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. قال الكسائي في توجيه القراءتين في كلمة: «قرح»(١): «هما عبارتان عن معنى واحد»(٢).

فقد بَيَّنَ أن القراءتين بمعنى واحد لا فرق بينهما.

الآية التاسعة عشرة: قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ﴾ [النساء: ٣]. قال الكسائي في توجيه قراءة الرفع في «فواحدة»(٣): «التقدير: فواحدة تقنع»(٤).

فقد بيَّن عامل الرفع في قراءة أبي جعفر، وأنها مرفوعة على الابتداء، والخبر مقدر بجملة فعلية تقديرها: «تقنع».

الآية العشرون: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء: ٥]. قال السمين(٥) في توجيه قراءة القصر في كلمة: «قِيَما»(٦): «قال الكسائي والأخفش والفراء: فهو مصدر بمعنى القيام، الذي يُراد به الثبات والدوام»(٧). وفي رواية عن الكسائي أيضاً أنه قال: ««قِياماً» مصدر، أي: لا تُؤتوا السفهاء أموالكم التي تصلح بها أموركم، وتقومون بها قياماً»(٨).

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر وشعبة عن عاصم بضم القاف منها، وقرأ الباقون بفتحها. ينظر: النشر (٢/٢٤٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٢٨).

(٢) تفسير القرآن للسمعاني (١/٣٦١).

(٣) قرأها أبو جعفر بالرفع، وقرأها باقي العشرة بالنصب. ينظر: النشر (٢/٢٤٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٣٧).

(٤) إعراب القرآن للنحاس (١/١٩٩)، وفتح القدير (١/٤٨٣).

(٥) هو أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين، مفسر، عالم بالعربية والقراءات، شافعي، من أهل حلب، من مؤلفاته: «تفسير القرآن»، و«الدر المصون» (ت: ٧٥٦هـ). ينظر: طبقات المفسرين (١/١٠٢٥)، والأعلام (١/٢٧٤).

(٦) قرأها نافع وابن عامر بغير ألف، وقرأ الباقون بالألف. ينظر: النشر (٢/٢٤٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٣٧).

(٧) الدر المصون (٣/٥٨١)، واللباب (٦/١٨٠). وينظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/٣١).

(٨) شمس العلوم (٨/٥٦٩٢).

فقد وَجَّه الكسائي ومن معه قراءة القصر بأنها مصدر قام بالأمر، الذي معناه: الثبات على الأمر والتكفل به، كما وجهها أيضاً بتوجيه آخر، هو أنها مصدر بمعنى إصلاح الشيء والقيام به، فبها صلاحُ حالهم وقيام حياتهم.

ولعل الفراء والأخفش نقلا هذا التوجيه عن الكسائي لكونهِ أقدمَ منهما، وقد لقب بإمام الكوفيين(١).

الآية الحادية والعشرون: قال الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ [النساء: ١١]. قال الكسائي في توجيه قراءة الكسر في: «فلإمه»(٢): «هي لغة كثير من هوازن وهُذيل، ولأن اللام لما كانت مكسورة وكانت متصلة بالحرف، كرهوا ضمة بعد كسرة، فأبدلوا من الضمة كسرة؛ لأنه ليس في الكلام فِعُل»(٣).

فقد وَجَّه قراءة الكسر - وهي قراءته - بتوجيهين، أحدهما: أنها لغة قبيلتين عربيتين، هما كثير من هوازن وهُذيل. الثاني: أن الهمزة كسرت لكسر اللام؛ لثقل الانتقال من كسرة لضمة، ولأنه ليس في كلام العرب «فِعُل»(٤).

الآية الثانية والعشرون: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩]. قال الكسائي في توجيه القراءتين في كلمة: «كرهاً»(٥): «هما لغتان بمعنى واحد»(٦).

فقد وَجَّه القراءتين بأنهما لغتان للعرب في هذه الكلمة.

---

(١) ينظر: أوضح المسالك (٤٤/١).

(٢) قرأ حمزة والكسائي بكسر الهمزة، وقرأ باقي العشرة بضمها. ينظر: النشر (٢٤٨/٢) ، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٣٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧٢/٥).

(٤) ينظر: الكشف (٤١٩/١).

(٥) قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر: بضم الكاف، وقرأ باقي العشرة بفتحها. ينظر: النشر (٢٤٨/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٣٩).

(٦) مفاتيح الغيب (١١/١٠)، وينظر: الكشف والبيان (٢٧٦/٣)، ومعالم التنزيل (٥٨٨/١).

الآية الثالثة والعشرون: قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة: ٨٩]. قال أبو المظفر(١) عند توجيه القراءتين في كلمة: «عقدتم»(٢): «قال الكسائي: عقدتم؛ أي: أوجبتم»(٣).

فوجَّه قراءة التخفيف والقصر التي قرأ بها بأن معناها أوجبتم.

الآية الرابعة والعشرون: قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]. قال القرطبي في توجيه قراءة النصب في كلمة: «يوم»(٤): «وقال الكسائي: نصب يوم هاهنا لأنه مضاف إلى الجملة، وأنشد(٥):

على حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ على الصِّبَا ... وَقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ»(٦)

فقوله: «مضاف إلى الجملة» توجيه لقراءة النصب، وهي قراءة نافع، وتوضيح كلامه: أن (يوم) هنا زمنٌ مبهم مضاف لجملة فعلية، فيجوز فيه النصب على التوجيه الذي ذكر، أو على البناء على الظرفية، كما يجوز فيه الرفع أيضاً على أنه اسم معرب، كما في قراءة الجمهور(٧).

---

(١) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار أبو المظفّر السّمعانّي التميمي الحنفي ثم الشافعي، تفقه على والده حتى برع في فقه أبي حنيفة، من مؤلفاته: «تفسير القرآن» (ت: ٤٨٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٤/١٥٥ - ١٥٧)، وطبقات المفسرين للداودي (٢/٣٣٩ - ٣٤٠).

(٢) قرأها ابن ذكوان بالمد مع تخفيف القاف، وقرأها شعبة عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر بالقصر مع تخفيف القاف، وقرأها باقي العشرة بالقصر وتشديد القاف. ينظر: النشر (٢/٢٥٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٥٦).

(٣) تفسير القرآن للسمعاني (٢/٦٠).

(٤) قرأ نافع «يوم»، بالنصب، وقرأ باقي العشرة بالرفع. ينظر: النشر (٢/٢٥٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٥٨).

(٥) البيت للنابغة الذبياني من قصيدة مشهورة يعتذر فيها للنعمان بن المنذر، وأولها:

عَفَا ذُو حِسًى مِنْ فَرْتَنَى فَالْفَوَارِعُ ... فَجَنْبَا أَرِيكٍ فَاتِّلَاعُ الدَّوَافِعُ

ينظر: أشعار الشعراء الستة الجاهليين اختيارات الأعلم الشنتمري (ص١٩٧ - ١٩٨).

ومعنى البيت أنه يعاتب نفسه في ميلها للصبا واللهو بعد أن شاب رأسه؛ لأن في الشيب رادعاً وزاجراً عن اللهو والصبا، والشاهد من البيت قوله: «على حين»، فقد روي بالفتح على البناء وبالجر على الإعراب. ينظر: مغني اللبيب (ص٦٧٢).

(٦) فتح القدير (٢/١٠٩).

(٧) مغني اللبيب (ص٦٧٢).

الآية الخامسة والعشرون: قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]. قال الكسائي في توجيه القراءتين في كلمة: «يكذبونك»(١): «العرب تقول: كذَّبت الرجل بالتشديد، إذا نسب الكذب إليه، وأكذبته إذا نسبت الكذب إلى ما جاء به، دون أن تنسبه إليه. ويقولون أيضاً: أَكْذَبْتُ الرجل، إذا وجدته كاذباً، كأحمدته إذا وجدته محموداً، فمعنى ﴿لَا يُكْذِبُونَكَ﴾ مخففاً: لا ينسبون الكذب إليك، ولا يجدونك كاذباً، وهو واضح»(٢).

فقد وجّه قراءة التخفيف - وهي قراءته - بأن معناها: فإنهم لا ينسبون الكذب إلى ما جئت به، أو أن معناها لا يجدونك كاذباً، ومعنى قراءة التشديد: أنهم لا يُكَذِّبُونَكَ، بل يعلمون أنك صادق، وعليه فكُفْرُهم كفر جحود والعياذ بالله.

الآية السادسة والعشرون: قال الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤٤]. قال الثعلبي(٣) في توجيه القراءتين في: «نعم»(٤): «قال الكسائي: «نَعِمْ» بكسر العين، وتجوز بإسكانها وهما لغتان»(٥).

فقد وجّه قراءة كسر العين بأنها إحدى اللغتين في هذه الكلمة.

---

(١) قرأ نافع والكسائي ﴿يُكْذِبُونَكَ﴾ بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد. ينظر: النشر (٢/٢٥٧ - ٢٥٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٦٢).

(٢) الدر المصون (٤/٦٠٤). وينظر: الكشف والبيان (٤/١٤٥)، والمحرر الوجيز (٢/٢٨٥)، واللباب في علوم الكتاب (٨/١١٣).

(٣) هو أحمد بن محمد الثعلبي، أبو إسحاق المفسر، من أهل نيسابور، من أشهر مؤلفاته: «الكشف والبيان في تفسير القرآن» (ت: ٤٢٧هـ). ينظر: وفيات الأعيان (١/٧٩)، والأعلام (١/٢١٢).

(٤) قرأها الكسائي بكسر العين، وقرأ باقي العشرة بفتحها. ينظر: السبعة (ص٢٨١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٨٣).

(٥) الكشف والبيان (٤/٢٣٥).

الآية السابعة والعشرون: قال الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١، الشعراء: ٣٦].

قال النحاس[١] في توجيه قراءة عدم الهمز في «أرجه»[٢]: «وقال الكسائي: تميم وأسد يقولون: أرجيت الأمر، إذا أخرته»[٣].

فوجَّه - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - قراءة تَرْكِ الهمز بأنها لغة تميم وأسد، وهنا نسب اللغة لمن نطق بها: مع أنه كثيراً ما يُوَجِّه القراءة بأنها لغة أو لغتان، من غير نسبة تلك اللغة لمن نطق بها من العرب.

الآية الثامنة والعشرون: قال الله تعالى: ﴿وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]. قال الكسائي في توجيه قراءة الضم في: «يَعْرُشون»[٤]: «وبنو تميم يقولون: «يَعْرُشُونَ»، وبها قرأ عاصم»[٥][٦].

فوجَّه القراءة بأنها لغة تميم.

الآية التاسعة والعشرون: قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]. قال الكسائي في توجيه قراءة النصب في «معذرةً»[٧]، قال: «ونصبه على وجهين: أحدهما: على المصدر. والثاني: على تقدير: فَعَلْنا ذلك معذرة؛ أي: لأجل المعذرة»[٨].

---

(١) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري، أبو جعفر النحاس المفسر الأديب، من طبقة نفطويه وابن الأنباري، ألَّف في التفسير وغيره، (ت: ٣٣٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٠٢/١٥)، والأعلام (٢٠٨).

(٢) قرأ ابن عامر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بهمزة ساكنة بعد الجيم، وقرأ باقي العشرة بترك الهمز. ينظر: شرح طيبة النشر لابن الجزري (ص٧١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٨٦ - ٢٨٧).

(٣) إعراب القرآن للنحاس (٦٥/٢).

(٤) قرأها ابن عامر وشعبة بضم الراء، وقرأ باقي العشرة بكسرها. ينظر: النشر (٢٧١/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٨٩).

(٥) الصواب: شعبة عن عاصم ومعه ابن عامر كما تقدم قبل قليل.

(٦) إعراب القرآن للنحاس (٦٩/٢)، وينظر كذلك: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٤٣٤/١٢)، وشمس العلوم (٤٤٨٩/٧)، والجامع لأحكام القرآن (٢٧٢/٧)، وفتح القدير (٢٧٤/٢).

(٧) قرأ حفص عن عاصم بالنصب، وقرأ باقي العشرة بالرفع. ينظر: النشر (٢٧٢/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٩١).

(٨) فتح القدير (٢٩٣/٢)، وينظر: شمس العلوم (٤٤٣٢/٧).

فوجَّه قراءة حفص - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - بتوجيهين: الأول: بأنها مصدر تقديره: نعتذر معذرة لربنا من فعل هؤلاء. والثاني: أنها مفعول لأجله، ومعناه: فعلنا ذلك من أجل الاعتذار لربنا من فعل هؤلاء.

الآية الثلاثون: قال الله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]. قال النحاس في كلامه على القراءات في «بيس»[(١)]: «وأما قراءة أهل المدينة ففيها ثلاثة أقوال. قال الكسائي في تقديرها: بَئيس ثم خففت الهمزة كما يعمل أهل المدينة، فاجتمعت ياءان، فثقل ذلك، فحذفوا إحداهما، وألقَوا حركتها على الباء فصارت بِيس»[(٢)].

فالكسائيُّ هنا وَجَّه قراءة نافع ومن معه بأن الهمزة سهلت أوّلاً، فاقتربت من الياء بسبب ذلك، فاجتمع ياءان فحذفوا إحداهما تخفيفاً، ونقلوا حركتها للباء.

الآية الحادية والثلاثون: قال الله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. قال مكّيّ[(٣)] في كلامه على القراءتين في «يلحدون»[(٤)]: «قال الكسائي: يقال: ألحد: عدل عن القصد، ولحد: ركن إلى الشيء»[(٥)]. وقال ابن زنجلة: «قال الكسائي: هما لغتان، يقال: لَحَدَ وألحد»[(٦)].

---

(١) قرأ نافع وأبو جعفر وهشام بخلف عنه: بكسر الباء الموحدة وياء ساكنة بعدها من غير همز، وقرأ ابن ذكوان وهشام بخلف عنه: بالهمز الساكن بلا ياء، وقرأ شعبة عن عاصم بخلف عنه: بباء مفتوحة، ثم ياء ساكنة ثم همزة مفتوحة، وقرأ الباقون بما فيهم شعبة في وجهه الثاني: بفتح الباء وكسر الهمزة وياء ساكنة. ينظر: النشر (٢/٢٧٢ - ٢٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٩١ - ٢٩٢).

(٢) إعراب القرآن للنحاس (٢/٧٨). وينظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/٣٠٨).

(٣) هو مكي بن أبي طالب القيسي، أبو محمد، المقرئ، العالم المفسر، سكن قرطبة وخطب بجامعها، وأقرأ به، من مؤلفاته: «مشكل إعراب القرآن»، و«الكشف عن وجوه القراءات وعللها»، (ت: ٤٣٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/٥٩١ - ٥٩٣)، وغاية النهاية (٢/٣٠٩ - ٣١٠)، والأعلام (٧/٢٨٦).

(٤) قرأها حمزة بفتح الياء والحاء، وقرأ باقي العشرة بضم الياء وكسر الحاء. ينظر: النشر (٢/٢٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٩٣).

(٥) الهداية لمكي (٤/٢٦٤٩).

(٦) حجة القراءات (ص٣٠٣).

وعليه فقراءةُ الضم من ألحد الرباعي، وقراءة الفتح من لحد الثلاثي، وقد فرَّق الكسائي هنا بيَّن معنى القراءتين في الكلام الذي نقله مكي عنه، فوجَّه قراءة الضم بأن معناها: عدل عن الشيء ومال عنه، وقراءة الفتح بأن معناها: ركن إلى الشيء، لكنه ذكر أنهما بمعنى واحد في كلام ابن زنجلة(١).

وكلامه في النص الذي نقله ابن زنجلة عنه لا ينافي اختلاف المعنى الذي نقله مكي عنه، فالعرب ربما استخدمت المفردة الواحدة لمعان مختلفة، بل ربما استعملوها لمعان متضادة(٢).

الآية الثانية والثلاثون: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]. قال الكسائي في توجيه قراءة القصر في «طائف»(٣): «هو مخفف من «طيِّف» مثل ميِّت وميْت»(٤)، وروي عنه أنه قال: «الطيف اللمم، والطائف: ما طاف حول الإنسان»(٥).

فالكسائي في كلامه الأول بيّن أن أصل قراءة القصر «طيِّف» بالتشديد فخففت، وفي كلامه الثاني بيّن معنى الكلمة على كلتا القراءتين، موضحاً أن الطَّيْفَ اللَّمَمَ والطائف: ما طاف حول الإنسان.

الآية الثالثة والثلاثون: قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾ [الأنفال: ٧٢]. قال الكسائي في توجيه القراءتين في ﴿وَلَٰيَتِهِم﴾(٦) في الأنفال: «الوَلاية بالنصب: الفتح، والوِلاية بالكسر: الإمارة»(٧).

---

(١) ينظر: حجة القراءات (ص٣٠٣)، والهداية (٢٦٤٩/٤).

(٢) ينظر: المخصص لابن سيده (١٧٣/٤).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب: «طَيْفٌ» بياء ساكنة بين الطاء والفاء من غير همزة ولا ألف، وقرأ الباقون بألف بعد الطاء وهمزة مكسورة بعدها. ينظر: النشر (٢٧٥/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٩٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٣٤٩/٧ - ٣٥٠)، وينظر: فتح القدير (٣١٨/٢).

(٥) المحرر الوجيز (٥٤١/٣).

(٦) قرأها حمزة بكسر الواو، وقرأ الباقون بفتحها. ينظر: النشر (٢٧٧/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣٠٠).

(٧) الكشف والبيان (٣٧٥/٤).

فقد بيّن معنى الآية على كلتا القراءتين، موضحاً اختلاف معنى القراءتين بسبب اختلاف بنية الكلمة، ودلالة كل منهما على معنى خاص.

الآية الرابعة والثلاثون: قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ [يونس: ٣٥]. قال ابن قتيبة(١) في توجيه قراءة الكسائي في «يهدي»(٢): «قال الكسائي: يقول قوم من العرب: هديت الطريق بمعنى اهتديت»(٣).

فبيّن - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - توجيه قراءة التخفيف التي قرأ بها، وهو أن العرب تقول: هديت بمعنى اهتديت، فيكون معنى قراءته: يهتدي.

الآية الخامسة والثلاثون: قال الله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١]. قال النحاس في كلامه على القراءتين في: «وشركاءكم»(٤): «قال الكسائي والفراء: هو بمعنى: وادْعُوا شركاءَكم لنصرتكم»(٥).

فقد وجّه النصب في قراءة الجمهور بأنه معمول لفعل محذوف تقديره: وادْعُوا شركاءكم.

الآية السادسة والثلاثون: قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦].

---

(١) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينَوَري، أحد أئمة الأدب والقرآن، ولي قضاء «الدينور» فنسب إليها، من كتبه «تأويل مشكل القرآن» و«أدب الكاتب»، (ت: ٢٧٦هـ). ينظر: معجم الأدباء (٢٩٣/١ - ٢٩٤)، والأعلام للزركلي (١٣٧/٤).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف بتخفيف الدال وإسكان الهاء، وقرأ شعبة عن عاصم بكسر الياء والهاء وتشديد الدال، وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب الحضرمي بفتح الياء وكسر الهاء مع تشديد الدال، وقرأ ابن جماز عن أبي جعفر وقالون عن نافع بخلاف عنهما بإسكان الهاء وتشديد الدال، وقرأ أبو عمرو بخلاف عنه باختلاس حركة الهاء مع تشديد الدال، وهو الوجه الثاني لقالون وابن جماز، وقرأ الباقون بفتح الياء والهاء وتشديد الدال. ينظر: النشر (٢٨٣/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣١٢ - ٣١٣).

(٣) غريب القرآن (ص٥٤٣).

(٤) قرأها يعقوب الحضرمي برفع الهمزة، وقرأ الباقون بنصبها. ينظر: النشر (٢٨٦/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣١٦).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٦٣/٨)، وينظر: شمس العلوم (١١٧٢/٢)، والموسوعة القرآنية (٢٠٨/٤).

قال الكسائيّ في توجيه قراءتي: حذف الياء وإثباتها في ﴿تَسْـَٔلْنِ﴾[1]: «العرب تقول: الوال والوالي، والقاض والقاضي»[2].

فقد وجَّه الحذف والإثبات بأنهما لغتان للعرب، وهو توجيه جيد؛ لأن كثيراً من القراءات توجَّه باختلاف لغات العرب في النطق بالكلمة كما تقدم.

الآية السابعة والثلاثون: قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [هود: ١٠٨]. قال الكسائي في توجيه القراءتين في: «سعدوا»[3]: «سعِد وأسعَد لغتان»[4].

فقد وجّه الفعل الوارد في القراءتين بأن الاختلاف فيه لغتان للعرب في هذه الكلمة، فالفتح على البناء للفاعل، والضمُّ على البناء للمفعول.

الآية الثامنة والثلاثون: قال الله تعالى حكاية عن يعقوب - عليه السلام -: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]. قال الكسائي في توجيه قراءةِ تَرْكِ الهمز في «تايَسُوا»[5]: «سمعت غيرَ قبيلة يقولون: أيِس يايَس بغير همز». قال: «وسمعت رجلاً من بني المُنْتَفِق، وهم من عقيل يقول: لا تايَسْ منه، بغير همز»[6].

فقد وجَّه قراءة تَرْكِ الهمز بأنها لغة لبعض قبائل العرب، مبيِّناً أنه سمع رجلاً من إحدى هذه القبائل يتكلم بهذه اللغة.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر بفتح اللام وتشديد النون، وقرأ بفتح النون ابن كثير وهشام بخلف عنه، وقرأ باقي العشرة بإسكان اللام وتخفيف النون مكسورة، وأثبت الياء فيها وصلاً أبو عمرو وأبو جعفر وورش، وفي الحالين يعقوب. ينظر: النشر (٢/٢٨٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣٢٢).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص١٥٢).

(٣) قرأها حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف البزار بضم السين، وقرأ الباقون بفتحها. ينظر: النشر (٢/٢٩٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣٢٦).

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢/٥٩١).

(٥) قرأ البزي عن ابن كثير بخلف عنه بقلب الهمزة إلى موضع الياء مع الإبدال وتأخير الياء إلى موضع الهمزة، وقرأ باقي العشرة بما فيهم البزي في وجهه الثاني بالياء الساكنة بعد التاء وهمزة مفتوحة بعدها. ينظر: النشر (١/٤٠٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣٣٤).

(٦) تهذيب اللغة (١٣/٩٧).

الآية التاسعة والثلاثون: قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ [النحل: ٦٦]. قال ابن جرير(١) في توجيه القراءتين في ﴿نُّسْقِيكُم﴾(٢): «وكان الكسائي يقول: العرب تقول: أسقيناهم نهراً، وأسقيناهم لبناً: إذا جعلته شرباً دائماً، فإذا أرادوا أنهم أعطوه شربة قالوا: سقيناهم فنحن نسقيهم، بغير ألف»(٣).

فقد وجَّه القراءات الثلاث في هذا الكلام بأن العرب تطلق «سقى» الثلاثي على السقي مرة واحدة، وهو توجيه لقراءتي التاء والنون المفتوحة، وتطلق «أسقى» الرباعي على السقي الدائم، وهو توجيه لقراءة النون المضمومة، موضحاً في هذا الكلام اختلاف معنى الكلمة بسبب اختلاف بناء الفعل.

الآية الأربعون: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]. قال الكسائي في توجيه قراءة «أمرنا» بالقصر والتخفيف(٤): «ويحتمل أن يكون ﴿أَمَرْنَا﴾ بالتخفيف غير ممدودة بمعنى «أَمَّرْنَا» بالتشديد، من الإمارة، فكانت هذه القراءة الاختيار؛ لَمَّا اجتمعت فيها المعاني الثلاثة»(٥).

والمعاني الثلاثة التي أشار إليها: هي أن تكون القراءة من الأمر، أو تكون بمعنى كثَّرنا عددَهم، أو تكون بمعنى جَعَلْنا لهم إمْرَةً؛ أي: سلطاناً(٦).

(١) هو شيخ المفسرين محمد بن جرير الطبري، أبو جعفر، المؤرخ العَلَم المشهور، من مؤلفاته: «أخبار الرسل والملوك»، و«جامع البيان في تفسير القرآن»، ومآثره كثيرة جداً، (ت: ٣١٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٦٧/١٤ - ٢٨٢)، والأعلام (٩٥/٦ - ٩٦).

(٢) قرأها نافع وابن عامر وشعبة عن عاصم ويعقوب الحضرمي بالنون المفتوحة، وقرأها ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر بالنون المضمومة، وقرأها أبو جعفر بالتاء المفتوحة. ينظر: النشر (٣٠٥/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣٥٢).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن (٢٣٧/١٧).

(٤) قرأها يعقوب الحضرمي بمد الهمزة، وقرأ باقي العشرة بقصرها. ينظر: النشر (٣٠٦/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣٥٦).

(٥) التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه (ص٤٣).

(٦) المصدر السابق (ص٤٢ - ٤٣).

ويلحظ هنا أن الكسائي بين اختياره قراءة الجمهور، وعلل ذلك بكونها تحتمل المعاني الثلاثة التي تدل عليها القراءات الأخر، وهو أمرٌ قَلَّ أن يذكره.

الآية الإحدى والأربعون: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٣، فصلت: ٥١]. قال نشوان بن سعيد: في توجيه القراءتين في «نأى»[١]: «قال الكسائي: هما لغتان»[٢].

فقد وَجَّه القراءتين بأنهما لغتان للعرب في هذه الكلمة، وهو توجيه صحيح كما تقدم.

الآية الثانية والأربعون: قال الله تعالى: ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ [الكهف: ١٦]. قال الشوكاني في توجيه قراءة الكسر في «مرفقا»[٣]: «وقال الكسائي: الكسر في مِرْفَق اليد»[٤].

فوجّه قراءة الكسر بأن المراد بها مرفق اليد.

وقد ذكر بعض أهل العلم هذا التوجيه، وقيل في قراءة كسر الميم أيضاً: إنها من الارتفاق؛ أي: ما يُرتفق به، وقيل: إنها مصدر. وأما قراءة الفتح فقيل: هي ما يرتفق به، وقيل: هما لغتان بمعنى واحد[٥].

---

(١) قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر وأبو جعفر: «ناء» بتقديم الألف على الهمزة، وقرأ الباقون: «نأى» بتقديم الهمزة على الألف، وأمال الهمزة من (نَأى) في الإسراء دون فصلت شعبة عن عاصم، واختلف عنه في إمالة النون في الإسراء، وأمال الحرفين في السورتين خلف عن حمزة، والكسائي وخلف في اختياره، وقرأ الأزرق عن ورش بالتقليل في الهمزة، وقرأ الباقون بفتح النون والهمزة. ينظر: النشر (٢/٤٣ - ٤٤، ٢٣١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص١١٥ - ١١٦، ٣١٦).

(٢) شمس العلوم (١٠/٦٨٢٠).

(٣) قرأها نافع وابن عامر وأبو جعفر بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأ الباقون بكسر الميم وفتح الفاء. ينظر: النشر (٢/٣١٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣٦٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٦/٣٨٠)، وينظر: فتح القدير (٣/٣٢٤)، وفتح البيان في مقاصد القرآن (٨/٢١).

(٥) ينظر: معاني القراءات (ص٢٧٨)، والكشف لمكي (٢/١٦٤).

الآية الثالثة والأربعون: قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]. قال الكسائي في توجيه قراءتي الفتح والضم في «رشداً»[١]: «هما لغتان بمعنى واحد مثل الحَزَن والحُزن، والسَّقَم والسُّقْم»[٢].

فقد وَجَّه القراءتين بأن معناهما واحد.

الآية الرابعة والأربعون: قال الله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤]. قال الكسائي في توجيه القراءتين في «زاكية»[٣]: «الزاكية والزكية: لغتان، مثل: القاسية والقَسِيّة»[٤]. ويروى عنه أيضاً أنه قال: «الزاكية والزكية لغتان، ومعناهما: الطاهرة»[٥].

فقد بَيَّن في هذين النصين أنهما لغتان في هذه الكلمة، وزاد في كلامه الثاني أن معناهما النفس الطاهرة.

الآية الخامسة والأربعون: قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: ٩٣]. قال الكسائي في توجيه القراءتين في «السَّدَّيْنِ»[٦]: «هما لغتان، وهما جبلان سَدَّ ذو القرنين ما بينهما، حاجزاً بين يأجوج ومأجوج ومَن وراءهم»[٧].

---

(١) قرأها أبو عمرو ويعقوب بفتح الراء والشين، وقرأ الباقون بضم الراء وسكون الشين. ينظر: النشر (٣١٢/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣٦٩).

(٢) مفاتيح الغيب (٣٦٦/١٥)، وينظر: إعراب القرآن للنحاس (٧١/٢)، والجامع لأحكام القرآن (٢٨٣/٧).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ورويس بألف بعد الزاي وتخفيف الياء، وقرأ الباقون بتشديد الياء من غير ألف. ينظر: النشر (٣١٣/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣٧٠).

(٤) الكشف والبيان (١٨٤/٦)، وينظر: معالم التنزيل (٢٠٨/٣)، وزاد المسير في علم التفسير (٩٩/٣)، واللباب في علوم الكتاب (٥٣٧/١٢)، والتفسير المظهري (٥٤/٦).

(٥) مفاتيح الغيب (٤٨٧/٢١)، وينظر: غرائب القرآن (٤٥٠/٤).

(٦) قرأها ابن كثير وأبو عمرو وحفص بفتح السين، وقرأ الباقون بضمها. ينظر: النشر (٣١٥/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣٧٢).

(٧) الكشف والبيان (١٩٣/٦)، وينظر: المحرر الوجيز (٤٩٢/٢)، وزاد المسير في علم التفسير (١٠٨/٣)، ومفاتيح الغيب (٤٩٨/٢١)، والبحر المحيط في التفسير (٢٢٤/٧).

فوجَهَ القراءتين بأنهما لغتان في هذه الكلمة، ثم زاد على ذلك فبين معنى السدين، وأنهما جبلان، سد ذو القرنين بينهما ليكون ذلك حاجزاً بين الناس وبين يأجوج ومأجوج.

الآية السادسة والأربعون: قال الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤]. قال الكسائي في توجيه القراءتين في «يأجوج»[(١)]: «من همزه جعله من أجيج النار يَفْعُولٌ ومفعول، ويجوز أن يكون من ترك همزه أخذه أيضاً من هذا، وسهل الهمزة على القياس فأبدل منها ألفاً»[(٢)].

فقد وجه قراءة الهمز بأنها مشتقة من أجيج النار، وقراءة تَرْكِ الهمز بأنه يحتمل أن تكون مثلها، لكن مع تسهيل الهمز.

الآية السابعة والأربعون: قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤]. قال الكسائي في توجيه قراءة الرفع في «قَوْلُ الْحَقِّ»[(٣)]: ««قَوْلُ الْحَقِّ» نعت لعيسى؛ أي: ذلك عيسى بن مريم قول الحق، وسمي قول الحق كما سمي كلمة الله، والحق هو الله عَزَّوَجَلَّ»[(٤)].

فقد وَجَّه قراءة الرفع بأنها مرفوعة على النعت لـ«عيسى»، موضحاً أن عيسى عليه السلام سُمِّي «قول الحق» كما سُمِّي «كلمة الله».

وسبب هذه التسمية أنه خلق بقول الله له: «كن» كما أشار عَزَّوَجَلَّ إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، فلما كان خَلْقُه من غير أب، بل بقول الله له: «كن» سمي «كلمة الله» و«قول الحق»[(٥)].

---

(١) قرأها عاصم بهمزة ساكنة، وقرأ الباقون بألف خالصة بلا همز. ينظر: النشر (٣٩٤/١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣٧٢).

(٢) الهداية لمكي (٤٤٦٤/٦).

(٣) قرأها ابن عامر وعاصم ويعقوب بنصب اللام، وقرأ الباقون برفعها. ينظر: النشر (٣١٨/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣٧٧ - ٣٧٨).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٠٥/١١).

(٥) ينظر: السراج المنير (٥٢٦/١)، وتيسير الكريم الرحمن (ص١٣٠).

الآية الثامنة والأربعون: قال الله تعالى: ﴿فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى﴾ [طه: ٥٨]. قال الكسائي في كلامه على القراءتين في «سوى»[١]: «سُوًى وسِوًى يريد به سواء، وهما لغتان»[٢].

وهنا وجه القراءتين في الآية بأنهما لغتان للعرب في هذه الكلمة، وهو توجيه صحيح.

الآية التاسعة والأربعون: قال الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا﴾ [طه: ٦٣]. قال أبو المظفر السمعاني في توجيه قراءة الجمهور في «إن هذان»[٣]: «وأما وجه قوله: «إِنَّ هَذَانِ» فله وجوه في العربية: أما القدماء من النحويين فإنهم قالوا: هو على تقدير «إنه هذان»، فحذف الهاء، ومثله كثير في العربية. والوجه الثاني: أن هذا لغة كنانة وخثعم وزبيد. وقال الكسائي: لغة بلحارث بن كعب من كنانة[٤]، وأنشد الكسائي شعراً[٥]:

تـــزَوَّد مـــني بَـــين أُذْنَـــاهُ ضَرْبَـــة دَعَتْـــهُ إلى هـــابي الـــتُّرَاب عقيـــم

قال الكسائي: على هذه اللغة يقولون: أتاني الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، ولا يتركون ألف التثنية في شيء منها»[٦].

---

(١) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب وخلف بضم السين والتنوين، وقرأ الباقون بكسر السين مع التنوين. ينظر: إتحاف فضلاء البشر (ص٣٨٤).

(٢) تفسير الماتريدي (٢٨٨/٧).

(٣) تقدم عزو القراءتين.

(٤) ينظر: الجمل في النحو (ص١٥٧)، وشرح الكافية الشافية (١٨٨/١).

(٥) البيت عزاه ابن منظور في لسان العرب، لشاعر، اسمه هوبر بن الحارث، وروايته فيه: «بَيْنَ أُذْنَيْهِ»، وعليها فلا شاهد فيه على هذه المسألة، وقبل البيت في لسان العرب:

بِمَصْرَعِنـــا الثُّعْمـــانَ يـــومَ تَأَلَّبَـــتْ عَلَيْنَـــا تَمِيـــمٌ مِـــنْ شَـــظًى وصَمِيـــمِ

كما ورد في عدد من المصادر، بالرواية الواردة في النص المنقول عن الكسائي، من غير عزو. ينظر: لسان العرب (١٩٧/٨)، وخزانة الأدب (٤٥٣/٧)، وشرح شذور الذهب (ص٧٥).

وهابي التراب: أي التراب المرتفع الرقيق، يريد به القبر، والعقيم من الأرض: ما حفر، ومعنى البيت: أنهم ضربوا هذا العدو، ضربة بين أذنيه، صارت له كالزاد إلى الموت، فكانت لقوتها سبباً في أن يحفر له في الأرض وترفع عليه. والشاهد من البيت قوله: «بين أذناه» فقد جاء فيه المثنى بالألف مع أنه مجرور لكونه مضافاً إليه ما قبله.

(٦) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٣٣٨/٣).

فقد وجَّه قراءة الجمهور بأنها على أن اسم «إن» ضمير الشأن، وهو ما نسبه لقدماء النحويين، أو أنها جاءت على لغة بعض قبائل العرب التي تلزم المثنى الألف في حالاته كلها، مستدلاً بورود ذلك في شعر العرب.

الآية الخمسون: قال الله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ [طه: ٨٧]. قال الكسائي في توجيه القراءات في «بملكنا»(١): «من قرأ: «بِمُلْكِنَا» معناه: بسلطاننا، ومن قرأه: «بِمِلْكِنَا» بكسر الميم ونصبه معناهما: وهو ما ملكت أيدينا»(٢).

فقد وجَّه القراءات الثلاث في الآية ببيان معنى الكلمة عليها، موضحاً أن معنى الضم السلطان ومعنى الكسر والفتح الملك.

الآية الإحدى والخمسون: قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ [طه: ٩٤]. قال النحاس في توجيه قراءة الفتح في «يابن أُمَّ»(٣): «قال الكسائي والفراء وأبو عبيد(٤): ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ تقديره: يابن أمَّاه»(٥).

وتوضيح كلامه أنه حذفت ياء الإضافة من الكلمة؛ لأن أصلها: «يابن أمي»، ثم عوضت عنها الألف ونابت عنها الفتحة، أو أن الكلمة حذف آخرها ترخيماً، أو بني «ابن» و«أم» على أنهما كلمة واحدة(٦).

(١) قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر بفتح الميم، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بضمها، وقرأ الباقون بكسرها. ينظر: النشر (٣٢١/٢ - ٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣٨٧).

(٢) تفسير الماتريدي (٣٠٠/٧).

(٣) قرأها بكسر الميم ابن عامر وشعبة عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف البزار، وقرأ باقي العشرة بكسرها. ينظر: النشر (٢٧٢/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣٨٨).

(٤) لعله يقصد أبا عبيد القاسم بن سلَّام الهروي الأزدي الخزاعي، أحد كبار العلماء بالقرآن والحديث والأدب والفقه (ت: ٢٢٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٩٠/١٠ - ٥٠٩)، والأعلام (١٧٦/٥ - ١٧٧).

(٥) إعراب القرآن للنحاس (٧٣/٢)، وينظر: شمس العلوم (١١٩/١)، والجامع لأحكام القرآن (٢٩٠/٧).

(٦) ينظر: الحجة لابن خالويه (ص٢٤٧)، وينظر: حجة القراءات لابن زنجلة (ص٢٩٧).

وقد نصَّ غير واحد من أئمة النحو على حذف ياء الإضافة من : «ابن أم» مع فتح الميم ومع كسرها، كما أشار إلى ذلك ابن مالك[1] بقوله[2]:

وَفَتْحٌ او كَسْرٌ وَحَذْفُ الْيَا اسْتَمَرْ فِي يَابْنَ أُمَّ، يَابْنَ عَمِّ لاَ مَفَرْ

الآية الثانية والخمسون: قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠]. قال الكسائي في توجيه القراءات في «لتحصنكم»[3]: «من قرأ بالتاء: «لِتُحْصِنَكُمْ»؛ أي: الصنعة تحصنكم من بأسكم، ومن قرأ بالياء: «لِيُحْصِنَكُم»؛ أي: اللبوس يحصنكم من بأسكم، ومن قرأ بالنون: «لِنُحْصِنَكُم» فإنه يقول: نُحصنكم بهن من بأسكم»[4].

فقد بَيَّن توجيه القراءات الثلاث في الآية، موضحاً أن التاء على إسناد الفعل للصنعة المتقدمة، والياء على إسناده للبوس، والنون على إسناده لنون العظمة.

ونلحظ في هذا النص والذي قبله أن الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجَّه جميع القراءات المتواترة في الآيتين، وهو ما لم يفعله في كثير من الأحيان.

الآية الثالثة والخمسون: قال الله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج: ٢٣]. قال الكسائي في توجيه القراءات في «وَلُؤْلُؤًا» في الحج[5]: «من قرأ: «وَلُؤْلُؤٍ» بالخفض: فهو يخرج على أنهم يُحَلَّون فيها من أساور من ذهب، ويُحَلَّون فيها من لؤلؤ،

(١) هو: محمد بن عبد الله بن مالك، الإمام العلامة، جمال الدين الطائي، النحوي، كان إماماً في النحو واللغة والقراءات، وقد ألف المؤلفات المفيدة في النحو وغيره، (ت: ٦٧٢هـ). ينظر: تاريخ الإسلام (١٥/٢٤٩)، وفوات الوفيات (٣/٤٠٧ - ٤٠٩).

(٢) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٣/٤١).

(٣) قرأ ابن عامر وحفص وأبو جعفر بالتاء، وقرأ شعبة عن عاصم ورويس عن يعقوب بالنون، وقرأ الباقون بالياء. ينظر: النشر (٢/٣٢٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣٩٣).

(٤) تفسير الماتريدي (٧/٣٦٦).

(٥) قرأها نافع وعاصم وأبو جعفر ويعقوب بنصب الهمزة، وقرأ الباقون بجرها. ينظر: النشر (٢/٣٢٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣٩٧).

حلية سوى الأساور، ومن قرأ بالنصب: «وَلُؤْلُؤًا»؛ أي: يحلون فيها لؤلؤًا»(١).

فوَجَّه قراءة الجر بأنها معطوفة على «من ذهب» وقراءة النصب بأنها على المفعولية لـ «يحلون».

الآية الرابعة والخمسون: قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الحج: ٣٤]. قال الكسائي في توجيه القراءتين في «منسكا»(٢): «من قرأ: «مَنْسِكًا» بكسر السين فهو من نَسَك يَنْسِك، ومن قرأ: «مَنْسَكًا» بالنصب فهو من نَسِكَ يَنْسَكُ»(٣).

فقد بَيَّن في هذا الكلام اشتقاق كل من القراءتين، موضحاً أن قراءة الكسر مشتقة مِنْ «نسَك» على وزن فعَل، وقياس مضارعه «يفعِل» بكسر العين، وقراءة الفتح من «نسِك» على وزن «فعِل» ومضارعه «يفعَل».

الآية الخامسة والخمسون: قال الله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ [المؤمنون: ١١٠]. قال الكسائي في توجيه القراءتين في «سخريا»(٤): «السِّخر بكسر السين بمعنى الاستهزاء بالقول وبالضم بمعنى التسخير، والاستعباد بالفعل،ولذلك اتفقوا في سورة الزخرف؛ لأنه بمعنى التسخير لا يحتمل غيره»(٥)، وروي عنه أيضاً أنه قال: «هما لغتان بمعنى واحد، كما يقال: عِصِيّ وعُصِيّ، ولُجّيّ ولِجّيّ»(٦).

فقد وَجَّه قراءة الكسر في النص الأول: بأنها من الاستهزاء وقراءة الضم بأنها من التسخير والاستعباد، مستدلاً على هذا التفريق بين القراءتين بقراءة متفق على قراءتها

(١) تفسير الماتريدي (٤٠٣/٧).

(٢) قرأها حمزة والكسائي وخلف بكسر السين، وقرأ الباقون بفتحها. ينظر: النشر (٣٢٦/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٣٩٨).

(٣) تفسير الماتريدي (٤١٧/٧).

(٤) قرأها نافع وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف البزار بضم السين، وقرأ الباقون بكسرها. ينظر: النشر (٣٢٩/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٤٠٦).

(٥) الكشف والبيان (٥٨/٧)، والتفسير المظهري (٤٠٩/٦).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٥٤/١٢).

بالضم، وهي قوله تعالى: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]، وهي من التسخير لورودها في هذا السياق بعد قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢]، بينما في النص الثاني ذكر أنهما لغتان معناهما واحد.

ونلاحظ أنه استدل للتوجيه الذي ذكر بقراءة متفق عليها في توجيه قراءة مختلف فيها، وهو أمر ربما فعله في توجيهه للقراءات.

الآية السادسة والخمسون: قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]. قال الكسائي في توجيه القراءتين في «كبره»[(١)]: «هما لغتان مثل صُفر وصِفر»[(٢)].

فقد وجَّه القراءتين بأنهما لغتان في هذه الكلمة، وقد تقدم عنه أيضاً أنه قال: إن قراءة الضم لم تثبت عنده بالرواية؛ فلذلك لم يقرأ بها.

الآية السابعة والخمسون: قال الله تعالى: ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [النور: ٣٥]. قال الكسائي في توجيه القراءات في «دري»[(٣)]: «من همز «دريء» فهو حسنه وظهوره وارتفاعه، تقول: درأ النجم، وهو فاش ظاهر في كلام العرب... ومن لم يهمز فهو ينسبه إلى الدر، ومنهم من يرفع الدال ويهمز، وأظنها لغة»[(٤)].

فقد وَجَّه قراءة الهمز بأنها من الدرء بمعنى الحسن والظهور، وقراءة عدم الهمز بأنها من الدر، وقراءة ضم الدال والهمز بأنها لغة.

الآية الثامنة والخمسون: قال الله تعالى: ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾ [النور: ٥٨]. قال الشوكاني

---

(١) تقدم عزو القراءتين فيها.

(٢) الكشف والبيان (٧٨/٧)، ومعالم التنزيل (٣٩٢/٣)، وزاد المسير (٢٨٣/٣)، والتفسير المظهري (٤٧٤/٦).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص وأبو جعفر ويعقوب وخلف البزار بضم الدال وتشديد الياء من غير مد ولا همز، وقرأ أبو عمرو والكسائي بكسر الدال وراء ممدودة بعدها همزة، وقرأ شعبة عن عاصم وحمزة بضم الدال ثم راء بعدها ياء ساكنة بعدها همزة. ينظر: النشر (٣٣٢/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٤١١).

(٤) تفسير الماتريدي (٥٦٩/٧).

في توجيه قراءة الرفع في «ثلاث»[1]: «وقال الكسائي: إن «ثلاث عورات» مرتفعة بالابتداء، والخبر ما بعدها. قال: والعورات الساعات التي تكون فيها العورة»[2].

فقد وَجَّه في هذا الكلام قراءة الرفع بأنها مرتفعة بالابتداء وخبرها ما بعدها، ويحتمل أن تكون خبراً لمبتدا محذوف تقديره: هي ثلاثُ عورات، أو: هذه الأوقات ثلاث عورات[3]، كما أن الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين معنى القراءة بأن المراد بالعورات ساعاتها التي تكون فيها.

ونلاحظ هنا أنه وجَّه القراءة التي لم يقرأ بها وهي قراءة الرفع، وهو أمر عظيم يدل على التجرد والإخلاص.

الآية التاسعة والخمسون: قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٥٦]. قال الشوكاني في توجيه القراءتين في «حاذرون»[4]: «قال الزجاج: الحاذِرُ: المستعدُّ، والحَذِرُ: المتيقظ، وبه قال الكسائي»[5].

فقد ذكر الشوكاني عنه أنه بَيَّن معنى الكلمة على كل من القراءتين فيها.

الآية الستون: قال الله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٢٥]. قال الكسائي في توجيه القراءتين في «ألا»[6]: «ومن شدد «ألَّا» فتأويله: زين لهم الشيطان ألا يسجدوا على ما ذكرنا، وأما التخفيف فهو على وجه الأمر، أي:

(١) قرأ شعبة عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف: «ثَلَاثَ» بالنصب، وقرأها الباقون بالرفع. ينظر: النشر (٣٣٣/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٤١٣).

(٢) فتح القدير (٥٩/٤).

(٣) ينظر: معاني القراءات (ص٣٥٤)، وحجة القراءات (ص٥٠٧).

(٤) قرأ ابن ذكوان وهشام عن ابن عامر بخلف عنه وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بألف بعد الحاء، وقرأ الباقون بحذف الألف. ينظر: النشر (٣٣٥/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٤٢١).

(٥) فتح القدير (١١٧/٤)، وفتح البيان (٣٨٢/٩).

(٦) قرأ الكسائي ورويس عن يعقوب وأبو جعفر بهمزة مفتوحة وتخفيف اللام، وقرأ الباقون بتشديد اللام. ينظر: النشر (٣٣٧/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٤٢٧).

اسجدوا و«ألَا» صلة والياء صلة أيضاً»[1]. وقال أيضاً في توجيه قراءة التخفيف التي اختار القراءة بها: «ما كنت أسمع الأشياخ يقرؤونها إلا بالتخفيف على نية الأمر»[2].

ففي النص الأول وجَّه قراءة التشديد بأنها على البدلية من ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ فيكون المعنى: زين لهم الشيطان عدم السجود لله، ووجَّه قراءة التخفيف بأن «ألا» و«يا» فيها صلتان، لا محل لهما من الإعراب، و«اسجدوا» فعل أمر، كما أكد توجيه قراءة التخفيف - وهي التي قرأ بها - بهذا التوجيه في النص الثاني بأنه سمع هذه القراءة ممن سماهم الأشياخ، ولعلهم بعض شيوخه في القرآن أو اللغة.

الآية الحادية والستون: قال الله تعالى: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

قال الكسائي في توجيه قراءة كسر «إن»[3]: «إن الناس بالكسر على الاستئناف»[4].

فوجَّه قراءة كسر الهمزة بأنها على الاستئناف.

وتوضيح ذلك: أن من أماكن كسر الهمزة في «إن» أن تكون في كلام مستأنف، كما أشار إلى ذلك ابن مالك بقوله[5]:

وَهَمْزَ إِنّ افْتَحْ لِسَدِّ مَصْدَرِ ... مَسَدَّها وفي سِوَى ذَاكَ اكْسِرِ

فَاكْسِرْ فِي الِابْتِدَا وَفِي بَدْءِ صِلَهْ ... .

قال ابن عقيل[6] في شرح الألفية: «فذكر أنه يجب الكسر في ستة مواضع: الأول:

---

(١) تفسير الماتريدي (١١١/٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨٦/١٣)، وفتح القدير (١٥٤/٤).

(٣) قرأها عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف البزار بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسرها. ينظر: النشر (٣٣٨/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٤٣٢).

(٤) إعراب القرآن للنَّحَّاس (١٥٢/٣).

(٥) ألفية ابن مالك (ص٢١).

(٦) هو عبد الله بن عبد الرحمن، العلامة قاضي القضاة، بهاء الدين المعروف بابن عقيل، الفقيه النحوي. قال عنه أبو حيان: «ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل»، (ت: ٧٦٩هـ). ينظر: المنهل الصافي (٩٤/٧ - ٩٧)، والأعلام (٩٦/٤ - ٩٧).

إذا وقعت «إن» ابتداء؛ أي في أول الكلام: نحو: إن زيداً قائم، ولا يجوز وقوع المفتوحة ابتداء، فلا تقول: أنك فاضل عندي...»[1].

الآية الثانية والستون: قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ [القصص: ٨٢]. قال القرطبي في كلامه على «ويكأن»[2]: «وقال الكسائي: «وي» فيه معنى التعجب، ويروى عنه أيضاً الوقف على «وي»، وقال: كلمة تفجع»[3].

فقد وَجَّه وَقْفَه على «وي» بأنها كلمة مستقلة تفيد التعجب والتفجع، وهو تعليل لغوي جيد لهذا الوقف، لكن الجمهور الذين وقفوا على نهاية الكلمة ربما يكون فِعْلُهم أوضحَ لموافقة رسم المصحف؛ فقد رسمت فيه متصلة[4].

وقد نصَّ غيرُ واحد من العلماء على وجوب اتباع الرسم في الوقف، كما أشار إلى ذلك ابن الجزري[5] رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله في «طيبة النشر»[6]:

وَقِفْ لِكُلٍّ بِاتِّبَاعِ مَا رُسِمْ ... حَذْفاً ثُبُوتاً اتِّصَالاً فِي الْكَلِمْ

لكن القراءة تؤخذ بالرواية، فكل من الواقفين على آخر الكلمة، أو على بعض أجزائها، يتبع ما قرأ به على أشياخه؛ لأن القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول[7].

(١) شرح ابن عقيل (٣٥٢/١).

(٢) وقف فيها الكسائي على الياء، ووقف أبو عمرو على الكاف، ووقف الباقون على الهاء آخر الكلمة. ينظر: النشر (١٥١/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٤٣٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٣١٩/١٣).

(٤) ينظر: المقنع (ص٨١)، والنشر (١٥١/١).

(٥) هو أبو الخير محمد بن محمد بن محمد، المعروف بابن الجزري، الشافعي، شيخ المقرئين، والمقدم بلا منازع في علم القراءات، وألف المؤلفات المفيدة في هذا العلم، حتى صار مَن بعده عالةً عليه فيه، من أشهر كتبه: «النشر في القراءات العشر»، و«غاية النهاية في طبقات القراء»، (ت: ٨٣٣هـ). ينظر: طبقات المفسرين (٣٢٠/١)، والأعلام للزركلي (٤٥/٧)، ومعجم المؤلفين (٦٨٧/٣).

(٦) طيبة النشر (ص٥٦).

(٧) ينظر: المرشد الوجيز (ص٩٠)، ومنجد المقرئين (ص٦٥).

الآية الثالثة والستون: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ [الروم: ٥٣].

قال الكسائي في توجيه قراءة «تَهْدِي»[١]: «من قرأ «تَهْدِي» لزمه أن يقف بالياء، وإنّما لزمه ذلك؛ لأن الفعل لا يدخله تنوين في الوصل تحذف له الياء، فيكون في الوقف كذلك، كما يدخل التنوين على «هادٍ» ونحوه فتذهب الياء في الوصل، فيجري الوقف على ذلك لمن وقف بغير ياء»[٢].

فقد وَجَّه قراءة الكلمة بالفعل المضارع «تَهْدِي» بأن الفعل لا يدخله التنوين؛ لأن التنوين من خصائص الأسماء، مثل: «هاد» وغيره، بخلاف الياء في الفعل المضارع، فإنها لا تحذف إلا إذا دخلت على الفعل أداة الجزم فتحذف، كما أشار إلى ذلك ابن مالك بقوله في إعراب الفعل المعتل، ومنه المنقوص[٣]:

..... وَاحْـذِفْ جازِمـا ثَلاثَهُـنَّ تَقْـضِ حُكْمًـا لازِمـا

والفعل هنا لم تدخل عليه أداة جزم حتى يحذف آخره؛ فلذلك تثبت الياء وصلاً ووقفاً.

وقول الكسائي هنا : «من قرأ «تَهْدِي» لزمه أن يقف بالياء...» لا مفهوم له؛ لأن من الذين قرؤوا الكلمة: «بِهادِ» من يقف بالياء أيضاً، وهما الكسائي ويعقوب[٤]، كما أشار إلى ذلك ابن الجزري بقوله:

وافَـقَ وادِ النمـل هـادي الـروم رُمْ تَهْـدِ بهـا فـوزٌ .....[٥]

والمعنى: أنه وافق يعقوب على الوقوف بالياء في «بهادي» كل من الكسائي المشار له

(١) قرأها حمزة بالتاء مع إسكان الهاء بلا ألف، فعل مضارع، مع نصب «الْعُمَيْ»، وقرأ الباقون بالباء المكسورة ثم هاء مفتوحة بعدها ألف، مع جر كلمة «الْعُمْيِ». ينظر: النشر (٣٣٩/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٤٣٢).

(٢) اللباب (٢٠٠/١٥)، وينظر: الدر المصون (٦٤١/٨).

(٣) ألفية ابن مالك ضمن شرح ابن عقيل (٨٤/١).

(٤) ينظر: النشر (١٠٤/٢ - ١٠٥).

(٥) طيبة النشر (ص٥٧).

بالراء من «رم»، وحمزة المشار له بفاء «فوز» مع أنه يقرؤها «تهدي»(١).

الآية الرابعة والستون: قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾ [ص: ١٥]. قال الكسائي في توجيه القراءتين في «فُواقٍ»(٢): «هما لغتان بمعنى واحد، كما يقال: حَمام المكوك وحُمامه(٣)، وقَصاص الشَّعْرِ وقُصاصه»(٤)، ويروى عنه أيضاً أنه قال: «هما لغتان، وهما الزمان الذي بين حلبتي الحالب، ورضعتي الراضع، والمعنى ما لها من تَوَقُّفٍ قدرَ فواق ناقة»(٥).

فقد وجَّه القراءتين بأنهما لغتان للعرب في هذه الكلمة، مستشهداً بنظائر لهما، وموضحاً معناهما اللغوي.

الآية الخامسة والستون: قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧]. قال الكسائي في توجيه القراءتين في «يَصِدُّونَ»(٦): «هما لغتان مثل: يعرُشون ويعرِشون، وشد عليه يشُد ويشِد، ونم بالحديث ينُم وينِم»(٧). وروي عنه أنه قال: «هما لغتان مثل: يعرشون بضم الراء وكسرها، أي يصيحون»(٨).

فقد وجه القراءتين بأنهما لغتان للعرب مستشهداً بنظائر لهما.

الآية السادسة والستون: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ﴾ [الدخان: ٥١]. قال

(١) ينظر: النشر (١٤٠/٢)، شرح طيبة النشر للنويري (١٨٥/٢).
(٢) قرأها حمزة والكسائي وخلف بضم الفاء، وقرأ الباقون بفتحها. ينظر: النشر (٣٦١/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٤٧٦).
(٣) لعله أراد «حمام المكوك» والمكوك: مكيال يكتال به الدقيق وغيره، وحمامه مقدار ما يحمل من الدقيق وغيره. ينظر: إصلاح المنطق (ص١٣٣)، وتصحيح الفصيح (ص٣٧٠).
(٤) الكشف والبيان (١٨١/٨).
(٥) اللباب في علوم الكتاب (٣٨٦/١٦)، وينظر: مفاتيح الغيب (٣٧٢/٢٦).
(٦) قرأها نافع وابن عامر والكسائي وأبو جعفر وخلف العاشر بضم الصاد، وقرأ باقي العشرة بكسرها. ينظر: النشر (٣٦٩/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٤٩٦).
(٧) معالم التنزيل (١٦٥/٤)، وينظر: الهداية (٦٦٨٢/١٠).
(٨) التفسير المظهري (٣٥٧/٨)، وينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٠٣/١٦)، وفتح القدير (٦٤٢/٤).

القرطبي: «وقرأ نافع وابن عامر: «فِي مُقَامٍ» بضم الميم، الباقون بالفتح»[1]. قال الكسائي: «المَقام: المكان، والمُقام: الإقامة، كماقال[2]:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا .....»[3]

فقد وجَّه القراءتين موضحاً اختلاف المعنى باختلاف القراءتين بأن المَقام بالفتح مكان الإقامة وبالضم الإقامة نفسها.

الآية السابعة والستون: قال الله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤]. قال القرطبي في توجيه قراءة أبي جعفر في «ليجزي»[4]: «وقال الكسائي: معناه ليجزي الجزاء قوماً، نظيره: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] على قراءة ابن عامر وأبي بكر في سورة الأنبياء[5]. قال الشاعر[6]:

وَلَوْ وَلَدَتْ قُفَيْرَةُ جَرْوَ كَلْبٍ لَسُبَّ بِذَلِكَ الْجَرْوِ الْكِلابا

أي: لسُبَّ السبُّ»[7].

---

(١) قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر بضم الميم، وقرأ الباقون بفتحها. ينظر: النشر (٣٧١/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٥٠٠).

(٢) شطر بيت للصحابي الجليل لبيد بن ربيعة العامري، هو مطلع معلقته المشهورة تكملة البيت:

بمنًى تأبَّدَ غَوْلُها فَرِجَامُهَا

ينظر: ديوان لبيد (ص١٠٧). والشاهد من البيت قوله: «فمُقامها» أي فمحل إقامتها.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٥٢/١٦).

(٤) تقدم عزو القراءة.

(٥) تقدم عزو القراءتين.

(٦) البيت ورد في عدة مصادر من غير نسبة، ونسب في بعضها إلى جرير بن عطية الشاعر المشهور، من قصيدة له مشهورة يهجو فيها الراعي النميري، وأولها:

أَقِلِّي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا وَقُولِي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا

ولكنه ليس في ديوانه. ينظر: الخصائص لابن جني (٣٩٧/١)، وخزانة الأدب (٣٣٧/١)، وشرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية (٩٦/١)، وقفيرة أم الفرزدق، ومعنى البيت: أن قفيرة هذه لفرط لؤمها لو ولدت جروا من الكلاب، لكان ذلك الجرو سُبَّة عليهم، فيسبوا بأن منهم ابن قفيرة.

والشاهد من البيت قوله: «لسب» مع قوله: «الكلابا»، ونائب الفاعل ضمير المصدر، تقديره: لسب السب الكلاب.

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١٦٢/١٦)، وينظر: الكشف والبيان (٣٦٠/٧)، ومعالم التنزيل (١٨٦/٤)، والتفسير المظهري (٣٨٣/٨).

فقد وجه قراءة أبي جعفر بأن الفعل فيها مبني لنائب الفاعل، وهو ضمير المصدر وتقديره: ليجزى الجزاء قوماً، فنائب الفاعل هو «الجزاء» المقدر، و«قوما» مفعول به، وقد بَيَّنَ أن هذا الوجه اللغوي جاءت عليه قراءة أخرى متواترة هي قراءة ابن عامر وشعبة عن عاصم في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

الآية الثامنة والستون: قال الله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. قال الماوردي(١): «وقرئ: ﴿كُرْهاً﴾(٢) بالضم والفتح. قال الكسائي والفراء في الفرق بينهما: «إن الكُره بالضم ما حمل الإنسان على نفسه، وبالفتح ما حمل على غيره»(٣). وروي عنه أيضاً أنه قال: «وهما لغتان بمعنى واحد»(٤).

ففي الكلام الأول المنسوب له وللفراء وَجَّها قراءة الضم بأنها ما حمل الإنسان نفسه على القيام به، وقراءة الفتح أنها ما أكره غيره عليه، وفي الكلام الثاني بين أنهما لغتان معناهما واحد.

الآية التاسعة والستون: قال الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥]. قال الكسائي في توجيه قراءة ضم الياء في «يرى»(٥): «معناه لا يرى شيء إلا مساكنهُم، فهو محمول على المعنى، كما تقول: ما قام إلا هند، والمعنى ما قام أحد إلا هند»(٦).

---

(١) هو علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي، أحد العلماء الكبار من أصحاب التصانيف المفيدة، ولي القضاء في بلدان كثيرة، من كتبه «الأحكام السلطانية»، و«النكت والعيون»، (ت: ٤٥٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨/٦٤ - ٦٨)، والأعلام (٤/٣٢٧).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر وعاصم ويعقوب وابن ذكوان وهشام بخلف عنه في هذه السورة بضم الكاف، وقرأ الباقون بفتحها. ينظر: النشر (٢/٢٤٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٣٩).

(٣) النكت والعيون (٥/٢٧٦)، وينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٦/١٩٣).

(٤) فتح القدير (٥/٢٢)، وينظر: فتح البيان (١٣/٢٢).

(٥) قرأ عاصم وحمزة ويعقوب وخلف العاشر: ﴿يُرَىٰٓ﴾ بياء مضمومة، و﴿مَسَٰكِنُهُمْ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون: «تَرَى» بالتاء المفتوحة، و«مَسَاكِنَهُمْ» بالنصب. ينظر: النشر (٢/٣٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٥٠٥).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٠٨)، وينظر: الكشف والبيان (٩/١٨)، ومفاتيح الغيب (٢٨/٢٥)، وفتح القدير (٥/٢٨).

فقد بين أن رفع «مساكنهم» هو على أنه بدل من لفظ «شيء» مضمر، وهو نائب الفاعل لأن «يرى» مبني للمفعول.

الآية السبعون: قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣].

قال النحاس في توجيه قراءة النصب في «مثل»(١): «وقال الكسائي: «مِثْلَمَا» منصوب على القطع»(٢).

ففي هذا المثال وَجَّه قراءةَ النصب بأنها على القطع مما قبلها، ولعله أراد أنها ليست صفةً لقوله: ﴿لَحَقٌّ﴾ لنصبها، فهي منصوبة على الحال من «حق»، وليست صفة لها على هذه القراءة، أو أنها بُنيت على الفتح لإضافتها لغير متمكن، أو أن «مثل» صارت مع «ما» كالكلمة الواحدة فبنيا على الفتح، أو على التوكيد، وأما قراءة الرفع فيه على الصفة لقوله : «لحق»(٣).

الآية الإحدى والسبعون: قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٢]. قال الكسائي في توجيه القراءتين في «ضيزى»(٤): «يقال فيه: ضاز يضِيز ضَيْزاً، ضاز يضُوز ضَوْزاً، ضَأَز يَضْأَز ضَأْزاً، إذا ظَلَمَ ونقص، قال الشاعر(٥):

(١) قرأ ها شعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. ينظر: النشر (٢/٣٧٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٥٠٥).

(٢) إعراب القرآن للنَّحَّاس (٤/١٦١).

(٣) ينظر: معاني القراءات (ص٤٨٥)، والكشف لمكي (٢/٣٨٧ - ٣٨٨).

(٤) قرأها ابن كثير بهمزة ساكنة بعد الضاد، وقرأ الباقون بالياء الساكنة بعدها. ينظر: النشر (١/٣٩٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٧٧).

(٥) البيت ورد في بعض المصادر منسوباً لامرئ لقيس الكندي، وليس في ديوانه. ينظر: الدر المنثور (١٤/٣٣)، وروح المعاني (١٤/٥٧)، ومعنى ضازه: نقص حقه وضاز في حكمه جار، وضازه منعه حقه، وقسمة ضيزى غير عادلة. ينظر: المخصص لابن سيده (٣/٤٠٦).

والشاهد: قوله: «ضازت»، ووجه الاستشهاد: مجيء «ضاز» بغير همز، وهو شاهد لقراءة الجمهور بغير همز، ومعنى البيت: أن بني أسد جاروا في حكمهم حين سووا الرأس بالذنب مع أنهما ليسا متساويين.

ضَـازَتْ بَنُـو أَسَـدٍ بِحُكْمِهِـمُ إِذْ يَجْعَلُـونَ الـرَّأْسَ كَالذَّنَـبِ»[1]

فقد وَجَّه اشتقاق الكلمة على كلتا القراءتين، موضحاً أن قراءة الهمز مشتقة من «ضأز» الذي مصدره «ضَأْزا»، وأن قراءة ترك الهمز مشتقة من «ضاز» التي مصدرها ضَيْزاً أو ضَوْزاً، مستدلاً ببيت من الشعر لقراءة عدم الهمز.

الآية الثانية والسبعون: قال الله تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥]. قال الكسائي في توجيه القراءتين في «والرجز»[2]: «الرُّجز بالضم: الوثن، وبالكسر: العذاب»[3].

فبيَّن اختلاف معنى القراءتين باختلاف بنية الكلمة، فالضم اسم للوثن والكسر اسم للعذاب.

الآية الثالثة والسبعون: قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدثر: ٣٣]. قال الكسائي في توجيه القراءتين في «أدبر»[4]: «دبر وأدبر: بمعنى واحد»[5].

فوَجَّه القراءتين بأن معناهما واحد؛ أي: إنهما لغتان في هذه الكلمة يقال: دَبَرَ النهار وأدبر[6].

الآية الرابعة والسبعون: قال الله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ * قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٥-١٦]. قال القرطبي في كلامه على قراءة التنوين في:

(١) الكشف والبيان (١٤٦/٩)، وينظر: معالم التنزيل (٣١٠/٤)، والدر المصون (٩٦/١٠)، واللباب في علوم الكتاب (١٨٤/١٨)، والتفسير المظهري (١١٧/٩).

(٢) قرأ حفص وأبو جعفر ويعقوب بضم الراء، وقرأ الباقون بكسرها. ينظر: النشر (٣٩٣/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٥٦٢).

(٣) البحر المديد (١٧٣/٧)، وينظر: الجامع لأحكام القرآن (٦٧/١٩).

(٤) قرأ نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف العاشر بإسكان الذال من «إذ» وبهمزة مفتوحة ودال ساكنة في «أدبر»، وقرأ الباقون: بفتح الذال ومدها وبفتح دال «دبر». ينظر: النشر (٣٩٣/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٥٦٢).

(٥) تفسير القرآن للسمعاني (٩٧/٦)، وشمس العلوم (٢٠٢٤/٤).

(٦) ينظر: معاني القراءات (ص٥٤١).

«قَوَارِيرَ»[1]: «قال الكسائي والفراء: هو على لغة من يَجُرِ الأسماء كلها، إلا قولهم هو أظرفُ منك، فإنهم لا يُجرونه»[2]، وفي رواية أنه قال في توجيهها: «إن بعض العرب يصرفون جميع ما لا ينصرف، إلا أفعل التفضيل»[3].

فقد وَجَّه في هذين المثالين قراءة التنوين بأنها على لغة من يصرف من الأسماء ما لا ينصرف منها من العرب، إلا إذا كان أفعل تفضيل فلا يصرفونه.

وتوضيح ذلك أن «قوارير» على وزن «مفاعيل» والأصل أنها لا تنصرف أي: لا تُنون؛ لكونها منتهى الجموع، فَصْرفُها خلاف الأصل[4]، وهو هنا ما وجَّهه الكسائي بأنه لغة لبعض العرب.

الآية الخامسة والسبعون: قال الله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣]. قال الشوكاني في توجيه قراءة التشديد في ﴿فَقَدَّرْنَا﴾[5]: «وقرأ نافع والكسائي بالتشديد من التقدير، قال الكسائي والفراء: وهما لغتان بمعنى، تقول: قدَرت كذا وقدَّرته»[6].

فوجَّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ القراءتين بأنهما لغتان للعرب في هذه الكلمة.

الآية السادسة والسبعون: قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [الانفطار: ١٩].

---

(١) قرأ نافع وشعبة عن عاصم والكسائي وأبو جعفر بتنوين «قواريرا» في الكلمتين ووقفوا عليهما بالألف، وقرأ ابن كثير وخلف العاشر بالتنوين في الأول وبدونه في الثاني، ووقفا بالألف في الأول وبدونه في الثاني، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحفص وروح بغير تنوين فيهما، ووقفوا على الأول بالألف بخلف عن روح في الوقف، وعلى الثاني بدونها بخلف عن هشام، وقرأ حمزة ورويس بغير تنوين فيهما، ووقفا بغير ألف فيهما كذلك. ينظر: النشر (٣٩٥/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٥٦٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٢٣/١٩)، وينظر: إبراز المعاني لأبي شامة (ص١٧٣).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص٥٦٥).

(٤) ينظر: شرح ابن عقيل (٣٢٧/٣).

(٥) قرأ نافع والكسائي وأبو جعفر بتشديد الدال، وقرأ الباقون بتخفيفها. ينظر: النشر (٣٩٧/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٥٦٧).

(٦) فتح القدير (٤٣٢/٥)، وينظر: فتح البيان (١٥/١٥).

قال الكسائي في توجيه قراءة الرفع في: «يوم»[1]: «العرب تؤثر الرفع إذا أضافوا الليل واليوم إلى مستقبل، وإذا أضافوا إلى فعل ماض آثروا النصب»[2].

فقد وَجَّه قراءة الرفع بأنها أسلوب عربي، وهو أنهم يؤثرون الرفع عند إضافة الليل أو اليوم إلى فعل مستقبل، وهو هنا «تملك»؛ لكونه في محل جر مضاف إليه ما قبله، وهو لفظ «يوم».

الآية السابعة والسبعون: قال الله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ [البلد: ٢٠]. قال الكسائي في توجيه القراءتين في «مؤصدة»[3]: «أوصدت الباب وآصدته إذا رددته»[4].

فقد بيَّن أن معنى القراءتين واحد؛ لكون قراءة الهمز مشتقة من «آصد البابَ» وقراءة الإبدال مشتقة من «أوصد» يوصد، ومعناهما واحد هو ردُّ الباب وإغلاقه.

وبهذا ينتهي القسم الثاني من توجيه الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ للقراءات المتواترة، وتليه خاتمة البحث.

---

(١) قرأها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب برفع الميم، وقرأ الباقون بنصبها. ينظر: النشر (٢/٣٩٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٥٧٥).

(٢) نظم الدرر (٢١/٣٠٨).

(٣) قرأها بالهمز أبو عمرو وحفص وحمزة ويعقوب وخلف، والباقون بالإبدال واواً كحمزة وقفاً. ينظر: النشر (١/٣٩٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٥٧٥).

(٤) أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية (ص١٣٢).

خاتمة البحث

في نهاية هذا البحث كما في بدايته، فإني أحمد الله عَزَّوَجَلَّ على إكماله، وأسطّر في هذه الخاتمة بعض النتائج المستخلصة منه.

أولاً: أن علم توجيه القراءات نشأ في وقت مبكر إلى جانب علم القراءات.

ثانياً: أن الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العلماء الذين اهتموا بتوجيه القراءات، ولاسيما التي اختار القراءة بها بعد تلقّيها عن شيوخه.

ثالثاً: أن مرجعية علم توجيه القراءات مرجعية لغوية بالدرجة الأولى؛ ولهذا نلحظ اهتمام الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ببيان الوجوه اللغوية لبعض القراءات.

رابعاً: أن مصادر التوجيه لم تتغير عما كانت عليه في العصر الأول، فكتب التوجيه قديمها وحديثها لا يزال أغلب توجيهها للقراءات يدور على توجيه القراءة بلغة عربية، أو بأسلوب لغوي، أو ببيت شعر، أو بقراءة متفق عليها لقراءة مختلف فيها، أو بقراءة مختلف فيها لقراءة مختلف فيها أيضاً. وهي الأمور التي دار عليها توجيه الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذه القراءات التي وجهها.

خامساً: أن توجيه السلف للقراءات لا يزال مجالاً خصباً للبحوث العلمية، فينبغي التنقيب عن جهود العلماء القدامى في التوجيه، وإفراده في بحوث مستقلة.

وهذه هي الأمور المستخلصة من هذا البحث، وصلى الله وسلم على سيد خلقه محمد وعلى آله وصحبه.

فهرس المصادر والمراجع

- **المصحف الشريف.**
- **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**: لأحمد بن محمد الدمياطي البناء، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة (١٤٢٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة.
- **أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً**: للدكتور عبد الرازق بن حمودة القادوسي، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة حلوان.
- **أشعار الشعراء الستة الجاهليين اختيارات الأعلم الشنتمري**: ط: دار الفكر للطباعة والنشر.
- **إصلاح المنطق**: لابن السكيت يعقوب بن إسحاق، ط: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ)، تحقيق: محمد مرعب.
- **إعراب القرآن للنحاس**: أحمد بن محمد بن إسماعيل، ط: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم.
- **الأعلام**: لخير الدين بن محمود الزركلي، ط: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر (٢٠٠٢م).
- **ألفية ابن مالك**: لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي، ط: دار التعاون.
- **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**: لجمال الدين محمد بن عبد الله الأنصاري، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي.
- **إيجاز البيان عن معاني القرآن**: لمحمود بن أبي الحسن نجم الدين النيسابوري، ط: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ)، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي.

- **البحر المحيط في التفسير**: لأبي حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي، ط: دار الفكر (١٤٢٠هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل.
- **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**: لأبي العباس أحمد بن محمد الفاسي، ط: الدكتور حسن عباس زكي (١٤١٩هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان.
- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**: لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ط: دار المعرفة.
- **البرهان في علوم القرآن**: لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ط: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى (١٣٧٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، ط: المكتبة العصرية، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**: لمحمّد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي، ط: دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**: لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ط: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى (٢٠٠٣م)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف.
- **تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم**: لأبي المحاسن المفضل ابن محمد بن مسعر التنوخي، ط: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو.
- **تاريخ بغداد وذيوله**: لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- **تصحيح الفصيح وشرحه**: لأبي محمد عبد الله بن جعفر بن دُرُسْتويه، ط: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، تحقيق: الدكتور محمد بدوي المختون.

- **التعريفات**: لعلي بن محمد الشريف الجرجاني، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء.
- **تفسير القرآن العظيم**: لعبد الرحمن بن محمد بن الرازي بن أبي حاتم، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الثالثة (١٤١٩هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب.
- **تفسير القرآن**: لأبي المظفر، منصور بن محمد السمعاني، ط: دار الوطن، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم.
- **تفسير القرآن**: لأبي بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري، ط: دار المآثر، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ)، قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد.
- **تفسير الماتريدي، تأويلات أهل السنة**: لمحمد بن محمد أبي منصور الماتريدي، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ)، تحقيق: الدكتور مجدي باسلوم.
- **التفسير المظهري**: لمحمد ثناء الله المظهري، ط: مكتبة الرشدية (١٤١٢هـ)، تحقيق: غلام نبي التونسي.
- **التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه**: لأبي عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري، ط: مطبعة دار الكتب المصرية، تحقيق: دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث.
- **تهذيب اللغة**: لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري، ط: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى (٢٠٠١م)، تحقيق: محمد عوض مرعب.
- **التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء**: للدكتور طه صالح آغا، ط: دار المعرفة، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ).
- **التوقيف على مهمات التعاريف**: لزين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي، ط: عالم الكتب، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ).

- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ).
- **الثقات**: لمحمد بن أحمد بن حبان، الدارمي البستي، ط: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، الطبعة الأولى (١٣٩٣هـ)، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان.
- **جامع البيان في تأويل القرآن**: لمحمد بن جرير بن يزيد أبي جعفر الطبري، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.
- **الجامع لأحكام القرآن**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط: دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية (١٣٨٤هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش.
- **الجرح والتعديل**: لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي، ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ودار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى (١٢٧١هـ).
- **جمال القراء وكمال الإقراء**: لعلم الدين علي بن محمد السخاوي، ط: دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ)، تحقيق: الدكتور مروان العطية، والدكتور محسن خرابة.
- **الجمل في النحو**: للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، الطبعة الخامسة (١٤١٦هـ).
- **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي**: لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، ط: دار صادر.
- **حجة القراءات**: لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، ط: دار الرسالة، تحقيق وتعليق: سعيد الأفغاني.

- **الحجة في القراءات السبع**: للحسين بن أحمد بن خالويه، ط: دار الشروق، الطبعة الرابعة (١٤٠١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم.
- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**: لعبد القادر بن عمر البغدادي، ط: مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة (١٤١٨هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون.
- **الخصائص**: لأبي الفتح عثمان بن جني، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.
- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**: لأبي العباس أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الناشر: دار القلم، دمشق، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط.
- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**: لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط: دار هجر (١٤٢٤هـ)، تحقيق: مركز هجر للبحوث.
- **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**: ط: دار المعرفة، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ)، اعتنى به: حمدو طمّاس.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: لشهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي، ط: دار الكتب العلمية (١٤١٥هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية.
- **زاد المسير في علم التفسير**: لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ط: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
- **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**: لشمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، ط: مطبعة بولاق بالقاهرة.
- **سير أعلام النبلاء**: لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة (١٤٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط.

- **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**: لعبد الله بن عبد الرحمن العقيلي المعروف بابن عقيل، ط: دار التراث، الطبعة العشرون (١٤٠٠هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**: لعلي بن محمد الأُشْمُوني، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ).
- **شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية**: لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢٧هـ).
- **شرح الكافية الشافية**: لمحمد بن عبد الله بن مالك جمال الدين، ط: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي.
- **شرح شذور الذهب**: لابن هاشم الأنصاري، ط: دار الفكر (١٤١٤هـ).
- **شرح طيبة النشر في القراءات العشر**: لمحمد بن محمد أبي القاسم النويري، ط: دار الصحابة للتراث، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ)، تحقيق: الشيخ جمال الدين محمد شرف.
- **شرح طيبة النشر في القراءات العشر**: لشهاب الدين أحمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ)، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة.
- **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**: لنشوان بن سعيد الحميري اليمني، ط: دار الفكر المعاصر، ودار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ)، تحقيق: الدكتور حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، والدكتور يوسف محمد عبد الله.

- **طبقات الشافعية الكبرى**: لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، ط: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (١٤١٣هـ)، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو.
- **طبقات المفسرين**: لمحمد بن علي الداودي، ط: دار الكتب العلمية.
- **طيبة النشر في القراءات العشر**: لمحمد بن محمد بن الجزري، ط: مكتبة الهدى، ضبط ومراجعة وتصحيح: محمد تميم الزعبي.
- **غاية النهاية في طبقات القراء**: لشمس الدين أبي الخير، محمد بن محمد بن الجزري، ط: مكتبة ابن تيمية (١٣٥١هـ) ج. برجستراسر.
- **غرائب التفسير وعجائب التأويل**: لمحمود بن حمزة المعروف بتاج القراء، ط: دار القبلة للثقافة الإسلامية.
- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**: لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات.
- **غريب القرآن**: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ط: دار الكتب العلمية (١٣٩٨هـ)، تحقيق: أحمد صقر.
- **فتح البيان في مقاصد القرآن**: لأبي الطيب محمد صديق خان القنوجي، ط: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، عني بطبعه وقدم له وراجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري.
- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**: لمحمد بن علي الشوكاني، ط: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ).
- **فوات الوفيات**: لمحمد بن شاكر الملقب بصلاح الدين، ط: دار صادر، الطبعة الأولى، تحقيق: إحسان عباس.

- **القاموس المحيط**: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ط: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثامنة (١٤٢٦هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة.
- **كتاب السبعة**: لأحمد بن موسى أبي بكر بن مجاهد، ط: دار المعارف، الطبعة الثانية (١٤٠٠هـ)، تحقيق: شوقي ضيف.
- **الكتاب**: لعمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة (١٤٠٨هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
- **الكشف عن وجوه القراءات وعللها**: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ط: دار الحديث (١٤٢٨هـ).
- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**: لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، ط: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي.
- **اللباب في علوم الكتاب**: لعمر بن علي بن عادل الحنبلي، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض.
- **لسان العرب**: لمحمد بن مكرم بن منظور، ط: دار صادر، الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ).
- **المبسوط في القراءات العشر**: لأحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، ط: مجمع اللغة العربية بدمشق (١٩٨١م)، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي.
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.
- **المخصص**: لأبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، ط: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال.

- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**: لعبد الله بن أحمد النسفي، ط: دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو.
- **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**: لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل أبي شامة، ط: دار صادر (١٣٩٥هـ)، تحقيق : طيار آلتي قولاج.
- **معالم التنزيل**: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، ط: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
- **معالم التنزيل**: لمحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة (١٤١٧هـ)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش.
- **معاني القراءات**: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ط: دار الصحابة، تحقيق: محمد بن عيد الشعباني.
- **معجم الأدباء**: لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، ط: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس.
- **معجم الشامل في مصطلحات اللغة العربية**: إعداد محمد سعيد اسبر، وبلال جنيدي، ط: دار العودة.
- **معجم المؤلفين**: لعمر بن رضا كحالة الدمشقي، الناشر: مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي.
- **المعجم الوسيط**: إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط: دار الدعوة.
- **معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ**: لمحمد محمد محمد سالم محيسن، ط: دار الجيل، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ).
- **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ).

- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**: لعبد الله بن يوسف بن هشام، ط: دار الفكر، الطبعة السادسة (١٩٨٥م)، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله.
- **مفاتيح الغيب**: لمحمد بن عمر بن الحسن الرازي، ط: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة (١٤٢٠هـ).
- **مقاييس اللغة**: لأحمد بن فارس القزويني، ط: دار الفكر (١٣٩٩هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
- **المقتضب**: لمحمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبي العباس المبرد، ط: عالم الكتب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة.
- **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**: لعثمان بن سعيد بن عثمان أبي عمرو الداني، ط: مكتبة الكليات الأزهرية، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.
- **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**: لأبي الخير محمد بن محمد بن الجزري، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ).
- **المنهل الصافي**: ليوسف بن تغري بردي الظاهري، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، حققه ووضع حواشيه: الدكتور محمد محمد أمين، تقديم: الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور.
- **الموسوعة القرآنية**: لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري، ط: مؤسسة سجل العرب (١٤٠٥هـ).
- **الموضح في وجوه القراءات وعللها**: لأبي نصر علي ابن أبي مريم، ط: الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ)، تحقيق ودراسة الدكتور عمر حمدان الكبيسي.
- **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**: لعبد الرحمن بن محمد أبي البركات الأنباري، ط: مكتبة المنار بالأردن، الطبعة الثالثة (١٤٠٥هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي.

- **النشر في القراءات العشر**: لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري، ط: المطبعة التجارية الكبرى، تحقيق: علي محمد الضباع.
- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**: لإبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، ط: دار الكتاب الإسلامي،القاهرة.
- **النكت والعيون**: لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، الناشر: دار الكتب العلمية، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم.
- **الهداية إلى بلوغ النهاية**: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي.
- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**: لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، ط: المكتبة التوفيقية، تحقيق: عبد الحميد هنداوي.
- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**: لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، والدكتور أحمد محمد صيرة، والدكتور أحمد عبد الغني الجمل، والدكتور عبد الرحمن عويس.
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان، ط: دار صادر، تحقيق: إحسان عباس.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	٢٠٥
المقدمة	٢٠٦
مشكلة البحث	٢٠٧
أهمية الموضوع وأسباب اختياره	٢٠٧
الدراسات السابقة	٢٠٨
خطة البحث	٢٠٨
منهج البحث	٢٠٩
تمهيد	٢١١
أولاً: ترجمة الإمام الكسائي	٢١١
ثانياً: تعريف التوجيه لغة واصطلاحاً	٢١٣
القسم الأول: التعريف بقراءة الكسائي ودراسة توجيهه للقراءات	٢١٥
المبحث الأول: التعريف بقراءة الكسائي	٢١٥
المطلب الأول: اهتمامه بالإقراء ومنهجه فيه	٢١٥
المطلب الثاني: سنده في القراءة ورواته	٢١٦
المطلب الثالث: مكانة قراءة الكسائي	٢١٧
المبحث الثاني: دراسة توجيه الكسائي للقراءات	٢١٩
المطلب الأول: مميزات توجيه الكسائي للقراءات	٢١٩
المطلب الثاني: مصادر الكسائي في التوجيه	٢٢١
القسم الثاني: توجيه الكسائي مرتب الآيات حسب ورودها في المصحف الشريف	٢٢٤
خاتمة البحث	٢٦٣
فهرس المصادر والمراجع	٢٦٤

جُزْءٌ فِيهِ تَفْسِيرُ آيَاتٍ مِنَ القُرْآنِ عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ -رَحِمَهُ اللهُ- بِخَطِّ القَاضِي أَبِي يَعْلَى

تحقيق وتعليق

د. هِنْد بنْت إبراهِيم التّوَيْجري (*)

مُلخّصُ البَحْث

في هذا البحث حققتُ نصَّ التفسير الذي يرويه المرُّوْذِيُّ عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد ضبطت النصَّ، وخَرَّجْتُ الروايات من أحاديث وآثار، وذكرت حكم الأئمة على الأحاديث، وعزوت أقوال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ التفسيرية لقائليها من الصحابة والتابعين، وذكرتُ مَنْ خَرَّجها من أئمة التفسير والحديث، وذكرتُ طريق الرواية في كلٍ منها، وحكمت على أسانيدها، وترجمت للأعلام المذكورة فيها من غير مشاهير الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وعرَّفت بغريب الألفاظ، والأماكن، والفرق، وعلَّقت على ما يحتاج إلى تعليق، ثم ختمت البحث بخاتمة سجَّلت فيها أهم النتائج.

وختاماً أسأل الله القبول، والحمد لله رب العالمين.

(*) أستاذ مشارك، قسم الدراسات القرآنية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة بالمدينة المنورة.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فإن القرآن العظيم هو كلام الله تعالى، الذي لا شرف إلا وهو سبيل إليه، ولا خير إلا وفي آياته دليل عليه، به الاهتداء، وإليه الاحتكام؛ لذا كان سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم أحرص الناس على تدبر آياته وتفهم معانيه؛ لاستخراج دُرره وكشف كنوزه. ومن هؤلاء السلف الكبار الذين حُفظ عنهم عنايتهم بالتفسير: الإمام المحدِّث، الفقيه، المفسِّر، أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٦٤هـ - ٢٤١هـ)، وهذه قطعة نفيسة من تفسيره اخترتها لتحقيقها والتعليق عليها، وقد ضمَّنها العلَّامة المحقق الشهير بابن قيِّم الجوزية[1] كتابه الموسوم: ببدائع الفوائد، في الجزء الثالث منه، وقد وقعت هذه القطعة النفيسة من التفسير في الصفحات (١٠١٥ - ١٠٣٤) في النسخة التي اعتمدتها من كتاب «بدائع الفوائد».

ومما دعاني لاختيارها لتحقيقها أسباب منها:

١. مكانة مصنِّفها العلمية.

٢. غزارة ما احتوته هذه القطعة النفيسة على قِصَرِها من فنون العلم: القراءات، والتفسير، والفقه، والفرق، وغيرها.

٣. ولما حبَّره العلامة النحرير المدقق المحقق ابن قيِّم الجوزية من تعليقات نفيسة على بعضٍ مما جاء في هذه القطعة التفسيرية.

---

(١) هو: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، صاحب التصانيف الكثيرة، من مصنفاته: «مدارج السالكين»، و«طريق الهجرتين» وغيرهما، لازم شيخ الإسلام ابن تيمية، وأخذ عنه، مات سنة (٧٥١هـ). ينظر: ذيل طبقات الحنابلة (٥/١٧٠ - ١٧٩).

٤. لكون هذه القطعة التفسيرية على نفاستها وأهميتها لم تنل حقها من العناية والتخريج.

وقد هدفتُ من هذا البحث أن أنظم هذه القطعة النفيسة من التفسير في مؤلَّفٍ مستقل بعد أن أُخرج نصَّ التفسير عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بصورة قريبة مما وضعه مصنِّفه من خلال تقويمه وتخريج نصوصه، والتعليق عليه بما يخدم موضوعه، ويُظهر مقصوده، وييسِّر الانتفاع به على الوجه الأمثل بإذن الله.

هذا ولم أقف في حدود علمي، ومن خلال بحثي في قواعد البيانات بالمراكز العلمية والمكتبات والجامعات على دراسة سابقة لهذه القطعة التفسيرية بالمنهج الذي سلكته في تحقيقها، وقد تقدَّم أن هذه القطعة التفسيرية مطبوعة ضمن كتاب «بدائع الفوائد»، الذي حقِّق عدة مرات، والقطعة جزء منه نالها ما نال الكتاب من التحقيق، وكان حظُّ هذه القطعة النفيسة في تحقيقات الكتاب مقتصراً على ضبط مشكل النصِّ، وبيان بعض غريبه.

كما أن هذه القطعة التفسيرية قد ضمَّنها مصنفو[1] كتاب مرويات الإمام أحمد ابن حنبل في التفسير مصنَّفهم، مرتبة نصوصها في ثنايا ذكرهم للمرويات حسب ترتيب سور القرآن الكريم، وكان منهجهم - حفظهم الله - بعد وضعها في موضعها من سور القرآن الاكتفاء بعزوها لمصدرها «كتاب البدائع»، باستثناء الجزء من العمل الذي يخص الشيخ محمد رزق الطرهوني، الذي يقع في الجزء الثاني من الكتاب ما عدا سورتي: الأنعام والأعراف، إضافةً لجزء تبارك وعمَّ من الجزء الرابع، فقد اعتنى - حفظه الله - بذكر مَنْ قال بالقول الذي ذكره الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الصحابة والتابعين، موثقاً ذلك من تفسير ابن كثير، والدر المنثور في الغالب.

---

(١) وهم أصحاب الفضيلة: أ. د. حكمت بن بشير ياسين، والشيخ: محمد بن رزق بن طرهوني، ود. عبد الغفور عبد الحق البلوشي، وأ. أحمد أحمد البزرة، غير أن هذه الصفحات (١٠٢٧ - ١٠٣٤) من القطعة غير مضَّمنة في مصنفهم.

أما عملي في تحقيق هذه القطعة فيقوم على عزو أقوال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ التفسيرية المذكورة في هذه القطعة لقائليها من سلف الصحابة أو التابعين، وتابعيهم بإحسان، والحكم على الأحاديث والآثار اعتماداً على أقوال النقاد المعتبرين من السلف والخلف، إضافة للتحليل والنقاش لما يحتاج إلى تحليل من نصوص التفسير المذكورة فيها، وكذا التعريف بغريب الألفاظ والأماكن والفرق.

واقتضت طبيعة هذا البحث أنْ يُقَسَّمَ إلى مقدمةٍ، وتمهيدٍ، ونصّ التفسير، وخاتمة، ثم ثبت المصادر والمراجع، وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وتحدثت فيها عن أسباب اختيار الموضوع، وأهمية هذه القطعة التفسيرية النفيسة، وهدف البحث، وخطة البحث.

التمهيد: ذكرت فيه ترجمة موجزة للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

نصُّ التفسير: وقد سلكت في تحقيقه الآتي:

١. ضبط النصّ، ولا سيما مشكله، مستفيدة في ذلك من مراجع العزو والتخريج.

٢. تخريج الأحاديث الشريفة، فإن كان الحديث في الصحيحين، أو في أحدهما اكتفيت بذلك تخريجاً وتصحيحاً. وإن لم يكن فيهما أو في أحدهما، ألتزم بذكر مصادر تخريجه مبتدئة بالسنن الأربعة ومسند أحمد إن كان فيها، وإن لم يكن فيها خرّجته من المصنفات والمسانيد والمعاجم والأجزاء الحديثية وغيرها، وذكرت حكم الأئمة النقاد من المتقدمين والمتأخرين فيه.

٣. عزو أقوال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ التفسيرية المذكورة في هذه القطعة التفسيرية لقائليها من سلف الصحابة، أو التابعين، أو تابعيهم بإحسان، مرتبة إياهم حسب وفياتهم، ثم أذكر مَنْ خَرَّجها عنهم من الأئمة، ملتزمة ببيان طريق الرواية في الغالب، ثم ذكرت خلاصة الحكم على هذه الآثار بعد دراستها، فما تبين لي بعد دراسة الإسناد ثبوت نسبته للمسند إليه من الصحابة أو

التابعين عبَّرت عنه بصيغة الجزم: «قال بهذا»، وما لم يتبين لي ثبوت نسبته للمسند إليه. إما لضعف الإسناد، أو لعدم الوقوف على سلسلة السند، عبَّرت عنه بصيغة التضعيف: «روي هذا».

٤. الترجمة للأعلام من غير مشاهير الصحابة - رضوان الله عليهم -.

٥. التعريف بغريب الألفاظ، والأماكن، والفرق.

٦. التعليق على ما يحتاج إلى تعليق.

٧. الالتزام بذكر الراجح من أوجه التفسير في حال كان ما ذكره الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التفسير خلاف الراجح.

الخاتمة: سجلت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

والله تعالى المسؤول أن ينفعنا بما علمنا، ويعلمنا ما ينفعنا، وأن يزيدنا علماً، وأن يعيذنا من حال أهل النار، وله الحمد على كل حال.

التمهيد

ترجمة موجزة للإمام أحمد بن حنبل [1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ

هو: أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذُهل بن ثعلبة بن عُكَابَة بن صعب بن علي بن بكر وائل الذُّهليُّ الشَّيبانيُّ المَرْوَزِيُّ، ثم البغداديُّ، إمام المحدِّثين، الناصر للدين، والمناضل عن السنة، والصابر في المحنة.

وُلد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شهر ربيع الأول، سنة أربع وستين ومائة، وبهذا قال ابنه صالح وغيره.

وأخذ العلم عن خلق كثير حتى بلغ عدة شيوخه الذين روى عنهم في «المسند» مائتين وثمانين ونيفاً، وسمع منه خَلْق كثير أيضاً.

أما وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ فكانت في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين.

---

(١) ترجمت للإمام هاهنا بترجمة موجزة جداً؛ وذلك لأنني قد تحدثت عن ترجمته بشيء من التفصيل مع دراسة تحليلية وصفية استقرائية لهذه القطعة النفيسة المأثورة عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بحث مستقل.
وينظر في ترجمته: طبقات الحنابلة (١/٤)، ووفيات الأعيان (١/٦٣ - ٦٤)، والسير (١١/١٧٧ - ١٧٨)، والوافي (٦/٢٢٥)، والبداية والنهاية (١٤/٣٨٠ - ٣٨١)، والنجوم الزاهرة (٢/٣٠٤)، وشذرات الذهب (٣/١٨٥ - ١٨٦).

نصُّ التفسير

قال ابن القيِّم[1]: ومن خط القاضي[2] من جزء فيه تفسير آيات من القرآن عن الإمام أحمد:

رواية المَرُّوْذِيِّ[3] عنه. رواية أبي بكر أحمد بن عبد الخالق[4] عنه، رواية أبي بكر أحمد بن جعفر بن سلم الخُتُّلِيِّ[5]، رواية أبي الحسين أحمد بن عبد الله السُّوسَنْجِرِدِيُّ[6].

قال المَرُّوْذِيُّ: سمعت أبا عبد الله يقول لرجل: اقعد اقرأ، فجئته أنا بالمصحف فقعد، فقرأ عليه، فكان يمرُّ بالآية، فيقف أبو عبد الله، فيقول له: ما تفسيرها؟ فيقول: لا أدري، فيفسِّرها لنا، فربما خنقته العبرة فيردُّها.

وكان إذا مرَّ بالسَّجدة سَجَدَ الذي يقرأ وسجدنا معه، فقرأ مرة فلم يسجد، فقلت لأبي عبد الله: لأيِّ شيء لم تسجد؟ قال: لو سجد سجدنا معه.

قد قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للذي قرأ: «أنت إمامُنا إن سَجَدْتَ سَجَدْنا»[7].

---

(١) البدائع (١٠١٥/٣).

(٢) هو: القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد، المعروف بابن الفراء البغدادي الحنبلي. قال الخطيب: كتبنا عنه وكان ثقة. وقال ابن الجوزي: كان من سادات الثقات، له التصانيف الحسان الكثيرة في مذهب أحمد، وانتهى إليه المذهب، من مصنفاته: «الأحكام السلطانية»، و«الأمالي» وغيرهما، مات سنة (٤٥٨هـ). ينظر: تاريخ بغداد (٢٥٦/٢)، وطبقات الحنابلة (١٩٣/٢ - ٢٣٠).

(٣) هو: أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج بن عبد العزيز المَرُّوْذِيُّ، هو المقدَّم من أصحاب أحمد لورعه وفضله، وكان أحمد يأنس بِهِ وينبسط إليه، وهو الذي تولى إغماضه لما مات وغسله، وقد روى عنه مسائل كثيرة، وأسند عنه أحاديث صالحة، مات سنة (٢٧٥هـ). ينظر: تاريخ بغداد (١٨٩/٥ - ١٩٠)، وطبقات الحنابلة (٥٦/١ - ٦٣).

(٤) لم أعرفه.

(٥) هو: أبو بكر، أحمد بن جعفر بن محمد بن سلم الخُتُّلِيُّ، كان أحد علماء بغداد، كتب من القراءات والتفاسير أمراً كثيراً. قال الخطيب: كان صالحاً، ثقة، ثبتاً، مات سنة (٣٦٥هـ). ينظر: تاريخ بغداد (٢٩١/٤ - ٢٩٢).

(٦) هو: أبو الحسين المعدل المعروف بابن السُّوسَنْجِرِدِيُّ، أحمد بن عبد الله بن الخضر بن مسرور. قال الخطيب: وكان ثقة مأموناً ديناً مستوراً حسن الاعتقاد شديداً في السنة. توفي سنة (٤٠٢هـ). ينظر: تاريخ بغداد (٤٦٠/٤ - ٤٦١). وجوَّد هذا الإسناد ابن رجب الحنبلي في التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (٦٨).

(٧) علّقه البخاري بصيغة الجزم في الصحيح (٤١/٢)، ك: سجود القرآن، ب: من سجد لسجود القارئ، ولفظه: قال ابن

وكان يعجبه أن يُسَلِّم فيها[1].

وقال: ذهبت إلى ابن سَواء[2]، فكان يقرأ بنسخة لعبد الوهاب[3]، فكان يقرأ ويفسِّر.

قال ابن سَواء: كان سعيد[4] يقرأ ويفسرِّ، قال: وكان قتادة[5] يقرأ ويفسِّر.

وقال لرجل: لو قرأت فسمعنا ونحن نسير من العسكر[6]، فكان الرجل يقرأ

مسعود لتميم بن حَذْلَمٍ - وهو غلام - فقرأ عليه سجدة، فقال: «اسجد فإنك إمامنا فيها».

ووصله سعيد بن منصور كما في تغليق التعليق (٤٠٩/٢ - ٤١١)، وفتح الباري (٥٥٦/٢) من طريق مغيرة عن إبراهيم، قال: قال تميم بن حذلم: قرأت القرآن على عبد الله وأنا غلام فمررت بسجدة، فقال عبد الله: «أنت إمامنا فيها»، وقد روي نحو هذا مرفوعاً، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣٤٦/٣)، وأبو داود في المراسيل (١١٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٩/١) عن زيد بن أسلم مرسلاً، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤٥٩/٢): عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، بلاغاً، قال ابن حجر في الفتح (٥٥٦/٢) عن سند ابن أبي شيبة: «رجاله ثقات، إلا أنه مرسل».

(١) اختلفت الرواية عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في حكم التسليم من سجود التلاوة: ففي رواية عنه وهي المذهب أن التسليم واجب، وهو ما ذهب إليه الشافعية في الأصح عنهم، لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تحريمها التكبير وتحليلها التسليم»، وهذا عام في كل صلاة، وسجود التلاوة صلاة، ولأنها صلاة ذات إحرام، فافتقرت إلى سلام، كسائر الصلوات. وفي رواية أخرى عنه أنه لا تسليم لسجود التلاوة، وهو ما ذهب إليه الحنفية، والمالكية، والشافعية في مقابل الأصح، وذلك احتجاجاً بأنه لم ينقل عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه سلام، ولأن السلام للتحليل عن التحريمة وليس فيها تحريمة، ولأنها معتبرة بسجود الصلاة، وسجود الصلاة لا يقتضي التسليم. والراجح والله تعالى أعلم هو القول الثاني؛ لقوة ما بُني عليه من استدلال، ومن أهمه ولا شك عدم ورود الدليل عليه. ينظر: المبسوط (١٠/٢)، والمغني (٤٤٥/١)، ومجموع الفتاوى (١٧١/٢٣)، والبناية شرح الهداية (٦٧٨/٢)، والمبدع (٣٨/٢).

(٢) هو: أبو الخطاب البصريُّ، محمد بن سواء بتخفيف الواو والمد، السدوسيُّ العنبريُّ المكفوف، صدوق رمي بالقدر من التاسعة، مات سنة (١٨٧هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٢٨٢/٧)، وتقريب التهذيب (٤١٧).

(٣) هو: أبو نصر العجليُّ، عبد الوهاب بن عطاء الخفَّاف مولاهم البصري، نزيل بغداد، صدوق، ربما أخطأ. قال المزيُّ: قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: كان الخفَّاف يقرأ عند سعيد التفسير، من التاسعة، مات سنة (٢٠٤هـ)، وقيل: (٢٠٦هـ). ينظر: تهذيب الكمال (٥٠٩/١٨ - ٥١٦)، والتقريب (٣٠٩).

(٤) هو: أبو النضر البصريُّ، سعيد بن أبي عروبة مهران اليشكريُّ، مولاهم، ثقة، حافظ، له تصانيف، لكنه كثير التدليس، واختلط، وكان من أثبت الناس في قتادة، من السادسة مات سنة (١٥٦هـ)، وقيل: (١٥٧هـ). ينظر: تهذيب الكمال (٥/١١ - ١١)، والتقريب (١٧٩).

(٥) هو: أبو الخطاب البصريُّ، قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، ثقة، ثبت، يقال: وُلد أَكْمَهَ، وهو رأس الطبقة الرابعة، مات سنة (١١٧هـ). ينظر: تهذيب الكمال (٤٩٨/٢٣ - ٥١٧)، والتقريب (٣٨٩).

(٦) العسكر: هو موضع في المدينة التي بناها المعتصم بالعراق لمّا ضاقت بغداد عن عساكره، وأراد استحداث مدينة، اختار موضعاً بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة، وكان ذلك سنة (٢٢١هـ)، وسميت سرَّ من رأى، وفيها لغات:

وأبو عبد الله يسمع، وربما زاد أبو عبد الله الحرفَ والآية فتفيض عيناه، وسمعته يفسِّر القرآن، وقال: قال مجاهد[1]: عرضتُ القرآن على ابن عباس ثلاث مرات[2]، وقال: أعيتني الفرائضُ، فما أُحسنها[3].

وقُرِيء عليه: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧١]، قال: لا سوادَ فيها[4].

﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]، قال: لا كبيرةٌ ولا صغيرة[5].

﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [الواقعة: ٨٦]، قال: محاسبين[6].

وكان يقرأ: (السَّجن) و﴿ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾[7] [يوسف: ٣٣].

سامرّا بالقصر، وسامرّاء بالمد، وسرّ من راء مهموز الآخر، وسرّ من را مقصور الآخر. ينظر: معجم ما استعجم (٧٣٤/٣)، ومعجم البلدان (١٧٣/٣ - ١٧٨، ١٢٣/٤).

(١) هو: أبو الحجاج المخزوميُّ، مجاهد بن جبر، مولاهم المكيُّ، ثقة، إمام في التفسير وفي العلم، من الثالثة، مات سنة (١٠١هـ)، وقيل غير ذلك. ينظر: تهذيب الكمال (٢٢٨/٢٧ - ٢٣٦)، والتقريب (٤٥٣).

(٢) أخرجه الدارمي في السنن (٧٢٥/١)، والحاكم في المستدرك (٣٠٧/٢)، من طريق محمد بن إسحاق، سمع أبان بن صالح يحدث عن مجاهد، بنحوه وزيادة. ووافقه الذهبي فقال: على شرط مسلم.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في العلل ومعرفة الرجال برواية ابنه عبد الله (٨٥/٣) بسند صحيح من طريق عبد الرحمن بن مهدي، عن حماد بن زيد، عن داود بن أبي هند، قال: قال بنحوه.

(٤) قال بهذا الوجه من التفسير: مجاهد بن جبر: أخرج ذلك ابن جرير في جامع البيان (١١٠/٢) بسند صحيح من طريق عيسى بن ميمون، عن ابن أبي نجيح عنه، وابن أبي حاتم في التفسير (١٤٢/١) بسند حسن من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح، عنه، كلاهما بلفظ: «﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ أي: لا بياض فيها ولا سواد».

(٥) قال بهذا الوجه من التفسير: مجاهد بن جبر: أخرج ذلك آدم بن أبي إياس في التفسير المنسوب لمجاهد (٢٠٥) بسند حسن من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عنه به.

(٦) قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أخرج ذلك ابن جرير (٣٧٤/٢٢) بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة، عنه به. وروي عن سعيد بن جبير: أخرج ذلك عبد بن حميد كما في الدر (٢٣٨/١٤) عنه به. ومجاهد: أخرج ذلك ابن جرير (٣٧٤/٢٢) بسند حسن من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عنه به. وروي عن الحسن البصري: أخرج ذلك عبد بن حميد كما في الدر (٢٣٨/١٤) عنه به. وقتادة: أخرج ذلك ابن جرير (٣٧٤/٢٢) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة، عنه به.

(٧) وهي قراءة متواترة قرأ بها يعقوب بفتح السين، والجمهور على كسرها. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (٢٤٦)، والنشر في القراءات العشر (٢٩٥/٢).

﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ [يوسف: ٧٠]، قال: حُمُرٌ تحمل الطعام(١).

﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ﴾ [النحل: ١١٢]، قال: مكة(٢).

﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، قال: هذه نسختها التي في البقرة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، قال: يُفرض لكل حامل، مطلقةً كانت أو متوفى عنها زوجها، لها النفقةُ حتى تضع(٣).

هكذا رأيت هذا التفسير، ولا يخلو من وَهَم(٤)، إمَّا: من المَرُّوْذِيِّ أو من الناقل(٥).

---

(١) قال بهذا الوجه من التفسير: مجاهد: أخرج ذلك ابن جرير (٢٤٨/١٣)، وابن أبي حاتم (٢١٧٢/٧) كلاهما بسند ضعيف من طريق ابن جريج، عن مجاهد بلفظ: «كانت حميرا».

(٢) روي هذا الوجه من التفسير: عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (٣٨٣/١٤) بسند ضعيف من طريق عطية العوفي، عنه به، لكنه يتقوى بروايات التابعين التالية، وقال به مجاهد: أخرج ذلك ابن جرير (٣٨٣/١٤) بسند حسن من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عنه به. وقتادة: أخرج ذلك ابن جرير (٣٨٣/١٤) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة، ومعمر، عنه به. وابن زيد: أخرج ذلك ابن جرير (٣٨٣/١٤) بسند صحيح من طريق ابن وهب، عنه به.

(٣) هذا القول بفرض النفقة للحامل المتوفى عنها زوجها حتى تضع، محمول على أن النفقة في الآية: ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦] للحامل من أجل الحمل، وهي إحدى روايتي المذهب عند أحمد. والصحيح من مذهب أحمد أن النفقة للحمل، ويترتب على هذا أنه لا نفقة للحامل المتوفى عنها زوجها. قال ابن مفلح في المبدع (١٥٠/٧) في نفقة المتوفى عنها زوجها: «وإن كانت حاملاً فعلى روايتين إحداهما: لا شيء لها صحَّحه القاضي، وجزم به في «الوجيز»، وقدَّمه في «المحرر»، و«الرعاية»، و«الفروع»؛ لأنه قد صار للورثة، ونفقة الحامل وسكناها إنما هو للحمل أو لها من أجله، ولا يلزم ذلك للورثة؛ لأنه إن كان للميت ميراث فنفقة الحمل في نصيبه»، وينظر: المسائل الفقهية (٢١٨/٢).

(٤) الوَهَم: بفتح الواو والهاء، يقال: وَهَمْتُ أَهِمُ وَهْماً: إذا ذهب وَهْمُك إليه وأنت تريد غيره. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢٠٥٤/٥)، ولسان العرب (٦٤٤/١٢).

(٥) من قول ابن القيِّم في البدائع (١٠١٧/٣)، والأمر كما قال، فهو ذكر أن آية البقرة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ ناسخة لآية الطلاق ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، وهذا وهم، والصواب أن آية البقرة المذكورة ناسخة للآية بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، فقد أوجبت هذه الآية للمتوفى عنها زوجها أن يُنفق عليها سنة من مال المتوفى، وتسكن سنة ما لم تخرج وتتزوج، ثم نُسخت النفقة بآية المواريث في النساء، ونسخ الحول بأربعة أشهر وعشرا، وإلى هذا ذهب عثمان بن عفان وابن الزبير وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقتادة، وهو قول الجمهور. ينظر تفصيل أدلتهم في: الناسخ والمنسوخ للنحاس (٧٠/٢ - ٧٢)، وينظر: فتح الباري (٤٩٣/٩ - ٤٩٤).

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، قال: عَمَلَك فأصلِحْه(١)، ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥]، قال: الرجز عبادة الأوثان(٢)، ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦]، قال: تَمُنُّ بما أعطيتَ لتأخذ أكثر(٣).

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]. قال: وادٍ في جهنم(٤).

---

(١) قال بهذا الوجه من التفسير: أبو رزين مسعود بن مالك: أخرج ذلك ابن أبي شيبة (١٥٤/٧) بسند صحيح من طريق جرير، عن منصور، عنه به وزيادة. وإبراهيم النخعي، أخرج ذلك ابن حبان في صحيحه (٢١٠/١٦) من طريق فضيل ابن عياض، عن منصور، عنه به، وقال محققه: «إسناد صحيح على شرط الشيخين»، ومجاهد: أخرج ذلك أبو نعيم في الحلية (٢٨١/٣)، وابن جرير (٤٠٨/٢٣) كلاهما بسند صحيح من طريق فضيل، عن منصور، عنه به.

(٢) قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (٤١٠/٢٣) بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة، عنه بنحوه، ومجاهد: أخرج ذلك ابن جرير (٤١٠/٢٣) بسند صحيح من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح، عنه بنحوه، وعكرمة: أخرج ذلك ابن جرير (٤١١/٢٣) بسند ضعيف من طريق وكيع، عن إسرائيل، قال أبو جعفر: أحسبه أنا عن جابر، عنه بنحوه. والزهري: أخرج ذلك ابن جرير (٤١١/٢٣) بسند صحيح من طريق ابن ثور، عن معمر، عنه بنحوه.

(٣) روي هذا الوجه من التفسير: عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك الطبراني في الكبير (١٢٨/١٢)، والبيهقي في الكبرى (٨١/٧)، وابن جرير (٤١٢/٢٣) كلهم من طريق عطية العوفي عنه بنحوه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣١/٧): «وفيه عطية العوفي، وهو ضعيف»، لكنه يتقوى بروايات التابعين التالية. وقال به إبراهيم النخعي: أخرج ذلك ابن أبي شيبة (٥١٣/٤)، وابن جرير (٤١٣/٢٣، ٤١٤ - ٤١٥) كلاهما بسند صحيح من طريق سفيان، عن مغيرة، عنه بنحوه، وعكرمة: أخرج ذلك ابن جرير (٤١٣/٢٣) بسند صحيح من طريق أبي رجاء، عنه به. والضحاك: أخرج ذلك ابن جرير (٤١٣/٢٣) بسند صحيح من طريق وكيع، عن سلمة، عنه بنحوه، والقاسم بن أبي بزَّة: أخرج ذلك أحمد (٤٠٥/٣٣)، وابن أبي شيبة (٥١٤/٤)، كلاهما من طريق نافع بن عمر الجمحي، عنه بنحوه. وقال محققو المسند: «هذا الأثر رجاله ثقات رجال الصحيح». وقتادة: أخرج ذلك ابن جرير (٤١٤/٢٣) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة، ومعمر، عنه بنحوه. وضمرة بن حبيب وأبو الأحوص: أخرج ذلك ابن جرير (٤١٢/٢٣) بسند حسن من طريق أرطاة، عنهما بنحوه.

(٤) ورد بهذا المعنى حديث مرفوع لكنه ضعيف، أخرجه أبو يعلى كما في المطالب العالية (٤٨١/١٥) من طريق محمد بن عثمان، ثنا مغلس الخراساني، عن أيوب بن يزيد، عن أبي رزين، عن عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً بلفظ: (الفلق: جهنم)، وقال محققو المطالب: إسناده واهٍ فيه محمد بن عثمان القرشي، وهو ضعيف. وشيخه مغلس الخراساني مجهول، وشيخه أيوب بن يزيد، مجهول أيضاً، وأخرجه الديلمي في الفردوس (١٥٩/٣)، وابن مردويه كما في الجامع الصغير (٨٤٦٥)، والدر (٧٩٦/١٥) عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً بلفظ: «الفلق سجن في جهنم»، وحكم الألباني بضعفه كما في ضعيف الجامع برقم (٤٠٣٤). وأخرجه ابن جرير (٧٤٤/٢٤) عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «جب في جهنم مغطى»، قال ابن كثير في تفسيره (٥٣٥/٨، ٥٤٩): «منكر... إسناده غريب، ولا يصح رَفْعُه»، وضعفه الألباني

(الغاسق): القمر، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة: «هذا الغاسِقُ قد طَلَع»(١)، يعني: القمر.

﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ [الفلق: ٤]: السِّحر، و﴿ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]: الذين يعقدون السِّحر(٢)، ﴿حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]. قال: هو الحسد الذي يتحاسد الناس(٣). قلت: إيش تفسير

في ضعيف الجامع برقم (٤٠٣٣). وهذا القول أحد الأقوال في تفسير الآية، والذي عليه جمهور المفسرين في تفسير الفلق: أنه الصبح؛ لأنه المتبادر عند الإطلاق، ولأن الأحاديث المذكورة في الأقوال الأخرى لم يصح منها شيء، وإلا لكان المصير إليها واجباً، والقول بها متعيناً، كما قال الشوكاني في فتح القدير (٦٤١/٥)، وهو اختيار ابن جرير. وقال ابن كثير في تفسيره (٥٣٥/٨) عن هذا التفسير: «وهذا هو الصحيح، وهو اختيار البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه».

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٧٩/٤٠) عنها بلفظ: أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيدي فأراني القمر حين طلع، فقال: «تعوذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب»، والترمذي في السنن (٤٥٢/٥) عنها بنحوه، والنسائي في السنن الكبرى (١٢٢/٩) عنها بنحوه، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وحسَّنه ابن حجر في الفتح (٧٤١/٨)، وحسَّنه كذلك محققو المسند، والألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٧٢).

وقد جاء عن أكثر المفسرين تفسير الغاسق بالليل، كابن عباس، ومجاهد، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك، وخصيف، والحسن، وقتادة، كما في تفسير ابن كثير (٥٣٥/٨)، ويدل عليه قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، ولا يعارض التفسير المأثور عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الليل والقمر متلازمان، فالقمر لا يخرج إلا بالليل، وإذا جاء الليل خرج القمر، فالتعبير بأحدهما لا يخالف التعبير بالآخر. قال ابن القيِّم في البدائع (٧٢٩/٢) عن تفسير الغاسق بالقمر: «هذا التفسير - أي تفسير الغاسق بالقمر - حق ولا يناقض التفسير الأول - أي تفسيره بالليل - بل يوافقه ويشهد بصحته، فإن الله تعالى قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] فالقمر هو آية الليل وسلطانه، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر عن القمر بأنه غاسق إذا وقب، وهذا خبر صدق وهو أصدق الخبر ولم ينفِ عن الليل اسم الغاسق إذا وقب، وتخصيص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له بالذكر لا ينفي شمول الاسم لغيره».

(٢) روي هذا الوجه من التفسير: عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (٧٥٠/٢٤) بسند ضعيف من طريق العوفي، عنه بنحوه، لكنه يتقوى بروايات التابعين التالية، وقال به الحسن: أخرج ذلك ابن جرير (٧٥٠/٢٤) من طريق ابن أبي عدي، عن عوف، عنه بنحوه، وقد صحح إسناده إلى الحسن الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٢٥/١٠)، ومن طريق سعيد، عن قتادة، عنه بنحوه وهو إسناد صحيح أيضاً، وقتادة: أخرج ذلك عبد الرزاق (٤٧٦/٣)، وابن جرير (٧٥٠/٢٤) كلاهما بسند صحيح من طريق معمر، عنه بنحوه، وابن زيد: أخرج ذلك ابن جرير (٧٥١/٢٤) بسند صحيح من طريق ابن وهب، عنه بنحوه، وبه فسَّر البخاري الآية كما في صحيحه (١٣٦/٧).

(٣) روي هذا الوجه من التفسير: عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن المنذر كما في الدر (٨٠٢/١٥) عنه بلفظ: «نفس ابن آدم وعينه»، وقال به قتادة: أخرج ذلك عبد الرزاق (٤٧٧/٣)، وابن جرير (٧٥١/٢٤) كلاهما بسند صحيح من طريق معمر عنه بنحو لفظ ابن عباس، وبالحسد فسَّر البخاري الآية، إذ جعلها دليلاً لبابه المعنون بـ:

﴿إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣]؟ قال: لا أدري(١).

وقُرِيء عليه: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ [الفجر: ٧]، قال: لم تزل(٢).

﴿جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [الفجر: ٩]. قال: نقبوا الصخر(٣). وجاءوا عليهم جلود النِّمار(٤) قد جابوها(٥): قد نقبوها(٦).

﴿عَسْعَسَ﴾ [التكوير: ١٧]: أظلم(٧).

ما ينهى عن التحاسد والتدابر، الصحيح (١٩/٨).

(١) وقب: قال الأخفش في معاني القرآن له (٥٨٩/٢): «وَقَب يَقِبُ وُقُوباً، وهو الدخول في الشيء». وينظر: معاني القرآن للفراء (٣٠١/٣)، وبهذا المعنى قال: مجاهد: أخرج ذلك آدم بن أبي إياس (٧٦١) بسند حسن من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عنه في الآية بلفظ: «إذا وقب: يعني إذا دخل، يعني غروب الشمس»، وأخرجه ابن جرير (٧٤٦/٢٤) بسند صحيح من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح عنه، وقتادة: أخرج ذلك عبد الرزاق (٤٧٦/٣) بسند صحيح من طريق معمر، عن الحسن، عنه بنحوه.

(٢) لم أستطع الجزم بمقصود الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هذه العبارة، لكن الذي يغلب على الظن والله تعالى أعلم: لم تزل تلك صفتهم - أي ذات عمادٍ - وعليه سيكون تفسيرها عنده على أنَّها صفة للمدينة وليست صفة للقبيلة؛ إذ هي التي سيصدق على آثارها وصف «لم تزل ذات عماد»، وقد اختلف المفسرون في تفسير «إرم»، وفي تفسير «ذات العماد»، لكن الذي يترجح وتشهد له شواهد القرآن أنها صفة للقبيلة، قال محمد أبو شهبة في الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (٢٨٤): «والصحيح في تفسير الآية: أن المراد بعاد، إرم ذات العماد، قبيلة عاد المشهورة التي كانت تسكن الأحقاف، شمالي حضرموت، وهي عاد الأولى، التي ذكرها الله سبحانه في سورة النجم، قال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٠]، ويقال لمن بعدهم: عاداً الآخرة».

(٣) قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (٣٦٩/٢٤) بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عنه بنحوه، وقتادة: أخرج ذلك عبد الرزاق (٤٢٥/٣)، وابن جرير (٣٦٩/٢٤) كلاهما بسند صحيح من طريق معمر عنه بنحوه.

(٤) النِّمار: جمعٌ، واحدها: نَمِرة، وهي: كل شملة مخططة من مآزر الأعراب، كأنها أخذت من لون النمر؛ لما فيها من السواد والبياض. ينظر: النهاية (١١٨/٥)، واللسان (٢٣٦/٥).

(٥) جابوها: جابَ يُجَوبُ جَوْباً: قطع وخرق، والجَوْبُ: قطعك الشيء كما يجُابُ الجَيْبُ، يقال: جَيْبٌ مُجَوبٌ ومُجَوَّبٌ، وكل شيءقطع وسطه، فهو مُجْيُوبٌ ومُجُوبٌ ومُجَوَّبٌ، ومنه سمي جيب القميص. ينظر: النهاية (٣١٠/١).

(٦) قول الإمام أحمد: «وجاءوا عليهم جلود النِّمار قد جابوها: قد نقبوها»، قد ساقه للاستشهاد على معنى: «جابوا»، وهو بمعنى قطعة من حديث جرير بن عبد الله البجلي، وفيه: «فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء»، أخرجه مسلم في الصحيح (٧٠٥/٢)، ح: (١٠١٧)، ك: الزكاة، ب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، قال النووي في شرح مسلم (١٠٢/٧): «وقوله: مجتابي النمار؛ أي خرقوها وقوروا وسطها».

(٧) روي هذا الوجه من التفسير: عن مجاهد: أخرج ذلك عبد بن حميد كما في الدر المنثور (٢٧٢/١٥) عنه به، وقال به

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [القلم: ١٧]، قال: هذه مدينة ضَرَوان(١) قد مررت بها، وهي قريبة من عبد الرزاق(٢)، رأيتها سوداء حمراء، أثر النار يتبيَّن فيها، ليس فيها أثر زرع ولا خضرة، إنما غَدَوا على أن يَصرِموها(٣) أو يَجُذُّوها(٤) وفيها حَرْثٌ، وكانوا قد أقسموا ألَّا يدخلَها مسكين(٥).

﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ٢٠] قد أكلتها النار حتى تركتها سوداء(٦).

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم: ٢٨] أعدَلُهم(٧).

الحسن: أخرج ذلك ابن جرير (١٦١/٢٤) بسند صحيح من طريق معمر عنه بلفظ: «أقبل بظلامه».

ولفظ: «عسعس» من الأضداد تستعمل في الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك، وحكى الفراء إجماع المفسرين على أن المراد به: أدبر. ينظر: معاني القرآن (٢٤٢/٣)، وقال المبرد: «والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد، وهو ابتداء الظلام أوله وإدباره في آخره» حكاه عنه الشوكاني (٤٧٣/٥).

(١) ضَرَوان: بفتح أوّله وثانيه، وفتح الواو بعده: بليد قرب صنعاء، سمّي باسم واد هو على طرفه من جهة صنعاء، وعلى طرفه الآخر من جهة الجنوب مدينة يقال لها: شوابة. والوادي بين هاتين المدينتين. ينظر: معجم ما استعجم (٨٥٩/٣)، ومعجم البلدان (٤٥٦/٣).

(٢) هو: أبو بكر، عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني اليماني الحميري، المحدِّث المفسرِّ صاحب التصانيف، مات سنة (٢١١هـ). ينظر: تذكرة الحفاظ (٢٦٧/١)، والسير (٥٦٣/٩ - ٥٨٠).

(٣) الصرم: القطع البائن، وعمّ بعضهم به القطع أي نوع كان. ينظر: الصحاح (١٩٦٥/٥)، واللسان (٣٣٤/١٢).

(٤) الجَذُّ: كسر الشيء الصلب، والجُذاذُ والجِذاذُ: ما كُسر منه. ينظر: الصحاح (٥٦١/٢)، واللسان (٤٧٩/٣).

(٥) قال بهذا الوجه من التفسير: سعيد بن جبير: أخرج ذلك عبد الرزاق (٣٣٤/٣)، وابن جرير (١٧٥/٢٣) من طريق معمر، أخبرني تميم بن عبد الرحمن، أنه سمعه يقول: «هي أرض باليمن يقال لها: ضروان، بينها وبين صنعاء ستة أميال»، وفي إسناده تميم بن عبد الرحمن، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤٤٢/٢)، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وبقية رجاله ثقات، وفي تفسير الطبري «نعيم»، وهو خطأ.

(٦) روي هذا الوجه من التفسير: عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٦٣٩/١٤)، عنه بلفظ: «مثل الليل الأسود»، ولم أقف عليه في المطبوع من هذه المصادر.

(٧) قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (١٨١/٢٣) بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة، وسعيد بن جبير: أخرج ذلك ابن جرير (١٨١/٢٣) بسند حسن من طريق ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عنه به، ومجاهد: أخرج ذلك ابن جرير (١٨١/٢٣) بسند صحيح من طريق عيسى بن ميمون، عن ابن أبي نجيح عنه به، وروي عن عكرمة: أخرج ذلك عبد بن حميد كما في الدر (٦٤١/١٤) عنه به وزيادة، وقال به قتادة: أخرج ذلك عبد الرزاق (٣٣٥/٣)، وابن جرير (١٨١/٢٣) كلاهما بسند صحيح من طريق معمر عنه به، وأخرجه

﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] لا يظلمكم(١).

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٨]، قال: مثل دُرْدِيِّ(٢) الزيت(٣).

﴿ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ [الطارق: ١١]، قال: الرَّجْع: المطر، والصَّدْع: النبات(٤).

ابن جرير أيضاً بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه به وزيادة، وروي عن الضحاك: أخرج ذلك ابن جرير (١٨٢/٢٣) بسند ضعيف من طريق أبي معاذ، ثني عبيد، عنه به.

(١) قال بهذا الوجه من التفسير: مجاهد: أخرج ذلك آدم بن أبي إياس (٦١٢) بسند حسن من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح عنه بلفظ: «لا ينقصكم من أعمالكم شيئاً ولا يظلمكم»، وقتادة: أخرج ذلك ابن جرير (٣٩٣/٢١) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه به وزيادة.

(٢) دُردِي الزيت: ما يبقى في أسفله، وأصله ما يركد في أسفل كل مائع كالأشربة والأدهان. ينظر النهاية (١١٢/٢).

(٣) ورد بهذا المعنى حديث مرفوع: أخرجه الإمام أحمد (٢١٠/١٨)، والترمذي (٢٨٥/٤، ٢٨٧، ٢٨٣/٥)، ح: (٢٥٨١، ٢٥٨٤، ٣٣٢٢)، وابن جرير (٢٤٨/١٥)، وابن حبان (٥١٤/١٦)، والحاكم (٥٤٤/٢، ٦٤٦/٤) من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ فيقوله: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩] قال: «كعكر الزيت، فإذا قربه إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه». قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين»، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، والحديث ضعيف مداره على درَّاج عن أبي الهيثم، وروايته عن أبي الهيثم فيها ضعف، ينظر: تهذيب الكمال (٤٧٧/٨ - ٤٧٩)، والتقريب (١٤١)، والحديث ضعفه محققو المسند، ومحقق صحيح ابن حبان، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب برقم (٢١٥٤). والصواب وقفه على ابن عباس رضي الله عنهما، فقد علَّقه البخاري بصيغة الجزم في الصحيح (١٣١/٦) عنه بنحوه، ووصله ابن جرير (٢٤٩/١٥)، وابن أبي حاتم كما في تغليق التعليق (٢١٠/٤) بسند ضعيف من طريق عطية العوفي قال: سُئل ابن عباس ما المهل؟ قال: «ماء غليظ كدُرْدِيِّ الزيت»، وأخرجه ابن جرير (٢٤٩/١٥) بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عنه في الآية بلفظ: «يقول: أسود كهيئة الزيت»، وبهذا اللفظ قال مجاهد في الآية، أخرج ذلك آدم بن أبي إياس (٤٤٧) بسند حسن من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عنه، وابن جرير (٢٤٩/١٥) بسند صحيح من طريق عيسى بن ميمون، عن ابن أبي نجيح، عنه.

(٤) قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أخرج ذلك عبد الرزاق (٤١٦/٣)، وابن جرير (٣٠٢/٢٤، ٣٠٤)، والحاكم في المستدرك (٥٦٥/٢) كلهم من طريق خصيف، عن عكرمة، عنه به، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (٦٩٩/٨)، وقال به مجاهد: أخرج ذلك آدم بن أبي إياس (٧٢٠) بسند حسن من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عنه، وابن جرير (٣٠٣/٢٤) بسند صحيح من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح عنه، كلاهما بتفسير «الرجع» فقط، وعلَّقه البخاري في الصحيح (١٨٦/٦) بصيغة الجزم عنه بنحوه، وروي عن الضحاك: أخرج ذلك ابن جرير (٣٠٤/٢٤، ٣٠٦) بسند ضعيف من طريق أبي معاذ، ثني عبيد، عنه بنحوه، وروي عن عطية العوفي: أخرج ذلك عبد بن حميد كما في الدر (٣٥٣/١٥) عنه بنحوه، وقال به قتادة: أخرج ذلك عبد الرزاق (٤١٦/٣)، وابن جرير (٣٠٣/٢٤، ٣٠٥) كلاهما بسند صحيح من طريق معمر، عنه بنحوه، وروي عن سعيد بن جبير، وعكرمة، وأبي مالك، وابن أبزى، والربيع بن أنس: أخرج ذلك عبد بن حميد كما في الدر (٣٥٣/١٥) عنهم بمثله.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥] يكفتون(١) فيها، الأحياء: الشَّعر والدم، وتدفنون فيها موتاكم(٢). قال المَرُّوْذِيُّ وسمعته يقول: يُدفن فيها ثلاثة أشياء الأظافر والشَّعر والدم(٣).

قال: ﴿وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات: ٢٦] تُدْفَنُ فيها الأموات(٤).

﴿مَّآءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧] عذباً(٥).

﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]، قال: مثل الشَّرار الذي يطير عند السِّراج،

---

(١) يكفتون: كَفَتَ الشيء يَكْفِتُه كَفْتاً، وكَفَّتَه: ضمَّه وقبضه، والكِفاتُ: الموضع الذي يضم فيه الشيء ويقبض. ينظر: الصحاح (٢٦٣/١)، واللسان (٧٩/٢).

(٢) روي هذا الوجه من التفسير عن مجاهد: أخرج ذلك ابن جرير (٥٩٧/٢٣) بسند ضعيف من طريق ابن حميد، ثنا مهران، عن عثمان بن الأسود، عنه بلفظ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ قال: «تكفت أذاهم ﴿أَحْيَآءً﴾ تواريه، ﴿وَأَمْوَٰتًا﴾ يدفنون: تكفتهم». وأخرجه من نفس الطريق بلفظ: قال في الآية: «تكفت أذاهم وما يخرج منهم، ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ قال: تكفتهم في الأحياء والأموات»، وهذا التفسير للإمام أحمد عزاه السفاريني بلفظه في كشف اللثام شرح عمدة الأحكام (٣٦٧/١) للإمام أحمد.

(٣) أخرج ذلك الخلال عنه من طريق ابنه عبد الله في الوقوف والترجل (١٤٠) قال في باب دفن الشعر والأظافر والدم: «فأخبرنا عبد الله بن أحمد قال: سمعت أبي يقول: أرى أن يدفن. كان ابن عمر يدفن شعره إذا حلقه». وهو عنده محمول على الاستحباب، فقد روى حرب الكرماني عنه في مسائله (٢٢٦) قال في باب دفن الشعر والأظفار: «سمعت أحمد يقول: يدفن الشعر والأظفار، وإن لم يفعل لم ير عليه شيئاً». وقد ورد في هذه المسألة أحاديث مرفوعة إلى النبي ﷺ لم يصح منها شيء، فقد أخرج البيهقي في الكبرى (٣٥/١) عن ابن عمر رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: «ادفنوا الأظفار والشعر والدم فإنها ميتة»، وقال البيهقي تعقيباً: «هذا إسناد ضعيف. قد روي في دفن الظفر والشعر أحاديث أسانيدها ضعاف»، وينظر: العلل لابن الجوزي (١٩٨/٢)، والتلخيص الحبير (٢٣٠/٢).

(٤) قال بهذا الوجه من التفسير مجاهد: أخرج ذلك آدم بن أبي إياس (٦٩١) بسند حسن من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عنه بنحوه، والشعبي: أخرج ذلك ابن جرير (٥٩٧/٢٣) بسند حسن من طريق وكيع، عن شريك، عن بيان، عنه بنحوه، وقتادة: أخرج ذلك عبد الرزاق (٣٧٩/٣)، وابن جرير (٥٩٨/٢٣) كلاهما بسند صحيح من طريق معمر عنه بنحوه، وأخرجه ابن جرير (٥٩٨/٢٣) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه بنحوه.

(٥) قال بهذا الوجه من التفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أخرج ذلك ابن جرير (٥٩٩/٢٣)، وابن أبي حاتم كما في الفتح (٦٨٦/٨) كلاهما بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة، عنه به، ومجاهد: أخرج ذلك آدم بن أبي إياس (٦٩٢) بسند حسن من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عنه به، وابن جرير (٥٩٩/٢٣) بسند صحيح من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح، عنه به، وقتادة: أخرج ذلك ابن جرير (٥٩٩/٢٣) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه به.

فيحترق[1].

﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ [التحريم: ١١]، قال: مضاجعته[2].

﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، قال: كان ابن عباس يقول: ترون السموات، ولا ترون العمد[3].

﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦]، قال: الشجر: ما كان إلى الطول قائم، والنجم: النبات الذي على وجه الأرض[4].

وقُرِىء عليه: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، قال: مشددةً، مخالَفةً على الجهمية[5].

---

(١) قال بمعناه قتادة: أخرج ذلك ابن جرير (٥٩٣/٢٤) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه.

(٢) روي هذا الوجه من التفسير: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أخرج ذلك الثعلبي في الكشف والبيان (١٩٨/١٠ - ١٩٩) بسند ضعيف من طريق إسحاق بن بشير، عن ابن سمعان، عن عطاء، عنه بقصة طويلة والشاهد فيها: «﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ يعني: من جماع فرعون». وفي تفسير الآية قول آخر منسوب لابن عباس أيضاً: أن المقصود بعمله: دينه، أخرجه الثعلبي (٣٥٢/٩) بسند ضعيف من طريق أبي صالح، عنه بمعناه. وهو قول جمهور المفسرين، حكى ذلك ابن عطية في المحرر الوجيز (٣٣٥/٥)، ولفظ الآية عام يشمل كلا التفسيرين، والله تعالى أعلم.

(٣) قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أخرج ذلك ابن جرير (٤٠٩/١٣) بسند صحيح من طريق الحسن ابن محمد الصباح، ثنا معاذ بن معاذ، عن عمران بن حدير، عن عكرمة عنه بنحوه، وأخرجه ابن أبي حاتم (٢٢١٦/٧) بسند حسن من طريق الحكم بن موسى، ثنا معاذ بن معاذ، بنحوه، وقال به مجاهد: أخرج ذلك آدم بن أبي إياس (٤٠٣)، وابن جرير (٤٠٩/١٣)، وابن أبي حاتم (٢٢١٦/٧) كلهم بسند حسن من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عنه، بنحوه.

(٤) قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أخرج ذلك ابن جرير (١٧٤/٢٢، ١٧٥) بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة، عنه بنحوه، وأبو رزين: أخرج ذلك ابن جرير (١٧٦/٢٢) بسند ضعيف من طريق ابن حميد، ثنا تميم بن عبد المؤمن، عن زبرقان، عنه مختصراً، وهو عند أبي الشيخ (١٧٣٤/٥) عنه بنحوه، وسعيد ابن جبير: أخرج ذلك أبو الشيخ (١٧٣٤/٥) بسند حسن من طريق يعقوب، عن جعفر، عنه بنحوه، وسفيان الثوري: أخرج ذلك ابن جرير (١٧٤/٢٢، ١٧٦) بسند ضعيف من طريق ابن حميد، ثنا مهران، عنه بنحوه، والسدي: أخرج ذلك ابن جرير (١٧٤/٢٢) بسند ضعيف من طريق رواد بن الجراح، عن شريك، عنه بنحوه، والكلبي: أخرج ذلك عبد الرزاق (٢٦٥/٣) بسند صحيح من طريق معمر، عنه بنحوه.

(٥) الجهمية: فرقة ضالة ظهرت في أواخر عهد التابعين بعد موت عمر بن عبدالعزيز سنة (١٠١هـ)، تنتسب إلى الجهم ابن صفوان المقتول سنة (١٢٨هـ)، واتبعوه فيما ابتدعه في الإسلام، ومن معتقداتهم: تعطيل الرب تعالى من أسمائه وصفاته، وإنكار رؤية الله تعالى، والقول بالجبر، وأن العباد لا فِعل لهم على الحقيقة، وغير ذلك. ينظر: مجموع الفتاوى (٢٩/٥ - ٣٠). وقوله: «مشددة» أي: بالتثنية، ولا يصح أن يكون معناه: بقدرتي كما يتأوَّلها الجهمية مع تثنية اليد؛ لأن القدرة صفة واحدة، ولا يُعَبَّر بالاثنين عن الواحد، ولو صح ذلك لقال إبليس: وأنا أيضاً خلقتني بقدرتك فلا فضل له عليَّ بذلك، فإبليس - مع كفره - كان أعرف بربه من الجهمية، فالمقصود من التثنية في الآية تأكيد يديه سبحانه، لا تأكيد خلق آدم. ينظر: نقض الإمام الداري على المريسي (٢٣٠/١ - ٢٣٤)، ومجموع الفتاوى (٣٦٥/٦).

﴿أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص: ٤٦]، قال: أُخْلصوا بذكر الآخرة(١).

﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]، قال: ضرب أعناقها(٢).

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: ٢٧]، قال: الثناء(٣)، قال: يتولى إبراهيم الملل كلها يتولَّونه.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، قال: جاءت ريح، فقطَّعت أطناب(٤)

---

(١) روي هذا الوجه من التفسير: عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن أبي حاتم، وابن المنذر، كما في الدر (٦٠٩/١٢ - ٦١٠) عنه بنحوه، ومجاهد: أخرج ذلك ابن جرير (١١٨/٢٠) بسند ضعيف من طريق يحيى بن يمان، عن ابن جريج، عنه به وزيادة، والضحاك: أخرج ذلك ابن المنذر كما في الدر (٦١٠/١٢)، وقال به السدي: أخرج ذلك ابن جرير (١١٨/٢٠) بسند حسن من طريق أسباط عنه بنحوه.

(٢) ورد بهذا المعنى حديث مرفوع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أخرجه الطبراني في الأوسط (١٠٨/٧)، والإسماعيلي في معجمه (٧٥٣/٣) من حديث أبيِّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ قال: «قطع سوقها وأعناقها»، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٩/٧): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سعيد بن بشير وثَّقه شعبة وغيره وضعَّفه ابن معين وغيره، وبقية رجاله ثقات»، وقال عنه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم: (٦٨٨٨): منكر. وروي هذا الوجه من التفسير عن: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن المنذر بسند ضعيف من طريق ابن جريج، كما في الدر (٥٦٨/١٢) عنه بنحوه، وقال به الحسن وقتادة والكلبي: أخرج ذلك عبد الرزاق (١١٦/٣) بسند صحيح من طريق معمر، عنهم بنحوه وزيادة، وأخرجه ابن جرير (٨٦/٢٠ - ٨٧) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة والحسن بنحوه، والسدي: أخرج ذلك ابن جرير (٨٦/٢٠) بسند حسن من طريق أسباط عنه بنحوه. وهذا الوجه من التفسير الذي ذكره الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ من الإسرائيليات، والصحيح ما ورد من وجه آخر في تفسير هذه الآية: أخرجه ابن جرير (٨٧/٧) بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الآية: «جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها: حبّاً لها»، وبه فسَّر البخاري الآية في صحيحه (١٦١/٤)، وهو اختيار ابن جرير حيث قال: «وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية؛ لأن نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن - إن شاء الله - ليعذب حيواناً بالعرقبة، ويهلك مالاً من ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها»، واختاره النحاس في الناسخ والمنسوخ (٦٠٩/٢)، والرازي (٣٩٠/٢٦ - ٣٩٢)، وهو قول ابن حزم في الفصل في الملل (١٦/٤).

(٣) قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (٣٨٧/١٨)، وابن أبي حاتم في التفسير (٣٠٥٢/٩) بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عنه بلفظ: «الذكر الحسن»، ومجاهد: أخرج ذلك ابن جرير (٣٨٦/١٨) بسند حسن من طريق ابن يمان، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح عنه به، وقتادة: أخرج ذلك ابن جرير (٣٨٧/١٨)، وابن أبي حاتم (٣٠٥٢/٩) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه بنحوه وزيادة.

(٤) أطناب: جمع طُنب، والطُّنْبُ حبل طويل يشدُّ به البيت والسرادق، وقيل: هو الوتد. ينظر: الصحاح (١٧٢/١).

الفساطيط[1] فرجعوا[2].

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾ [آل عمران: ٩٢]، قال: الجنة[3].

﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [البقرة: ٨٦]، قال: باعوها. قلت: يريد أبو عبد الله باعوا الآخرة، لا أنه فسَّر الاشتراء بالبيع، فإنهم لم يبيعوا الحياة الدنيا وإنما باعوا الآخرة واشتروا الدنيا[4].

﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران: ١١٧]: بَرَد[5].

﴿فَضَحِكَتْ﴾ [هود: ٧١]: حاضت[6].

---

(١) الفساطيط: جمع فسطاط، وهو: بيت من شعر. ينظر: الصحاح (١١٥٠/٣)، واللسان (٣٧١/٧).

(٢) قال بهذا الوجه من التفسير: سعيد بن جبير: أخرج ذلك ابن سعد في الطبقات الكبرى (٥٤/٢) بسند صحيح من طريق أبي الوليد الطيالسي، أنا أبو عوانة، عن أبي بشر عنه بنحوه مطولاً بشأن غزوة الأحزاب، وروي عن مجاهد: أخرج ذلك أبو الشيخ (١٣٤٢/٤) بسند ضعيف من طريق ابن جريج عنه بنحوه، وقال به قتادة: أخرج ذلك ابن جرير (٢٨/١٩) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه بنحوه مطولاً.

(٣) قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرج ذلك ابن أبي حاتم (٧٠٣/٣) بسند حسن من طريق عاصم عن زر عنه به، والسدي: أخرج ذلك ابن جرير (٥٧٣/٥) بسند حسن من طريق أسباط، عنه بنحوه، وعمرو ابن ميمون: أخرج ذلك ابن جرير (٥٧٣/٥) بسند حسن من طريق وكيع، عن شريك، عن أبي إسحاق، عنه به.

(٤) قاله ابن القيِّم في البدائع (١٠٢٠/٣)، والأمر كما قال، فقد أراد الإمام أحمد أنهم: ابتاعوا الحياة الدنيا بالآخرة.

(٥) قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (٧٠٦/٥) بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عنه به، وسعيد بن جبير: أخرج ذلك ابن المنذر (٣٤٣/١) بسند حسن من طريق شريك، عن سالم، عنه به، وروي عن الضحاك: أخرج ذلك ابن جرير (٧٠٧/٥) بسند ضعيف من طريق جويبر، عنه بنحوه، وقال به قتادة: أخرج ذلك ابن جرير (٧٠٦/٥) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه بنحوه، والسدي: أخرج ذلك ابن جرير (٧٠٦/٥) بسند حسن من طريق أسباط، عنه بنحوه، والربيع بن أنس: أخرج ذلك ابن جرير (٧٠٦/٥) بسند جيد من طريق ابن أبي جعفر، عن أبيه، عنه بنحوه، وابن زيد: أخرج ذلك ابن جرير (٧٠٦/٥) بسند صحيح من طريق ابن وهب، عنه بنحوه.

(٦) رُوي هذا الوجه من التفسير: عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك أبو الشيخ كما في الدر (١٠٠/٨) عنه به، وعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن أبي حاتم (٢٠٥٥/٦) بسند ضعيف من طريق عبد الصمد بن علي الهاشمي، عن أبيه، عنه به، ومجاهد: أخرج ذلك ابن جرير (٤٧٦/١٢) بسند ضعيف من طريق عمرو، عن ليث، عنه به وزيادة، وعكرمة: أخرج ذلك عبد الرزاق (١٨٩/٢) بسند ضعيف من طريق إبراهيم بن الحكم ثني أبي عنه به، وهذا القول مخالف لقول الجمهور في الآية، فالجمهور على أنه الضحك المعروف، بل أنكر الفراء في =

﴿بِبَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: ٢٠]، قال: بعشرين درهماً(١).

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الصافات: ٤٨]، قال: قَصَرْن طَرْفَهن على أزواجهن فلا يُرِدن غيرهم(٢).

﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: ٢٢]، قال: كثيرٌ بياضُ أعينهن، شديدٌ سوادُ الحَدَقِ(٣).

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: ١٠]، قال: العجم(٤).

= معانيه (٢٢/٢) أن يكون الضحك بمعنى الحيض، وقال: «لم نسمعه من ثقة»، وقال ابن دريد في جمهرة اللغة (٥٤٦/١): «ليس في كلامهم ضحكَتْ في معنى حاضت إلا في هذا»، وأنكره كذلك أبو عبيدة كما نقل ذلك عنه الرازي (٣٧٤/١٨)، ونقل تعقب أبي بكر بن الأنباري لهما بقوله: «هذه اللغة إن لم يعرفها هؤلاء فقد عرفها غيرهم، حكى الليث في هذه الآية: فضحكت طمثت»، والذي يظهر أنهم أنكروا هذا القول لعدم اشتهاره في اللغة، لذا فالأولى - والعلم عند الله - في تفسير الآية قول الجمهور أنه: الضحك المعروف؛ تعجباً من أن يكون لها ولد وقد آيست، وذلك لثبوته عن السلف، بخلاف القول بأنه الحيض، فأسانيد رواياته ضعيفة، وأيضاً فإن من قواعد الترجيح عند المفسرين حمل كلام الله تعالى على المشهور من لغة العرب دون الخفي منها، كما قرر ذلك الطبري في الكثير من المواضع، ينظر مثلاً: (٤٨٠/٤، ٢٧/٧، ٤٧٠/٧) وغيرها.

(١) روي هذا الوجه من التفسير: عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرجه ابن جرير (٥٦/١٣)، والطبراني في الكبير (٢٢٠/٩)، والحاكم (٦٢٥/٢) كلهم بسند ضعيف من طريق أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عنه بنحوه، وهو عند الطبراني والحاكم بزيادات في آخره، قال الهيثمي في المجمع (٣٩/٧): «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه».

وروي عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير في (٥٧/١٣) بسند ضعيف من طريق ابن جريج، عنه به، وابن أبي حاتم (٢١١٦/٧) بسند ضعيف من طريق مسلم، عن مجاهد، عنه به، وقال به نوف البكالي: أخرج ذلك ابن جرير في (٥٦/١٣) بسند صحيح من طريق ابن بشار، ثنا عبد الرحمن، ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عنه به، وقتادة: أخرج ذلك ابن جرير في (٥٧/١٣) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة، ومعمر، عنه بنحوه، والسدي: أخرج ذلك ابن جرير في (٥٧/١٣) بسند حسن من طريق أسباط، عنه بنحوه، وتقديره بعشرين درهماً من الروايات الإسرائيلية المسكوت عنها.

(٢) قال بهذا الوجه من التفسير: مجاهد: أخرج ذلك آدم بن أبي إياس (٥٦٨) بسند حسن من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عنه بنحوه، وابن جرير (٥٣٧/١٩) بسند صحيح من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح عنه بنحوه، وروي عن محمد بن كعب القرظي: أخرج ذلك ابن أبي حاتم كما في الدر (٤٠٣/١٢) عنه به، وقال به السدي: أخرج ذلك ابن جرير (٥٣٨/١٩) بسند حسن من طريق أسباط عنه بنحوه.

(٣) روي هذا الوجه من التفسير: عن الحسن: أخرج ذلك ابن جرير (٣٠٢/٢٢ - ٣٠٣) بسند ضعيف من طريق أبي هشام الرفاعي، ثنا ابن يمان، عن ابن عيينة، عن عمرو، عنه بنحوه.

(٤) لم أجد من قال «بتخصيص هذه الآية بالعجم» أحداً من المفسرين ولا اللغويين فيما بين يدي من المصادر، لكن بردِّ هذه الآية من سورة الحشر على نظيرتها في سورة الجمعة في قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣]،

﴿يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٤٦]، قال: الكفر(١).

﴿شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٥]: الإبل(٢).

(الأحْقَافِ): الرمل(٣).

﴿سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦]، قال: السَّيل هو السَّيل، والعَرِم هو: مُسَنَّاةُ(٤) البحر.

نجد أن آية الجمعة قد جاء عن بعض السلف تخصيصها بالعجم، باعتبار أنها وردت في مقابلة «الأميين» الذين هم العرب، فقد أخرج ابن جرير في جامع البيان (٦٢٦/٢٢، ٦٢٩) من طرق عن ليث، عن مجاهد، قال في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٢] قال: العرب، ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ قال: العجم. ويشهد له حديث أبي هريرة المتفق عليه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ، إذ نزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣] قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعه النبي ﷺ، حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثاً، قال: وفينا سلمان الفارسي، قال: فوضع النبي ﷺ يده على سلمان، ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا، لناله رجال من هؤلاء» البخاري (١٥١/٦)، ح: (٤٨٩٧)، ك: التفسير، ب: قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾، ومسلم (١٩٧٢/٤)، ح: (٢٥٤٦)، ك: الفضائل، ب: فضل الفرس.

(١) روي هذا الوجه من التفسير: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أخرج ذلك ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في الدر (٢١٠/١٤) عنه بلفظ: «الشرك»، وزيادة في أوله، وقال به قتادة: أخرج ذلك ابن جرير (٣٤٠/٢٢) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه، بلفظ: «وهو الشرك»، وابن زيد: أخرج ذلك ابن جرير (٣٣٩/٢٢) بسند صحيح من طريق ابن وهب قال: قال ابن زيد بمعناه.

(٢) والْهِيمُ، جمع أَهْيَمَ، والأنثى هَيْمَاءُ؛ وَالْهِيمُ: الإِبِلُ التي يصيبها داء فلا تروى من الماء. ينظر: اللسان (٦٢٧/١٢).
قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أخرج ذلك ابن جرير (٣٤٣/٢٢) بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عنه في الآية: «شرب الإبل العطاش»، وروي عن سعيد بن جبير: أخرج ذلك عبد بن حميد كما في الدر (٢١٣/١٤) عنه به، وقال به مجاهد: أخرج ذلك ابن جرير (٣٤٤/٢٢) بسند صحيح من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح، عنه بنحوه، وروي عن عكرمة: أخرج ذلك ابن جرير (٣٤٣/٢٢) من طرق بأسانيد فيها ضعف عنه بنحوه، وروي عن الضحاك: أخرج ذلك ابن جرير (٣٤٤/٢٢) بسند ضعيف من طريق أبي معاذ، ثنا عبيد، عنه بنحوه وزيادة، والحسن: أخرج ذلك عبد بن حميد كما في الدر (٢١٣/١٤) عنه بنحوه، وقال به قتادة: أخرج ذلك ابن جرير (٣٤٤/٢٢) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة، عنه بنحوه.

(٣) قال بهذا الوجه من التفسير: ابن زيد: أخرج ذلك ابن جرير (١٥٣/٢١) بسند صحيح من طريق ابن وهب، قال: ابن زيد به مع زيادة في آخره.

(٤) المُسَنَّاة: ضفيرة تبنى للسيل لترد الماء، سميت مُسَنَّاة لأن فيها مفاتح للماء بقدر ما يُحتاج إليه مما لا يغلب. ينظر: تهذيب اللغة (٥٤/١٣)، واللسان (٤٠٦/١٤).

قال المَرُّوْذِيُّ: حدثنا(١) محمد بن جعفر(٢): حدثنا شريك(٣)، عن أبي إسحاق(٤)، عن أبي ميسرة(٥) في قوله: ﴿سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ قال: «المُسَنَّاةُ بلَحَن(٦) اليمن(٧)».

وقال: أيُّ شيء تفسير: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]؟ قلت: لكفور؟(٨) قال: نعم.

---

(١) القائل حدثنا: هو الإمام أحمد، والمَرُّوْذِيُّ يحدث عنه.

(٢) هو: محمد بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري مولاهم المدني، أخو إسماعيل، وهو الأكبر، ثقة، من السابعة. ينظر: تهذيب الكمال (٢٤/٥٨٣ - ٥٨٥)، والتقريب (٤٠٧).

(٣) هو: أبو عبد الله المدني، شريك بن عبد الله بن أبي نمر، صدوق يخطىء، من الخامسة، مات سنة (١٤٠هـ). ينظر: تهذيب الكمال (١٢/٤٧٥ - ٤٧٧)، والتقريب (٢٠٧ - ٢٠٨).

(٤) هو: أبو إسحاق السبيعي، عمرو بن عبد الله بن عبيد، ويقال: علي، ويقال: ابن أبي شعيرة الهمداني، ثقة، مكثر، عابد، من الثالثة، اختلط بآخره، مات سنة (١٢٩هـ)، وقيل قبل ذلك. ينظر: تهذيب الكمال (٢٢/١٠٢ - ١١٣)، والتقريب (٣٦٠).

(٥) هو: أبو ميسرة، عمرو بن شرحبيل الهمداني، الكوفي، ثقة، عابد، مخضرم، مات سنة (٦٣هـ). ينظر: تهذيب الكمال (٢٢/٦٠ - ٦٢)، والتقريب (٣٦٠).

(٦) اللَّحَنُ: بالتحريك: اللغة. ينظر: تهذيب اللغة (٥/٤٠)، واللسان (١٣/٣٨٠).

(٧) وهذا أثر ضعيف الإسناد لاختلاط أبي إسحاق، ولم يصرح هو ولا شريك هنا بالسماع، وقد علَّقه البخاري بصيغة الجزم في الصحيح (٦/١٤١) عن عمرو بن شرحبيل به، ووصله سعيد بن منصور من طريق شريك به كما في تغليق التعليق (٤/٢٨٨).

(٨) قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك الحاكم (٢/٥٨١) من طريق إسرائيل، في عبد الكريم الجزري، عن مجاهد عنه به وزيادة في أوله، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم، ومجاهد: أخرج ذلك ابن جرير (٢٤/٥٨٤) بسند صحيح من طريق وكيع، عن سفيان، عن منصور عنه به، وروي عن عكرمة: أخرج ذلك عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم كما في الدر (١٥/٦٠٢ - ٦٠٣) عنه به وزيادة في أوله، وقال به الحسن: أخرج ذلك عبد الرزاق (٣/٤٥٢) وابن جرير (٢٤/٥٨٦) كلاهما بسند صحيح من طريق معمر عنه به، وروي عن عطية العوفي: أخرج ذلك عبد بن حميد كما في الدر (١٥/٦٠٣) عنه به وزيادة في أوله، وقال به قتادة: أخرج ذلك ابن جرير (٢٤/٥٨٦)، والبيهقي في الشعب (٦/٣٤٧) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه به، ومحمد بن كعب القرظي: أخرج ذلك أبو داود في الزهد (٣٧٣) بسند حسن من طريق يحيى بن خلف، نا أبو عاصم، عن محمد بن رفاعة قال: سمعته به، وسماك: أخرج ذلك ابن جرير (٢٤/٥٨٦) بسند صحيح من طريق خالد بن الحارث، ثنا شعبة، عنه بنحوه، والربيع بن أنس: أخرج ذلك ابن جرير (٢٤/٥٨٥) بسند حسن من طريق أبي جعفر عنه به، وابن زيد: أخرج ذلك ابن جرير (٢٤/٥٨٦) بسند صحيح من طريق ابن وهب، قال: قال به.
وهذه من زيادات المَرُّوْذِيّ في التفسير على تفسير الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: ٩٦]، قال: الجبلين(١).

﴿عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ [سبأ: ١٢]: النحاس المذاب(٢).

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]: لا تأخذه نَعْسَةٌ(٣).

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ [سبأ: ١٤]، قال: مكث على عصاه سنة، فلما نُخِرتِ العصا وَقَعَ(٤).

---

(١) قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (٤٠٦/١٥) بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عنه به، وإبراهيم النخعي: أخرج ذلك ابن جرير (٤٠٧/١٥) من طريق القاسم، ثنا هشيم، عن مغيرة، عنه بنحوه، ومجاهد: أخرج ذلك آدم بن أبي إياس (٤٥١) بسند حسن من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عنه به، وابن جرير (٤٠٧/١٥) بسند صحيح من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح عنه بنحوه، وروي عن الضحاك: أخرج ذلك ابن جرير (٤٠٧/١٥) بسند ضعيف من طريق أبي معاذ، ثنا عبيد، سمعته بنحوه، وقال به قتادة: أخرج ذلك ابن جرير (٤٠٧/١٥) بسند صحيح طريق سعيد بن أبي عروبة عنه به.

(٢) قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (٢٢٩/١٩) بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عنه بنحوه، وقتادة: أخرج ذلك عبد الرزاق (٥٩/٣) بسند صحيح من طريق معمر عنه بنحوه، وابن جرير (٢٢٨/١٩) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة، عنه بنحوه، وروي عن السدي: أخرج ذلك ابن أبي حاتم كما في الدر (١٧١/١٢) عنه بنحوه، وقال به ابن زيد: أخرج ذلك ابن جرير (٢٢٩/١٩) بسند صحيح من طريق ابن وهب قال: قال: بنحوه وزيادة في آخره.

(٣) قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (٥٣١/٤)، وابن أبي حاتم (٤٨٧/٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٣٢/١) كلهم بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عنه به وزيادة، وروي عن الضحاك: أخرج ذلك ابن جرير (٥٣١/٤ - ٥٣٢) بسند ضعيف من طريق جويبر عنه بنحوه، وقال به قتادة والحسن: أخرج ذلك ابن جرير (٥٣١/٤) بسند صحيح من طريق معمر عنهما به، والسدي: أخرج ذلك ابن جرير (٥٣٢/٤/٥) بسند حسن من طريق أسباط، عنه بنحوه، ويحي بن رافع: أخرج ذلك ابن جرير (٥٣٢/٤) بسند صحيح من طريق منجاب، ثنا علي بن مسهر، عن إسماعيل، عنه به.

(٤) ورد بهذا المعنى حديث مرفوع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أخرجه البزار (٢٧٠/١١)، وابن جرير (٢٤/١٩)، والطبراني في الكبير (٤٥١/١١)، والحاكم (٤٤٦/٤)، وأبو نعيم في الحلية (٣٠٤/٤)، والذهبي في السير (٣٣٨/٤ - ٣٣٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعاً إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «كان نبي الله سليمان إذا قام في مصلاه، رأى شجرة نابتة بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخرنوب، قال: لأي شيء أنت؟ فقالت: لخراب هذا البيت، فقال: اللَّهُمَّ عَمِّ عليهم موتي حتى يعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب. قال: فنحتَها عصاً يتوكأ عليها، فأكلتها الأرضة، فسقطت، فخرَّ، فحزروا أكلها الأرضة، فوجدوه حولا، فتبينت الإنس أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين - وكان ابن عباس يقرؤها هكذا - فشكرت الجن الأرضة، فكانت تأتيها بالماء حيث كانت»، =

﴿ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ [سبأ: ١٦]، قال: الأراك(١).

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩]: ما لم يكن فيه سَرَفٌ أو تقتير(٢).

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ [سبأ: ٥٢]، قال: التناول بالأيدي(٣).

= قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في التلخيص، وفي السير قال الذهبي: إسناده حسن، فيما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٨/٨): «رواه الطبراني والبزار بنحوه مرفوعاً وموقوفاً، وفيه عطاء وقد اختلط، وبقية رجالهما رجال الصحيح»، وقال ابن كثير في تفسيره (٥٠٢/٦): «حديث مرفوع غريب، وفي صحته نظر»، والأمر كما ذكر، فعلَّته عطاء بن السائب وقد اختلط في آخره، والراوي عنه لهذا الحديث إبراهيم بن طهمان لم يذكر في جملة الذين سمعوا منه قبل الاختلاط، لكن الرواية وردت موقوفة على ابن عباس أخرجها البزار (٢٧٠/١١) من طريق سفيان بن عيينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ولم يسنده، ثم قال البزار: «وهذا الحديث قد رواه جماعة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس موقوفاً، ولا نعلم أسنده إلا إبراهيم ابن طهمان»، وإسناد هذا الموقوف صحيح، فسفيان بن عيينة ممن سمع من عطاء قبل الاختلاط وبعده، لكنه اتقاه في الاختلاط واعتزله. قال الحميدي: يروي عن سفيان بن عيينة قال: كنت سمعت من عطاء بن السائب قديماً، ثم قدم علينا قدمة، فسمعته يحدث ببعض ما كنت سمعته، فخلط فيه، فاتقيته واعتزلته. ينظر: السير (١١٣/٦).

(١) قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (٢٥٥/١٩) بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عنه به، ومجاهد: أخرج ذلك ابن جرير (٢٥٥/١٩، ٢٥٦) بسند صحيح من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح عنه به، وروي عن الضحاك: أخرج ذلك ابن جرير (٢٥٦/١٩) بسند ضعيف من طريق أبي معاذ، ثنا عبيد قال: سمعته به وزيادة في أوله، وقال به الحسن: أخرج ذلك ابن جرير (٢٥٥/١٩) بسند صحيح من طريق ابن علية، عن أبي رجاء، سمعته يقول في الآية به، وقتادة: أخرج ذلك عبد الرزاق (٦١/٣) بسند صحيح من طريق معمر عنه به وزيادة في آخره، وابن جرير (٢٥٥/١٩) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه به وزيادة في آخره، وروي عن السدي: أخرج ذلك ابن أبي حاتم كما في الدر (١٩٦/١٢) عنه بنحوه، وقال به ابن زيد: أخرج ذلك ابن جرير (٢٥٦/١٩) بسند صحيح من طريق ابن وهب قال: قال في الآية بنحوه وزيادة.

(٢) قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك البخاري في الأدب المفرد (١٥٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٩١/٨)، عنه بنحوه، وصحح إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم (٣٤٤)، وسعيد بن جبير: أخرج ذلك ابن أبي شيبة (٣٣١/٥)، وابن جرير (٢٩٩/١٩) كلاهما من طريق المنهال بن عمرو عنه بنحوه، وقد حسَّن إسناده د. حكمت بشير في التفسير الصحيح (١٦١/٤).

(٣) هذا الوجه من التفسير على قراءة «التناوش» بغير همز، وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية حفص. ينظر: السبعة في القراءات (٥٣٠)، ليكون معناها كما ذكر مكي في مشكل إعراب القرآن (٥٩٠/٢): «هو من ناش ينوش إذا تناول، فمعناه: من أين لهم تناول التوبة بعد الموت، وقيل: بعد البعث»، وفسَّر التناوش بالتناول: سعيد بن أبي عروبة: أخرج ذلك ابن جرير (٣١٧/١٩) بسند صحيح من طريق يزيد، عنه، وابن زيد: أخرج ذلك ابن جرير (٣١٨/١٩) بسند صحيح من طريق ابن وهب، قال في الآية بنحوه وزيادة.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]، قال: القرآن(١).

﴿ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ [الذاريات: ٥٩]، قال: سَجْلٌ(٢) من العذاب(٣).

﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ [الرحمن: ١١]، قال: الطلع(٤).

قُرِئ عليه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

---

(١) قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرج ذلك عبد الرزاق في المصنف (٣٦٢/٣)، وسعيد ابن منصور (٣٣٥/٢)، ونعيم بن حماد في الفتن (٦٠٣/٢)، وابن أبي شيبة (١٤٥/٦)، والبخاري في خلق أفعال العباد (٨٦)، وابن جرير (٧٤/١٥)، والطبراني في الكبير (١٤١/٩)، وابن بطة في الإبانة (٣٦٦/٥)، والحاكم (٥٤٩/٤)، والبيهقي (٣٩٩/٣) كلهم من طريق عبد العزيز بن رفيع، قال: ثنا شداد بن معقل - ورد عند ابن جرير عن بندار وهو تصحيف صوابه شداد بن معقل، نبه على هذا التصحيف د. حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢٨٤/٣)، ود. سعد آل حميد في تحقيقه لتفسير سعيد بن منصور - قال: قال عبد الله: «إن هذا القرآن الذي بين ظهريكم يوشك أن ينزع منكم»، قلت: يا عبد الله بن مسعود كيف ينزع منا وقد أثبته الله في قلوبنا، وأثبتناه في مصاحفنا؟ قال: «يسري في ليلة، فينتزع ما في القلوب، ويذهب بما في المصاحف» ثم تلا: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، صححه الذهبي في التلخيص، وصحح إسناده عند الطبراني الحافظ ابن حجر في الفتح (١٦/١٣)، وقال الهيثمي في المجمع (٥١/٧ - ٥٢): «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير شداد بن معقل وهو ثقة»، وله شاهد مرفوع من حديث حذيفة بن اليمان أخرجه ابن ماجة في السنن (١٣٤٤/٢)، ح: (٤٠٤٩)، والحاكم في (٥٨٧/٤) بلفظ: «... ويسرى على كتاب الله عَزَّوَجَلَّ في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية...»، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وقوى إسناده الحافظ في الفتح (١٦/١٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة برقم: (٣٢٧٣).

(٢) السَّجْلُ: الدلو الضخمة المملوءة ماء، والجمع سِجَالٌ وسُجُول، ولا يقال لها فارغة سَجْلٌ ولا ذَنُوب، ولكن دَلْو. ينظر: تهذيب اللغة (٣٠٩/١٠)، واللسان (٣٢٥/١١).

(٣) قال بهذا الوجه من التفسير: سعيد بن جبير: أخرج ذلك ابن جرير (٥٥٨/٢١) بسند صحيح من طريق محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن أبي بشر عنه به، ومجاهد: أخرج ذلك ابن جرير (٥٥٨/٢١) بسند صحيح من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح عنه بلفظ: «سَجْلاً»، وقتادة: أخرج ذلك ابن جرير (٥٥٨/٢١) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه به، وابن زيد: أخرج ذلك ابن جرير (٥٥٩/٢١) بسند صحيح من طريق ابن وهب عنه به وزيادة في آخره. وثبت عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تفسيره السجل: بالدلو - وقد تقدم أن السجل هي الدلو الممتلئة - أخرج ذلك ابن جرير (٥٥٨/٢١) بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عنه.

(٤) روي هذا الوجه من التفسير: عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: علَّقه عنه ابن أبي حاتم في التفسير (٣٣٢٢/١٠)، وقال به ابن زيد: أخرج ذلك ابن جرير (١٨٢/٢٢) بسند صحيح من طريق ابن وهب عنه قيل له في الآية: هو الطلع؟ قال: نعم.

قال: الذي قال سفيان[1]: إذا اختلفتم في شيء فانظروا ما عليه أهل الثَّغر، يتأوَّل الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩][2].

﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ﴾ [يوسف: ٩٨]: أخَّر دعاءه إلى السَّحَر[3].

﴿ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ﴾ [التكوير: ٤]: لم تُحلب ولم تُصَرَّ[4].

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢]، قال: ما كسب: ولدُهُ[5].

---

(١) هو: أبو محمد، سفيان بن عيينة ابن أبي عمران ميمون الهلالي الكوفي ثم المكي، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أنه تغير حفظه بآخره، وكان ربما دلّس لكن عن الثقات، من رؤوس الطبقة الثامنة، وكان أثبت الناس في عمرو بن دينار، مات في رجب سنة (١٩٨هـ). ينظر: تهذيب الكمال (١٧٧/١١ - ١٩٦)، والتقريب (١٨٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٣٠٨٤/٩) عنه، ولكن مع وجود سقط، والأثر نسبه ابن عطية في المحرر الوجيز (٣٢٦/٤) عنه أنه قال لابن المبارك: «إذا رأيت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأهل الثغور فإن الله يقول» الآية، ونسبه البغوي له في معالم التنزيل (٢٥٦/٦).

(٣) روي هذا الوجه من التفسير: عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرج ذلك سعيد بن منصور (٤١٠/٥)، وابن جرير (٣٤٧/١٣)، وابن أبي حاتم (٢٢٠٠/٧)، والطبراني في الكبير (١٠٤/٩)، كلهم من طريق عبد الرحمن بن إسحاق، عن محارب بن دثار، عن عمه عنه به وزيادة في أوله، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٥/١٠): «رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف»، وابن جريج: أخرج ذلك ابن جرير (٣٤٨/١٣) بسند ضعيف من طريق الحسين، ثني حجاج، عنه بنحوه، وقال به إبراهيم التيمي: أخرج ذلك ابن جرير (٣٤٧/١٣) بسند حسن من طريق أبي سفيان الحميري، عن العوام عنه بنحوه.

(٤) صرَّ: يقال صرَّ الناقة يَصِرُّها صَرّاً وصرَّ بِهَا: شدَّ ضرعها. ينظر: اللسان (٤٥١/٤)، وتاج العروس (٣٠٣/١٢).
وقال بهذا الوجه من التفسير: الربيع بن الخيثم: أخرج ذلك ابن جرير (١٣٤/٢٤)، والدولابي في الكنى والأسماء (١٢٠٣/٣) كلاهما بسند صحيح من طريق سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى منذر الثوري، عنه بنحوه، وروي عن قتادة: أخرج ذلك عبد بن حميد، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٢٦١/١٥) عنه به مطولاً.

(٥) رُوي هذا الوجه من التفسير: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أخرج ذلك ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٧٣٤/١٥ - ٧٣٥)، وعلقه عبد الرزاق في المصنف (١٣٠/٩) عنها، وقال به عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك عبد الرزاق (٤٧٣/٣)، وفي المصنف (١٣١/٩)، وابن جرير (٧١٧/٢٤)، والحاكم (٥٨٨/٢) كلهم من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن خثيم، عن أبي الطفيل عنه، وقال الذهبي في التلخيص: «على شرط البخاري»، ومجاهد: أخرج ذلك آدم بن أبي إياس (٧٥٩) بسند حسن من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عنه بنحوه، وابن جرير (٧١٧/٢٤) بسند صحيح من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح، عنه بنحوه، وعطاء: أخرج ذلك عنه عبد الرزاق في المصنف (١٣٠/٩) بسند صحيح من طريق ابن جريج، عنه بنحوه.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]، قال: نعيم الدنيا(١).

﴿نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ [السجدة: ٢٧]، قال: هي أَبْيَنُ(٢)، لا يأتيها المطر إنما يساق إليها الماء(٣)، وقد مررت بها بليل.

قلت: وكان شيخنا أبو العباس أحمد بن تيمية(٤) يقول: هي أرض مصر، وهي أرض إِبْلِيز(٥) لا ينفعها المطر، فلو أُمطرت مطر العادة لم ينفعها ولم يروها، ولو دام عليها المطر لهدم البيوت وقطع المعايش، فأمطر اللهُ تعالى بلادَ الحبشة والنُّوبة، ثم ساق الماء إليها(٦).

وعندي: أن الآية عامة في الماء الذي يسوقه الله على متون الرياح في السحاب، وفي الماء الذي يسوقه على وجه الأرض.

---

(١) قال بهذا الوجه من التفسير: مجاهد: أخرج ذلك ابن جرير (٦١٠/٢٤) بسند صحيح من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح، عنه بلفظ: «عن كل شيء من لذة الدنيا»، وهو في الورع للإمام أحمد برواية المَرُّوذيِّ (١٩٩) منسوباً لمجاهد من طريق ابن أبي نجيح. وقد ورد في تفسير الآية أحاديث مرفوعة في الصحاح والسنن. ينظر: التفسير الصحيح (٦٦٦/٤ - ٦٦٧)، قد فسَّرت النعيم ببعضه، وهو محمول على التمثيل، فلفظ الآية عام يتناول كل نعيم الدنيا كما فسَّره مجاهد. وهذا اختيار ابن جرير (٦١٠/٢٤)، وقال الشوكاني (٥٩٨/٥): «ولا وجه لتخصيص النعيم بفرد من الأفراد، أو نوع من الأنواع؛ لأن تعريفه للجنس أو الاستغراق».

(٢) أَبْيَنَ: يفتح أوله ويكسر، وذكره سيبويه في الأمثلة بكسر الهمزة، ولايعرف أهل اليمن غير الفتح، وهو مخلاف باليمن، منه عدن. ينظر: معجم ما استعجم (١٠٣/١)، ومعجم البلدان (٨٦/١).

(٣) نصَّ على أنها «أَبْيَنَ» مجاهد: أخرج ذلك عبد الرزاق (٢٨/٣)، وابن جرير (٦٤٢/١٨) كلاهما بسند صحيح من طريق معمر، عن ابن أبي نجيح عنه، وروي هذا التفسير عن: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دون النصِّ على أنها أبين: أخرج ذلك آدم بن أبي إياس (٥٤٥)، والفريابي كما في تغليق التعليق (٢٨٠/٤)، وابن جرير (٦٤٢/١٨) كلهم بسند ضعيف من طريق ابن أبي نجيح عمَّن حدَّثه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الآية: «الأرض التي لا تمطر إلا مطراً لا يغني عنها شيئاً إلا ما يأتيها من السيول». وقال الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق (٢٨٠/٤ - ٢٨١): «وأنكر ذلك إبراهيم الحربي، وقال: أبْين مدينة باليمن إن كان مجاهد قال هذا في وقت كانت أبين لا نبت فيها فجائز. قلت: وقد روي عن ابن عباس نحو قول مجاهد، قال سعيد بن عبد الرحمن المخزومي: ثنا سفيان بن عيينة في تفسيره عن عمرو ابن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس في قوله: ﴿نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ قال: هي أرض باليمن».

(٤) هو: أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي، شيخ الإسلام، صاحب التصانيف التي هي أشهر من أن تذكر، امتحن وأُوذي مراراً، مات سنة (٧٢٨هـ). ينظر: معجم الشيوخ الكبير (٥٦/١ - ٥٧)، والدرر الكامنة (١٦٨/١ - ١٨٧).

(٥) الإِبْلِيز بالكسر: طين مصر، وهو ما يعقبه النيل بعد ذهابه عن وجه الأرض. ينظر: تاج العروس (٣٦/١٥).

(٦) ينظر: منهاج السنة (٤٤٤/٥)، ومجموع الفتاوى (٥٥٨/٦).

فمن قال: هي أَبْيَنُ أو مصر، إنما أراد التمثيل لا التخصيص(١).

﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، قال: أهل المدينة(٢)، ﴿قِنْوَانٌ﴾ [الأنعام: ٩٩]: نضيج(٣).

قلت: أهل المدينة أولُ مَنْ وُكِّل بها، ولمن بعدهم من الوكالة بحسب قيامه بها علماً وعملاً ودعوة إلى الله تعالى(٤).

قال: بُعِثَ شعيب إلى مدينتين(٥)، قال: عُذِّبوا ﴿يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: ١٨٩]، قال:

---

(١) قاله ابن القيِّم في البدائع (١٠٢٣)، والأمر كما قال. قال ابن كثير (٣٧٣/٦): «وليس المراد من قوله: ﴿الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ أرض مصر فقط، بل هي بعض المقصود، وإن مثَّل بها كثير من المفسرين فليست هي المقصودة وحدها، ولكنها مرادة قطعاً من هذه الآية».

(٢) قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (٣٩٨/٩)، وابن أبي حاتم (١٣٣٩/٤) كلاهما بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عنه به وزاد: «والأنصار»، وروي عن سعيد بن المسيب: أخرج ذلك عبد بن حميد كما في الدر المنثور (١٢٤/٦) عنه به وزاد: «من الأنصار»، والضحاك: أخرج ذلك ابن جرير (٣٨٨/٩) بسند ضعيف من طريق جويبر عنه به وزاد: «الأنصار»، وقال به قتادة: أخرج ذلك ابن جرير (٣٨٨/٩) من طريق سليمان ثنا أبو هلال عنه به، وروي عن ابن جريج: أخرج ذلك ابن جرير (٣٨٩/٩) بسند ضعيف من طريق الحسين، ثنا حجاج عنه به.

(٣) لم أقف على من قال بقول الإمام أحمد في تفسير قوله تعالى: ﴿قِنْوَانٌ﴾ بالنضيج من المفسرين ولا اللغويين فيما بين يدي من المصادر، لكن لعلَّ الإمام أحمد تأوَّل قول قتادة فيما أخرجه عبد الرزاق (٦٠/٢)، وابن جرير (٤٤٧/٩)، بسند صحيح من طريق معمر عنه قال في الآية: «قنوان: عذوق النخل، يقول: دانية متهدلة يعني متدلية»، وتهدُّلها إنما يكون بعد نضجها.

(٤) قاله ابن القيِّم في البدائع (١٠٢٣/٣)، والأمر كما قال، قال ابن عطية (٣١٨/٢) تعقيباً على من فسرَّ «هؤلاء»: بأنهم كفار مكة، ومن فسَّر «قوماً»: بأنهم أهل المدينة: «فالآية على هذا التأويل وإن كان القصد في نزولها هذين الصنفين فهي تعم الكفرة والمؤمنين إلى يوم القيامة». وينظر: مدارج السالكين (١٢٦/٢).

(٥) رُوي هذا الوجه من التفسير: عن عكرمة: أخرج ذلك ابن عساكر كما في مختصر تاريخ دمشق (٢٠٨/١٠)، وإسحاق ابن بشر الكاهلي كما في تفسير ابن كثير (١٥٩/٦)، والدر (٤٧٨/٦) عنه بنحوه، وقال به قتادة: أخرج ذلك عبد الرزاق (٩/٣) بسند صحيح من طريق معمر عنه بلفظ: «بلغنا أن شعيباً أرسل مرتين إلى أمتين: مدين وأصحاب الأيكة»، وابن جرير (١٠٠/١٤) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه بنحوه مطولاً، وروي عن السُّدي: أخرج ذلك عنه بنحوه أيضاً إسحاق بن بشر الكاهلي كما في تفسير ابن كثير والدر. والصحيح والعلم عند الله: أن شعيباً عَلَيْهِ السَّلَامُ بُعث لأُمة واحدة، قال ابن كثير (١٥٨/٦): «أصحاب الأيكة هم أهل مدين على الصحيح»، وبمثل قوله قال ابن حجر في الفتح (٤٥٠/٦)، ومما يقوي هذا أيضاً أن الله عَزَّوَجَلَّ لم يجمع في سورة واحدة ذكر مدين وأصحاب الأيكة، وهذا يدل على أنهم قوم واحد.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٩١].

قال: يُقرأ ﴿صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٢] و(صاعَ)[١]، و﴿صُوَاعَ﴾ أصوب[٢]، قال: وكان من ذهبٍ[٣].

﴿هَٰرُونَ أَخِى ۞ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه: ٣٠ - ٣١]، قال: أَشرِكه معي يا ربِّ، قال: افعل بنا هذا، قال: هذا دعاء، قال: ومَن قرأ: ﴿أَشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾[٤]، قال: قال موسى: أنا أُشرِكه في أمري، قال: كلا الوجهين حسن[٥].

﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، قال: السِّر: ما كان في القلب يُسِرُّه، وأخفى: الذي لم يكن بعد، يعلمه هو[٦].

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ [غافر: ١٩]، قال: هو الرجل يكون في القوم فتمرُّ به المرأة فيلحظُها بَصَرُه[٧]، وقد سُئِلَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن نظرة الفُجاءَة فقال: «اصرِفْ بصرك عنها»[٨].

---

(١) وهي قراءة شاذة قرأ بها أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرج ذلك سعيد بن منصور (٤٠٣/٥) بسند ضعيف من طريق هشيم عن داود بن أبي هند عن العباس بن عبد الرحمن عنه به.

(٢) والأمر كما قال، فهي القراءة المتواترة، وما عداها شاذ، قال ابن جرير (٢٤٩/١٣) بعد أن ذكر بعض القراءات الشاذة في الآية: «وأما الذي عليه قراء الأمصار، فـ: ﴿صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾، وهي القراءة التي لا أستجيز القراءة بخلافها؛ لإجماع الحجة عليها». وينظر: المحتسب في وجوه القراءات (٣٤٦/١).

(٣) قال بهذا الوجه من التفسير: ابن زيد: أخرج ذلك ابن جرير (٢٤٦/١٣) بسند صحيح من طريق ابن وهب عنه بلفظ: «الصواع وكان كأساً من ذهب فيما يذكرون».

(٤) وهي قراءة ابن عامر وحده. ينظر: السبعة (٤٨١)، والنشر (٣٢٠/٢).

(٥) ينظر: الحجة لابن خالويه (٢٤١). والأمر كما قال؛ إذ هما قراءتان متواترتان كما تقدم.

(٦) قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (١٣/١٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٢٥/١، ٣٠٩) بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة، عنه بنحوه، وروي عن الضحاك: أخرج ذلك ابن جرير (١٦/١٦) بسند ضعيف من طريق أبي معاذ، ثنا عبيد، عنه بنحوه.

(٧) روي هذا الوجه من التفسير: عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن أبي شيبة (٧/٤) بسند منقطع من طريق جرير، عن منصور، عنه بنحوه، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (١٣٧/٧) وفتح الباري (٩/١١)، وسفيان الثوري: أخرج ذلك أبو نعيم في الحلية (٧٨/٧) بسند ضعيف من طريق إسماعيل بن يزيد القطان ثنا محمد بن يزيد بن خنيس عنه بنحوه، وتفسير الإمام أحمد هذا مذكور في كتاب الورع له (١١٩) برواية المرُّوذيّ عنه.

(٨) أخرجه مسلم في الصحيح (١٦٩٩/٣)، ح: (٢١٥٩)، ك: الآداب، ب: نظر الفجأة، من حديث جرير بن عبد الله

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٧٥]، قال: كان ابن مسعود يقرأ: «حيث ما وُجد لا يأتِ بخير»(١)، قال: أحسن هذا الحرف، وقرأه هو(٢).

﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦]، قال: رجالاً(٣).

﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ۜ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١ - ٢]، قال: إنما هو: قيِّماً ولم يجعل له عوجاً(٤).

وقال: ليس أحدٌ من الأنبياء تَمَنَّى الموت غير يوسف(٥)، قال: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾ [يوسف: ١٠١] الآية.

﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ [الكهف: ١٩]: أَحَلُّ(٦).

البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) هذه قراءة تفسيرية لقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ [النحل: ٧٦]، وأما قراءة ابن مسعود في الشواذ وقد وافقه فيها علقمة وابن وثاب فهي: «يُوَجِّهْ» بهاء واحدة ساكنة للجزم، وفي فاعله وجهان: أحدهما: ضمير الباري تعالى، ومفعوله محذوف؛ تقديره كقراءة الجمهور، والثاني: أنه ضمير الأبكم، ويكون «يُوجِّهْ» لازماً بمعنى «يَتَوَجَّهُ»، يقال: وجَّه وتوجَّهَ بمعنًى، والذي يظهر أن الوجه الثاني أقرب بدلالة قراءة ابن مسعود التفسيرية. ينظر: المحتسب (١١/٢)، والبحر المحيط (٥٧١/٦).

(٢) والأمر كما قال، فقراءة ابن مسعود قراءة تفسيرية شاذة كما تقدم.

(٣) قال بهذا الوجه من التفسير: قتادة: أخرج ذلك ابن جرير (٤٧٧/١٤) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه قال في الآية: «أي عدداً، وذلك في زمن داود»، والسدي: أخرج ذلك ابن جرير (٤٧٧/١٤) بسند حسن من طريق أسباط، عنه بنحوه، وابن زيد: أخرج ذلك ابن جرير (٤٧٧/١٤) بسند صحيح من طريق ابن وهب، عنه بنحوه.

(٤) أي: على التقديم والتأخير، قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (١٤٠/١٥ - ١٤١) بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عنه بنحوه، وروي عن مجاهد: أخرج ذلك ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤٨٣/٩) عنه بنحوه، وقال به قتادة: أخرج ذلك ابن جرير (١٤١/١٥) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه به.

(٥) روي هذا الوجه من التفسير عن: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (١٦٥/١٣)، وابن أبي حاتم (٢٢٠٤/٧) بأسانيد ضعيفة من طريق أسباط عن السدي، ومن طريق سعيد بن بشير عن قتادة، ومن طريق حجاج عن ابن جريج، عنه بنحوه، وقال به سفيان بن عيينة: أخرج ذلك سعيد بن منصور (٤١١/٥) بسند صحيح عنه بنحوه وزيادة، وقتادة: أخرج ذلك ابن جرير (١٦٦/١٣) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة، عنه بنحوه وزيادة.

(٦) روي هذا الوجه من التفسير: عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَاۖ﴾ [الأنبياء: ٩٩]، قال: عيسى والعُزَير.

قلت: هذا تفسيرٌ يحتاج إلى تفسير، فإن كان أحمد قال هذا، فلعله أراد الشياطين الذين عَبدَهُم اليهود والنصارى، وزعموا أنهما عيسى والعُزَير(١).

وقال: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: ٢٨]، قلت: هو هارون أخو موسى؟ قال: نعم(٢)، كان المشركون قد اختصموا على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: بين موسى وعيسى كذا وكذا، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قد كان هذا يُدعى بين الأنبياء»(٣).

قال أبو عبد الله: استعمل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلاً(٤) فأبى أن يدخل له في عمل، فقال

أبي حاتم، كما في الدر (٥١١/٩) عنه به وزيادة في آخره، وقال به سعيد بن جبير: أخرج ذلك عبد الرزاق (٣٢٩/٢)، وابن جرير (٢١٣/١٥) كلاهما بسند صحيح من طريق الثوري عن أبي حصين عنه به.

(١) قاله ابن القيِّم في البدائع (١٠٢٤/٣)، والأمر كما قال، لكن النظر في سبب نزول الآيات يجلِّي مراد الإمام أحمد، فقد أخرج إسحاق بن يسار كما في تفسير ابن كثير (٣٨١/٥)، وابن جرير (٤١٧/١٦ - ٤١٨)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٣٨٠/٥)، والطحاوي في مشكل الآثار (١٥/٣)، والطبراني في الكبير (١٥٣/١٢)، والحاكم (٤١٦/٢)، وابن مردويه كما في تفسير ابن كثير (٣٧٩/٥)، والضياء في المختارة (٣٠٤/١٠) بطرق عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قال: لما نزلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، فقال المشركون: الملائكة وعيسى وعزير يعبدون من دون الله؟ فقال: لو كان هؤلاء الذين يعبدون آلهة ما وردوها، قال: فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰٓ أُولَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]: عيسى وعزير والملائكة» واللفظ للحاكم، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في التلخيص، وصححه الألباني في صحيح السيرة (١٩٨).

(٢) روي هذا الوجه من التفسير: عن محمد بن كعب القرظي: أخرج ذلك ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٢٢٧/٥) عنه، وهذا غير صحيح، قال ابن كثير تعقيباً: «وهذا القول خطأ محض» وزاد فقال: «هي هفوة وغلطة شديدة»، والصواب من القول في ذلك ما جاء به الخبر عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم وصالحيهم - وسيأتي في الحاشية التالية -. وبهذا الوجه من التفسير قال: قتادة: أخرج ذلك عنه عبد الرزاق (٣٥٨/٢)، وابن جرير (٥٢٣/١٥) بسند صحيح من طريق معمر عنه في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾، قال: «كان رجل صالح في بني إسرائيل يسمى هارون فشبهوها به، فقالوا: يا شبيهة هارون في الصلاح».

(٣) أخرج مسلم في الصحيح (١٦٨٥/٣)، ح: (٢١٣٥)، ك: الآداب، ب: باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء، من حديث المغيرة بن شعبة، قال: لما قدمت نجران سألوني، فقالوا: إنكم تقرؤون ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سألته عن ذلك، فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم». وأما هذه العبارة: «قد كان هذا يدعى بين الأنبياء» فلم أقف عليها.

(٤) هو: أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ينظر: الحاشية التالية.

- يعني عمر -: يوسف قد سأل العمل، فاستُعمل على خزائن الأرض(١).

وقال: في المائدة ثمان عشرة فريضة: حلال وحرام يُعمل بها، وليس فيها شيء لا يُعمل به(٢)، إلا آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]، قال: هذه منسوخة(٣). وقال: آخر شيء نزل من القرآن: المائدةُ(٤) وأول شيء نزل من القرآن: (اقرأ).

﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [المائدة: ١]، قال: كان ابن عباس يأخذ بِذَنَبِ الجنين، ويقول: هذا من بهيمة الأنعام(٥). وقد رُوي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «ذَكاةُ الجنين ذكاةُ أمه»(٦).

---

(١) أخرج ذلك ابن أبي حاتم (٢١٦٠/٧)، والحاكم (٣٧٨/٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣٨٠/١ - ٣٨١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧٠/٦٧ - ٣٧١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «استعملني عمر على البحرين، ثم نزعني، ثم دعاني بعد إلى العمل، فأبيت فقال: لم؟ وقد سأل يوسف العمل»، واللفظ لابن أبي حاتم، وهو عند غيره مطولاً، قال الحاكم: «هذا حديث بإسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) روي هذا القول: عن عمرو بن شرحبيل أبو ميسرة: أخرج ذلك أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (١٣٧/١)، وسعيد بن منصور (١٤٣٥/٤)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٢٣٢/٢) كلهم بسند ضعيف من طريق أبي إسحاق، عنه بنحوه.

(٣) قال بهذا القول: الشعبي: أخرج ذلك عبد الرزاق (٤/٢)، وأبو عبيد في ناسخه (١٣٧/١)، وابن جرير (٣٥/٨)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٢٣٤/٢)، وابن الجوزي في نواسخه (٣٩٩/٢) كلهم من طريق الثوري، عن بيان، عنه قال: «لم ينسخ من المائدة إلا قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾»، وهذا إسناد صحيح.

(٤) قال بهذا القول: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أخرج ذلك أبو عبيد في ناسخه (١٦١/١) وفي الفضائل (٢٣٩)، وأحمد (٣٥٣/٤٢)، والنسائي في الكبرى (٧٩/١٠)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٢٣٢/٢)، والطبراني في معجم الشاميين (١٤٤/٣)، والحاكم (٣٤٠/٢)، والبيهقي في الكبرى (٢٧٨/٧)، كلهم من طريق ابن وهب ثني معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير قال: حججت فدخلت على عائشة، فقالت لي: يا جبير هل تقرأ المائدة؟ قلت: نعم: قالت: «أما إنها من آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه»، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي كذا قالا، والبخاري لم يخرج لمعاوية ولا لأبي الزاهرية شيئاً، وصحح إسناده محققو المسند، والألباني في إرواء الغليل (١٣٩/١)، وعبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك الترمذي (٢٦١/٥)، والحاكم (٣٤١/٢)، والبيهقي في الكبرى (٢٧٩/٧) كلهم من طريق حيي بن عبد الله المعافري، عن أبي عبد الرحمن الحبلي عنه، قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وقال الحاكم: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وضعفه الألباني في تعليقه على السنن، وروي عن عمرو بن شرحبيل: أخرج ذلك سعيد بن منصور (١٤٣٥/٤) بسند ضعيف من طريق أبي إسحاق، عنه بنحوه. وقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ هذا في رواية المرُّوذيّ عنه في: طبقات الحنابلة (٥٨/١). وهي آخرية مقيدة، والمقصود: آخر ما نزل من الحلال والحرام.

(٥) أخرج ذلك الطبري (١٤/٨) بسند ضعيف من طريق مسعر، وسفيان، عن قابوس، عن أبيه، عنه به.

(٦) أخرجه الإمام أحمد (٣٦٢/١٧، ٤٤٢، ١٣/١٨، ٦٩)، وابن ماجة (٣٦٠/٤، ح: ٣١٩٩)، وأبو داود (٤٤٨/٤)، =

قال: وأما أبو حنيفة(١) فقال: لا يُؤكل، تُذبح نفس، وتُؤكل نفس!(٢).

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٤٠]، قال: على أبي بكر، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أُنزلت عليه السكينة(٣).

قلت: وكان شيخنا أبو العباس بن تيمية يذهب إلى خلاف هذا ويقول: الضمير عائد إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصلاً، وإلى صاحبه تبعاً له، فهو الذي أُنزلت عليه السكينة، وهو الذي أيده الله بالجنود، وسرى ذلك إلى صاحبه. انتهى(٤).

= ح: (٢٨٢٧)، والترمذي (٧٣/٤)، ح: (١٤٧٦)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الترمذي: «هذا حديث حسن»، وله شواهد كثيرة منها حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه أبو داود (٤٤٩/٤)، ح: (٤٨٢٨)، والداري في السنن (١٢٦٠/٢)، والطبراني في الأوسط (١٥٠/٨)، والدارقطني في السنن (٤٩٣/٥)، والحاكم (١٢٧/٤)، وأبو نعيم في الحلية (٩٢/٧، ٢٣٦/٩)، والبيهقي في الكبرى (٥٦١/٩)، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.
قال الحافظ في التلخيص (٢٨٨/٤) معلقاً على روايات الحديث: «والحق أن فيها ما تنتهض به الحجة، وهو مجموع طرق حديث أبي سعيد، وطرق حديث جابر»، وصححه الألباني في إرواء الغليل برقم (٢٥٣٩)، وقال محققو المسند: «حديث صحيح بطرقه وشواهده».

(١) هو: أبو حنيفة، النعمان بن ثابت التيمي الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبة، فقيه أهل العراق، وإمام أصحاب الرأي، وقيل: إنه من أبناء فارس، أول من صنف في الفقه والرأي، مات سنة (١٥٠هـ). ينظر: تهذيب الكمال (٤١٧/٢٩ - ٤٤٥)، والسير (٣٩٠/٦ - ٤٠٣).

(٢) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٤٢/٥)، والبحر الرائق الخالق (١٩٥/٨).
قلت: ونصّ الحديث: «ذكاة أُمه» يعني: ذبح الأُم يكفي في حلِّه، وعليه الجمهور. قال ابن المنذر فيما نقله عنه الزيلعي في نصب الراية (١٩٢/٤): «لم يرو عن أحد من الصحابة والتابعين، وسائر العلماء: أن الجنين لا يؤكل إلا باستئناف الذكاة فيه، إلا ما روي عن أبي حنيفة»، وخلافه غير قوي، وقد خالفه صاحباه، فحرَّم أكل الجنين إذا خرج ميتاً؛ لأن ذكاة أُمه لا تغني عن ذكاته، محتجاً بعموم قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] وهذا احتجاج ضعيف، ينظر: إعلام الموقعين (٢٥٤/٢).

(٣) روي هذا الوجه من التفسير: عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن أبي حاتم (١٨٠١/٦)، والبيهقي في الدلائل (٤٨٢/٢)، وابن عساكر في تاريخه (٨٨/٣٠) كلهم بسند ضعيف من طريق أشعث، عن جعفر، عن سعيد ابن جبير، عنه بنحوه، وسعيد بن جبير: أخرج ذلك الآجري في الشريعة (١٨٠٧/٤، ١٨٢١) بسند ضعيف من طريق أشعث بن إسحاق، عن جعفر بن أبي المغيرة، عنه بنحوه، وقال به حبيب بن أبي ثابت: أخرج ذلك ابن أبي شيبة (٣٤٩/٦)، وابن أبي حاتم (١٨٠١/٦)، والآجري في الشريعة (١٨٢١/٤)، وابن بطة في الإبانة (٥٥٥/٩)، وابن عساكر في تاريخه (٨٨/٣٠) كلهم من طريق أبي معاوية، ثنا عبد العزيز بن سياه، عنه بنحوه، وهذا إسناد حسن.

(٤) قاله ابن القيِّم في البدائع (١٠٢٦/٣)، وهو الصواب والله تعالى أعلم. ينظر قول شيخ الإسلام مفصلًا في: =

وقال: أربع سور أنزلت بالمدينة: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قال: بالمدينة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قال: بمكة.

قلت: لم يُرِدْ أحمدُ التخصيصَ، ولا خلافَ بين الأُمة في أن (الأنفال وبراءة والنور والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقين) نزلن بالمدينة في سور أُخَرَ.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالمدينة؛ صحيح و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ بمكة؛ فمنه ما هو بالمدينة، ومنه ما هو بمكة، فالبقرة مدنية، وفيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾(١).

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧]، قال: كان ابن عباس يقول: لو ترك الناس الحج سنة واحدة ماتوا طُرًّا(٢).

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]، قال: على الأصنام(٣).

قال: وكُلُّ شيء ذُبِحَ على الأصنام لا يُؤكل(٤)، ﴿تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ [المائدة: ٣]، قال:

= منهاج السنة (٤٨٩/٨ - ٤٩٢).

(١) قاله ابن القيِّم في البدائع (١٠٢٦/٣)، والأمر كما قال، ينظر: تنزيل القرآن للزهري (٢٧ - ٤٢)، والبرهان (١٨٧/١ - ١٩٤)، والإتقان (٣٩/١ - ٤٤).

(٢) طُرًّا أي: جميعاً. ينظر: الصحاح (٧٢٥/٢)، واللسان (٤٩٨/٤). والأثر أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٣٩٩/١) بسند ضعيف من طريق سعيد بن سالم، ثنا عثمان، حُدثت عن عكرمة، عنه قال في الآية: «قيام دينهم، والذي نفسي بيده لو تركوه عاماً واحداً ما نوظروا»، وأصله في الصحيح، أخرجه البخاري (١٤٩/٢) من طريق قتادة، عن عبد الله ابن أبي عتبة، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ليحجَّن البيتُ وليعتمرنَّ بعد خروج يأجوج ومأجوج» تابعه أبان وعمران عن قتادة. وقال عبد الرحمن عن شعبة قال: «لا تقوم الساعة حتى لا يُحجّ البيتُ»، ح: (١٥٩٣)، ك: الحج، ب: قول الله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾.

(٣) قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (٢٤٩/١)، والبيهقي في الكبرى (٤١٨/٩) بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة، عنه به مطولاً، وهو عند ابن جرير (٧١/٨) من الطريق نفسها عنه بلفظ: «النصب: أنصاب كانوا يذبحون ويهلون عليها».

(٤) والأمر كما قال، بدلالة الآية الكريمة: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾: و«على» بمعنى اللام، أي: لأجلها. قاله قطرب، وهو على هذا داخل في غير ما أهلّ به لغير الله. وخصَّ بالذكر تأكيد تحريمه. ولدفع ما كانوا يظنونه من أن ذلك لتشريف البيت وتعظيمه، وقيل: معناه ما قصد بذبحه تعظيم النصب، وإن لم يذكر اسمها عنده، فليس مكرراً مع ما سبق،

كعاب فارس، يقال لها: النرد وأشباه ذلك[1].

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، قال: لو أن رجلاً بـ (عدن أبين) همَّ بقتل رجل وهو في الحرم هذا قول الله: ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] هكذا قال ابن مسعود[2].

قال: وقد خرج جابرٌ من المدينة إلى مكة مجاوراً[3].

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، قال: والعشر ليالٍ أو أيام، ثم قال: لو كانت ليالي كان يكون نقصان يوم؛ لكنها أيام وليال عشرة[4].

إذ ذاك فيما ذكر عند ذبحه اسم الصنم مثلاً. ينظر: المحرر الوجيز (١٥٣/٢)، وزاد المسير (٥١٢/١).

(١) قال بهذا الوجه من التفسير: مجاهد: أخرج ذلك ابن جرير (٧٤/٨) بسند حسن من طريق أبي نعيم، ثنا زهير عن إبراهيم بن مهاجر عنه بلفظ: «هي سهام العرب، وكعاب فارس والروم، كانوا يتقامرون بها».
قال ابن كثير (٢٥/٣) تعقيباً على قول مجاهد: «وهذا الذي ذُكر عن مجاهد في الأزلام أنها موضوعة للقمار، فيه نظر، اللَّهُمَّ إلا أن يقال: إنهم كانوا يستعملونها في الاستخارة تارة، وفي القمار أخرى، والله أعلم. فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد فرق بين هذه وبين القمار وهو الميسر، فقال في آخر السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩١]».

(٢) ثبت عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا وموقوفاً، فالمرفوع أخرجه: أحمد (١٥٥/٧، ٣٤٠)، والبزار في الزوائد (٦٠/٣)، وأبو يعلى في مسنده (٢٦٢/٩)، وابن جرير (٥٠٨/١٦)، والحاكم (٤٢٠/٢)، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، قال الهيثمي في المجمع (٧٠/٧): «رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح»، وحسّنه محققو المسند.
أما الموقوف: فقد أخرجه ابن جرير (٥٠٨/١٦)، والحاكم (٤٢٠/٢)، والموقوف أصح كما قال شعبة عندما رواه: رفعه وأنا لا أرفعه، وقال ابن حجر في المطالب العالية (٥٦/١٥): «موقوف قوي الإسناد»، وقال ابن كثير (٤١١/٥) بعد إيراده لهذا الحديث: «هذا الإسناد صحيح على شرط البخاري، ووقفه أشبه من رفعه». ولفظ الآية عام يشمل ما ذكره الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود ويشمل غيره من أنواع الإلحاد.

(٣) المجاورة: الاعتكاف في المسجد، وأما المجاورة بمكة والمدينة فيراد بها المقام مطلقاً غير ملتزم بشرائط الاعتكاف الشرعي. ينظر: النهاية (٣١٣/١ - ٣١٤)، واللسان (١٥٦/٤). وهذا القول لم أقف عليه في أي من المصادر التي بين يدي، ولذا لم أعرف من هو جابر؟

(٤) وهو الأحوط، قال ابن قدامة في المغني (١١٨/٢): «والعشر المعتبرة في العدة هي عشر ليال بأيامها، فتجب عشرة أيام مع الليالي. وبهذا قال مالك والشافعي وأبو عبيد وابن المنذر وأصحاب الرأي، قلنا: العرب تغلب اسم التأنيث في

قال: وأهل مصر يقولون: الشام باديتهم[1]، قال يوسف: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ [يوسف: ٩٢]: لا تعيير[2].

﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى﴾ [يوسف: ٩٣]، قال: شمَّ ريحه من مسيرة سبعة أيام[3]، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ٨٣]: لا جزع فيه[4].

قلت: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية مراراً - يقول: «ذكر الله الصبر الجميل، والصفح الجميل، والهَجْر الجميل. فالصبر الجميل: الذي لا شكوى معه، والهَجْر الجميل: الذي لا أذى معه، والصفح الجميل: الذي لا عتاب معه»[5]. انتهى.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [يوسف: ٢٦]، قال: قد قال قوم: حكيم من أهلها[6].

العدد خاصة على المذكر، فتطلق لفظ الليالي وتريد الليالي بأيامها، كما قال الله تعالى لزكريا: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠]، يريد بأيامها، بدليل أنه قال في موضع آخر: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١]، يريد بلياليها». وينظر: المبدع (٧٥/٧).

(١) قاله الكندي المؤرخ المصري؛ إذ نقل عنه السيوطي في حسن المحاضرة (١٠/١) لطيفة في هذا إذ يقول: «قال الله تعالى حكايةً عن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَوٰةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، فجعل الشام بدواً، وسَمَّى مصرَ مصراً ومدينةً». وأخرج ابن جرير (٣٦١/١٣ - ٣٦٢) بسند حسن من طريق ابن حميد، ثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال: «كان منزل يعقوب وولده فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالعربات من أرض فلسطين ثغور الشام، وبعض يقول بالأولاج من ناحية الشعب، وكان صاحب بادية، له إبل وشاء».

(٢) قال بهذا الوجه من التفسير سفيان: أخرج ذلك ابن أبي حاتم (٢١٩٥/٧) بسند حسن من طريق ابن أبي عمر، عنه به، وروي عن عكرمة، أخرج ذلك عنه عبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور (٣٢٢/٨).

(٣) قال بهذا الوجه من التفسير: عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (٣٣٣/١٣) بسند صحيح من طريق سفيان بن عيينة عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل قال: كنت إلى جنب ابن عباس، فسئل: «من كم وجد يعقوب ريح القميص؟ قال: من مسيرة سبع ليال أو ثمان ليال»، وروي عن محمد بن كعب القرظي: أخرج ذلك أبو الشيخ كما في الدر المنثور (٣٢٧/٨) عنه. والرواية من الروايات الإسرائيلية المسكوت عنها.

(٤) قال بهذا الوجه من التفسير مجاهد: أخرج ذلك آدم بن أبي إياس (٣٩٣)، وابن أبي حاتم (٢١١٢/٧) كلاهما بسند حسن من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح عنه، وابن جرير (٤٠/١٢) بسند صحيح من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح عنه.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى (١٨٣/١٠، ٦٦٦).

(٦) روي هذا الوجه من التفسير عن مجاهد: أخرج ذلك ابن جرير (١١٠/١٣) بسند ضعيف قال: حدثت عن الفراء، عن معلى بن هلال، عن أبي يحيى، عنه بنحوه، وقال به عكرمة: أخرج ذلك ابن جرير (١٠٨/١٣) بسند حسن من طريق عبد الملك بن الصباح، عن عمران بن حدير، عنه بنحوه، وقتادة: أخرج ذلك عبد الرزاق (٢١٣/٢)،

وقال قوم: القميص الشاهد[1]، وقال قوم: الصبي[2].

﴿خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، قال: منتصباً[3].

قلت: وكأن القول الآخر أظهر، وهو: في مشقة وعَناء، يُكابد أمر الدنيا والآخرة[4].

وابن جرير (١٠٩/١٣) كلاهما بسند صحيح من طريق معمر، عنه بنحوه، وزيد بن أسلم: أخرج ذلك عنه ابن أبي حاتم (٢١٢٩/٧) من طريق إبراهيم بن سليمان، ثنا محمد بن أبان، عنه بنحوه. وهو قول قوي؛ لأن ما قاله في شأن القميص يدل على فهم وخبرة، غير أنه يشهد للقول الأخير حديث ثابت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) قال بهذا الوجه من التفسير مجاهد: أخرج ذلك آدم بن أبي إياس (٣٩٥) بسند حسن من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عنه بنحوه، وابن جرير (١١٠/١٣ - ١١١) بسند صحيح من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح، عنه بنحوه. ويَرِد على هذا القول قوله تعالى: ﴿مِّنۡ أَهۡلِهَا﴾ والقميص لا يوصف بأنه من الأهل، ووصف هذا القول الرازي في مفاتيح الغيب (٤٤٦/١٨) بأنه في غاية الضعف.

(٢) في النسخ المطبوعة: «صبر»، وقد تصحفُ، وصوابه: «صبي».
وقال بهذا الوجه «الصبي» من التفسير: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ورد عنه مرفوعاً: أخرج ذلك أحمد (٣١/٥)، وابن جرير (١٠٧/١٣)، وابن حبان (١٦٥/٧)، والحاكم (٥٣٨/٢)، بلفظ: «تكلم أربعة في المهد وهم صغار: ابن ماشطة بنت فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ»، والحديث صححه المناوي في الفتح السماوي (٧٢٩/٢)، وحسَّنه محققو المسند، وقال عنه محقق صحيح ابن حبان: سنده قوي، وروي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرج ذلك ابن جرير (١٠٥/١٣) بسند ضعيف جداً من طريق أبي بكر الهذلي، عن شهر بن حوشب، عنه بنحوه، وقال به سعيد بن جبير: أخرج ذلك ابن جرير (١٠٥/١٣ - ١٠٦) بسند صحيح من طريق عبد الرحمن، ثنا إسرائيل، عن أبي حصين، عنه بنحوه، وهلال بن يساف: أخرج ذلك ابن جرير (١٠٦/١٣) بسند صحيح من طريق إدريس، عن حصين، عنه بنحوه، وروي عن الضحاك: أخرج ذلك ابن جرير (١٠٦/١٣ - ١٠٧) بسند ضعيف من طريق جويبر، عنه بنحوه، ومن طريق أبي معاذ، ثنا عبيد، عنه بنحوه. وهذا القول مقدم على غيره؛ حيث أيده حديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ينظر: ابن جرير (١١١/١٣)، وأضواء البيان (٢١٧/٢).

(٣) روي هذا الوجه من التفسير: عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (٤١٠/٢٤) بسند ضعيف من طريق العوفي عنه بنحوه، وسعيد بن جبير: أخرج ذلك عنه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور (٤٣٨/١٥)، وقال به عبد الله بن شداد: أخرج ذلك ابن جرير (٤١١/٢٤) بسند صحيح من طريق ابن أبي زائدة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عنه بنحوه، وأبو صالح: أخرج ذلك ابن جرير (٤١١/٢٤) بسند صحيح من طريق يحيى بن القطان، عن إسماعيل، عنه بنحوه، وإبراهيم النخعي: أخرج ذلك آدم بن أبي إياس (٧٢٩)، وابن جرير (٤١١/٢٤)، وأبو نعيم في الحلية (٢٣١/٤) كلهم من طريق منصور عنه به، وعكرمة: أخرج ذلك ابن جرير (٤١١/٢٤) بسند صحيح من طريق حرمي بن عمارة، ثني شعبة، أخبرني عمارة، عنه بنحوه، وروي عن الضحاك: أخرج ذلك ابن جرير (٤١١/٢٤) بسند ضعيف من طريق أبي معاذ، ثنا عبيد، عنه بنحوه.

(٤) قاله ابن القيِّم في البدائع (١٠٢٨/٣)، والأمر كما قال، قال ابن جرير (٤١٢/٢٤): «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك أنه خلق يكابد الأمور ويعالجها، فقوله: ﴿فِي كَبَدٍ﴾ معناه: في شدة، وإنما قلنا: ذلك أولى

قال الحسن(١): ما أجد من خلق الله يكابد ما يكابده ابن آدم(٢).

﴿مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ [الملك: ٣٠]، قال: لا تناله الرِّشَاء، ﴿بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠] قال: على وجه الأرض(٣).

قلت: يحتمل تفسير أحمد أمرين؛ أحدهما: أن يكون (معيناً) فعيلاً من أمعن في الأرض إذا ذهب فيها، ويحتمل: أن يكون مفعولاً من العين أي: مَرْئِيًّا بالعين، وأصله معيون، ثم أُعِلَّ إعلال مبيع وبابه(٤).

وقال: قرأ زيد بن ثابت(٥): ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾(٦) [البقرة: ٢٥٩].

بالصواب؛ لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب من معاني الكبد»، وضعف ابن عطية في المحرر الوجيز تفسيره بـ «منتصبا» (٤٨٤/٥) وعدَّ القول الثاني قول الجمهور.

(١) هو: الحسن ابن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يُرسل كثيراً ويُدلس. قال البزار: «كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز ويقول: حدثنا وخطبنا، يعني قومه الذين حُدِّثوا وخُطبوا بالبصرة»، هو رأس أهل الطبقة الثالثة، مات سنة (١١٠هـ). ينظر: تهذيب الكمال (٩٥/٦ - ١٢٦)، والتقريب (٩٩).

(٢) أخرج ذلك ابن جرير (٤٠٩/٢٤)، بسند حسن من طريق وكيع، عن علي بن رفاعة، عنه بنحوه.

(٣) روي هذا الوجه من التفسير: عن سعيد بن جبير: أخرج ذلك ابن جرير (١٣٩/٢٣) من طريق عبيد بن قاسم البزاز، ثنا شريك، عن سالم، عنه بنحوه، وفي إسناده عبيد بن قاسم البزاز لم أعرفه.

(٤) قاله ابن القيِّم في البدائع (١٠٢٨/٣)، وينظر: تهذيب اللغة (١٤/٣)، واللسان (٤١١/١٣، ٣٠٤)، قلت: لفظ «معين» يحتمل الوجهين كما ذكر ابن القيِّم، ويحتمل وجهاً ثالثاً: وهو أن يكون فعيلاً من معن الماء إذا كثر. ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٣١١/٤)، ومشكل إعراب القرآن (٧٤٧/٢)، لكن التفسير الذي ذكره الإمام أحمد لا يحتمل إلا وجهاً واحداً: وهو أنه مفعول من العين، فالماء المَعِين: الظاهر، الذي تراه العين جارياً على وجه الأرض، وهو الذي تؤيده الآثار المروية في الآية. ينظر: الدر المنثور (٦١٦/١٤)، وهو كذلك المناسب في مقابلة قوله تعالى: ﴿غَوْرًا﴾.

(٥) هو: أبو خارجة، أو أبو سعيد الأنصاري، زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد الخزرجي المقرىء، كاتب النبي ﷺ وأمينه على الوحي، وأحد الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ من الأنصار، وهو الذي كتبه في المصحف لأبي بكر ثم لعثمان، مات سنة (٤٥هـ). ينظر: أسد الغابة (٣٣٢/٢ - ٣٣٣).

(٦) بالزاي المعجمة، أخرجه عنه عبد الرزاق (٢٦٨/١) بسند صحيح من طريق هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، أن زيد بن ثابت به، ومسدد كما في المطالب العالية (٤٧٢/١٤) بسند صحيح من طريق هشام بن حسان، عن حفصة، عن أبي العالية، وقد ورد مرفوعاً إلى النبي ﷺ، أخرجه الحاكم (٢٥٥/٢)، وقال: «حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه فإنهما لم يحتجا بإسماعيل بن قيس بن ثابت»، وتعقبه الذهبي فقال: «فيه إسماعيل بن قيس من ولد زيد بن ثابت ضعفوه». وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف. ينظر: السبعة (١٨٩)، والنشر (٢٣١/٢).

وهو أشبه(١) ﴿إِذَآ شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾(٢) [عبس: ٢٢].

﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح: ٩]، قال: يُعزِّروه: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويسبحوه: الله تعالى(٣).

﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧]: على نقصان(٤).

﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩]، قال: يحلبون(٥).

---

(١) قوله: «وهو أشبه» من جهة المعنى أو الشهرة أو قوة الفصاحة، وليس من جهة النزول أو الثبوت كما لا يخفى؛ إذ كلاهما متواتر. قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٥١٣/١): «هذه القراءات لا يظن إلا أنها مروية عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبجميعها عارض جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ مع طول السنين توسعة على هذه الأُمة، وتكملة للسبعة الأحرف. وعلى هذا لا يقال: هذه أولى من جهة نزول القرآن بها، وإن رجحت قراءة فبوجه غير وجه النزول».

(٢) استدل بهذه الآية من قرأ: ﴿نُنشِرُهَا﴾ بالراء المهملة، وهم: أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب. ينظر: السبعة (١٨٩)، والنشر (٢٣١/٢).

(٣) قال بهذا الوجه من التفسير جماعة من المفسرين على اختلافٍ في ألفاظهم لكن معانيها تؤول إلى أن الضمير في «تعزروه وتوقروه» للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي «تسبحوه» لله تعالى، ووصف هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز (١٢٩/٥) بأنه قول الجمهور، فقد روي عن: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (٢٥١/٢١) بسند ضعيف من طريق عطية العوفي، عنه والحاكم (٥٠٠/٢) من طريق الحجاج بن أرطاة، عن عكرمة، عنه بمعناه، والضياء في المختارة (٩٢/١٠) من طريق أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عنه بمعناه، قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وتعقبه الذهبي بقوله: «مبشر بن عبيد كان يضع الحديث»، وقال ابن حجر عن إسناده في إتحاف المهرة (٦٠٥/٧): «ضعيف جداً»، وقال به عكرمة: أخرج ذلك ابن جرير (٢٥٢/٢١) بسند حسن من طريق حرمي، عن شعبة، عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية عنه، وروي عن الضحاك: أخرج ذلك ابن جرير (٢٥٣/٢١) بسند ضعيف من طريق عبيد، عنه، وقال به قتادة: أخرج ذلك عبد الرزاق (٢١١/٣)، وابن جرير (٢٥١/٢١) بسند صحيح من طريق معمر، عنه.

(٤) روي هذا الوجه من التفسير عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرج ذلك ابن جرير بسند ضعيف فيه مجهول عنه بنحوه وزيادة، وعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (٢٣٧/١٤) بسند ضعيف من طريق عطاء الخراساني عنه بنحوه، وابن أبي حاتم من طريق الضحاك عنه بنحوه كما في: فتح الباري (٢٨٦/٨)، والدر المنثور (٥٥/٩)، وقال به مجاهد: أخرج ذلك آدم بن أبي إياس (٤٢١) بسند حسن من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عنه، وابن جرير (٢٣٧/١٤) بسند صحيح من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح عنه بنحوه، وقال به الكلبي: أخرج ذلك عبد الرزاق (٦٢٨/٢) بسند صحيح من طريق معمر عنه، وابن زيد: أخرج ذلك ابن جرير (٢٣٨/١٤) بسند صحيح من طريق ابن وهب عنه بنحوه.

(٥) قال بهذا الوجه من التفسير عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك سعيد بن منصور (٣٩٥/٥)، وابن جرير (١٩٥/١٣ - ١٩٦)، وابن أبي حاتم (٢١٥٥/٧) كلهم بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عنه به.

﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦]: جهنم(١).

قلت: لم يُرِدْ أحمد أن المراد بالآية جهنم، وإنما أراد أنه يكون جهنم أو موضعها، والله أعلم(٢).

﴿ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣]: فاضت(٣).

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤ - ٥]، قال: كانوا يُؤَخِّرونها حتى يخرج الوقت(٤).

---

(١) والمراد أنه يوقد يوم القيامة ناراً، كقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] أي: أضرمت فتصير ناراً تتأجج، محيطة بأهل الموقف. ينظر: تفسير ابن كثير (٤٢٩/٧)، وقال بهذا الوجه من التفسير: علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما يرويه سعيد بن المسيب عنه: أخرج ذلك ابن جرير (٥٦٧/٢١) بسند صحيح من طريق ابن علية، عن داود بن أبي هند، عن ابن المسيب، وكعب الأحبار: أخرج ذلك أبو الشيخ في العظمة (١٤٠٩/٤) بسند صحيح من طريق عثمان بن غياث، عن عكرمة عن ابن عباس عنه، ومجاهد: أخرج ذلك ابن جرير (٥٦٨/٢١) بسند صحيح من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح عنه، وشهر بن حوشب: أخرج ذلك أبو نعيم في الحلية (٦١/٦) بسند حسن من طريق حفص ابن حميد، عنه، وشمر بن عطية: أخرج ذلك ابن جرير (٥٦٨/٢١) بسند ضعيف من طريق ابن حميد، ثنا يعقوب عن حفص بن حميد عنه، وروي عن عبد الله بن عبيد بن عمير: أخرج ذلك أبو نعيم في الحلية (٣٥٦/٣) بسند ضعيف جداً من طريق طلحة بن عمرو، عنه، وابن زيد: أخرج ذلك ابن جرير (٥٦٨/٢١) بسند صحيح من طريق ابن وهب عنه.

واختار ابن جرير (٥٦٩/٢١) ما أخرجه (٥٦٨/٢١) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في الآية أنه: الممتلىء، وَوَجَّهَهُ بأنه ليس موقداً اليوم فهو مملوء، قال ابن حجر في الفتح (٦٠٢/٨) تعقيباً: «ويحتمل أن يطلق عليه ذلك باعتبار ما يَؤول إليه حاله»، وهذا لا ينافي التفسير المتقدم - الموقَد -؛ لأن سجرت التنور معناه: ملأته بما يحترق. ينظر: المحرر الوجيز (١٨٦/٥). ويشهد للتفسير الذي ذكره الإمام أحمد قوله تعالى: ﴿فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧٢].

(٢) قاله ابن القيِّم في البدائع (١٠٢٩/٣)، والأمر كما قال، على ما سبق بيانه في الحاشية السابقة.

(٣) قال بهذا الوجه من التفسير: الربيع بن الخيثم: أخرج ذلك آدم بن أبي إياس (٧١٠) بسند حسن من طريق شريك، عن سعيد بن مسروق، عن منذر الثوري، عنه به، وعلَّقه البخاري (١٦٧/٦) بصيغة الجزم عنه به، ووصله عبد الرزاق أنبأنا الثوري مثله وأتمَّ منه، والفريابي ثنا سفيان، قال: بلغني عن ربيع بن الخيثم به، وعبد بن حميد من طريق سعيد بن مسروق به، كما في الفتح (٦٩٥/٨)، والتغليق (٣٦٢/٤ - ٣٦٣).

(٤) قال بهذا الوجه من التفسير: سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرج ذلك ابن جرير (٦٥٩/٢٤ - ٦٦٠) بسند صحيح من طريق شعبة، عن خلف بن حوشب، عن طلحة بن مصرف، عن مصعب بن سعد، عنه بنحوه، وقد روي عنه مرفوعاً، أسنده عكرمة بن إبراهيم الأزدي فيما أخرجه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (١٢٤/١)، وأبو يعلى في

﴿أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]: هو العبيط(١)، ولا يكاد أن يكون في اللحم الصُّفرة، فيغسل(٢).

﴿فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖ﴾ [الزمر: ٦]: البحر وحوتٌ في حوت(٣)، ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

قلت: هذا تفسير ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، وذِكر ﴿فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖ﴾ وهمٌ؛ فإن تلك الظلمات هي التي يخلق فيها الجنين، لا مدخل لظلمة البحر، ولا لظلمة الحوت فيها، بل ظلمة الرحم وظلمة المشيمة وظلمة البطن، والله أعلم(٤).

مسنده (١٤٠/٢)، والدولابي في الكنى والأسماء (٨٢٧/٢)، وابن جرير (٦٦٣/٢٤)، والعقيلي في الضعفاء (٣٧٧/٣)، وابن أبي حاتم في العلل (١٨٧/١)، والبيهقي في السنن (٣٠٤/٢)، والبغوي في شرح السنة (٢٤٦/٢)، وفي التفسير (٥٥٢/٨) من حديث سعد قال: سألت النبي ﷺ، عن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾، قال: «هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها»، ومداره على عكرمة بن إبراهيم الأزدي، قال البيهقي: «وهذا الحديث إنما يصح موقوفاً، وعكرمة بن إبراهيم قد ضعفه يحيى بن معين وغيره من أئمة الحديث». قال ابن جرير (٦٦٣/٢٤): «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب بقوله: ﴿سَاهُونَ﴾ لاهون يتغافلون عنها؛ وفي اللهو عنها والتشاغل بغيرها، تضييعها أحياناً، وتضييع وقتها أخرى. وإذا كان ذلك كذلك صحَّ بذلك قول من قال: عنى بذلك ترك وقتها، وقول من قال: عنى به تركها». وينظر تفسير ابن كثير (٤٩٣/٨).

(١) العبيط: الدم الخالص الطري. ينظر: اللسان (٣٤٧/٧). وقال بهذا الوجه من التفسير: سفيان بن عيينة: أخرج ذلك ابن أبي حاتم (١٤٠٦/٥) من طريق الإمام أحمد، عنه به.

(٢) أخرج ذلك عبد الرزاق في المصنف (٥٢٠/٤)، وابن جرير (٦٣٦/٩)، وابن أبي حاتم (١٤٠٧/٥) بسند حسن من طريق أبي خالد الأحمر، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم، قال: كانت عائشة إذا سئلت عن كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، تلت: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾، فقالت: «قد نرى في القدر صفرة الدم».

(٣) وفيه نظر، فالتفسير الذي ذكره إنما هو تفسير للآية التي ذكرها بعد التفسير: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، كما نبَّه على ذلك ابن القيِّم وسيأتي، وقال بهذا الوجه من التفسير: سالم بن أبي الجعد: أخرج ذلك ابن أبي شيبة (٣٣٨/٦)، وابن جرير (٣٨٣/١٦ - ٣٨٤) بسند صحيح من طريق سفيان، عن منصور، عنه بنحوه، ومطولاً عند ابن جرير. قال ابن جرير: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن يونس أنه ناداه في الظلمات: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ولا شك أنه قد عنى بإحدى الظلمات: بطن الحوت، وبالأخرى: ظلمة البحر، وفي الثالثة اختلاف، وجائز أن تكون تلك الثالثة ظلمة الليل، وجائز أن تكون كون الحوت في جوف حوت آخر. ولا دليل يدل على أي ذلك من أي، فلا قول في ذلك أولى بالحق من التسليم لظاهر التنزيل».

(٤) قاله ابن القيِّم في البدائع (١٠٢٩/٣)، والأمر كما قال، وقد تقدم في الحاشية السابقة، وقد روي ما ذكره ابن القيِّم في

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ [المؤمنون: ٧]، قال: الزنا(١).

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ [الحج: ٣٣]، قال: اشترى ابن المُنْكَدِر(٢) بجميع ما كان معه بَدَنة، وتأوَّل هذه الآية(٣).

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ إلى: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٢ - ٥٥]، قال: هذه نزلت بمكة والباقي بالمدينة(٤).

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، قال: نفخ فيه الروح(٥).

قال: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]، قال: هو أن ينظر قبل أن يَرْجِعَ طرفُه إليه(٦). قال: وإنما كان قد علم الاسم الذي يُستجاب فدعا به(٧).

تفسير قوله: ﴿فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وأبي مالك، ينظر آثارهم في: جامع البيان (١٦٥/٢٠ - ١٦٦)، والدر المنثور (٦٣٥/١٢ - ٦٣٦).

(١) روي هذا الوجه من التفسير عن أبي عبد الرحمن السلمي: أخرج ذلك ابن جرير (١٣/١٧) بسند ضعيف من طريق ابن حميد، ثنا جرير، عن عطاء، عنه به.

(٢) هو: محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير، التيمي، المدني، ثقة فاضل، من الثالثة، مات سنة (١٣٠هـ) أو بعده. ينظر: السير (٣٥٣/٥ - ٣٦٢)، والتقريب (٤٤٢).

(٣) ينظر: السير (٣٥٩/٥).

(٤) روي هذا عن قتادة: أخرج ذلك ابن المنذر كما في الدر المنثور (٤٠٩/١٠) عنه بنحوه.

(٥) روي هذا الوجه من التفسير عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (٢٢/١٧) بسند ضعيف من طريق حجاج، عن عطاء، عنه به، وقال به أبو العالية: أخرج ذلك ابن جرير (٢٣/١٧) بسند جيد من طريق أبي جعفر، عن الربيع، عنه بنحوه، ومجاهد: أخرج ذلك ابن جرير (٢٢/١٧) بسند صحيح من طريق عبد الرحمن، ثنا سفيان، عن منصور، عنه به، وعكرمة: أخرج ذلك ابن جرير (٢٢/١٧) بسند صحيح من طريق سفيان، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني، عنه به، وروي عن الشعبي: أخرج ذلك ابن جرير (٢٢/١٧) من طريق عبد الرحمن، ثنا سلمة، عن داود بن أبي هند، عنه به، وفي إسناده سلمة لم أعرفه، والضحاك: أخرج ذلك ابن جرير (٢٣/١٧) بسند ضعيف من طريق أبي معاذ، نا عبيد، عنه بنحوه، وقال به ابن زيد: أخرج ذلك ابن جرير (٢٣/١٧) بسند صحيح من طريق ابن وهب عنه بنحوه.

(٦) روى هذا الوجه من التفسير سعيد بن جبير: أخرج ذلك ابن أبي حاتم (٢٨٨٨/٩) بسند ضعيف من طريق أحمد ابن بشير، عن إسماعيل، عنه بنحوه.

(٧) قال بهذا الوجه من التفسير مجاهد: أخرج ذلك ابن جرير (٧٠/١٨) بسند صحيح من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح، عنه بنحوه، وروي عن الضحاك: أخرج ذلك ابن جرير (٧٠/١٨) بسند ضعيف من طريق أبي معاذ، نا عبيد، عنه بنحوه وزيادة، وقال به قتادة: أخرج ذلك عبد الرزاق (٤٧٧/٢)، وابن جرير (٦٩/١٨) كلاهما بسند صحيح من

﴿سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]، قال: يسوق إلى أمر الله، والشهيد: يشهد عليه بما عمل(١).

﴿ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧]: الفأس والقِدْر وأشباه ذلك(٢).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧]، قال: قدَّمه على نوح، قال: هذه حُجَّة على القَدَرية(٣).

طريق معمر عنه بنحوه، وابن إسحاق: أخرج ذلك ابن جرير (٧١/١٨) بسند حسن من طريق ابن حميد، ثنا سلمة، عنه بنحوه وزيادة.

(١) قال بهذا الوجه من التفسير عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرج ذلك عبد الرزاق (٢٣٠/٣)، وابن أبي شيبة (٢١١/٧)، وأبو داود في الزهد (١١٢ - ١١٣)، وابن جرير (٤٢٩/٢١)، والدولابي في الكنى (٨٠٨/٢)، وابن عساكر (٢٤٧/٢٩) كلهم من طريق عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي عيسى يحيى بن رافع قال: سمعت عثمان بن عفان، يخطب على المنبر وهو يقرأ الآية به، وهو إسناد صحيح، ومجاهد: أخرج ذلك ابن جرير (٤٣٠/٢١) بسند صحيح من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح، عنه بنحوه، وروي عن الضحاك: أخرج ذلك ابن جرير (٤٣١/٢١) بسند ضعيف من طريق أبي معاذ، نا عبيد، عنه بنحوه، وقال به الحسن البصري: أخرج ذلك عبد الرزاق (٢٢٩/٣)، وابن جرير (٤٣٠/٢١) كلاهما بسند صحيح من طريق معمر، عنه بنحوه، وقتادة: أخرج ذلك ابن جرير (٤٣٠/٢١) بسند صحيح من طريق سعيد ابن أبي عروبة، والربيع بن أنس: أخرج ذلك ابن جرير (٤٣١/٢١) بسند حسن من طريق أبي جعفر الرازي، عنه بنحوه، وابن زيد: أخرج ذلك ابن جرير (٤٣١/٢١) بسند صحيح من طريق ابن وهب عنه بمعناه. وهو اختيار ابن جرير في تفسير الآية (٤٢٩/٢١)، وقال ابن كثير (٤٠١/٧): «هذا هو الظاهر من الآية الكريمة».

(٢) قال بهذا الوجه من التفسير عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرج ذلك آدم بن أبي إياس (٧٥٥)، وابن أبي شيبة (٤٢٠/٢)، وأبو داود (٩١/٣)، والبزار (١٣٢/٥)، والنسائي في السنن الكبرى (٣٤٥/١٠)، وابن جرير (٦٧١/٢٤ - ٦٧٤)، والطبراني في الأوسط (١٤٩/٢)، والكبير (٢٠٧/٩ - ٢٠٨)، والبيهقي في الكبرى (٣٠٨/٤، ١٤٥/٦)، من طرق عنه بنحوه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٣/٧): «رواه البزار والطبراني في الأوسط، ورجال الطبراني رجال الصحيح»، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (٧٣١/٨)، وحسَّن إسناده شعيب الأرناؤوط في تعليقه على سنن أبي داود، والألباني في صحيح سنن أبي داود برقم: (١٦٥٧)، وعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (٦٧٥/٢٤) بسند صحيح من طريق وكيع، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عنه بنحوه، وإبراهيم النخعي: أخرج ذلك ابن جرير (٦٧٥/٢٤) بسند صحيح من طريق هشيم، نا مغيرة، عنه بنحوه. قلت: ولفظ الآية أعمّ، وما ذكره ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الآية يحمل على التمثيل، قال ابن كثير (٤٩٧/٨): «وقال عكرمة: «رأس الماعون زكاة المال، وأدناه المنخل والدلو والإبرة»رواه ابن أبي حاتم. وهذا الذي قاله عكرمة حسن؛ فإنه يشمل الأقوال كلها، وترجع كلها إلى شيء واحد وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة».

(٣) القَدَرية: هي القول بإنكار القدر، وأن الأمر أُنُف، وأوّل من قال بهذه البدعة معبد الجهني المقتول في بدعته سنة (٨٠هـ)، وذلك في آخر زمن الصحابة، وقد تبرّأ الصحابة من مذهبه كابن عمر وأنس وغيرهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد تبعه على بدعته غيلان الدمشقي الذي قتله هشام بن عبد الملك، والمتأخرون منهم أنكروا تعلق الإرادة بأفعال العباد، قال

قلت: لعل أحمد أراد القدرية المنكرة للعلم بالأشياء قبل كونها، وهم غُلاتهم الذين كفَّرهم السَّلف، وإلا فلا تَعَرَّض فيها لمسألة خلق الأعمال(١).

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، قال: هذه(٢) لها نصف الصَّداق(٣). وإن مُتِّعت فحَسَن، وإن لم تُمتَّع فحَسَن(٤). قال ابن عباس: تُمتَّع

شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما هؤلاء - يعني الفرقة الثانية - فإنهم مبتدعون ضالون لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك. ينظر: شرح الطحاوية (٣٥٦/٢ - ٣٥٩).

وينظر قول الإمام أحمد هذا في: السنة للخلال (٥٥٤/٣)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦٢٧/٣)، والمقصود بقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: أن الترتيب الطبيعي الزمني: ومن نوح ومنك، فإن نوحاً أسبق من محمد عليهم صلوات الله وسلامه، بل نوح هو أول رسول أرسل إلى البشرية؛ وذلك ليدل على أن الله تعالى علم أزلاً أنه سيخلق محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذه حجة على غلاة القدرية.

(١) قاله ابن القيِّم في البدائع (١٠٣٠/٣)، والأمر كما قال، فغلاةالقدرية ينكرون العلم بالأشياء قبل وجودها، ويزعمون أن الله لم يقدر الأمور أزلاً، ولم يتقدم علمه بها، وإنما يأتنفها علماً حال وقوعها. قال العلماء: والمنكرون لهذا انقرضوا، وهم الذين كفرهم عليه الإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد وغيرهم من الأئمة، وهم الذين قال فيهم الشافعي: إن سلم القدرية العلم خصموا. يعني يقال لهم: أيجوز أن يقع في الوجود خلاف ما تضمنه العلم؟ فإن منعوا وافقوا أهل السنة، وإن أجازوا لزمهم نسبة الجهل إلى الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وقال القرطبي: قد انقرض هذا المذهب فلا نعرف أحداً ينسب إليه من المتأخرين. ينظر: لوامع الأنوار البهية (٣٠٠/١).

(٢) هي: الْمُفَوَّضَةُ، أو الْمُفَوِّضَةُ إذا طلِّقت، والْمُفَوِّضَةُ بكسر الواو هي التي زوجت نفسها من رجل من غير تسمية مهر، وَالْمُفَوَّضَةُ بفتح الواو هي التي زوجها وليها من رجل من غير تسمية مهر. ينظر: طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية (٤٥).

(٣) في رواية عنه: أن الواجب لها نصف مهر مثلها؛ لأنه نكاح صحيح يوجب مهر المثل بعد الدخول، فيوجب نصفه بالطلاق قبل الدخول، كما لو سمى محرماً. وفي رواية أخرى: ليس لها إلا المتعة. ينظر: الكافي في فقه الإمام أحمد (٧١/٣ - ٧٢)، والمغني (٢٣٩/٧).

(٤) ظاهر المذهب أن المتعة لا تجب إلاللْمُفَوَّضَة التي لم يدخل بها إذا طلقت. فمن أوجب لها نصف المهر، لم تجب لها متعة، سواء كانت ممن سمي لها صداق أو لم يسم لها لكن فرض بعد العقد. وعنه في رواية أخرى: لكل مطلقة متاع، وروي ذلك عن علي بن أبي طالب، والحسن، وسعيد بن جبير، وأبي قلابة، والزهري، وقتادة، والضحاك، وأبي ثور، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١]، وقال سبحانه: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩]، وعلى هذه الرواية لكل مطلقة متاع، سواء كانت مفوضة أو مسمى لها، مدخولاً بها أو غيرها؛ لما ذكرنا. قال أبو بكر: العمل عندي على هذه الرواية لولا تواتر الروايات بخلافها، فإنه لم يرو هذه إلا حنبل، وخالفه سائر من روى عن أبي عبد الله، فيتعين حَمْلُ هذه الرواية على الاستحباب، جمعاً بين دلالة الآيات المختلفات. ينظر: الكافي (٧٢/٣)، والمغني (٢٤٠/٧ - ٢٤١).

بخادم ونحو ذا[1].

ابن عمر: تُمتَّع بدرع وإزار، ونحو هذا[2] ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩] الآية، قال: هذه ليس عليها عِدَّة[3].

وقال سعيد بن جبير[4]: لكل مطلقة متاع[5]، ابن الْمُسَيِّبِ[6]: ليس لها متاع[7].

قال أبو عبد الله: من متَّع فحسن ومن لم يمتِّع فحسن[8].

﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧]: هو الزوج[9].

---

(١) أخرج ذلك ابن جرير (٢٩٠/٤)، وابن أبي حاتم (٤٤٢/٢)، والبيهقي في سننه (٣٩٨/٧) كلهم بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرج ذلك عبد الرزاق في المصنف (٧٤/٧) من طريق الثوري، عن محمد بن عجلان، عن أبان بن معاوية، عنه بنحوه، والبيهقي في السنن (٣٩٨/٧) من طريق أيوب بن سعد، عن موسى بن عقبة، عن نافع، أن رجلاً أتى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فذكر أنه فارق امرأته فقال: إني موسع فأخبرني عن قدري قال: «تعطي كذا، وتكسو كذا»، فحسبنا ذلك فوجدناه ثلاثين درهماً.

(٣) ويدل له آخر الآية المذكورة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩].

(٤) هو: أبو محمد، وقيل: أبو عبد الله، سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي، ثقة ثبت فقيه، من الثالثة، وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسلة، قتل بين يدي الحجاج سنة (٩٥هـ). ينظر: تهذيب الكمال (٣٥٨/١٠ - ٣٧٦).

(٥) أخرج ذلك ابن جرير (٢٩٥/٤) بسند صحيح من طريق يعقوب، ثنا ابن علية، عن أيوب، عنه به.

(٦) هو: سعيد بن الْمُسَيِّبِ بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، من كبار الثانية، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل، وقال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه، مات بعد التسعين. ينظر: تهذيب الكمال (٦٦/١١ - ٧٦)، والتقريب (١٨١).

(٧) أخرج ذلك عبد الرزاق في المصنف (٦٩/٧) بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة عنه بنحوه، وابن جرير (٢٩٦/٤ - ٢٩٧) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عنه بنحوه وزيادة.

(٨) ينظر حاشية (٣) من الصفحة السابقة.

(٩) قال بهذا الوجه من التفسير جمع من السلف منهم: علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وجبير ابن مطعم، وشريح، وقد كان يقول أنه الولي، ثم رجع إلى القول بأنه الزوج، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقد كان يقول: إنه الولي، ثم رجع إلى القول بأنه الزوج، والضحاك، وطاوس، وقد كان يقول: إنه الولي، ثم

وقد قال قوم(١): هو الولي، فإذا عفا الرجل أعطاها المهر كاملًا.

﴿أَن يَعْفُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، قال: تكون المرأة تترك للزوج ما عليه، فتكون قد عَفَتْ(٢).

قلت(٣): ونصَّ أحمد في رواية أخرى: أنه الأب(٤)، وهو مذهب مالك(٥)، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية(٦)، وقد ذكرت على رجحانه بضعة عشر دليلًا في موضع آخر(٧).

رجع إلى القول بأنه الزوج، والشعبي، ومحمد بن كعب القرظي، والربيع، وسفيان الثوري، ونافع، خرَّج ذلك عنهم: عبد الرزاق في المصنف (٦/٢٨٤)، وسعيد بن منصور (٣/٨٨٣ - ٨٩٠)، وابن أبي شيبة (٣/٥٤٤ - ٥٤٥)، وابن جرير (٤/٣٢٤ - ٣٣١)، والدارقطني (٤/٤٢٠ - ٤٢٥)، والبيهقي في الكبرى (٧/٤٠٤٠٩ - ٤٠٤١٠).

(١) قال بهذا الوجه من التفسير جمع من السلف منهم: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعلقمة، والأسود بن يزيد، وإبراهيم النخعي، وعكرمة، وعامر الشعبي، وأبو صالح، والحسن البصري، وعطاء، والسدي، وزيد بن أسلم، والزهري، أخرج ذلك عنهم: عبد الرزاق في المصنف (٦/٢٨٣)، وسعيد بن منصور (٣/٨٨٥ - ٨٨٨)، وابن أبي شيبة (٣/٥٤٥ - ٥٤٦)، وابن جرير (٤/٣١٧ - ٣٢٣)، والدارقطني (٤/٤٢٤)، والبيهقي في الكبرى (٧/٤١١ - ٤١٢).

(٢) قال بهذا الوجه من التفسير جمهور المفسرين: أخرج ذلك عبد الرزاق في المصنف (٦/٢٨٤) عن معمر قال: ﴿أَن يَعْفُونَ﴾: يعني النساء في قولك لهم، من قال: «هوالزوج، ومن قال: هو الولي، ويقولون: يعفون في ترك الصداق»، وقال ابن أبي حاتم (٢/٤٤٤) بعد أن خرَّج أثراً بسند ضعيف من طريق السديّ عن أبي صالح، عن ابن عباس، في قوله: ﴿أَن يَعْفُونَ﴾ قال: «إلا أن تعفوا لثيب فتدع حقها»، ثم قال ابن أبي حاتم: وروي عن شريح، وسعيد بن المسيب، وعكرمة، ومجاهد، والشعبي، والحسن، ونافع، وقتادة، وجابر بن زيد، وعطاء الخراساني، والضحاك، والزهري، ومقاتل بن حيان، ومحمد بن سيرين، والربيع بن أنس، والسدي، نحو ذلك، وخالفهم محمد بن كعب فقال: «يعني الرجال». وهو قول شاذ لم يتابع عليه»، وينظر آثارهم في: جامع البيان (٤/٣١٢ - ٣١٧).

(٣) قاله ابن القيِّم في البدائع (٣/١٠٣١).

(٤) ينظر: الكافي (٣/٦٩)، وقال المرداوي في الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٨/٢٧١): «قوله: «والزوج هو الذي بيده عقدة النكاح» هذا المذهب بلا ريب، وهو المشهور، وعليه الجمهور، حتى قال أبو حفص: رجع الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن القول بأنه الأب».

(٥) ينظر: موطأ مالك (٣/٧٥٥).

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٢/٣٥٩ - ٣٦٠).

(٧) أشار لهذا أيضاً في البدائع (٣/١١١٢)، ولم أقف عليه في شيء من مصنفاته التي بين يديّ.
والقول الأول: وهو أن المراد بذلك الزوج وأنه هو الذي بيده عقدة النكاح - وهو مذهب الجمهور: الحنابلة في المشهور، والشافعية، والحنفية - أرجح، وقد روي مرفوعاً إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، أخرجه الدارقطني (٤/٤٢٣): أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ولي عقدة النكاح هو الزوج»، والحديث لا يصح مرفوعاً، فإن في إسناده ضعفا. ينظر: البدر المنير (٧/٦٩١)، ومجمع الزوائد (٦/٣٢٠)، والتلخيص الحبير (٣/٤٠٩)، لكنه صحيح موقوفاً على علي بن أبي طالب كما في الإرواء (٦/٣٥٤)، ويرجح هذا القول أن الذي بيده عقدة النكاح

﴿ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، قال: جُمعت(١)، وقال قوم: ماتت(٢).

قال من قرأ: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ﴾ [طه: ٦٣]، قال: موسى وهارون، ومن قرأ: ﴿سِحْرَانِ﴾ قال: هذان كتابان واحداً بعد واحد.

قلت: هكذا رأيته وهو وَهم، وإنما هذا تفسير الآية التي في القصص: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾ [القصص: ٤٨]: أراد موسى ومحمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٤٨].

وقرأ الكوفيون: ﴿سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾: أرادوا التوراة والقرآن(٣)، وأما آية (طه) فليس فيها إلا قراءةٌ واحدة، ومعنى واحد. ﴿لَسَٰحِرَانِ﴾: يريدون موسى وهارون، فاشتبهت الآيتان على الناقل أو السامع(٤).

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج: ١٦]: تأكل لحم الساقين(٥).

بعد العقد هو الزوج؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، والعفو الذي هو أقرب للتقوى هو عفو الزوج عن حقه، أما عفو الولي عن مال المرأة، فليس هو أقرب للتقوى؛ لأن المهر للزوجة. ورجح هذا القول ابن جرير في تفسيره (٣٣٦/٤)، وينظر: المبدع في شرح المقنع (٢١٤/٦).

(١) روي هذا الوجه من التفسير: عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والخطيب في المتفق والمفترق كما في الدر (٢٦٣/١٥) عنه، وقال به قتادة: أخرج ذلك ابن جرير (١٢٧/٢٤) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه بمعناه.

(٢) قال بهذا الوجه من التفسير عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (١٢٦/٢٤)، والحاكم (٥٦٠/٢) كلاهما من طريق حصين، عن عكرمة، عنه بنحوه، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وروي عن الربيع بن خيثم: أخرج ذلك سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، كما في الدر (٢٦٢/١٥ - ٢٦٣) عنه، وعكرمة: أخرج ذلك عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، كما في الدر (٢٦٢/١٥) عنه، والضحاك: أخرج ذلك عبد بن حميد كما في الدر (٢٦٠/١٥ - ٢٦١) عنه. ورجح ابن جرير القول الأول فقال في (١٢٧/٢٤): «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى حشرت: جمعت، فأميتت؛ لأن المعروف في كلام العرب من معنى الحشر: الجمع؛ وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب الظاهر من تأويله، لا على الأنكر المجهول».

(٣) ينظر: السبعة (٤٩٥).

(٤) قاله ابن القيِّم في البدائع (١٠٣١/٣)، والأمر كما قال. ينظر: جامع البيان (٩٧/١٦، ٢٦٦/١٨ - ٢٦٩)، وتفسير ابن كثير (٣٠١/٥، ٢٤٢/٦).

(٥) قال بهذا الوجه من التفسير أبو صالح: أخرج ذلك ابن أبي شيبة (٥٥/٧)، وابن جرير (٢٦٣/٢٣) بسند صحيح =

قلت[1]: في الآية تفسيران مشهوران: أحدهما: أن الشَّوى الأطراف التي ليست مَقاتل كاليدين والرجلين تنزعها عن أماكنها، ومنه قولهم: (رمَى الصيد فَأَشْواه): إذا أصاب أطرافه دون مقاتله، فإن أصاب مَقتله فمات موضعه، قيل: (رماه فأصْمَاه)، فإن حمل السهم وفرَّ به ثم مات في موضع آخر، قيل: (رماه فأَنْماه)[2]، قال الشاعر[3]:

فَهْوَ لاَ تَنْمِي رَمِيَّتُهُ ... مَا لَهُ لا عُدَّ مِنْ نَفَرِهْ

والتفسير الثاني: أن الشَّوى: جمع شَواه، وهي جلدة الرأس وفروته، وتفسير أحمد لا يناقض هذا، فلعلَّه إنما ذكر لحم الساقين تمثيلاً، والله أعلم[4].

﴿مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ [النجم: ١٧]: لم ينصرف يميناً ولا شمالاً ﴿وَمَاطَغَىٰ﴾: لم ينظر إلى فوق[5].

وقال: من قرأ ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ [المعارج: ١] قال: سال وادٍ[6]، ومن قرأ: ﴿سَأَلَ﴾ قال: دعا[7].

= من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عنه به، عنه.

(١) قاله ابن القيِّم في البدائع (١٠٣١/٣).

(٢) ينظر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري (٣٨٣/٣).

(٣) هو: امرؤ القيس، والبيت في ديوانه (١٠١)، والشاهد منه: تنمي رميّته، يقال: أَنْمَيْتُ الصيد فنَمى يَنْمي: وذلك أن تَرْمِيَهُ فَتُصِيبُهُ ويذهب عنك فيموت بعد ما يَغيب. ينظر: لسان العرب (٣٤٣/١٥).

(٤) قد تقدم أن ما ذكره الإمام أحمد من تفسير مروي عن أبي صالح، كما أنه معروف عند العرب، قال ابن جرير (٢٦١/٢٣): «والشوى: جمع شواة، وهي من جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلاً، فربما وصف الواصف بذلك جلدة الرأس كما قال الأعشى:

قَالَتْ قُتَيْلَةُ مَا لَهُ ... قَدْ جُلِّلَتْ شَيْباً شَوَاتُهْ

وربما وصف بذلك الساق كقولهم في صفة الفرس:

عَبْلُ الشَّوَى نَهْدُ الْجُزَارَهْ

يعني بذلك: قوائمه».

(٥) قال بهذا الوجه من التفسير عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (٤٤/٢٢) من طريق مسلم البطين، عنه بنحوه، وهو بهذا الإسناد مرسل: مسلم لم يدرك ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لكن أخرجه الحاكم (٥١٠/٢) من طريق منصور عن مجاهد، عنه بنحوه، قال الحاكم: «صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: «على شرط البخاري ومسلم».

(٦) هي قراءة متواترة قرأ بها نافع، وابن عامر، وأبو جعفر. ينظر: السبعة (٦٥٠)، والحجة للقراء السبعة (٣١٧/٦ - ٣١٨)، والنشر (٣٩٠/٢)، وقد أخرجه ابن جرير (٢٤٩/٢٣) بسند صحيح من طريق ابن وهب، عن ابن زيد بهذا المعنى.

(٧) هي: قراءة متواترة قرأ بها الجمهور. ينظر: السبعة (٦٥٠)، والحجة للقراء السبعة (٣١٧/٦ - ٣١٨)، والنشر (٣٩٠/٢)،

قلت: هذا أحد القولين، والثاني: أن ذا الألف من السؤال أيضاً، لكنه قُلبت الهمزة فيه ألفاً(١).

﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ [المزمل: ٦]، قال: قيام الليل من المغرب إلى طلوع الفجر، والناشئة لا تكون إلا من بعد رقدة، ومن لم يرقد لا يقال لها ناشئة، ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا﴾ قال: هي أشدُّ تبيناً، تفهم ما يقرأ وتَعي أذنك(٢).

﴿وَخَرَّ رَاكِعٗا﴾ [ص: ٢٤]، قال: كان ابن مسعود لا يسجد فيها، يقول: هي توبة نبي(٣).

﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾ [يس: ١٤]، قال: قوَّينا(٤).

﴿مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [يس: ٢٠]، قال: هي أنطاكية(٥)، ﴿وَجَآءَ﴾ الثالث.

وقد أخرجه ابن جرير (٢٤٩/٢٣) بسند صحيح من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بهذا المعنى.

(١) قاله ابن القيِّم في البدائع (١٠٣٢/٣)، والأمر كما قال. ينظر: الحجة للقراء السبعة (٣١٧/٦ - ٣١٨).

(٢) روي هذا الوجه من التفسير: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وابن الأعرابي: عزاه إليهما: الواحدي في الوسيط (٣٧٣/٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣٥٤/٤) وفيه قال: «وقد نصّ عليه الإمام أحمد في رواية المَرُّوْذِيُّ»، وينظر قول الإمام هذا في: كشَّاف القناع عن متن الإقناع (٤٣٥/١).

(٣) أخرج ذلك الشافعي (٣٨٨)، وعبد الرزاق في المصنف (٣٣٨/٣)، وابن أبي شيبة (٣٧١/١)، والطبراني في الكبير (١٤٤/٩ - ١٤٥)، والبيهقي في الكبرى (٤٥٢/٢) من طرق عنه بنحوه، قال الهيثمي في المجمع (٢٨٥/٢): «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات رجال الصحيح».

وله أصل في المرفوع أخرجه أبو داود (٥٥٣/٢)، ح: (١٤١٠)، ك: الصلاة، ب: باب السجود في (ص)، والحاكم (٤٦٩/٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص) وهو على المنبر، فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه، فلما كان يوماً آخر قرأها، فلما بلغ السجدة تهيأ الناس للسجود، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هي توبة نبي، ولكن رأيتكم تهيأتم للسجود» فنزل وسجد وسجد الناس معه. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وصححه النووي في خلاصة الأحكام (٦٢٢/٢)، والألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (١٢٧١)، والأرناؤوط في تحقيقه للسنن.

(٤) قال بهذا الوجه من التفسير عبد الرحمن بن زيد: أخرج ذلك ابن جرير (٤١٥/١٩) بسند صحيح من طريق ابن وهب، عنه بنحوه، ومجاهد: أخرج ذلك آدم بن أبي إياس (٥٥٩) بسند حسن من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح، وابن جرير (٤١٤/١٩) بسند صحيح من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح، كلاهما عن مجاهد بلفظ: «شَدَّدْنَا».

(٥) أنطاكية: مدينة هي قصبة العواصم من الثغور الشامية، من أعيان البلاد وأمّهاتها، موصوفة بالنزاهة والطّيب والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه، وسعة الخير؛ بينها وبين حلب يوم وليلة، وبها كانت مملكة الروم، وبها مشهد حبيب النّجار فيها. ينظر: معجم ما استعجم (٤٠٠/١)، ومعجم البلدان (٢٦٦/١ - ٢٧٠). =

وقد اجتمع الناس على الاثنين، فقال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ * ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾[1] [يس: ٢٠ - ٢١].

قال أبو عبد الله: قال ابن ادريس[2]: وددت أني قرأت قراءة أهل المدينة[3].

قال: وقال ابن عيينة: قال لي ابن جُرَيج[4]: اقرأ عليَّ حتى أفسِّرَ لك[5].

قال: وكان ابن جُرَيج قد كتب التفسير عن ابن عباس وعن مجاهد[6].

وقال: رحم الله سفيان ما كان أَفْقَهَه في القرآن، وكان له علم[7].

وقال: في (النجم) في آخرها يسجدُ ثم يقوم فيقرأ، هذا في الإمام[8].

= وروي هذا الوجه من التفسير: عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، أخرج ذلك ابن جرير (٤١٥/١٩) بسند ضعيف عن ابن إسحاق بلاغاً عنهم، وبريدة: أخرج ذلك ابن أبي حاتم، كما في الدر (٣٣٤/١٢)، وقال به عكرمة: أخرج ذلك ابن جرير (٤١٣/١٩) بسند حسن من طريق سفيان، ثني السدي، عنه به، وقتادة: أخرج ذلك عبد الرزاق (٧٧/٣ - ٧٨) بسند صحيح من طريق معمر، عنه به وزيادة، وابن جرير (٤١٣/١٩) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة، عنه به وزيادة.

(١) قلت: وهو تفسير غريب، فقد جعل الرجل الذي جاء من أقصى المدينة هو الثالث المعزَّز به في الآية السابقة! لم أقف على من قال به من المفسرين فيما بين يدي من المصادر، وهو مخالف لظاهر القرآن، فلعله وهْم، أو أن فيه سقطاً.

(٢) هو: أبو محمد الأودي الكوفي، عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن بن الأسود، أخذ القراءة عن نافع وسليمان بن مهران الأعمش، قال أحمد بن حنبل: كان ابن إدريس نسيج وحده، ثقة فقيه عابد، توفي آخر سنة (١٩٢هـ)، وقيل: أول سنة (١٩٤هـ). ينظر: السير (٤٢/٩ - ٤٨)، وغاية النهاية (٤٠٩/١ - ٤١٠).

(٣) لم أقف على قوله هذا في أي من مصادر ترجمته التي بين يدي.

(٤) هو: أبو محمد، عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم، المكي، ثقة فقيه فاضل، وكان يدلس ويرسل من السادسة، مات (١٥٠هـ) أو بعدها. ينظر: تهذيب الكمال (٣٣٨/١٨ - ٣٥٣)، والتقريب (٣٠٤).

(٥) ينظر قوله هذا في: الجرح والتعديل (٣٥٧/٥).

(٦) لم أقف على قول الإمام أحمد هذا في شيء من مصادر ترجمة ابن جريج التي وقفت عليها، لكن ابن جريج أخذ التفسير عن ابن عباس من طريق عطاء بن أبي رباح كما في العجاب في بيان الأسباب (٢٠٨/١)، أما كتابته التفسير عن مجاهد فهو لم يسمع منه إلا القليل، قال يحيى: «لم يسمع ابن جريج من مجاهد إلا حرفاً». ينظر: تاريخ ابن معين (٣٠٠/٤).

(٧) ينظر: تهذيب التهذيب (١٢١/٤).

(٨) ينظر: الكافي (٢٧١/١)، والمغني (٤٤٨/١) وقال فيه: «إن قرأ السجدة في الصلاة في آخر السورة، فإن شاء ركع؛ وإن شاء سجد، ثم قام فركع نصَّ عليه، قال ابن مسعود: إن شئت ركعت وإن شئت سجدت، وبه قال الربيع بن خيثم،

وقال: النفاق لم يكن في المهاجرين(١).

وقال: في القرآن اثنان وثمانون موضعاً الصبر محمود، وموضعان مذموم، قال: المذموم: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا﴾ [إبراهيم: ٢١] ﴿أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ﴾ [ص: ٦]، أو قال: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥]، المرُّوذيُّ شكَّ(٢).

﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧]، قال: بُلِيَ بالذبح، ذَبح ابنه فوفَّى، وبُلِيَ بحرق النار فوفَّى، وذكر الثالثة فوفَّى فلم أحفظه(٣).

قلت لأبي عبد الله: إيش تفسير: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [هود: ١١٣]، قال: لا تَرْضَوا أعمالَهم(٤).

قال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]: في الصلاة والخطبة(٥).

وإسحاق، وأصحاب الرأي، ونحوه عن علقمة، وعمرو بن شرحبيل، ومسروق، قال مسروق: قال عبد الله: إذا قرأ أحدكم سورة وآخرها سجدة، فليركع إن شاء وإن شاء فليسجد؛ فإن الركعة مع السجدة، وإن سجد فليقرأ إذا قام سورة، ثم ليركع. وروي عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قرأ بالنجم فسجد فيها، ثم قام فقرأ سورة أخرى».

(١) لم أقف عليه في شيء من المصادر التي بين يدي.

(٢) قاله ابن القيِّم في البدائع (١٠٣٣/٣). وقد جاء عن ابن فارس في كتابه «الأفراد» كما في البرهان (١١٠/١)، والإتقان (١٦٠/٢)، وفيهما: «وكل صبر فيه محمود إلا: ﴿لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۖ﴾ [الفرقان: ٤٢]، ﴿وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ﴾ [ص: ٦]»، فلعل الثالثة التي شكَّ فيها المرُّوذيُّ تكون قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ﴾.

(٣) اختلف المفسرون عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾ [البقرة: ١٢٤] في الكلمات التي أوحاهن الله إلى إبراهيم وكلَّفه العمل بهن امتحاناً منه له واختباراً فأتمهن؛ فكتب الله له البراءة، فقال في النجم: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٦] على أقوال كثيرة، وما ذكره الإمام أحمد في تفسير الآية قال بنحوه: الحسن: أخرج ذلك عبد الرزاق (٢٨٩/١)، وابن جرير (٥٠٦/٢) بسند صحيح كلاهما من طريق معمر عنه بلفظ: «ابتلاه بذبح ولده، وبالنار، والكواكب، والشمس والقمر» وعليه تكون الثالثة التي نسيها المرُّوذيُّ: «الكواكب والشمس والقمر»، قال ابن كثير (٤٠٩/١): «يجوز أن يكون المراد بالكلمات جميع ما ذكر، وجائز أن يكون بعض ذلك، ولا يجوز الجزم بشيء منها أنه المراد على التعيين إلا بحديث أو إجماع. قال: ولم يصح في ذلك خبر بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة الذي يجب التسليم له».

(٤) قال بهذا الوجه من التفسير أبو العالية: أخرج ذلك ابن جرير (٦٠٠/١٢)، وابن أبي حاتم (٢٠٩٠/٦) بسند جيد من طريق الربيع بن أنس عنه به.

(٥) قال بهذا الوجه من التفسير عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن أبي حاتم (١٦٤٦/٥)، بسند حسن من طريق مسكين بن بكير، ثنا ثابت بن عجلان، عن سعيد بن جبير، عنه بنحوه، وسعيد بن جبير: أخرج ذلك

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]، قال: هو في التفسير بكتابها(١).

قلت لأبي عبد الله: في القرآن المحراب ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ [آل عمران: ٣٧]: هو محراب مثل محاريبنا هذه؟ قال: لا أدري أيَّ محراب هو؟ وفي بعض التفسير ذكر محراب داود(٢).

وسُئل عن قوله تعالى: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [البقرة: ٨٨]، قال: أوعية(٣).

ابن جرير (٦٦٦/١٠) بسند حسن من طريق بقية بن الوليد، سمعت ثابت بن عجلان، عنه بنحوه، وروي عن مجاهد: أخرج ذلك ابن جرير (٦٦٥/١٠، ٦٦٦)، وابن أبي حاتم (١٦٤٦/٥) بسند ضعيف من طريق الثوري، عن جابر، عنه بنحوه، وعطاء: أخرج ذلك ابن جرير (٦٦٥/١٠، ٦٦٦) بسند ضعيف من طريق ابن حميد، ثنا هارون، عن عنبسة، عن جابر، ومن طريق ابن جريج، عنه بنحوه. وهو اختيار ابن جرير (٦٦٦/١٠) وعلَّله بما جاء في الأحاديث من الأمر بالإنصات خلف الإمام وحال الخطبة.

(١) قال بهذا الوجه من التفسير مجاهد: أخرج ذلك آدم بن أبي إياس (٤٣٩) بسند حسن من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عنه بنحوه، وابن جرير (٨/١٥) بسند صحيح من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح عنه بنحوه، والوجه الذي فسَّر به الإمام أحمد الآية وهو: بكتابهم: فيه قولان يحتملهما الأثر المروي عن مجاهد، أحدهما: أنه كتابهم الذي فيه أعمالهم: روي هذا الوجه من التفسير: عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (٧/١٥) بسند ضعيف من طريق العوفي عنه بنحوه، وقال به أبو العالية: أخرج ذلك ابن جرير (٧/١٥) بسند جيد من طريق الربيع ابن أنس، عنه بنحوه، وروي عن الضحاك: أخرج ذلك ابن جرير (٧/١٥) بسند ضعيف من طريق أبي معاذ، ثنا عبيد، عنه بنحوه، وقال به الحسن: أخرج ذلك عبد الرزاق (٣٠٥/٢)، وابن جرير (٧/١٥) كلاهما بسند صحيح من طريق معمر عنه بنحوه. والثاني: كتابهم الذي أُنزل عليهم: قال بهذا الوجه من التفسير: يحيى بن زيد: أخرج ذلك ابن جرير (٨/١٥) بسند صحيح من طريق ابن وهب عنه بنحوه. قال ابن كثير (٩٩/٥) بعد أن ذكر الوجه الأول من التفسير - بكتابهم الذي فيه أعمالهم -: «وهذا القول هو الأرجح؛ لقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]».

(٢) لم أقف عليه.

(٣) وهذا على قراءة «غُلُفٌ» بتحريك اللام وضمِّها، قال ابن مجاهد في السبعة (١٦٤): «روى أحمد بن موسى اللؤلؤي عن أبي عمرو أنه قرأ «غُلُفٌ» بضم اللام، وروى الباقون عنه أنه خفف، والمعروف عنه التخفيف».

قال ابن جرير (٢٣٠/٢): «وأما الذين قرؤوها: «غُلُفٌ» بتحريك اللام وضمها، فإنهم تأولوها أنهم قالوا: قلوبنا غلف للعلم، بمعنى أنها أوعية. قال: والغُلُف على تأويل هؤلاء جمع غلاف، كما يجمع الكتاب كتب، والحجاب حجب، والشهاب شهب. فمعنى الكلام على تأويل قراءة من قرأ: غلف بتحريك اللام وضمها: وقالت اليهود قلوبنا غلف للعلم، وأوعية له ولغيره». وروي هذا الوجه من التفسير: عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرج ذلك ابن جرير (٢٣١/٢)، وابن أبي حاتم (١٧٠/١) كلاهما بسند ضعيف من طريق أبي روق، عن الضحاك عنه بمعناه، وقال به عطية العوفي: أخرج ذلك ابن جرير (٢٣٠/٢ - ٢٣١) بسند حسن من طريق فضيل بن مرزوق، عنه به.

قلت: هذا أحد القولين، والقول الثاني - وهو أرجح -: ﴿غُلْفٌ﴾ أي: في غشاوة، لا نفقه عنك ما تقول، نظيره قوله: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾ [فصلت: ٥]، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يضعِّف قول من قال: (أوعية) جداً، وقال: إنما هي جمع أغلف، ويقال للقلب الذي في الغشاء: أغلَفُ، وجمعه: غُلفٌ، كما يقال للرجل غير المختون: أقلفُ، وجمعه: قُلفٌ(١).

وسُئل عن صيام ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾ [البقرة: ١٩٦]، قال: كملت للهَدي(٢).

﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فأمَّا أهلُ مكة فليس عليهم هَديٌ، ولا لمن كان بأطراف ما تقصر فيه الصلاة(٣).

آخر ما وُجد من خط القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) قاله ابن القيِّم في البدائع (١٠٣٤/٣)، والأمر كما قال، ينظر ما عزاه لشيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٦/٧، ١٣/١٦)، وينظر مفتاح السعادة له (٩٩/١).

(٢) قال بهذا الوجه من التفسير: الحسن: أخرج ذلك ابن أبي حاتم (٣٤٣/١) بسند صحيح من طريق هشيم، عن عباد ابن راشد، عنه بنحوه. وعزاه ابن تيمية في شرح العمدة (٣٣٥/٢) للإمام أحمد برواية المرُّوذيُّ عنه.

(٣) ما فسرَّ به الإمام أحمد: ﴿حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾: هو مذهب الشافعي في الجديد، واختاره ابن جرير (٤٤٢/٣)؛ وذلك لأن من كان كذلك يعدَّ حاضراً لا مسافراً. ينظر: الهداية (١٧٣)، والكافي (٤٨٠/١)، وتفسير ابن كثير (٥٤٠/١)، وهذا هو الموضع الوحيد الذي فسَّر به الإمام أحمد الآية تفسيراً لم أجد من قال به من السلف قبله رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأحمد الله تعالى في الختام على التمام، وأساله التوفيق والسداد والإخلاص في جميع الأقوال والأعمال، وأود أن ألخص نتائج هذا البحث بما يلي:

أولاً: أن هذه القطعة التفسيرية للمصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تشبه تفاسير السلف في تلك الفترة الزمنية، إذ يغلب عليها الاختصار.

ثانياً: نهج المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره منهج العالم بأصول التفسير، وذلك بتفسيره القرآن بالسنة، ثم بأقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم، فتفسيره هذا قام على التفسير بالمأثور، كما ثبت ذلك من خلال العزو والتخريج لأقواله.

ثالثاً: اعتنى المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالقراءات القرآنية متواترها وشاذها، إيراداً وتوجيهاً.

رابعاً: توقف المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند آيات الأحكام، وحكى فيها أقوال فقهاء الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب، ولا عجب فهو الإمام في الفقه.

خامساً: اعتنى المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقضية النسخ في القرآن الكريم، فكان يشير إلى الناسخ والمنسوخ من الآيات.

سادساً: يظهر من خلال عزو أقوال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ التفسيرية في هذه القطعة لقائليها من سلف الصحابة، أو التابعين، اعتمادُ الإمام على تفسير ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من طريق علي بن أبي طلحة، ولا عجب فهو الذي قال عن صحيفة علي بن أبي طلحة: «بمصر صحيفة في التّفسير رواها عليّ بن أبي طلحة لو رحل فيها رجلٌ إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً»[1].

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٧٣/٣)، وقد بلغ عدد مرات التخريج منها في هذه القطعة التفسيرية ثمانية عشر تخريجاً.

كما يظهر اعتماده كثيراً على تفسير مجاهد بن جبر برواية ابن أبي نَجِيح عنه، وقد أشار شيخ الإسلام بن تيمية إلى اعتماد الإمام أحمد على تفسير مجاهد بن جبر، فقال: «كذلك الإمام أحمد وغيره ممن صنَّف في التفسير، يكرر الطرق عن مجاهد أكثر من غيره»(١).

سابعاً: لهذه القطعة التفسيرية قيمة علمية كبيرة، ظهرت بصماتها واضحة من خلال العناية بها، فعلى قصرها فقد أفصحت لنا عن شيء من منهج هذا العالم الموسوعي في التفسير، كما أنها برهنت على ثبوت نسبة التفسير للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثامناً: لم أجد تفسير الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مخطوطاً حسب فهارس مخطوطات التفسير، ولعل هذا النصّ يساعد في اكتشاف المخطوط المجهول، وذلك بمقارنة هذا النصّ مع المخطوط المجهول.

وختاماً: أسأل الله سبحانه أن لا يجعل ما علَّمناه وبالاً، وأن يرزقنا العمل بما يرضيه عنا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

(١) مقدمة في أصول التفسير (١٠)، وقد بلغ عدد مرات التخريج منها في هذه القطعة التفسيرية تسعة وعشرين تخريجاً.

فهرس الآيات

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾	٦٨	البقرة	٢٨٥
﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾	٧١	البقرة	٢٨٥
﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾	٨٦	البقرة	٢٩٥
﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾	٨٨	البقرة	٣٢٨
﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾	١٧٥	البقرة	٣٢٧
﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾	١٩٦	البقرة	٣٢٩
﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ﴾	٢٣٤	البقرة	٢٨٦
﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾	٢٣٦	البقرة	٣٢٠
﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾	٢٣٧	البقرة	٣٢١
﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾	٢٥٥	البقرة	٢٩٩
﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾	٢٥٩	البقرة	٣١٤
﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾	٣٧	آل عمران	٣٢٨
﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾	٩٢	آل عمران	٢٩٥
﴿فِيهَا صِرٌّ﴾	١١٧	آل عمران	٢٩٥
﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾	١	المائدة	٣٠٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾	٢	المائدة	٣٠٨
﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ﴾	٣	المائدة	٣١٠
﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾	٩٧	المائدة	٣١٠
﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾	٨٩	الأنعام	٣٠٤
﴿قِنْوَانٌ﴾	٩٩	الأنعام	٣٠٤
﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾	١٤٥	الأنعام	٣١٧
﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾	٩١	الأعراف	٣٠٥

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾	٢٠٤	الأعراف	٣٢٧
﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾	٤٠	التوبة	٣٠٩
﴿فَضَحِكَتْ﴾	٧١	هود	٢٩٥
﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾	١١٣	هود	٣٢٧
﴿بِبَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾	٢٠	يوسف	٢٩٦
﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾	٢٦	يوسف	٣١٢
﴿ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ﴾	٣٣	يوسف	٢٨٥
﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾	٤٩	يوسف	٣١٥
﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾	٧٠	يوسف	٢٨٦
﴿صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾	٧٢	يوسف	٣٠٥
﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾	٨٣	يوسف	٣١٢
﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾	٩٢	يوسف	٣١٢
﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى﴾	٩٣	يوسف	٣١٢
﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ﴾	٩٨	يوسف	٣٠٢
﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾	١٠٠	يوسف	٣١٢
﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾	١٠١	يوسف	٣٠٦
﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾	٢	الرعد	٢٩٣
﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾	٢١	إبراهيم	٣٢٧
﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾	٤٧	النحل	٣١٥
﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾	٧٥	النحل	٣٠٦
﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ﴾	١١٢	النحل	٢٨٦
﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾	٦	الإسراء	٣٠٦
﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾	٧١	الإسراء	٣٢٨
﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾	٨٦	الإسراء	٣٠١

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۞ قَيِّمًا﴾	١-٢	الكهف	٣٠٦
﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾	١٩	الكهف	٣٠٦
﴿بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾	٩٦	الكهف	٢٩٩
﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾	٢٨	مريم	٣٠٧
﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾	٧	طه	٣٠٥
﴿هَٰرُونَ أَخِى ۞ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾	٣٠-٣١	طه	٣٠٥
﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾	٦٣	طه	٣٢٣
﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾	٨٧	الأنبياء	٣١٧
﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾	٩٩	الأنبياء	٣٠٧
﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾	٢٥	الحج	٣١١
﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾	٣٣	الحج	٣١٨
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ﴾	٥٢	الحج	٣١٨
﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾	٧	المؤمنون	٣١٨
﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾	١٤	المؤمنون	٣١٨
﴿يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾	١٨٩	الشعراء	٣٠٤
﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾	٤٠	النمل	٣١٨
﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾	٤٨	القصص	٣٢٣
﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾	٢٧	العنكبوت	٢٩٤
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾	٦٩	العنكبوت	٣٠١
﴿نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾	٢٧	السجدة	٣٠٣
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾	٧	الأحزاب	٣١٩
﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ﴾	٢٥	الأحزاب	٢٩٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾	٤٩	الأحزاب	٣٢١
﴿عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾	١٢	سبإ	٢٩٩

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾	١٤	سبإ	٢٩٩
﴿سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾	١٦	سبإ	٢٩٧
﴿ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾	١٦	سبإ	٣٠٠
﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾	٣٩	سبإ	٣٠٠
﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾	٥٢	سبإ	٣٠٠
﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾	١٤	يس	٣٢٥
﴿مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ * ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾	٢٠-٢١	يس	٣٢٦
﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾	٤٨	الصافات	٢٩٦
﴿أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾	٦	ص	٣٢٧
﴿وَحَرَّرَاكِعًا﴾	٢٤	ص	٣٢٥
﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾	٣٣	ص	٢٩٤
﴿أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾	٤٦	ص	٢٩٤
﴿خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾	٧٥	ص	٢٩٣
﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾	٦	الزمر	٣١٧
﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾	١٩	غافر	٣٠٥
﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾	٥	فصلت	٣٢٩
﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾	٩	الفتح	٣١٥
﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ﴾	١٤	الحجرات	٢٩١
﴿سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾	٢١	ق	٣١٩
﴿ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾	٥٩	الذاريات	٣٠١
﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾	٦	الطور	٣١٦
﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾	١٧	النجم	٣٢٤
﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾	٣٧	النجم	٣٢٧

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾	٦	الرحمن	٢٩٣
﴿ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾	١١	الرحمن	٣٠١
﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾	٢٢	الواقعة	٢٩٦
﴿يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾	٤٦	الواقعة	٢٩٧
﴿شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾	٥٥	الواقعة	٢٩٧
﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾	٨٦	الواقعة	٢٨٥
﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾	١٠	الحشر	٢٩٦
﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾	٤	الطلاق	٢٨٦
﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾	١١	التحريم	٢٩٣
﴿مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾	٣٠	الملك	٣١٤
﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾	١٧	القلم	٢٩٠
﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾	٢٠	القلم	٢٩٠
﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾	٢٨	القلم	٢٩٠
﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾	١	المعارج	٣٢٤
﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾	٨	المعارج	٢٩١
﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾	١٦	المعارج	٣٢٣
﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾	٦	المزمل	٣٢٥
﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾	٤	المدثر	٢٨٧
﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾	٥	المدثر	٢٨٧
﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾	٦	المدثر	٢٨٧
﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾	٢٥	المرسلات	٢٩٢
﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾	٢٦	المرسلات	٢٩٢
﴿مَّآءً فُرَاتًا﴾	٢٧	المرسلات	٢٩٢
﴿إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾	٢٢	عبس	٣١٥

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ﴾	٤	التكوير	٣٠٢
﴿ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ﴾	٥	التكوير	٣٢٣
﴿عَسۡعَسَ﴾	١٧	التكوير	٢٨٩
﴿ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾	٣	الانفطار	٣١٦
﴿ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾	١١	الطارق	٢٩١
﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾	٧	الفجر	٢٨٩
﴿جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ﴾	٩	الفجر	٢٨٩
﴿خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾	٤	البلد	٣١٣
﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾	٦	العاديات	٢٩٨
﴿كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾	٤	القارعة	٢٩٢
﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾	٨	التكاثر	٣٠٣
﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾	٤-٥	الماعون	٣١٦
﴿ٱلۡمَاعُونَ﴾	٧	الماعون	٣١٩
﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾	٢	المسد	٣٠٢
﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾	١	الفلق	٢٨٧
﴿إِذَا وَقَبَ﴾	٣	الفلق	٢٨٩
﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾	٤	الفلق	٢٨٨
﴿ٱلۡعُقَدِ﴾	٤	الفلق	٢٨٨
﴿حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾	٥	الفلق	٢٨٨

المصادر والمراجع

- **الإبانة الكبرى**: لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة (٣٨٧هـ)، المحقق: رضا معطي، وآخرون، دار الراية، الرياض.
- **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**: لأبي العباس شهاب الدين أحمد ابن أبي بكر البوصيري الشافعي (٨٤٠هـ)، المحقق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- **الإتقان في علوم القرآن**: لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).
- **الأحاديث المختارة**: لأبي عبد الله ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي (٦٤٣هـ)، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، دار خضر، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**: لأبي حاتم محمد بن حبان البُستي (٣٥٤هـ)، حققه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- **الأدب المفرد**: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).
- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**: لمحمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**: لأبي الحسن عز الدين بن الأثير علي بن أبي الكرم الجزري (٦٣٠هـ)، دار الفكر، بيروت (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).
- **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**: لمحمد أبو شهبة، مكتبة السنة، الطبعة الرابعة.

- **الأسماء والصفات**: لأبي بكر البيهقي، أحمد بن الحسين الخراساني (٤٥٨هـ)، حققه: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
- **الإصابة في تمييز الصحابة**: لأبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: لمحمد الأمين الجكني الشنقيطي (١٣٩٣هـ)، دار الفكر، بيروت (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**: لمحمد بن أبي بكر شمس الدين بن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩١م).
- **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف**: لأبي الحسن علاء الدين علي بن سليمان المرداوي الحنبلي (٨٨٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.
- **الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه**: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٤٧٣هـ)، المحقق: أحمد حسن فرحات، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**: لزين الدين المعروف بابن نجيم المصري، المتوفى (٩٧٠هـ)، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية.
- **البحر المحيط في التفسير**: لأبي حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت (١٤٢٠هـ).
- **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**: لأبي بكر علاء الدين بن مسعود الكاساني الحنفي (٥٨٧هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- **بدائع الفوائد**: لأبي عبد الله شمس الدين المعروف بابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، المحقق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).

- **البرهان في علوم القرآن**: لأبي عبد الله بدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م).
- **البعث والنشور**: لأبي بكر البيهقي أحمد بن الحسين الخراساني (٤٥٨هـ)، تحقيق: عامر حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- **البناية شرح الهداية**: لأبي محمد بدر الدين محمود بن أحمد الحنفي العيني (٨٥٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- **تاج العروس من جواهر القاموس**: لأبي الفيض محمّد الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- **تاريخ ابن معين «رواية الدوري»**: لأبي زكريا يحي بن معين البغدادي (٢٣٣هـ)، المحقق: د. أحمد نور سيف، مركز إحياء التراث، مكة المكرمة، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- **التاريخ الكبير**: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.
- **تاريخ بغداد**: لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: مصطفى عبد القادر، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ).
- **التحرير والتنوير**: لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ)، الدار التونسية، تونس (١٩٨٤هـ).
- **التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار**: لزين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ)، المحقق: بشير عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، دار البيان، دمشق، الطبعة الثانية (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م).
- **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**: لأبي محمد عبد العظيم المنذري (٦٥٦هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ).

- **تغليق التعليق على صحيح البخاري**: لأبي الفضل بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، المحقق: سعيد عبد الرحمن، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ).
- **التفسير الصحيح**: أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر، المدينة النبوية، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- **تفسير القرآن العظيم**: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، المحقق: سامي سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- **تفسير القرآن العظيم**: لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم (٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد الطيب، مكتبة نزار الباز، السعودية، الطبعة الثالثة (١٤١٩هـ).
- **تفسير مجاهد**: لأبي الحجاج مجاهد بن جبر القرشي (١٠٤هـ)، المحقق: محمد عبد السلام، دار الفكر الإسلامي، مصر، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م).
- **التفسير من سنن سعيد بن منصور**: لأبي عثمان سعيد بن منصور (٢٢٧هـ)، تحقيق: د. سعد آل حميد، دار الصميعي، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- **تقريب التهذيب**: لأبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، عناية: عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**: لأبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: حسن بن عباس، مؤسسة قرطبة، مصر، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ).
- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: لأبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

- **تهذيب اللغة**: لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى (٢٠٠١م).
- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: لعبد الرحمن السعدي (١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).
- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله التركي، وآخرون، دار هجر، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م).
- **الجامع لأحكام القرآن**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية (١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م).
- **الجرح والتعديل**: لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي (٣٢٧هـ)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن، الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى (١٢٧١هـ).
- **جمهرة اللغة**: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٨٧م).
- **الحجة للقراء السبعة**: لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسيّ (٣٧٧هـ)، المحقق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية (١٤١٣هـ).
- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، الطبعة الأولى (١٣٨٧هـ).
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: لأبي نعيم الأصبهاني (٤٣٠هـ)، دار السعادة، مصر (١٣٩٤هـ).

- **خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام**: لأبي زكريا محيي الدين النووي (٦٧٦هـ)، حققه: حسين الجمل، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ).
- **خلق أفعال العباد**: لأبي عبد الله البخاري (٢٥٦هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية، الرياض.
- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، المحقق: د. عبد الله عبد المحسن التركي، مركز هجر، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
- **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج**: لعبد الرحمن بن أبي بكرالسيوطي (٩١١هـ)، حققه: أبو إسحاق الحويني، دار ابن عفان، الخبر، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).
- **ديوان امرِئ القيس**: اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية (١٤٢٥هـ).
- **روائع التفسير**: لزين الدين بن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: طارق بن عوض الله، الناشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: لشهاب الدين الألوسي (١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).
- **زاد المسير في علم التفسير**: لأبي الفرج جمال الدين بن الجوزي (٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).
- **الزهد**: لأبي داود السجستاني، (٢٧٥هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، دار المشكاة، حلوان، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
- **السبعة في القراءات**: لأبي بكر بن مجاهد البغدادي (٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية (١٤٠٠هـ).

- **السنة**: لأبي بكر الخَلَّال الحنبلي (٣١١هـ)، المحقق: د. عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م).
- **سنن ابن ماجه**: لأبي عبد الله القزويني (٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
- **سنن أبي داود**: لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (٢٧٥هـ)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
- **سنن الترمذي**: لأبي عيسى الترمذي (٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).
- **سنن الدارقطني**: لأبي الحسن الدارقطني (٣٨٥هـ)، حققه: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).
- **السنن الكبرى**: لأبي بكر البيهقي (٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
- **السنن الكبرى**: لأبي عبد الرحمن النسائي (٣٠٣هـ)، حققه: حسن شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**: لأبي القاسم اللالكائي (٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد الغامدي، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثامنة (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).
- **شرح السنة**: لأبي محمد محيي السنة البغوي (٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- **شرح العقيدة الطحاوية**: لصدر الدين بن أبي العز الحنفي (٧٩٢هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

- **الشريعة**: لأبي بكر الآجُرِّيُّ (٣٦٠هـ)، المحقق: د. عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- **شعب الإيمان**: لأبي بكر البيهقي (٤٥٨هـ)، حققه: د. عبد العلي حامد، مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).
- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**: لأبي نصر الجوهري (٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- **الضعفاء الكبير**: لأبي جعفر العقيلي (٣٢٢هـ)، المحقق: عبد المعطي قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
- **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**: لأبي عبد الرحمن ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.
- **طبقات الحنابلة**: لأبي الحسين بن أبي يعلى (٥٢٦هـ)، المحقق: محمد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
- **الطبقات الكبرى**: لأبي عبد الله البغدادي المعروف بابن سعد (٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
- **طلبة الطلبة**: لأبي حفص نجم الدين النسفي، المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد (١٣١١هـ).
- **العجاب في بيان الأسباب**: لأبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، المحقق: عبد الحكيم الأنيس، دار ابن الجوزي.
- **العظمة**: لأبي الشيخ الأصبهاني (٣٦٩هـ)، المحقق: رضاء الله المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ).

- **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**: لأبي الفرج بن الجوزي (٥٩٧هـ)، المحقق: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة الثانية (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).
- **العلل ومعرفة الرجال**: لأبي عبد الله أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، المحقق: وصي الله ابن محمد عباس، دار الخاني، الرياض، الطبعة الثانية (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- **غاية النهاية في طبقات القراء**: لأبي الخير بن الجزري، (٨٣٣هـ)، مكتبة ابن تيمية.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: لأبي الفضل أحمد بن حجر (٨٥٢هـ)، رقمه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت (١٣٧٩هـ).
- **الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي**: لزين الدين المناوي (١٠٣١هـ)، المحقق: أحمد مجتبى، دار العاصمة، الرياض.
- **فتح القدير**: لمحمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ).
- **الفتن**: لأبي عبد الله نعيم بن حماد (٢٢٨هـ)، المحقق: سمير الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ).
- **الفردوس بمأثور الخطاب**: لأبي شجاع الديلميّ، (٥٠٩هـ)، المحقق: السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**: لأبي محمد بن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**: لأبي بكر بن أبي شيبة (٢٣٥هـ)، المحقق: كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ).
- **كتاب تفسير القرآن**: لأبي بكر بن المنذر (٣١٩هـ): د. سعد السعد، دار المآثر، المدينة النبوية، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

- **كشاف القناع عن متن الإقناع**: لمنصور البهوتي (١٠٥١هـ)، دار الكتب العلمية.
- **كشف الأستار عن زوائد البزار**: نور الدين الهيثمي (٨٠٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**: لأبي إسحاق الثعلبي (٤٢٧هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).
- **الكنى والأسماء**: لأبي بِشْر الدولابي (٣١٠هـ)، المحقق: أبو قتيبة الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
- **لسان العرب**: لأبي الفضل بن منظور (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ).
- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**: لأبي العون السفاريني (١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين، دمشق، الطبعةالثانية (١٤٠٢هـ).
- **المبدع في شرح المقنع**: لأبي إسحاق ابن مفلح (٨٨٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- **المبسوط في القراءات العشر**: لأبي بكر النيسابوريّ (٣٨١هـ)، تحقيق: سبيع حمزة، مجمع اللغة العربية، دمشق (١٩٨١م).
- **المبسوط**: لمحمد بن أحمد السرخسي (٤٨٣هـ)، دار المعرفة، بيروت (١٤١٤هـ).
- **مجاز القرآن**: لأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري (٢٠٩هـ)، المحقق: محمد فؤاد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة (١٣٨١هـ).
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: لأبي الحسن نور الدين الهيثمي (٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

- **مجموع الفتاوى**: لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
- **محاسن التأويل**: لمحمد جمال الدين القاسمي، المتوفى (١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ).
- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**: لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: لأبي محمد بن عطية الأندلسي (٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).
- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**: لابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤١٦هـ).
- **المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين**: لأبي يعلى القاضي (٤٥٨هـ)، المحقق: د. عبد الكريم اللاحم، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- **مسائل حرب الكرماني للإمامين أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه**: لأبي محمد حرب الكرماني (الطهارة والصلاة) (٢٨٠هـ)، المحقق: محمد السّرَيِّع، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).
- **المستدرك على الصحيحين**: لأبي عبد الله الحاكم، النيسابوري (٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩٠م).
- **مسند أبي يعلى**: لأبي يعلى الموصلي (٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).

- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: لأبي عبد الله أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، إشراف: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ).
- **مسند البزار**: لأبي بكر البزار (٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخران، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى (٢٠٠٩م).
- **مسند الدارمي**: لأبي محمد الدارمي (٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم، دار المغني، السعودية، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م).
- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله** ﷺ: لأبي الحسن مسلم بن الحجاج (٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **المسند**: لأبي عبد الله الشافعي (٢٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٠هـ).
- **المصنف**: لأبي بكر عبد الرزاق الصنعاني (٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ).
- **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**: لأبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، المحقق: (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، دار العاصمة، دار الغيث، السعودية، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ).
- **معالم التنزيل في تفسير القرآن**: لأبي محمد محيي السنة البغوي (٥١٠هـ)، المحقق: محمد النمر، وآخران، دار طيبة، الطبعة الرابعة (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- **معاني القرآن**: لأبي الحسن المعروف بالأخفش الأوسط (٢١٥هـ)، تحقيق: د. هدى قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩٠م).
- **معاني القرآن**: لأبي زكريا الفراء (٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد النجاتي، وآخرون، دار المصرية، مصر، الطبعة الأولى.

- **معجم البلدان**: لأبي عبد الله ياقوت الحموي (٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية (١٩٩٥م).
- **المعجم الكبير**: لأبي القاسم الطبراني (٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.
- **المعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي**: لأبي بكر الإسماعيلي (٣٧١هـ)، المحقق: د. زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ).
- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**: لأبي عبيد البكري (٤٨٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٣هـ).
- **المغني**: لأبي محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي الحنبلي (٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة (١٣٨٨هـ).
- **مفاتيح الغيب**: لأبي عبد الله الملقب بفخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٢٠هـ).
- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**: لأبي زكريا النووي (٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ).
- **الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري**: لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي (٣٧٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله المحارب، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى (١٩٩٤م).
- **الموافقات**: لإبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي (٧٩٠هـ)، المحقق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- **الموطأ**: لمالك بن أنس الأصبحي المدني (١٧٩هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد آل نهيان، أبوظبي، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

- **ناسخ القرآن ومنسوخه**: لأبي الفرج جمال الدين بن الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد أشرف المليباري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).
- **الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن**: لأبي عُبيد القاسم بن سلّام (٢٢٤هـ)، تحقيق: محمد المديفر، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية (١٤١٨هـ).
- **الناسخ والمنسوخ وتنزيل القرآن بمكة والمدينة**: لمحمد بن شِهَاب الزهري (١٢٤هـ)، المحقق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
- **الناسخ والمنسوخ**: لأبي جعفر النَّحَّاس (٣٣٨هـ)، المحقق: د. سليمان اللاحم، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ).
- **النشر في القراءات العشر**: لأبي الخير شمس الدين بن الجزري، (٨٣٣هـ)، المحقق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.
- **نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي**: لأبي محمد جمال الدين الزيلعي، المحقق: محمد عوامة، مؤسسة الريان، بيروت، دار القبلة، جدة، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ).
- **نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عَزَّوَجَلَّ من التوحيد**: لأبي سعيد الدارمي (٢٨٠هـ)، المحقق: رشيد الألمعي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ).
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**: لأبي السعادات ابن الأثير (٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- **نوادر الأصول في أحاديث الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ**: لأبي عبد الله الحكيم الترمذي (٣٢٠هـ)، المحقق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت.

- **الوافي بالوفيات**: لصلاح الدين الصفدي (٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- **الورع**: لأبي عبد الله أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، رواية: أبو بكر أحمد بن محمد ابن الحجاج المَرُّوزي (٢٧٥هـ)، المحقق: سمير بن أمين الزهيري، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ).
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: لأبي العباس شمس الدين ابن خلكان (٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- **الوقوف والترجل من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل**: لأبي بكر الخَلَّال الحنبلي (٣١١هـ)، المحقق: سيد كسروي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	٢٧٧
المقدمة	٢٧٨
التمهيد: ترجمة موجزة للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ	٢٨٢
نص التفسير	٢٨٣
الخاتمة	٣٣٠
فهرس الآيات	٣٣٢
المصادر والمراجع	٣٣٨

الإشكاليات البلاغية لترجمة «معنى المعنى» في النص القرآني

دراسة تطبيقية

د. إبراهيم سعيد السيد (*)

ملخص البحث

للترجمةِ بعضُ الإشكاليَّاتِ إذا كانت تتعاملُ مع نصٍّ قد جمع بين أمرين مهمين، هما: القدسية، وسَعة الدلالة. أما القدسية فتجعل المترجم هيّاباً من الإخلال بنقل المعنى الدقيق؛ ولذا فإنه - غالباً - يكتفي بالمعنى الظاهري أو الدلالة المباشرة التي قد تكون غير مرادة.

أمَّا سعة الدلالة فتجعله كذلك حائراً بين عدة مستويات دلالية للنص، وبخاصة مستوى «معنى المعنى»، وحينئذ يلجأ إلى الدلالة الظاهرة، وهي ليست مرادة دائماً، ذلك أن للغة معنى، ومعنى المعنى، وقد فرَّق بينهما الجرجاني بقوله: «المعنى: المفهوم من ظاهر النص، والذي تصل إليه بغير واسطة، ومعنى المعنى: أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر».

ومن ثَمَّ يهدف هذا البحث إلى رصد إشكاليات تحديد معنى المعنى في النص القرآني، التي يتعلق بعضها بالعدول عن الدلالة الظاهرة، والحاجة إلى القرائن المفسرة، واختلاف تصور المخاطبين، وتجريد الصورة البلاغية من بلاغتها.

(*) أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد بجامعة جازان.

مدخل

إذا كانت الترجمة عن الآخر تصنع الثقافة، فإن الترجمة الصحيحة عن الذات تصوغ ملامح الهوية الحقيقية لحضارة العرب والمسلمين عند الآخر. وفرق كبير بين ترجمة قصيدة شعرية أو عمل فني، وترجمة نص إلهي؛ ذلك أن المترجم إزاء النص الأول يتمتع بصلاحيات مطلقة، ربما لا تتوافر جميعها في التعامل مع النص الثاني، لما له من ضوابط في التأويل.

كما أن تعاطي المعنى يقتضي التفريق بين معنى الكلمة ومعنى الجملة، والمعنى الذاتي والإيحائي، والمعنى الدلالي المميز، والسياق أو إطار الحديث، بالإضافة إلى منظومة البلاغة، والطرق المعرفية في معالجة النص(١)، وكل هذا يختلف بين النصوص الأدبية والنص القرآني.

وقد رصد بعض الباحثين جملة من الملاحظات في ترجمة الصورة البلاغية في القرآن الكريم إلى عدة لغات، منها اللغة الملايوية(٢)، مما يدل على أن المعاني الثواني أو «معنى المعنى» من أهم المواطن التي ينبغي التعامل معها بحذر إزاء ترجمة معاني القرآن الكريم.

وقد طبقتُ إجراءات هذا البحث على ثلاث ترجمات هي:

الترجمة الأولى: التي أعدها د. محمد تقي الدين الهلالي، د. محمد محسن خان، بعنوان: (Translation Of The Meanings of The Noble Quran In The English Language).

الترجمة الثانية بعنوان: (Quran English Translation) لطلال عيتاني.

الترجمة الثالثة بعنوان: (The Quran English Meanings) لـ (Saheeh International).

(١) ينظر: الترجمة وعملياتها، روجر .ت.بيل، ترجمة محيي الدين حميدي (ص١٧٧ - ٢٢٣).

(٢) ينظر: أخطاء ترجمة مفهوم الاستعارة في آيات القرآن الكريم إلى اللغة الملايوية، عرض وتحليل، عاصم شحادة علي، وصوفي بن مان، مجلة الإسلام في آسيا، العدد الخاص الثاني، يونيو (٢٠١١).

وقد جاء اختيار هذه الدراسة لأكثر من ترجمة بهدف البحث عن طرق معالجة الدلالات البلاغية التي يؤثِّر إهمالها في معنى النص[1]، وكيف تنوعت أساليب الترجمة، ولا أقصد الدلالات الجمالية التي تضفي على النص دلالة تحسينية غير مؤثرة على أصل المعنى في الغالب[2].

الدراسات السابقة:

من أهم الدراسات السابقة - في هذا الموضوع - أعمال المؤتمر العلمي الذي عقد في جامعة القاضي عياض بالمغرب، بعنوان: «ترجمة البلاغة القرآنية بين أسئلة الهوية وثقافة الآخر»[3]، إذ تتضمن أبحاثاً كثيرة، منها الآتي:

- ترجمة الأمثال القرآنية وتحديات ثقافة الآخر، مريم بلغيثة، وأسماء كويحي.
- الترجمة وبلاغة الإقناع في القرآن الكريم، أحمد كروم.
- ترجمة معاني القرآن الكريم وإشكالية المنوال الدلالي في ضوء المعجم والسياق، عزوز الشوالي.
- ترجمة الأسرار البلاغية التي تنطوي عليها ظاهرة التقديم والتأخير في البيان القرآني، عصمت محمود المصري.
- إشكالية ترجمة حروف الجر في القرآن الكريم: تطبيقات على الترجمة الإنجليزية، إحسان علي السامرائي.
- الإعجاز الترجمي في القرآن الكريم، نحو بناء نظرية بيانية لترجمة معاني القرآن الكريم، عبد الحميد زاهيد.

---

(١) وذلك مثل: خروج الكلام على مقتضى الظاهر، ومجيء الإنشاء بمعنى الخبر والعكس، ودلالات القصر والتخصيص، والمجاز المرسل، والاستعارة، إلى آخر هذه الظواهر التي تتحقق فيها رتبة أساسية للمعنى تدرك من خلال القرائن السياقية، وتحتاج إلى الاسترشاد بالتفاسير البلاغية في إيضاحها.

(٢) وذلك مثل الطباق والمقابلة ومراعاة النظير... إلخ.

(٣) ينظر: ترجمة البلاغة القرآنية بين أسئلة الهوية وثقافة الآخر، إعداد وتحرير: حسن درير، مولاي يوسف الإدريسي، عبد الحميد زاهيد، ط. سلسلة الترجمة والمعرفة، العدد (٢)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن (٢٠١٢م).

بالإضافة لبعض المؤلفات والأبحاث الأخرى مثل:

- كتاب «ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب»، د. عبد الله عباس الندوي، صادر عن رابطة العالم الإسلامي، جمادى الآخرة (١٤١٧هـ)، العدد (١٧٤) السنة الخامسة عشرة.
- ترجمة معاني القرآن الكريم عند دونيز ماسون، بحث ماجستير للباحثة مليكة سريسر، كلية الآداب، جامعة وهران (٢٠١١ - ٢٠١٢).
- أحكام ترجمة القرآن الكريم، جلال الدين بن الطاهر العلوش، ط. دار ابن حزم، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- ترجمة معاني القرآن إلى الإنجليزية ومراعاة الخروج على مقتضى الظاهر، د. أحمد عبد الله البنيان.
- إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم، محمود العزب، بجامعة السوربون، ط. نهضة مصر، الطبعة الأولى (٢٠٠٦م).
- إشكالية ترجمة معاني بعض الخصوصيات النحوية في القرآن الكريم، دراسة مقارنة، د. ندى محمد جميل برنجي، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد الرابع عشر، السنة التاسعة.

وقد جاء هذا البحث في نقطتين هما:

- «معنى المعنى» وتنوع طرق المعالجة في الترجمات.
- الإشكاليات البلاغية لترجمة «معنى المعنى» في النص القرآني.

أولاً: «معنى المعنى» وتنوع طرق المعالجة في الترجمات:

فَرَّق عبد القاهر الجرجاني بين المعنى ومعنى المعنى بقوله: «المعنى: المفهوم من ظاهر النص، والذي تصل إليه بغير واسطة، ومعنى المعنى: أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يُفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر»(١).

إذاً فهناك مستويان في النص، الأول: فهم معنى مباشر، والثاني: فهم معنى يقود إلى معنى آخر هو المقصود، وهو ما أشار إليه الجرجاني في موضع آخر بقوله: «وجملةُ الأمر: أنَّ صُوَرَ المعاني لا تتغيَّر بنَقْلها من لفظٍ إلى لفظٍ، حتى يكونَ هناك اتساعٌ ومجازٌ، وحتى لا يُرادَ من الألفاظِ ظواهرُ ما وُضِعَتْ له في اللغة، ولكن يُشارُ بمعانيها إلى معانٍ أُخَرَ»(٢).

ومن ثمَّ فإن معنى المعنى أو «المعاني الثواني» لا تنحصر في علم واحد من علوم اللغة والبلاغة العربية، بل هي متحققة في مباحث متفرقة. وقد أشار أحد الباحثين إلى أن موضوع علم المعاني هو: «اللَّفظُ العربي من حيثُ إفادتُه «المعاني الثَّواني»، التي هي الأغراض المقصودةُ للمتكلّم»(٣). ولذا سنجد أنها تتحقق في أمثلة الأغراض البلاغية للتراكيب، والدلالات السياقية للخبر والإنشاء، وكذلك الذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب. كما تتحقق في «علم البيان» في المجاز العقلي، وكذا اللغوي بنوعيه: «المجاز المرسل، والمجاز بالاستعارة»، والكناية، والتعريض. وكذلك في «علم البديع» في مباحث مثل: التورية، والاستخدام، والتوجيه... إلخ.

ومن هنا يمكن التفريق بين شيئين مهمين، أولهما: معنى التراكيب والجمل، والآخر: معنى النص(٤)، وقد تكون ترجمة الجمل والتراكيب اللغوية وحدها غير وافية

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: الأستاذ محمود شاكر، طبعة الخانجي (٢٠٠٤م) (ص٢٦٣).
(٢) السابق (ص٢٦٥).
(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ط. المكتبة العصرية، بيروت (ص٤٦، ٤٧).
(٤) ينظر: الترجمة وعملياتها، روجر .ت.بيل، ترجمة محي الدين حميدي (ص١٧٧).

بترجمة معنى النص إذا كانت هناك قرائن لفظية أو عقلية تصرف الجملة عن معناها المباشر إلى معنى آخر، وبذلك تحمل هذه القرائن دلالات سياقية خاصة تنبني عليه معان أساسية غير مباشرة كما سيتضح من الأمثلة.

أما عن بيان معنى الترجمة للنص القرآني، فقد جاء في كتاب «البرهان في علوم القرآن» أن القفال الشاشي قال: «لا يقدر أحد أن يأتي بالقرآن بالفارسية، قيل له: فإذن لا يقدر أحد أن يفسر القرآن، قال: ليس كذلك؛ لأن هناك يجوز أن يأتي ببعض مراد الله ويعجز عن البعض، أما إذا أراد أن يقرأه بالفارسية فلا يمكن أن يأتي بجميع مراد الله؛ أي: فإن الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها، وذلك غير ممكن بخلاف التفسير»[1].

إذاً الترجمة ليست إيجاد نص مُوازٍ يقوم مقام النص القرآني، وإنما المقصود من الترجمة تقريب معاني القرآن الكريم إلى المتلقي. وإذا تأملنا عناوين ترجمات النص القرآني - محل الدراسة - فسنجد أنها كالآتي:

1. (Translation Of The Meanings of The Noble Quran In The English Language).
2. (Quran English Translation).
3. (The Quran English Meanings).

وإذا أردنا أن نوازن بين هذه العناوين فسنجد أن أوفاها وأدقها هو العنوان الأول، إذ المقصود ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية، ومن ثمَّ سيلجأ الكاتب إلى آلية التعليق المبيِّن، ومراعاة منظومة البلاغة المؤثرة في أصل المعنى؛ لإزالة اللبس والغموض عن القارئ... إلخ.

كما أن الترجمة الحرفية الظاهرية التي تهمل الدلالات السياقية للنص لا يمكن أن تُوَفِّي المعنى القرآني حقه، ذلك أن «مشكلة الترجمة تكمن في عدم التطابق لبعض

(١) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (٤٦٥/١).

الأدوات اللغوية المجردة من السياق بين لغات مختلفة»[1]. وهذا متضمن في إشارة بعض العلماء قديماً، كالزمخشري الذي نص على أن «في كلام العرب خصوصاً القرآن... من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان»[2].

إذاً فالمقصود من ترجمة القرآن الكريم ترجمة معانيه، وهنا تأتي طريقة المترجم في معالجة المعاني القرآنية - وهي تحتاج إلى احتشاد آليات البيان والتقريب - فلا ينبغي أن تهمل المعاني السياقية المرادة من النص القرآني، التي إذا أهملت فسد المعنى المقدم، كإهمال دلالة الأمر والنهي في تركيب ظاهره الإخبار، وترجمة دلالة التخصيص إذا كان ترك بيانها مفسداً للمعنى... إلخ.

وفيما يأتي عرض لبعض جوانب هذه المباحث.

١. دلالة التخصيص المستفادة من أسلوب القصر:

مثال ذلك: ترجمة معنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، إذ تقول الترجمة الأولى:

"You (alone) we worship, and You (alone) we ask for help (for each and every thing)"[3]

فاختيار كلمة (alone) التي ذكرتها الترجمة في هذا النص جزء لا يتجزأ من نسيج معنى الآية؛ لأنها جاءت بأسلوب القصر، وذلك حين قدَّمت ما حقه التأخير بتقديم المفعول به على الفعل والفاعل في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ودلالة القصر هنا تقتضي أن المعنى: لا نعبد إلا إياك، أو: نعبدك وحدك لا شريك لك، وليس المقصود من الآية مجرد إثبات العبادة لله دون نفيها عن غيره[4].

(١) Hatim, b .and I.mason, 1990, Discourse and the translator, London, Hangman, P39.
(٢) الكشاف للزمخشري (٤/٢٨٤).
(٣) ترجمة معاني القرآن الكريم، محمد تقي الدين الهلالي، ومحمد محسن خان (ص١).
(٤) ينظر: أضواء البيان للشنقيطي (١/٤٩، ٥٠)، وتفسير الطبري بتحقيق شاكر (١/١٥٩، ١٦٠).

وقد ذكر عبد الله الندوي أن مارجليوث ترجم هذه الآية بقوله[1]:

"I worship Thee and seek assistanceof Thine"

ثم اقترح هو الترجمة الآتية:

"Thee alone do we worship and of Thee alone we seek help"

وهذه الترجمة الأخيرة قريبة جدّاً من ترجمة الهلالي وخان. أما الترجمة الثانية فقالت:

"It is you we worship and upon you we call for help"[2]

وأما الترجمة الثالثة فقالت:

"It is you we worship and you we ask for help"[3]

ومن ثم نلاحظ أن أقرب الترجمات إلى استيفاء معنى أسلوب القصر ودلالة التخصيص البلاغية - بإثبات العبادة له تعالى على وجه التفرد - هي الترجمة الأولى باستعمال لفظة (alone).

٢. خروج أسلوب الأمر عن معناه الأصلي إلى دلالة أخرى سياقية:

من ذلك قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]، فالدلالة المهمة في صيغة الأمر «اعملوا» هي دلالة التهديد، إذ إن صيغة الأمر - في هذا السياق - قد خرجت عن معناها الأصلي (وهو الوجوب) إلى معنى (التهديد)، حتى قيل: «إنه وعيدٌ في صيغة الأمر بإجماع أهل العلم»[4].

ولننظر نص الترجمة الأولى:

"Do what you will. Verily, He is All-seer of what you do (this is a severe threat to the disbelievers)"[5].

---

(١) ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب، عبد الله الندوي (ص١٩).

(٢) ترجمة طلال عيتاني (ص١).

(٣) ترجمة Saheeh International (ص١).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، مج (١٩/٥). وينظر: دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، محمد أبو موسى (ص٢٤٩ - ٢٥١).

(٥) ترجمة معاني القرآن الكريم، للهلالي وخان (ص٥٣٢).

فالجملة التي بين الأقواس - التي تعنى أن هذا تهديد شديد لغير المؤمنين - هي الدلالة التي اعتنى بها المفسرون والبلاغيون في هذا النص؛ وذلك لأن المعنى بدونها يفسد، ويكون ناقصاً مبتوراً عن سياقه.

أما الترجمة الثانية فقالت:

"Do as you please; He is seeing of everything you do"(1).

وأما الترجمة الثالثة فقالت:

"Do whatever you will, indeed; He is seeing of what you do"(2)

وبذلك تكون الترجمتان الأخيرتان قد اكتفتا بالإشارة إلى المعنى المباشر للنص، ولم تلتفتا إلى الدلالة السياقية المصاحبة التي ذكر علماء البلاغة أنها هي المدلول الصحيح للنص، وبذلك تصبح الترجمة - بإهمال بيانها - غير مكتملة على النحو المراد.

٣. معالجة الاستعارة التصريحية:

الاستعارة باب دقيق في الدلالة على المعاني الثواني؛ إذ إن اللفظ يخرج عن ظاهره بقرينة لفظية أو عقلية(٣) إلى معنى آخر لعلاقة المشابهة، كقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧].

فقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ استعارة تصريحية، فقد شبه أغراض الشعر وفنونه بالأودية، بجامع الاتساع في كلٍّ، فـ «الهُيام والوادي» مستعاران لمعاني اضطراب القول في أغراض الشعر(٤).

(١) ترجمة طلال عيتاني (ص١٨٣).

(٢) ترجمة Saheeh International (ص٤٧٧).

(٣) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لبهاء الدين السبكي، مج (٢/٢٥٦ - ٢٩٠).

(٤) تفسير التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (١٩/٢٠٩).

وهذا ما راعته الترجمة الأولى إذ قالت:

"See you not that they speak about every subject (praising people-right or wrong) in their poetry?"(1).

وبذلك راعت هذه الترجمة المعاني الثواني المستفادة من سياق التركيب الاستعاري، ولم تتعامل مع النص تعاملاً حرفيّاً، ولم تترجم كلمة (واد) التي وردت في الآية الكريمة، وإنما ذكرت المعنى الثاني المراد حين أشارت إلى الحديث في شعرهم عن كل موضوع كالمدح على جهة الصواب أو الخطأ.

أما الترجمة الثانية فقالت:

"Do you not see how they ramble in every style"(2).

وهي بذلك تحاول أن تتخلص من مباشرة اللفظ لكن قولها: (they ramble in every style) - على هذا النحو المختصر دون إضاءة كاشفة - غير دقيق.

وأما الترجمة الثالثة فاختصرت في المتن وأضاءت في الحاشية حين قالت:

"Do you not see that in every valley they roam"(3)

وبذلك تكون قد اختارت اللفظ المباشر (valley)، لكنها أضافت حاشية يقول:

"Speaking lies indiscriminately and praising and disparaging others according to whim"(4)

وهذا تنوع في طريقة معالجة المعنى الاستعاري الذي لا يراد منه ظاهر لفظه، وإن كنت أميل إلى أن هذه الحاشية الأخيرة مكانها المتن وليس الحاشية؛ لأنها هي التي تقدم معنى المعنى المراد من النص القرآني.

(١) ترجمة معاني القرآن الكريم (ص٢٢٥).

(٢) ترجمة طلال عيتاني (ص١٤١).

(٣) ترجمة Saheeh International (ص٣٦٥).

(٤) السابق نفسه.

٤. استعمال الخبر بمعنى الإنشاء:

وهو باب من أدق أبواب البلاغة وأصول الفقه، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فالمفسرون يقولون: إن الفعل ﴿يُرْضِعْنَ﴾ وإن جاء بصورة الخبر فإنه بمعنى الإنشاء الطلبي، أي: إنه «أمر عبر عنه بالخبر للمبالغة، ومعناه الندب أو الوجوب، فيخص بما إذا لم يرتضع الصبي إلا من أمه، أو لم يوجد له ظِئْر، أو عَجَزَ الوالد عن الاستئجار»(١).

وهذا المعنى الذي يتضمن الندب أو الوجوب ما راعته الترجمة الأولى إذ قالت:

"The mothers shall give suck to their children for two whole years"(2).

فاستعمالها لكلمة (shall) يدل على عنايتها بالدلالة السياقية المرادة من النص، والتي ينبني عليها حكم شرعي.

أما الترجمة الثانية فقالت:

"Mothers may nurse their infants for two whole years"(3).

وأما الترجمة الثالثة فاقتربت من الترجمة الثانية حيث قالت:

"Mothers may nurse [i.e., breastfeed] their children two complete years"(4)

وبذلك تكون الترجمتان الأخيرتان قد استعملتا كلمة (may) بخلاف الترجمة الأولى التي استعملت كلمة (shall)، والكلمتان على ما بينهما من فرق، فإن كلمة (shall) أدق في التعبير عن دلالة الوجوب الحاصلة في صيغة الخبر.

ومن مواضع الاتفاق بينها في الإشارة إلى الدلالة السياقية المصاحبة بطرق مختلفة في معالجة المعنى البلاغي كذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ﴾ [البقرة: ٢٢٨]،

(١) تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/١٣٠).
(٢) ترجمة معاني القرآن الكريم (ص٤٦).
(٣) ترجمة طلال عيتاني (ص١٣).
(٤) ترجمة Saheeh International (ص٣٤).

فهو في علم المعاني «خبر بمعنى الأمر»[1]، والمعنى: على المطلقات أن يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء. وهذا ما راعته الترجمات الثلاث بتنوع في طرق المعالجة. فالترجمة الأولى تقول:

"And divorced women shall wait (as regards their marriage) for three menstrual periods"[2].

فقد آثرت الترجمة استعمال كلمة (shall) في هذا الموضع أيضاً، وهذه دلالة دقيقة في الأسلوب الدال على معنى اللزوم، يتنبه لها البلاغيون في سياق تحليلاتهم، ويبني عليها الفقهاء والأصوليون أحكاماً شرعية، ومن ثَمَّ فهي جزء من الدلالة الرئيسية للنص، وليست دلالة إضافية زائدة.

وقد اتفقت معها الترجمة الثانية في الإشارة إلى دلالة الوجوب الإنشائي الوارد في صيغة الخبر إذ استعملت الكلمة نفسها (shall) حيث قالت:

"Divorced women shall wait by themselves for three periods"[3].

وأما الترجمة الثالثة فقد عالجت الدلالة البلاغية بطريقة مختلفة حين أشارت في تعليق تفسيري إلى عدم إعادة الزواج مدة ثلاث حيضات، إذ تقول:

"Divorced women remain in waiting [i.e.,do not remarry] for three periods"[4]

أكتفي في هذه التقدمة بهذا القَدْرِ من المقارنة بين تنوع طرق معالجة الترجمات الثلاث للمعاني والدلالات البلاغية التي هي جزء أساسي من معنى الآية الكريمة؛ لأنتقل إلى جزء آخر يعرض أهم الإشكاليات التي تواجه المترجم في التعامل مع «معنى المعنى» في ترجمة معاني القرآن الكريم، ومن ثَمَّ يرصد بعض النماذج التي يرى الباحث أنها لم تُوَفَّ حَقَّها من جهة دقة ترجمة المعاني البلاغية.

(١) تفسير البيضاوي (١٢٧/١). وينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، مج (٥٥٣/١).
(٢) ترجمة معاني القرآن الكريم (ص٤٥).
(٣) ترجمة طلال عيتاني (ص١٣).
(٤) ترجمة Saheeh International (ص٣٢).

ثانياً: إشكاليات ترجمة «معنى المعنى»:

ذكر الندوي في كتابه «ترجمات معاني القرآن الكريم» بعض الإشكاليات التي تواجه مترجم معاني القرآن إلى الإنجليزية، منها: اختلاف النظام اللغوي، والدلالات الخاصة المصاحبة للتراكيب العربية كدلالات التقديم والتأخير مثلاً، وعدم وجود بعض الأفعال المقابلة لبعض الألفاظ العربية، مما يجعل المترجم يقرب المعنى بالتصرف الذي تسمح به قواعد الإنجليزية، ومشكلة الزمن المتعدد في المضارع بين الحال والاستقبال، والانفراد بالتثنية في الضمائر والأفعال، واختلاف الدلالة بمضاعفة أدوات التوكيد، فينتقل الخبر من صورة ذهنية لأخرى(١).

ومن ثمَّ تتعدد أسباب تحديد معنى المعنى أو «المعاني الثواني» في النص، وتظهر أمام المترجم بعض الإشكاليات التي تستحق العناية والدراسة، ومن أهم ذلك - من وجهة نظر الباحث - ما يأتي:

١. الحاجة إلى قرينة في تحديد المعاني الثواني:

فالمعنى المباشر يستدل عليه بظاهر النص ولا يحتاج إلى قرائن تدل عليه لأنه جاء على حقيقته، أما المعاني الثواني فلابد لها من قرينة تدل عليها، وهذه القرينة قد تكونَ مَقالِيَّة حاصلة (داخل النص)، وقد تكون مَقامِيَّة (خارج النص)، وحينئذ لابد من الاستعانة بها في تحديد معنى المعنى، لأن «اللفظ إذا تجرّد عن القرينة، فإمّا أن يُحمل على حقيقته وهذا هو المطلوب؛ لأن الحقيقة هي الأصل، وإما أن يحمل على مجازه، وهو باطل لأن الشرط المعتبر في حَمْله على مجازه إنما هو حصول القرينة»(٢).

---

(١) ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب، عبد الله الندوي، الصفحات من (١٩ - ٢٣).

(٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للعلوي (٤٣/١). وينظر: أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (ص٣٨٨).

فلابد للمجاز من قرينة تدل على صَرْفِ لفظهِ عن حقيقته إلى غيرها، أو لصرف الأمر عن الوجوب إلى الاستحباب، وصرف النهي عن الامتناع إلى الكراهة، أو صرف الوجوب إلى النصح والإرشاد، وصرف الكناية إلى لازم المعنى دون الحقيقة... إلخ. فلو تعامل المترجم مع تفسيرٍ لا يتعاطى تلك الدلالات، لَخَفِيَ عليه المراد من النص، وسينقل - مِنْ ثَمَّ - الدلالة الظاهرة أو القريبة، وهذا من أهم ما يوقع النص المترجم في فساد تصور معنى المعنى.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ﴾ [النساء: ٢]. يقول البلاغيون: إن لفظة (اليتامى) في النص فيها مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان، أي: آتوا الذين كانوا يتامى، إذ لا يُتْمَ بعد بلوغ(١)، فالمال لا يُدفع لليتيم إلا إذا بلغ سن الرشد؛ ليصبح قادراً على حِفْظِه، وحسن التصرف فيه، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ﴾ [النساء: ٦]؛ ولذا قال المفسرون: «ولا يجوزُ في حُكْمِ الشَّرْعِ أن يَدْفَعَ المالَ لَهُ مَا دَامَ مُطْلَقاً عليه اسمُ اليَتِيمِ، إذ الْيَتِيمُ خَاصٌّ بمن لم يَبْلُغْ، وهو حينئذٍ غيرُ صَالِحٍ لِلتَّصَرُّفِ فِي مَالِهِ، فَتَعَيَّنَ تأويل الآية إِمَّا بتأويل لفظِ الإيتاءِ أو بتأويل الْيَتِيمِ»(٢).

لكن لماذا اختار النص القرآني لفظة (اليتامى) ولم يقل الذين كانوا يتامى؟ أجاب عن ذلك البلاغيون بأن لفظة اليتامى تشعر بالمسئولية تجاه هؤلاء الضعفاء الذين تبدأ حياتهم في خطاها الأولى، وليس لهم عائل أو مسئول عنهم أو موجِّه، وليحسن الانتقال إلى التهديد الحاصل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ﴾ [النساء: ١٠]، فهذا التهديد يتضمن أَكْلَ أموالهم بِداراً قبل أن يكبروا، أو منع أموالهم عنهم بعدما أصبحوا قادرين على التصرف فيها.

---

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي (٤٧٠/٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢١٩/٤).

لكن لننظر إلى نص الترجمة الأولى:

"And give to the orphans their property and do not exchange (your) bad things for (their) good things ones"[1].

والملاحظ أن المترجم استعمل اللفظة المباشرة (orphans)، - وهي تعني في اللغة الإنجليزية بوصفها اسماً: الصغير الفقير[2] - ولم تتسع دائرة البيان في الترجمة لتشمل عرض المراد من علاقة اللفظة باعتبار ما كان، وهذا تعامل مع البنية السطحية للنص، وليس البنية العميقة التي تستفاد منها الدلالة بقرائن السياق المفسرة.

أما الترجمة الثانية فقالت:

"And give orphans their properties, and do not substitute the bad for the good"[3].

وأما الترجمة الثالثة فقالت:

"And give to the orphans their properties and do not substitute the defective [of your own] for the good [of theirs]"[4]

وبذلك تكون الترجمات الثلاث قد اتفقت على اختيار التعبير عن لفظة (اليتامى) في الآية باللفظة الإنجليزية (orphans)، وبهذا تتجاوز المعنى المجازي الذي لا يمكن إهماله في الآية حين عَبَّرت بالماضي عن الحاضر، ومن ثمَّ أقترحُ في مثل هذه النماذج ذِكْرَ تعليقٍ بين قوسين لإيضاح البيان، وذلك على النحو الذي ذكره البلاغيون بأنه يتعين تأويل الآية إما: بتأويل لفظ الإيتاء، أو تأويل اليتيم وهو الأقرب.

ومن ذلك أيضاً: قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]، إذ تقول الترجمة الأولى:

---

(١) ترجمة معاني القرآن الكريم للإنجليزية (ص٩٤).

(٢) Large English Dictionary, P:542.

(٣) ترجمة طلال عيتاني (ص٢٧).

(٤) ترجمة Saheeh International (ص٦٩).

«These are they who have purchased error for guidance, so their commerce was profitless. And they were not guided"(1).

وهذا النص يكاد يتعامل مع الآية تعاملاً حرفيّاً، فقد جاءت ترجمة كلمة (اشتروا) (have purchased)، وترجمة قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ (there commerce was profitless).

أما الترجمة الثانية فقالت:

"Those are they who have bartered error for guidance; but their trade does not profit them, and they are not guided"(2).

وهي تخالف الترجمة السابقة في قولها (have bartered) بدلاً من (have purchased) وكذلك استعمال (trade) بدلاً من (commerce)، لكنها لم تخرج عن إطار تقديم المعنى الظاهري اللفظي دون ذكر تعليق يبين المقصود من مفردات (الشراء) و(الربح) و(التجارة).

أما الترجمة الثالثة فقالت:

"Those are the ones who have purchased error [in exchange] for guidance, so their transaction has brought no profit, nor were they guided"(3)

وهي تتفق مع الترجمة الأولى والثانية في التعامل مع البنية السطحية كذلك، وإن اختلفت بعض المفردات، كاستعمال (transaction). أما أهل البلاغة فيقولون إن: «الشِّراء - هاهنا - مَجازٌ عن الاستبدال، بمعنى أنهم لما تركوا الهدى، وآثَرُوا الضلالة، جُعِلُوا بمنزلة المشترين لها بالهُدى»(٤). ومن ثم فإن كلمة (اشتروا) جاءت بمعنى: استبدلوا. وقال آخرون: «لأنهم استحبُّوا الضلالة، وتجنبوا الهدى»(٥)، والمراد - مِن ثمَّ - أن «الشراء

(١) ترجمة معاني القرآن الكريم (ص٦).
(٢) ترجمة طلال عيتاني (ص١).
(٣) ترجمة Saheeh International (ص٣).
(٤) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الدمشقي الحنبلي، ط. دار الكتب العلمية (٣٦٨/١).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي (٨٦/١).

هنا استعارة وتشبيه، لما تركوا الهدى وهو معرض لهم، ووقعوا بدله في الضلالة واختاروها شُبِّهُوا بمَنْ اشترى، فكأنهم دَفعوا في الضلالةِ هُدَاهم إذ كان لهم أخذه»(١).

وأما قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ [البقرة: ١٦] فهو من باب المجاز العقلي، وهو إسناد الفعل لغير فاعله لعلاقة، والعلاقة هنا الظرفية(٢)، والتقدير: فما ربحوا في تجارتهم. أو المعنى: «ما كانوا بُصَراءَ بها»(٣)، والتجارة هنا جاءت من باب ترشيح المجاز وتقويته، فقد «ختم للمثل بما يشبه مبدأه في لفظة الشراء»(٤).

ومن ثمَّ، شبهت الآية - وهذا هو المقصود من الترجمة - حال من يستبدل الضلالة بالهدى، أو من استحبَّ العمى على الهدى، بحال من يتاجر فاستبدل بالتِّبْر التراب، والفاسد بالجيد، فخسر في عمله، وما كان من أهل البصر والعقل فيه.

٢. تعدد المعنى وانحراف الدلالة عن المعنى الظاهري:

معاني الألفاظ الأولية تحصل بإسناد الفعل إلى الفاعل، والمبتدأ إلى الخبر، وهي «المعاني التي تشترك فيها الألسنة، وإليها تنتهي مقاصد المتكلمين، ولا تختص بأمة دون أخرى»(٥). أما المعاني الثواني فهي التي تحتاج إلى نوع خاص من التعامل، يكون قوامه

(١) السابق نفسه.

(٢) «المجاز العقلي: إسناد المتكلّم الفعلَ أو ما في معناه إلى غير ما هو له في اعتقاده، لملابَسَةٍ بينهما، مع قرينةٍ صارفة عن أن يكون الإسناد إلى ما هو له في اعتقاده. هذا المجاز هو في حقيقته تجوّزٌ في حركة الفكر بإسناد معنىً من المعاني إلى غير الموصوف به في اعتقاد المتكلّم، لملابَسَةٍ مَا تُصَحِّحُ في الذهن هذا الإسناد، بشرط وُجود قرينة صارفة عن إرادة كون الإسناد هو على وجه الحقيقة... فيُقَالَ: «عبدُ الله قائِمٌ كُلَّ اللَّيْلِ، وصائمٌ كُلَّ النَّهار» أُسْنِدَا إلى اللَّيْل والنّهار، والعلاقةُ هي الظرفيّة الزمانية. ومع ما في هذا الإسناد من فَنِّيَّةٍ أدبيّة تُعْجِبُ مشاعر الأديب، فله غرض بيانيّ، وهو الدلالة بإيجاز على أنَّ عبد الله يستغرق ليلَه بالقيام متعبّداً، أو هو بمثابة المستغرق له، ويستغرق نهاره بصِيامٍ مستوفٍ لشروطِه من الناحيتين المادّية والمعنويّة، وغالباً ما تكون القرينة الصارفة عن إرادة الحقيقة باعتقاد المتكلّم في هذا الإسناد قرينة فكريّة، تُدْرِكُها الأذهان ولو لم يأت في العبارة ما يَدُلُّ عليها، وقد تكون قرينة لفظية أو حالية. ينظر: البلاغة العربية، عبد الرحمن الميداني (٢/٢٩٥، ٢٩٦).

(٣) الكشاف للزمخشري (٣/٤٩٨)، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ الآية [لقمان: ٦].

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي (١/٨٦، ٨٧).

(٥) الموافقات في أصول الأحكام، للشاطبي (٢/١٠٥).

فهم سياق النص، وثقافة اللغة، وجوانب سعة الدلالة، وكل ذلك بما لا يحيل النص إلى خارج دائرة المقصدية المرادة، وهذه المعاني ذكر الشاطبي أنها «تختص بلسان العرب، فإن كل خبر يقتضي أموراً خادمة لذلك الإخبار، بحسب المخبر والمخبر عنه والمخبر به، ونفس الإخبار في الحال والمساق ونوع الأسلوب من الإيضاح والخفاء، والإيجاز والإطناب وغير ذلك»(١).

وهو يقصد بذلك تنوع التراكيب العربية بدلالات متنوعة، وكل تركيب ينفرد بدلالة خاصة، وهو ما ذكره عبد القاهر في قوله: واعلمْ أنْ ليسَ النظُم إلا أن تضعَ كلامَك الوضعَ الذي يَقتضيهِ علمُ النّحو وتَعملَ على قوانينهِ وأُصولِه، وتعرفَ مناهجَهُ التي نُهِجَتْ فلا تزيغُ عنها، وتحفَظُ الرُّسومَ التي رُسمتْ لك فلا تُخلَّ بشيءٍ منها، وذلك أنَّا لا نعلمُ شيئاً يبتغِيه النّاظمُ بنظمِه غيرَ أنْ ينظرَ في وجوهِ كلّ بابٍ وفُروقه، فينظرُ في الخبرِ إلى الوجوهِ التي تَراها في قولك: «زيدٌ مُنْطلقٌ» و«زيدٌ ينطلقُ»، و«ينطلقُ زيدٌ»، و«منطلق زيدٌ»، و«زيدٌ المنطلقُ»، و«المنطلقُ زيدٌ»، و«زيدُ هوَ المنطلقُ»، و«زيدٌ هو منطلقٌ»(٢).

كما أن التراكيب اللغوية تصحب دلالات كثيرة منها: التقريع، والتوبيخ، والإنكار، واللوم، والنصح، والإرشاد، والتوجيه، وكذلك التأسف على لسان المتحدث، والتحسر، وإظهار الضعف، والشكوى، والتفاؤل، والتعجب، والاستبشار، والتهكم، والتهديد والوعيد، والتعجب، والإيناس... إلخ، وهذه الدلالات السياقية - على أهميتها - لا نكاد نظفر بها في أكثر الترجمات التي تَنْشُدُ نَقْلَ معاني القرآن الكريم إلا في مواطن أشرت إلى بعضها في مقدمة هذا البحث.

فمن ذلك ترجمة قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧]. فالآية تتضمن استفهاماً، والاستفهام: طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً(٣)، وهذا محال في حق

(١) السابق نفسه.

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ص٨١).

(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص٧٨).

الله تعالى، فالاستفهام في الآية خرج عن معناه الأصلي إلى معنى آخر هو الإيناس، كما نص على ذلك المفسرون حين قالوا: «القصد من ذلك زيادة اطمئنان قلبه بأنه في مقام الاصطفاء، وأن الكلام الذي سمعه كلامٌ من قِبَل الله بدون واسطة متكلّم معتاد ولا في صورة المعتاد... وظاهر الاستفهام أنه سؤال عن شيء أشير إليه»[1].

فالظاهر غير مراد قطعاً، ونقلُهُ إلى المتلقى يؤدي إلى فساد التصور، ذلك أنه يوهم أن الباري تعالى في حاجة إلى معرفة الشيء المسؤول عنه - تعالى الله عن ذلك - أما «معنى المعنى» فهو أهم ما ينبغي أن يتصوره المتلقي إزاء هذا النص، وذلك بإشارة لطيفة داخل الأقواس أو بإحالة في الحاشية تشير إلى أن ذلك هو المعنى المقصود.

وقد ذكرت الترجمات الثلاث صيغة واحدة للترجمة، هي ما يأتي:

"And what is that in your right hand, O MuSa (Moses)?"[2]

ويلاحظ أن الترجمات لم تبين دلالة السياق وتوضح مغزاه لإزالة اللبس، إذ من المهم في هذا المقام إيضاح أن الله جل جلاله يسأل موسى لإدخال الطمأنينة في قلبه، وليس لمجرد السؤال المستخبر عن شيء؛ فهو العليم الحكيم.

كما أنه من المعلوم أسلوبيّاً أن الانحراف أو العدول ظاهرةٌ جمالية في اللغة إذا كانت ترتدُّ إلى علل فنية، وركائز بلاغية؛ لأنه من الممكن أن يترك المتكلم النمط أو المثال في الكلام وينحرف عنه إلى نمط آخر غير شائع، ممَّا يترتب عليه انحراف الدلالة عن المعنى الظاهري إلى مستوى آخر[3].

---

(١) التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (ص٢٠٥/١٦).

(٢) ترجمة معاني القرآن الكريم (ص٣٥٣)، وترجمة طلال عيتاني (ص١١٥)، وترجمة Saheeh International (ص٣١٩).

(٣) ينظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، سلسلة أدبيات (١٩٩٤م). وفي هذا المقام ينبغي أن أشير إلى الدراسة القيمة التي أعدها الدكتور حسن طبل بعنوان: «أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية»، وهي دراسة تعيد النظر في معنى الالتفات البلاغي، وتمد القارئ بدراسة إحصائية لأمثلته في القرآن الكريم. ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، ط. دار الفكر العربي، القاهرة (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).

٣. اختلاف تصور دلالة المعنى الثاني:

يعد الخلاف المذهبي عاملاً مهماً من عوامل اختلاف الأفهام في تصور المراد من الألفاظ التي يحصل بها إشكال في تحديد الدلالة. وأهم مثال على هذا: هو خلاف العلماء في وقوع المجاز في القرآن الكريم، وكيفية فهمه. وربما كان هذا داخل المذهب الواحد، فمن أهل السنة من يرى وقوع المجاز في القرآن الكريم، على اعتبار أن المجاز في اللغة هو شطر الحسن، كما قال به ابن قتيبة(١)، ومنهم من يمنعه كابن القيم مثلًا(٢)، ومن ثم نجد أن بعضهم أحياناً يفسر النص كما هو.

أضف إلى ذلك الخلاف في أسماء الله تعالى وصفاته، فبعضهم يجريها على حقيقتها بما يُخِلُّ بمراد النص أحياناً من جهة البلاغة، وبعضهم ينفيها مطلقاً بما لا دليل عليه غير المجاز، والحقيقة أن إثبات المجاز لا يقتضي نفي الصفة والقول بالتأويل، فالبلاغة حالة جمالية لا ينبغي أن يستند إليها في التأويل ونفي الصفات(٣)، ولا ينبغي أن نلغيها كذلك، أو نتجاوزها من أجل نفي المجاز عنوةً، ودون دليل يسعف من اللغة.

فإذا جئنا للترجمة بهذا التصور الذي يمنع وقوع المجاز في القرآن، فإننا لن نزيد عن نقل المعنى المباشر للنص، في حين أن بعض العلماء يفهم النص بوَصْفِه نصّاً عربيّاً لا نخالف به فهم الصحابة، وفي الوقت ذاته تتيح له اللغة ما استوعبه من معان، فيتعامل مع نمط آخر من المعنى هو نمط المعاني الثواني.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

---

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، الصفحات (١٠٣ - ١٣٤).

(٢) ينظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، ط. دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ).

(٣) بمعنى أن تكون هي الدليل الوحيد على ذلك.

وهاهنا الإشكال الكبير؛ حيث يأبى بعضهم أن يقرب المعنى الدلالي للنص إلى المتلقي خشية الوقوع في التأويل، بخلاف ما قاله كثير من المفسرين من أهل السنة، من أن الآية: «أثبتت له اليد التي هي من روادف المبايَع بالفتح على وجه التخيلية مثل إثبات الأظفار للمنية، وقد هيأت صيغة المبايعة لأن تذكر بعدها الأيدي لأن المبايعة يقارنها وضع المبايع يده في يد المبايَع بالفتح... ومما زاد هذا التخيل حسناً ما فيه من المشاكلة بين يد الله تعالى وأيديهم»[(١)].

لكن الترجمة - بدافع إثبات الصفة فحسب - قَدَّمت للمتلقي غير العربي المعنى المباشر، ولم تتطرق إلى معنى المعنى، ولننظر كيف جاءت:

"Verily, those who give Baiah (pledge) to you (O Muhammad ﷺ) they are giving Baiah (pledge) to Allah . The Hand of Allah is over their hands" [(2)].

ولم يفتح المترجم قوساً ليوضح معنى (the Hand of Allah is over their hands)، وهذا فيه تجاوز للمعنى الثاني، وإذهاب رونق البلاغة منه، ووقوف عند المعنى الحرفي للنص، بما لا يتسق مع عقلية غير العرب في كيفية صرف اليد إلى معنى المعية من خصوصية هذا السياق، دون الوقوع في التشبيه، تعالى الله عن ذلك.

وقد اتفقت الترجمتان الأخريان[(٣)] مع الترجمة الأولى في قولها: (The Hand of Allah is over their hands)، وسواء أكان مذهب المترجم إثبات الصفة أم نفيها، - مع رفضي لمذهب النفي، وتفويض الأمر في الكيفية - فإن هذا لا يقتضي تجريد هذه الصورة من بلاغتها، والزج بها في نطاق الحسية المحضة التي قد تُدخل على المتلقي غير العربي معنى التجسيم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ومن ثم، فإن المساحة التي توضح أنه الله تعالى في السماء، وأنه منزَّه عن الحلول، وأنه تعالى كان معهم بمعيته

(١) التحرير والتنوير (٢٦/١٥٨).
(٢) ترجمة معاني القرآن الكريم (ص٣٤١).
(٣) ترجمة طلال عيتاني (ص١٩٦)، وترجمة Saheeh International (ص٥١٤).

وعلمه، - وهو المذهب الذي عليه علماء المسلمين -، كان من الضروري توافُرُها في هذا المقام، لأن تلقي العربي المسلم وتصوره عن الذات الإلهية يختلف عن تصور غيره، وبخاصة إذا كان الآخر خارجاً من عقيدة التثليث، أو ما زال ماكثاً فيها.

٤. عدم التفريق أحياناً بين نقل المعاني وترجمة الصورة البلاغية:

فالمادة الخام للمفسر هي الألفاظ والتراكيب، وهي التي ينتقل منها إلى تحديد المعاني المرادة، سواء دلت بذاتها أو بما تدل عليه من دوال معينة تسلم إلى المعاني الثواني، أما من يترجم فإنه يتعامل مع ألفاظ ومعان حققها العلماء في دراسة النص القرآني، ومن ثم، ينبغي للمترجم أن يدرك حقائق المعاني الثواني التي أشار إليها المفسر الأول، لكي تكون مُتضمَّنة في نص الترجمة إلى لغة ثانية.

ومن ثم نلحظ أن الترجمة أحياناً تترجم صورتين بلاغيتين مختلفتين بترجمة واحدة، وقد جاء هذا في الترجمة الأولى لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ [التكوير: ١٧]، وترجمة قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [الفجر: ٤]، فبالرغم من اختلاف الصورتين من جهة البلاغة والدلالة اللغوية في الموضعين فإن المترجم قد عَبَّر عنهما بتركيب واحد، هو قوله:

"And by the night when it departs"[1].

أما الترجمة الثانية فترجمت كذلك الصورتين بترجمة واحدة هي قولها:

"And by the night as it recedes"[2].

وأما الترجمة الثالثة فغايرت بين الترجمتين، إذ ترجمت معنى آية سورة التكوير بقولها:

"And by the night as it closes in"[3]

وترجمت معنى آية سورة الفجر بقولها:

"And by the night as it passes in"[4]

---

(١) ترجمة معاني القرآن الكريم (ص٦٦٢) (ص٦٧٥).

(٢) ترجمة طلال عيتاني (ص٢٣١، ٢٣٥).

(٣) ترجمة Saheeh International (ص٦٢٠).

(٤) السابق (ص٦٣٣).

وها هنا بعض الملاحظات نجملها في الآتي:

- إن ترجمة صورتين بلاغيتين مختلفتين في البنية اللغوية بترجمة واحدة - كما في الترجمة الأولى والثانية - يترتب عليه قصور في الوفاء بإحداهما، ذلك أن اللفظ والمعنى في الآيتين مختلف، ويسع المترجم في هذه الحالة أن يبسط في تعليق بين الأقواس بيان المعنى التصويري الذي تنفرد به الآية.
- ما فعلته الترجمة الثالثة هو المغايرة بين التعبيرين، حيث اختارت (closes in) لترجمة معنى (عسعس)، واختارت (passes in) لترجمة (يسري) وبذلك حاولت أن توجد فرقاً بين المعنيين، غير أن كلمة (عسعس) - وهي من الأضداد (أقبل/أدبر)[1] - فيها من معنى غشية الظلمة وبدء حلولها ما ليس في الكلمة المختارة للترجمة.

ومن أمثلة ذلك ترجمة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

فقوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ﴾ من جهة البلاغة فيه تمثيل، فـ «النبذ: الطرح والإلقاء، وهو هنا مستعار لعدم العمل بالعهد، تشبيهاً للعهد بالشيء المنبوذ في عدم الانتفاع به. ووراء الظُّهور هنا: تمثيل للإضاعة والإهمال، لأنّ شأن الشيء المهتمّ به المتنافس فيه أن يجعل نصب العين ويحرس ويشاهد. قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ﴾ [الطور: ٤٨]، وشأن الشيء المرغوب عنه أن يستدبر ولا يلتفت إليه، وفي هذا التمثيل ترشيح لاستعارة النبذ لإخلاف العهد»[2].

أما الترجمة الأولى فذكرت الآتي:

"But they threw it away behind their backs and purchased with it some miserable gain"[3].

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣٣٨/٨).
(٢) التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (١٩٢/٤).
(٣) ترجمة معاني القرآن الكريم (ص٩٢).

وأما الترجمة الثانية فقالت:

"But they disregarded it behind their backs and exchange it for a small price"(1).

وأما الترجمة الثالثة فقالت:

"But they threw it away behind their backs and exchanged it for a small price"(2)

وبذلك جعلت الترجماتُ الثلاث نبذَ الكتاب - على هذا النحو - خلف الظهور حسيّاً، وهذا غير موافق لـ «معنى المعنى» المراد من النص، وكان ينبغي أن تشير الترجمات - في تعليق بين أقواس مفسرة - أن هذا تمثيل للإضاعة والإهمال، وبذلك تجلو الغموض، وتبين المقصود.

ومن ذلك أيضاً: صرف الاستعارة عن المعنى الثاني إلى الحقيقة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥].

فنحن هنا أمام ثلاثة ألفاظ لها معنى مجازي هي: (الظلمات، والنور، وأيام الله)، وقد ذكر المفسرون أن لفظ «الظُّلمات: مُستعَارٌ للشِّركِ والمعاصي، والنور: مُستعار للإيمان الحقِّ والتّقوى، وأيام الله: أيام ظُهُورِ بطشِهِ وَغَلْبِهِ مَنْ عَصَوْا أمرَهُ، وتأييده المؤمنين على عدوهم، فإن ذلك كله مظهر من مظاهرِ عِزَّةِ الله تَعَالَى»(٣).

لكن لننظر كيف صنعت الترجمة الأولى؟

"And indeed We sent Musa (Moses) with our Ayat (sings, proofs, and evidences) (saying) :"Bring out your people from darkness into light, and remind them of the Blessing of Allah"(4).

---

(١) ترجمة طلال عيتاني (ص٢٧).

(٢) ترجمة Saheeh International (ص٦٩).

(٣) التحرير والتنوير (١٨٩/١٣).

(٤) ترجمة معاني القرآن الكريم (ص٢٥٠).

وفي نسخة سابقة منشورة للمؤلفين نفسيهما ذكرت الترجمة ما يأتي: (And remind them of the Annals of Allah)[1]، وذكرت الترجمة الثانية لطلال عيتاني - وكذلك الترجمة الثالثة - النص الآتي (And remind them of the days of Allah)[2]، وبذلك ترجمت (أيام الله) بـ: حوليات الله أو سجلاته أو أيامه، وتجاوزت المعاني الثواني في هذا النص، واكتفت بالمعاني المباشرة. ثم عدَّلت الترجمة الأولى - للهلالي وخان - نصَّ الترجمة إلى ما يأتي (And remind them of the Blessing of Allah)، وهو تعديل رائع يدل على ذوق بلاغي، فقد توافق به تفسير الطبري حينما قال: «وعظهم بما سلف من نعمي عليهم في الأيام التي خلت»[3].

أما الصورة الاستعارية فجاءت في الترجمات الثلاث بالمعاني الظاهرية في الظلمات والنور (from darkness into light)، وكان يسعها أن تعلق بين قوسين لتبين معنى هذه الألفاظ[4]، كما فعلت بعض هذه الترجمات مع كلمة (آيات) التي شرحها بـ (دلائل أو علامات أو براهين)[5].

٥. تجريد الصورة البلاغية من بلاغتها:

من ذلك ترجمة قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٣-١٤]، فالسوط - كما قال بعض المفسرين - مستعمل في معنى الشدة والسرعة، فقد قيل: إن في الآية تشبيهاً بليغاً، أي: صَبَّ عليهم عذاباً سوطاً[6]، وقيل: بل هو مستعمل في

(١) القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى الإنجليزية (ص٣٢٨).
(٢) ترجمة طلال عيتاني (ص٩١)، وترجمة Saheeh International (ص٢٣٥).
(٣) تفسير الطبري، بتحقيق شاكر، ط. مؤسسة الرسالة (٥١٩/١٦).
(٤) ونلتمس العذر للترجمة الأولى - للهلالي وخان - بأنها وضحت معنى الظلمات والنور في صدر السورة نفسها، فكأنها خشيت الوقوع في التكرار، مع أن المتلقي يحتاج إلى البسط ذاته في كل موضع؛ إذ إنه لا يستطيع قراءة الترجمة كلها دفعة واحدة.
(٥) ترجمة معاني القرآن الكريم (ص٢٨٠).
(٦) التحرير والتنوير (٣٢٢/٣٠).

معنى النوع، إذ هو «على التشبيه بما يعرفون ألمه وإيجاعه، وإلا فشتان ما بين السوطين! وما أبلغ هذه الاستعارة عند أهل الذوق! وقيل: سُمِّي سوطاً لاختلاط طاقاته بعضها ببعضٍ. وقيل: إشارة إلى أنه تعالى خلط لهم أنواع العذاب بعضها ببعض»[1]. وهذا المعنى الأخير هو ما راعته الترجمة الأولى، حيث تقول:

"So your Lord poured on them different kinds of severe torment. Verily, your Lord is Ever watch (over them)"[2].

أما الترجمة الثانية فقالت:

"So, your Lord poured down upon them a scourge of Punishment. Your Lord is on the lookout"[3].

فعبرت عن معنى السوط تعبيراً مباشراً بكلمة (scourge) وهو اللفظ ذاته الذي اختارته الترجمة الثالثة حين قالت:

""So, your Lord poured upon thema scourge of Punishment. Indeed, Your Lord is in observation"[4]

وبذلك تتفق الترجمتان الثانية والثالثة في ترجمة (السوط) باللفظ المباشر (scourge)، دون إشارة إلى المعنى المصاحب لكلمة سوط في هذا السياق من دلالة الشدة أو السرعة، أو النوع المعين.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨]. فهو صورة بلاغية رائعة، فيها إضفاء للحياة والحركة والحيوية على الصورة القرآنية البديعة، لكن كلمة (تنفس) مستعملة في معنى أنه قد أقبل وعَمَّ بنورهِ الأرض،أو «ظهر وأشرق»[5]، وهذا ما راعَتْه الترجمة الأولى حين قالت:

---

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي (٢/٢٣٤).

(٢) ترجمة معاني القرآن الكريم (ص٦٧٦).

(٣) ترجمة طلال عيتاني (ص٢٣٥).

(٤) ترجمة Saheeh International (ص٦٣٣).

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨/٤٤٤).

"And by the dawn as it brightens"[1].

أما الترجمة الثانية فقالت:

"And the morn as it breathes"[2].

وأما الترجمة الثالثة فقالت:

"And by the dawn whenit breathes [i.e., stirs]"[3]

وبذلك اختارت الترجمتان الثانية والثالثة لفظة (breathes) التي تعني المعنى الظاهري لكلمة (تنفس) وهي - بذلك النمط من الترجمة - تهمل المعاني الثواني أو المعاني السياقية المصاحبة والمرادة على الحقيقة من معنى النص.

(١) السابق (ص٦٦٢).
(٢) ترجمة طلال عيتاني (ص٢٣١).
(٣) ترجمة Saheeh International (ص٦٢٠).

الخاتمة وأهم النتائج

بعد هذا التَّطواف الذي أردتُ من خلاله إلقاء الضوء على بعض إشكاليات ترجمة معنى المعنى في آيات القرآن الكريم، وهو مستوى ذو دلالات خاصة، وَتَمَثُّلات سياقية خاصة، أستطيع أن أقول: إن ترجمة القرآن الكريم إلى الإنجليزية بخاصة، وسائر الترجمات بعامة بناء على هذه الرؤية - ومن خلال المصادر العلمية المشار إليها - بحاجة إلى بعض الإضافات المهمة المتصلة بالدلالات البلاغية التي هي جزء من النص، أو التي تنير مقاصد القرآن الكريم في مستوى معنى المعنى، ومن أهم ذلك ما يأتي:

أولاً: ضرورة العناية بالدلالات المصاحبة للأساليب التي تدل على غرضٍ سياقيّ ما، يكون جزءاً لا يتجزأ من نسيج النص، وهو ما سميته في هذا البحث بـ (الدلالات السياقية).

ثانياً: ضرورة العناية بنقل المعاني المجازية، بما يزيل كثيراً من الإشكالات المتعلقة بفهم النص القرآني، والتي يفهمها العربي سليقة، أو حدساً من القرآن الكريم، لكن غير العربي قد يعسر عليه ذلك؛ لعدم إلمامه باللغة العربية، والسياقات الخاصة للنص القرآني، ومن أهم ذلك: المعاني الاستعارية، ومعاني المجاز المرسل.

ثالثاً: الترجمة الدقيقة للآيات تقتضي التعامل مع البنية الظاهرية للنص بما لا يُخِلُّ بالمعاني الثواني، وإبرازها بما لا يلغي البنية الأصلية؛ ولذا فإن مرحلة التوسع في استعمال أقواس البيان والشرح والإيضاح، هي الخطوة المهمة القادمة في تطوير ترجمات القرآن الكريم.

رابعاً: ضرورة توافر دراسة إحصائية للآيات التي تضمنت مشكلاً بلاغيّاً من جهة الأسلوب والدلالة السياقية، أو الصورة البلاغية والمحسنات المعنوية، وذلك لمعالجة ما تقتضيه البلاغة فيها، للانتقال إلى النموذج الأمثل في ترجمة معاني القرآن الكريم.

خامساً: هناك بعض المواضع التي كان ينبغي أن تتنبه لها الترجمات الثلاث في نقل المعاني الثواني في بعض الآيات الأخرى التي جاءت بخروج الكلام عن مقتضى الظاهر، وخروج أساليب الإنشاء الطلبي عن معانيها الأصلية إلى معان أخرى فرعية بدلالة السياق، وقد تعامل هذا البحث معها بوَصْفها نماذج مختارة، وإلا فإن هذا الموضوع - كما ذكرت - في حاجة ماسَّة إلى الدراسة الإحصائية.

سادساً: من خلال المقارنة بين الترجمات الثلاث ظهر للباحث أن الترجمة الأولى تمتاز بدقة اللفظ، وتوخي المعاني السياقية، ومراعاة الجوانب البلاغية على نحو أكثر جلاء من الترجمة الثانية والثالثة.

والحمد لله أولاً وآخراً.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- **أحكام ترجمة القرآن الكريم**: جلال الدين بن الطاهر العلوش، ط. دار ابن حزم، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- **أخطاء ترجمة مفهوم الاستعارة في آيات القرآن الكريم إلى اللغة الملايوية، عرض وتحليل**: عاصم شحادة علي، وصوفي بن مان، مجلة (الإسلام في آسيا)، العدد الخاص الثاني، يونيو (٢٠١١م).
- **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية**: حسن طبل، ط. دار الفكر العربي، القاهرة (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
- **إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم**: محمود العزب، بجامعة السوربون، ط. نهضة مصر، الطبعة الأولى (٢٠٠٦م).
- **إشكالية ترجمة معاني بعض الخصوصيات النحوية في القرآن الكريم، دراسة مقارنة**: د. ندى محمد جميل برنجي، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد الرابع عشر، السنة التاسعة.
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: محمد الأمين الشنقيطي، إشراف بكر ابن عبد الله أبو زيد، ط. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع (د.ت).
- **البرهان في علوم القرآن**: بدر الدين الزركشي، دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م).
- **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**: عبد المتعال الصعيدي، ط. مكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشرة (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
- **البلاغة العربية**: عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، ط. دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

- **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**: لفاضل السامرائي، ط. العاتك للطباعة والنشر، القاهرة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- **البلاغة والأسلوبية**: محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، سلسلة أدبيات (١٩٩٤م).
- **تأويل مشكل القرآن**: لابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط. مكتبة دار التراث.
- **ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب**: عبد الله عباس الندوي، صادر عن رابطة العالم الإسلامي، جمادى الآخرة (١٤١٧هـ)، العدد (١٧٤) السنة الخامسة عشرة.
- **ترجمة البلاغة القرآنية بين أسئلة الهوية وثقافة الآخر**: إعداد وتحرير: حسن درير، مولاي يوسف الإدريسي، عبد الحميد زاهيد، ط. سلسلة الترجمة والمعرفة، العدد (٢)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن (٢٠١٢م).
- **ترجمة معاني القرآن الكريم عند دونيز ماسون**: بحث ماجستير للباحثة مليكة سريسر، كلية الآداب جامعة وهران (٢٠١١م - ٢٠١٢م).
- **ترجمة معاني القرآن إلى الإنجليزية ومراعاة الخروج على مقتضى الظاهر**: د. أحمد عبد الله البنيان، بحث منشور على شبكة الإنترنت، (د.ت).
- **الترجمة وعملياتها... النظرية والتطبيق**: روجر. ت.بيل، ترجمة: محيي الدين حميدي، ط. مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- **تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل**: ط. دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى (٢٠٠١م).
- **تفسير التحرير والتنوير**: للطاهر بن عاشور، ط. دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس (١٩٩٧م).
- **تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: بتحقيق: د. عبد الله التركي، ط. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

- **تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: بتحقيق: محمود شاكر، وأحمد شاكر، ط. مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية (د.ت).
- **تفسير القرآن العظيم**: لابن كثير، ط. دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**: السيد أحمد الهاشمي، ضبط: يوسف صميلي، ط. المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت).
- **دلالات التراكيب دراسة بلاغية**: محمد أبو موسى، ط. مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
- **دلائل الإعجاز**: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: الأستاذ محمود شاكر، طبعة الخانجي (٢٠٠٤م).
- **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**: لابن قيم الجوزية، ط. دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ).
- **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**: للعلوي، ط. المكتبة العصرية، بيروت (١٤٢٣هـ).
- **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**: بهاء الدين السبكي، تحقيق خليل إبراهيم خليل، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**: للسمين الحلبي، ط. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- **القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الإنجليزية**: ترجمة: محمد تقي الدين الهلالي، ومحمد محسن خان، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- **الكشاف**: للزمخشري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

- **اللباب في علوم الكتاب**: لابن عادل الدمشقي الحنبلي، ط. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: لابن عطية، ط. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- **ملاك التأويل**: للغرناطي، تحقيق: محمود كامل أحمد، ط. دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- **الموافقات في أصول الأحكام**: للشاطبي، ط. دار ابن عفان، تحقيق: أبي عبيدة آل سلمان، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

المراجع الإنجليزية:

- Hatim,b.andI.mason, Discourse and the translator, 1990, London, Hangman.
- Large English Dictionary.
- Saheeh international, The Quran English Meanings, Abul - Qasim Publishing House 1997. Al - Muntada Al - Islami, 2004.
- Taqi - ud - Din al - Hilali, and Dr. Muhammad Muhsin Khan,Translation of the Meanings of The Noble Quran In The English language, King Fahd Complex for the printing of The Holy Quran, Madinah, K.S.A.
- TalalItany, Quran English Translation,published by clear Quran, Dallas, Beirut.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	٣٥٥
مدخل	٣٥٦
الدراسات السابقة	٣٥٧
أولاً: «معنى المعنى» وتنوع طرق المعالجة في الترجمات	٣٥٩
ثانياً: إشكاليات ترجمة «معنى المعنى»	٣٦٧
الخاتمة وأهم النتائج	٣٨٢
المصادر والمراجع	٣٨٤

أخبار المجمع

- يتابع الباحثون في مركز الدراسات القرآنية تحقيق كتاب: «إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر» للشيخ البنا الدمياطي، وقد قطع الباحثون شوطاً طيباً في تحقيق النص، ودراسة الفروق بين النسخ المخطوطة، وجوانب خدمة النص، وكتابة مقدمة التحقيق. ويأمل الباحثون الفراغ من تحقيق الكتاب وتجهيزه للطباعة في مطابع المجمع، وذلك في الموعد المتفق عليه مع الأمين العام إن شاء الله.
- شرعت إدارة الشؤون العلمية بالمجمع في تطبيق اللائحة الجديدة لمركز الدراسات القرآنية بعد اعتمادها من معالي وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، وقد باشرت وحدات المركز عَقْدَ اجتماعاتها لتفعيل اللائحة.

  الجدير بالذكر أنه تمَّ تكوين الوحدات التالية في المركز:
  - وحدة بحوث التفسير وعلوم القرآن.
  - وحدة تحقيق التراث.
  - وحدة الأعمال المعجمية ودوائر المعارف.
  - وحدة الدراسات القرآنية عند المستشرقين.
- يتابع المجلس العلمي للمجمع النظر في الخطة التفصيلية التي قَدَّمَتْها «وحدة الأعمال المعجمية ودوائر المعارف» المتعلقة بمشروع «معجم القراء» الذي عَزَمَتْ الوحدة على النهوض به، وقد قَدَّم المجلس العلمي ما يراه من مقترحات على الخطة لتعديلها، وذلك قبل رَفْعِها لمعالي وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد لاعتمادها.

- تواصل اللجنة العلمية لندوة «تعليم القرآن الكريم لذوي الاحتياجات الخاصة: تقويم للواقع واستشراف للمستقبل» أعمالها بعقد اجتماع كل أسبوعين لدراسة طلبات المشاركة في بحوث الندوة والمعرض المصاحب، وقد درست حتى تاريخ ١٤٣٨/٧/١٦هـ مئة مشاركة من أكثر من (١٥) بلداً من أنحاء العالم، كما تواصل اللجنة العمل على أن تحقق الندوة الأهداف النبيلة المحددة لها باستكتاب الكفاءات العلمية في مجال موضوع الندوة، وتيسير سبل تواصل المشاركين مع اللجنة، وتهيئة وسائل إنجاح الندوة.
- وفي مجال ترجمات معاني القرآن الكريم:

١. أصدر المجمع ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الملايوية.

٢. أحيلت إلى الطباعة ترجمات معاني القرآن الكريم الآتية:
   - البلوشية.
   - العبرية.
   - الليزكية.

٣. زار الشيخ سعيد ساتو مترجم اليابانية المجمع؛ لمراجعة البروفات لترجمة معاني القرآن الكريم باللغة اليابانية.

٤. أما الترجمات التي هي قيد الطبع فهي:
   - الأمازيغية (بالحرف اللاتيني).
   - التغالوغ (الترجمة الكاملة).
   - الدَّنِمَرْكية.
   - العفرية.
   - الكردية (اللهجة الكرمانجية).
   - الكنَّدية (لغة ولاية كرناتكا في جنوب الهند).
   - اللنغالا.

٥. ترجمات معاني القرآن الكريم قيد الإعداد:
- الأزبكية.
- الجولا (من لغات السنغال).

٦. إتمام مراجعة شاملة للترجمات الآتية:
- الإندونيسية (تم تحديث لغتها).
- المقدونية.
- الهوسا.

٧. تم التسجيل الصوتي للترجمة الجاخنكية المندكية من جديد، وبقيت المراجعة.

٨. ترجمة الزولو لاتزال قيد المراجعة.

٩. تجري الإجراءات اللازمة لتحويل الترجمة الأورومية الصوتية إلى الصيغة الرقمية.

١٠. تتم دراسة عرض بعض الناطقين باللغة السونينكية (من لغات شرق إفريقيا) للقيام بترجمة التفسير الميسر إلى لغتهم.

١١. تتم مراجعة (كشاف موضوعات القرآن الكريم) باللغة الإنجليزية الذي قام بإعداده الأخ ولي الرحمن من كندا مستخدماً الترجمة الإنكليزية لمعاني القرآن الكريم، من إصدار المجمع.

١٢. الترجمة القمرية قيد الدراسة.

١٣. انتهى الدكتور ميخايلو يعقوبوفيتش من إعداد ببليوغرافية ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغات السلافية، وهي الآن قيد المراجعة.

١٤. بتوصية من مجلس مركز الترجمات تتم دراسة ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية المعاصرة.

١٥. تجري دراسة ترجمة جديدة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة البوسنية.

- واصل مركز البحوث الرقمية لخدمة القرآن الكريم وعلومه القيام بتحويل إصدارات المجمع من الصيغ الطباعية إلى صيغ رقمية قابلة للتعامل معها في البرامج والتطبيقات والمواقع، وتم تحويل الكتب والترجمات الآتية:
  - النشر في القراءات العشر.
  - فهرس مخطوطات التفسير وعلوم القرآن في مكتبات المدينة المنورة.
  - تقريب النشر في القراءات العشر.
  - كتابة المصحف الشريف وطباعته: تاريخها وأطوارها وعناية المملكة العربية السعودية بطبعه ونشره وترجمة معانيه.
  - أصول الإيمان (باللغة العربية).
  - ببلوغرافيا ترجمات معاني القرآن الكريم الصادرة في المجمع.
  - ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية.
  - ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الروسية.
  - ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة التركية.
  - ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة السواحلية.
  - ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأمازيغية (الحرف العربي).
  - ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الصينية.
  - ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفُلَّانية (الحرف اللاتيني).
- أعدَّ المركزُ خِطة مشروع: «المعجم الرَّقْمي المصنَّف لمصطلحات علوم القرآن الكريم»؛ لحاجة مصطلحات علوم القرآن المتنوعة، والموزَّعة على العديد من المصادر الأساسية والفرعية لهذه العلوم، إلى وعاء شامل مبوَّب بطريقة موضوعية يجمعها، ويسدُّ فراغاً - يلمِسُه المعنيُّون - في نطاق المكتبة القرآنية.

- انتهى المركز من إعداد صيغة الإصدار الأول - من مشروع: «التفسير الموضوعي لمعاني القرآن الكريم بلغة الإشارة» - الذي بعنوان: «تفسير آيات مختارة في موضوعات مهمة في العقيدة».
- انتهى المركز من إعداد صيغة الإصدار الثاني - من مشروع: «التفسير الموضوعي لمعاني القرآن الكريم بلغة الإشارة» - الذي بعنوان: «تفسير آيات مختارة في موضوعات مهمة في الطهارة».
- انتهى المركز من إعداد صيغة الإصدار الثالث - من مشروع: «التفسير الموضوعي لمعاني القرآن الكريم بلغة الإشارة» - الذي بعنوان: «تفسير آيات مختارة في موضوعات مهمة في الصلاة».
- قام المركز بمراجعة «**مصحف المدينة النبوية» غير الموجه (وفق ترتيب مصحف الشمرلي)**: من أول القرآن الكريم إلى بداية سورة الفرقان، وذلك بقراءة التهجّي الثلاثي، وسيكون هذا المصحف الشريف في تطبيق «مصحف المدينة النبوية» على أنظمة التشغيل العالمية على منصتي: (IOS, Android).
- قام المركز بمراجعة **(مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٧) مجلداً)**، على تطبيق: «مصحف المدينة النبوية» - صور الإصدارات، المخصص للأجهزة الذكية التي تعمل على نظام (IOS).

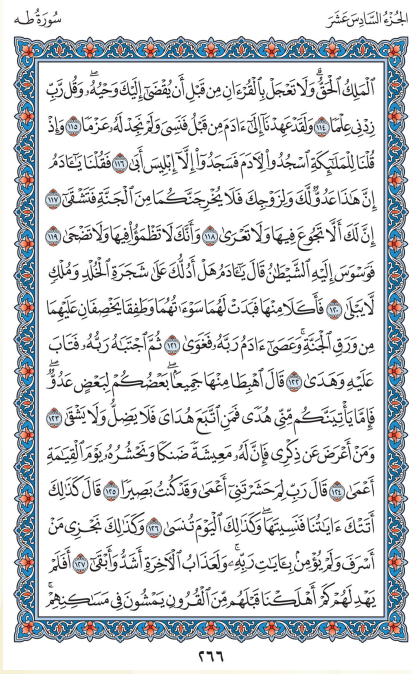

نموذج من مصحف المدينة النبوية غير الموجَّه

- انتهى مركز البحوث الرقمية لخدمة القرآن الكريم وعلومه من التسجيل الصوتي لكامل ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغتين: السواحلية، والإسبانية، ويقوم الفني المختص في استديو المجمع بعمل المونتاج النهائي للترجمتين؛ لاستخدامهما في أعمال المجمع المتعددة.
- تقوم اللجنة العلمية لمراجعة المصحف الشريف بمراجعة المصاحف المطبوعة، والمصاحف المرتلة، كما يشمل ما يرد إلى المجمع من مصاحف مخطوطة ومطبوعة من الجهات الرسمية داخل المملكة، وذلك بغرض مراجعتها وكتابة تقرير عنها، كما يتناول أيضاً ما يرد إلى اللجنة من استفسارات حول مراجعة المصاحف وطباعتها والبحوث المتعلقة برسم القرآن الكريم وضبطه، وعلامات الوقف، وعلوم القرآن الكريم بشكل عام.

  وتقوم اللجنة العلمية أيضاً بمراجعة عينات من جميع المستخلصات المقروءة والمسموعة التي يصدرها المجمع للتأكد من سلامة النص القرآني.

  كما تشارك اللجنة العلمية في إقامة الدورات التجويدية التي يقيمها المجمع كل عام على مدى سبعة أشهر بالمسجد النبوي الشريف للراغبين في عرض القرآن الكريم، وفق رواية حفص عن عاصم الكوفي من طريق الشاطبية، وذلك ابتداء من عام (١٤١٩- ١٤٢٠هـ) حتى عام (١٤٣٧هـ)، وقد تخرج في هذه الدورات على امتداد ثمانية عشر عاماً (٤٠٨) من الدارسين.
- تمت مراجعة المصاحف الآتية من قبل اللجنة العلمية:

١. مراجعة مصحف حاسوبي وفق رواية البزي عن ابن كثير.
٢. مراجعة مصحف حاسوبي وفق رواية قنبل عن ابن كثير.

٣. مراجعة المصحف الكريم المعالج وفق رواية حفص المصور من المخطوطة المودعة في خزانة المجمع.

- تم رفع خطة الحج لهذا العام (١٤٣٨هـ) للوزارة والمتضمنة أعمالَ المجمع في الموسم القادم، لتوزيع هدية خادم الحرمين الشريفين وكتب المناسك باللغات المختلفة.
- متابعة شركة دار المعمار الموكل إليها تشغيل المجمع وفق الأعمال التالية:
  - صيانة آلات الإنتاج.
  - تشغيل آلات الإنتاج.
  - تشغيل وصيانة محطات الكهرباء والتيار المنخفض.
  - صيانة المباني والمرافق العامة.
  - الأعمال العلمية والطبية.
  - أعمال النظافة والزراعة والمستودعات والتحميل.
- وزع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف منذ إنشائه عام (١٤٠٥هـ)، ما مجموعه (٢٩٧,٨٥٠,٣٩٣) نسخة من إصداراته المتنوعة التي تشمل المصاحف بأحجامها وروايتها المختلفة، وترجمات معاني القرآن الكريم إلى (٧٣) لغة، والكتب العلمية المتعددة في علوم القرآن الكريم، وأشرطة الكاسيت والاسطوانات المضغوطة (MP3)، وتم توزيع هذه النسخ على الجهات الحكومية، والتعليم، وفروع الوزارة، والسفارات السعودية، وعلى الأفراد في المعارض داخل المملكة وخارجها، وكذلك هدية خادم الحرمين الشريفين لحجاج بيت الله الحرام، كما يحظى كل زائر للمجمع بنسخة من إصداراته.
- قامت إدارة العلاقات العامة بالمجمع بتوثيق بعض الزيارات المهمة والرسمية بتصوير فيديو وفوتوغرافي، وإعداد أخبار صحفية لتلك الزيارات وإرسالها إلى (و.ا.س) والصحف السعودية، كما قامت بإعداد صور وبوسترات لأجزاء المجمع

ومراحل الإنتاج فيه؛ لعرضها في المعارض التي يشارك المجمع فيها، كما قامت الإدارة بتزويد بعض وسائل الإعلام والإعلاميين والباحثين والجهات الحكومية بمواد إعلامية متنوعة.

ومن أبرز الزيارات المهمة والرسمية للمجمع، زيارة كلٍّ من:

الزيارات الرسمية والمهمة وعددها (١٥):

١. نائب رئيس بعثة الحج التركية (١٤٣٨/١/٢هـ).
٢. الشيخ/ حمد بن ناصر بن جاسم وزير الدولة (قطر) (١٤٣٨/٢/١٠هـ).
٣. قائد منطقة المدينة المنورة (١٤٣٨/٢/١٤هـ).
٤. قضاة من إندونيسيا (١٤٣٨/٢/٢٠هـ).
٥. صاحبة السمو الملكي/ عائشة بنت سلطان حاج (ماليزيا) (١٤٣٨/٣/٧هـ).
٦. رئيس هيئة الأركان البنغلاديشي (١٤٣٨/٣/١هـ).
٧. معالي قائد الجيش الباكستاني (١٤٣٨/٣/٢٠هـ).
٨. ضيوف خادم الحرمين الشريفين للعمرة (١٤٣٨/٤/٩هـ).
٩. ولي عهد إمارة الفجيرة (١٤٣٨/٤/١٠هـ).
١٠. سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية (١٤٣٨/٤/١٤هـ).
١١. رئيس أركان القوات البحرية السودانية (١٤٣٨/٤/١٩هـ).
١٢. وفد صيني (رجال أعمال) (١٤٣٨/٥/١٤هـ).
١٣. القنصل العام الأمريكي الجديد (١٤٣٨/٥/٢٤هـ).
١٤. وفد من معهد الدفاع الجوي (١٤٣٨/٥/٢٩هـ).
١٥. رئيس ديوان المظالم والوفد المرافق له (١٤٣٨/٦/١٤هـ).

من إصدارات

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

ترجمة الهوسا

المقاس: ١٤ × ٢١ سم

الرمز: ٤٠٠٠/د ٢هـ

ترجمة الهوسا (بدون نص قرآني)

المقاس: ١٤ × ٢١ سم

الرمز: ٤٠٠٠/د ٢هـ٢

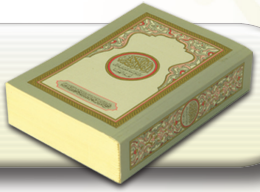

ترجمة الهوسا -جيب - (بالنص القرآني)

المقاس: ٨,٥ × ١٢ سم

الرمز: ٤٠٠٠/د ٢هـ غ

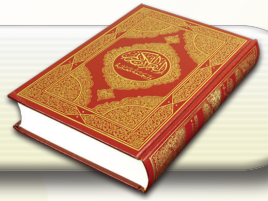

الترجمة البوسنية

المقاس: ١٤ × ٢١ سم

الرمز: ٤٠٠٠/د ١٣

الترجمة البرتغالية

المقاس: ١٤ × ٢١ سم

الرمز: ٤٠٠٠/د ٤٢

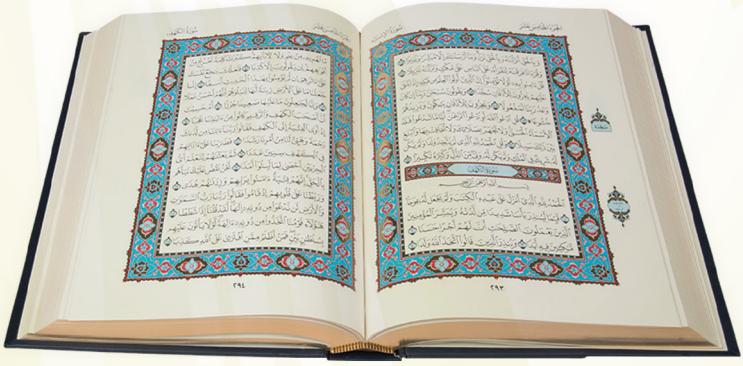

Rhetorical Problems in Translating the Inner Meaning of the Qua'ānic Text: A Study in Application

Dr. Ibrāhīm Sa'īd al-Sayyid(1)

There are problems in translating a text which combines sanctity with semantic extensiveness. The sanctity of the text deters the translator from translating the accurate meaning. So he is content with translating the obvious meaning which may not be the intended meaning.

The semantic profusion may also leave the translator baffled, and may not arrive at the intended inner meaning of the text.

This paper attempts to study the problems that prevent the translator from arriving at the inner meaning, one of which is to be able to identify the rhetorical image from the rhetorical expression.

(1) Assistant Prof. of Rhetorics and Literary Criticism at the University of Jazān, Saudi Arabia.

A Tract Containing *Tafsīr* of some *Āyāt* Attributed to Imām Aḥmad ibn Hanbal

Hind bint Ibrāhīm al-Tuwayjirī(1)

In this paper I have critically edited the text of the *tafsīr* which is reported by al-Marrūdhī on the authority of Imām Aḥmad *raḥimahullāh*. My editing includes the following feature:

1. Vocalising the text.
2. Documenting the reports pertaining to *ḥadīth* and *āthār*.
3. Quoting the ruling of the scholars on the authenticity or otherwise of the *ḥadīth*.
4. Tracing Imām Aḥmad's statements in the field of *tafsīr* to their original authors.
5. Finding out the scholars of *ḥadīth* and *tafsīr* who have also quoted these statements along with tracing the course of these statements, and my ruling on the chain of their narrators.
6. Providing biographical notes of the lesser-known personalities mentioned in the tract.
7. Explaining difficult words and providing information pertaining to places and sects.
8. Explaining what needs to be explained.
9. Conclusion containing my findings.

(1) Assistant Professor in the Dept. of Qur'ānic Studies, Faculty of Arts & Humanities, Ṭaybah University, Madinah Munawwarah.

Al-Kisā'ī's Explanation of *Mutawātir Qirā'āt*

Muḥammad Yahyā Wild al-Shaykh Jārallāh(1)

In this paper I have collected and studied al-Kisā'ī's explanations of *mutawātir qirā'āt*.

The paper consists of a preface, an introduction, and two chapters.

In the Preface I have dealt with the following subjects:

Importance of the subject, reasons for selecting this subject, earlier studies, lay-out of the paper and the methodology.

The Introduction deals with a biographical note on Imām al-Kisā'ī, and defines the term *tawjīh* (Explanation).

The first chapter deals with the Reading of Imām al-Kisā'ī, and a study of his *tawjīh*.

In the second chapter I have collected all the instances of al-Kisā'ī's *tawjīh* of *mutawatir qirā'āt*, and have arranged them according the arrangement of the *sūrahs* in the *muṣḥaf*.

Finally, I have mentioned in the Conclusion the most important facts that I have arrived at.

(1) Associate Professor, Qirā'āt Section, Faculty of Da'wah & Uṣūl al-Dīn, Umm al-Qurā University.

Imām Ṭabarī's Role in the Field of Qirā'āt

Prof. 'Umar Yūsuf 'Abd al-Ghanī Ḥamdān[1]

Contemporary studies dealing with this topic have mostly dealt with Ṭabarī's stand with regard to the Qirā'āt and his handling of this subject in his *tafsīr* work *Jāmi' al-Bayān'an Ta'wīl al-Qur'ān*. But these studies have not shed enough light on Ṭabarī's role as a *rāwī* and author in the field of *Qirā'āt*. Also, they have not attempted to seriously study his work on *Qirā'āt*. At best they have hinted that his book is an extinct work on *Qirā'āt*.

But enough contribution has been made with regard to his system of selecting the *qira'at*, and these studies are based on material available in his *tafsīr*. But it is not possible to follow his methodology in this regard as he has dealt only with a few instances of *qirā'āt* in his *tasfīr* because he was more concerned therein with the *tasfīr* than with the *qirā'āt* as he himself has mentioned.

My humble contribution in this regard is that I have followed up Ṭabarī's selections of *qirā'āt* in the books of *Qirā'āt* which have recorded his stand with regard to various *qirā'āt* such as *Kitāb al-Iqnā'* by al-Ahwāzī (d 446^{AH}) and *Qurrat 'Ayn al-Qurrā'* by al-Marandī which remains a MS.

(1) Professor of Qur'ānic Sciences, Supervisor of the Chair of Teaching Qua'ānic Sciences, Institute of Sharī'ah Sciences, University of Tübingen, Germany.

Abstracts of Arabic Articles

The Original Meaning of the Qur'ānic Word as Conceived by ibn Qutaybah in His *Tafsīr Gharīb al-Qur'ān*

Fahd ibn Ibrāhīm al-Dālī'(1)

The paper deals with ibn Qutaybah's concept of the *aṣl* of the Qur'ānic word.

The paper consists of the following:

1. Introduction.
2. Biography of ibn Qutaybah.
   A quick review of ibn Qutaybah's *Tafsīr Gharīb al-Qur'ān*.
3. Study of twenty-two words selected from ibn Qutaybah's book in the light of the comments of the *mufassirūn* and the lexicographers, especially ibn Fāris in his *Maqāyīs al-Lughah*.
4. Conclusion containing results and recommendations.

(1) Associate Professor in the Dept. of Qur'ān & its Sciences, Sharī'ah College, University of Qaṣīm.

Holy Mosques. It is also to be mentioned that every visitor to the Complex receives a copy of one of its publications.

- The Directorate of Public Relations made videos and photos of some of the important and official visits. It also edited news items of these visits, and provided them to SPA, and to Saudi newspapers. It also prepared photos and posters of some parts of the Complex and also representing some stages of production to be displayed in the various book fares and exhibitions in which the Complex participates. The Directorate also provided the media, some journalists, researchers and Government agencies with various news items.

  Some of the official and other important visits to the Complex are the following:

  1. Deputy Chairman of the Turkish Hajj delegation, 2/1/1438.
  2. Shaikh Ḥamad ibn Nāṣir ibn Jāsim (Minister of State, Qatar), 10/2/1438.
  3. Commander of the Madinah Region,14/2/1438.
  4. Judges from Indonesia, 20/2/1438.
  5. H.R.H.'Āishah bint Sultān Ḥājj (Malaysia), 7/3/1438.
  6. Commander-in-Chief of Bangladesh, 1/3/1438.
  7. Cammander of Pakistani Army, 20/3/1438.
  8. Guests of the Custodian of the Two Holy Mosques for 'Umrah, 9/4/1438.
  9. Crown Prince of al-Fujairah,10/4/1438.
  10. His Eminence the Mufti of Lebanon, 14/4/1438.
  11. Naval Commander of Sudan, 19/4/1438.
  12. Chinese Business Delegation, 14/5/1438.
  13. The new American Consul General, 24/5/1438.
  14. Delegation from the Air Defense Academy, 29/5/1438.
  15. Chairman, Maẓālim Court, and accompanying delegation, 14/6/1438.

- The Centre has revised Majmū' Fatāwā Shaykh al-Islām ibn Taymiyyah (37 volumes) according to app of Muṣḥaf al-Madinah al-Nabawiyyah-Application Image used in smart gadgets operating on IOS.
- The Centre has finished recording the complete translations of the meanings of the Glorious Qur'ān into Swahili and Spanish. These recordings are now in the stage of montage. They will be used in various digital programmes in the Complex.

- The Complex's programme during the Ḥajj of 1438AH to distribute among the hajis the gift of the Custodian of the Two Holy Mosques, and books on *manāsik* in different languages has been submitted to the Ministry.
- Follow-up of the Dār al-Mi'mār Company which is to run the Complex in the following fields:
  - Maintenance of production machines.
  - Operation of production machines.
  - Operation and maintenance of electricity substations.
  - Maintenance of buildings and public utilities.
  - Academic and medical matters.
  - Matters pertaining to cleaning, gardening, warehousing and loading.
- Since its inception in 1405AH, the Complex has distributed 297,850,393 copies of its various publications including copies of the Glorious Qur'ān in different sizes, and according to various Readings. This number also includes the translations of the Glorious Qur'ān into 73 languages, books pertaining to various Qur'ānic Sciences, and cassettes and MP3 CDs. These were distributed to government departments, educational institutions, branches of ministries, Saudi embassies, to individuals in book fares and exhibitions in and outside the Kingdom and to hajis as a gift from the Custodian of the Two

- Translation of the Meanings of the Glorious Qur'ān into Swahili.
- Translation of the Meanings of the Glorious Qur'ān into Tamazight (in Arabic characters).
- Translation of the Meanings of the Glorious Qur'ān into Chinese.
- Translation of the Meanings of the Glorious Qur'ān into Pular (in Latin characters).

- The Centre is working on the project of preparing a digital dictionary of terms used in the Qur'ānic Sciences. These terms will be collected from the primary and secondary sources, and will be classified. This work will fill a gap in the Qur'ānic library.
- The Centre has finished preparing the first of a series of subject-based *tafsīr* in the sign language. This part is called "The Tafsīr of Selected Āyāt Pertaining to Important Topics of 'Aqīdah".
- The Centre has finished preparing the second of a series of subject-based *tafsīr* in the sign language. This part is called "The Tafsīr of Selected Āyāt Pertaining to Important Topics of Ṭahārah (Purification)".
- The Centre has finished preparing the third of a series of subject-based *tafsīr* in the sign language. This part is called "The Tafsīr of Selected Āyāt Pertaining to Important Topics of Ṣalāh".
- The Centre has revised the Muṣḥaf al-Madinah al-Nabawiyyah (in accordance with the Shamarli Muṣḥaf, wherein the page does not end in an *āyah*) from the beginning to Sūrat al-Furqān. The revision was done according to the Triple Spelt Reading Method. This Muṣḥaf will be used in the Muṣḥaf al-Madinah al-Nabawiyyah App according to the international operating systems on the three platforms: IOS, Android and Windows.

نموذج من مصحف المدينة النبوية غير الموجَّه

The Committee also participates in the Tajwīd Courses which the Complex conducts every year in the Prophet's Mosque for the sake of those who desire to have their recitation of the Glorious Qur'ān according to the Reading of Ḥafṣ ʻan ʻĀṣim (Ṭarīq al-Shāṭibiyyah) checked. This Course has been going on since 1419-1420AH. The number of the graduates of this Course during the past 18 years is 408.

- The Committee has completed the scrutiny of the following *Muṣḥafs*:
  1. Digital *Muṣḥaf* according to the Reading of al-Bazzī ʻan ibn Kathīr.
  2. Digital *Muṣḥaf* according to the Reading of Qunbul ʻan ibn Kathīr.
  3. *Muṣḥaf* according to the Reading of Ḥafṣ which is a copy of the MS preserved in the Complex's library.
- The Centre for Digital Research for the Service of the Glorious Qur'an & its Sciences continues to convert the Complex's publications from hard copies into editable soft copies so that they can be used in programmes, applications and in websites. The following books have been digitalized:

  - Al-Nashr fi l-Qirā'āt al-'Ashr.
  - Fihris Makhṭūṭāt al-Tafsīr wa 'Ulūm al-Qur'ān fi Maktabat al-Madinah al-Munawwarah.
  - Taqrīb al-Nashr fi l-Qirā'āt al-'Ashr.
  - Kitābat al-Muṣḥaf al-Sharīf wa Tibā'atuhu: Tārīkhuhā wa Aṭwāruhā, wa 'Ināyatu l-Mamlakati l-'Arabiyyati l-Sa'ūdiyyati bi-Tab'ihi wa Nashrihi wa Tarjamatu Ma'ānīhi.
  - Usūl al-Imān (Arabic).
  - Bibliographiyā Tarjamāt Ma'ānī l-Qur'ān al-Karīm al-Ṣādirah fi l-Mujamma'.
  - Translation of the Meanings of the Glorious Qur'ān into German.
  - Translation of the Meanings of the Glorious Qur'ān into Russian.
  - Translation of the Meanings of the Glorious Qur'ān into Turkish.

9. Steps are being taken to change the oral Oromo translation from cassettes into CDs.
10. The proposal of some speakers of Soninki (one of the languages of east Africa) to translate *al-Tafsīr al-Muyassar* into their language is under consideration.
11. Subject Index of the Glorious Qur'ān prepared by Mr Waliur Rahman of Canada using the Complex's English translation is being revised.
12. The Comore Translation of the meanings of the Glorious Qur'ān is under consideration.
13. Dr Mykhaylo Yakubovych has submitted his Bibliography of Qur'ānic Translations into Slavic languages, and is being revised.
14. In accordance with the recommendation of the Translation Centre Board, translations of the meanings of the Glorious Qur'ān into the modern Persian language are being reviewed.
15. A new translation of the meanings of the Glorious Qur'ān into Bosnian is under review.

- The Scholarly Committee for the Scrutiny of the Noble Muṣḥaf is now revising the printed copies of the Glorious Qur'ān and the recorded recitations. It also reviews the manuscripts and printed copies of the Glorious Qur'ān which are referred to it from within the Kingdom for checking them and writing reports about them.

  It also replies to queries relating to the following matters:

  - Scrutiny of the Muṣḥaf and its printing.
  - Qur'ānic Orthography.
  - Qur'ānic Diacritical Signs (*ḍabṭ*)
  - Qur'ānic Punctuation Marks.
  - Other matters pertaining to Qur'ānic Sciences in general.

  The Committee reviews samples of all the publications of the Complex, both printed and recorded to ascertain the correctness of the Qur'ānic text.

- In the field of the translation of the Glorious Qur'ān:
  1. The Complex published a translation of the Glorious Qur'ān into Malay.
  2. Translations of the meanings of the Glorious Qur'ān into the following languages have been submitted for printing:
     - Balochi.
     - Hebrew.
     - Lezig.
  3. Shaikh Sa'īd Sato, the translator of the Japanese translation recently visited the Complex for proofreading the translation.
  4. The following translations are in press:
     - Tamazight (in Latin character).
     - Tagalog (complete translation).
     - Danish.
     - Kurdish (Kurmanji dialect).
     - Afar.
     - Canarese (language of the State of Karnataka in south India).
     - Linghala.
  5. Translations of the meanings of the Glorious Qur'ān in the following languages are under preparation:
     - Uzbek.
     - Djoula (one of the languages of Senegal).
  6. The following translations have undergone thorough revision:
     - Indonesian (the language of the translation has been modernized).
     - Macedonian.
     - Hausa.
  7. The Mendenki translation has been recoded anew. The recording has to be revised.
  8. The Zulu translation is undergoing revision.

News From the Complex

- Researchers of the Centre for Qur'ānic Studies are engaged in editing the book Itḥāf Fuḍalā' al-Bashar bi l-Qirā'āt al-Arba'ata 'Ashar by Shaikh al-Dumyāṭi al-Bannā'. They have made good progress in editing the text, and studying the differences found in the different copies of the MS. They will also write an introduction.

  The researchers hope to complete the editing within the specified time.

- The Directorate of Academic Affairs has commenced to act according to the new regulations of the Centre for Qur'ānic Studies after being ratified by the Minister of Islamic Affairs, Da'wah & Guidance. The different units of the Centre have started holding their meetings.

  The following units have been formed in the Centre:

  - Unit pertaining to Research in *Tafsīr* and Qur'ānic Sciences.
  - Unit pertaining to Editing Heritage Books.
  - Unit pertaining to Lexicons and Encyclopedias.
  - Unit pertaining to Qur'āic Studies by Orientalists.

- The Academic Board of the Complex has reviewed the plan pertaining to the proposed work, *Dictionary of Qur'ānic Reciters* submitted by the Lexicons & Encyclopedias Unit. The Board has suggested some changes to the plan. The plan will be presented to the Minister after the approval of the Board.

- The Academic Committee of the Symposium on *Teaching the Glorious Quran to the Differently-abled: Evaluation of the Past and Looking Forward to the Future* continues to conduct its meetings every two weeks to review the applications for participation in the Symposium and the accompanying exhibition. It has reviewed till 16/7/1438^{AH} one hundred applications from 15 countries of the world. To achieve all the noble aims and objects of the Symposium the Committee is in contact with experts in the field to commission them to present papers on the different topics of the Symposium.

بسم الله الرحمن الرحيم

In the Name of Allah
the Most Gracious, the Most Merciful

Journal of QUR'ĀNIC RESEARCH AND STUDIES

Issue 18 Volume 11 2018

Contents

News From The Complex 5

Abstracts of Arabic Articles 13

Notes for Authors

The **Journal of Qur'ānic Research and Studies** welcomes serious scholarly contributions in Arabic and English on the Glorious Qur'ān and its studies, the translation of the meanings of the Glorious Qur'ān and editing old manuscripts related to it.

Contributions should conform to the following:

- The length of contributions should normally be between 6000 and 12000 words.
- Three copies should be submitted, double-spaced with ample margins on one side of A4 sized paper.
- A soft copy of the contribution must be submitted. Text should be a Microsoft Word 2000 document (or a more recent version). Authors are welcome to send their contributions by e-mail, formatted as a Word attachment.
- A brief C.V. relevant to the scope of the journal should be submitted detailing the full contact information of the author and their institutional affiliation.
- An abstract of no more than 200 words should accompany the manuscript.
- Notes should appear page by page as they occur, i.e. in footnotes not endnotes. They should be numbered page by page.

The editorial board will consider original contributions set within sound theoretical or methodological frameworks, provided the material presented is rigorous. Submission of a contribution will be taken to imply that it has neither been published nor is being considered for publication elsewhere.

Contributors will be financially rewarded, receive five copies of the issue in which their contribution appears and twenty offprints of their contribution.

Transliteration System of Arabic Characters

ء	ʾ	ض	ḍ
ا	ā	ط	ṭ
ب	b	ظ	ẓ
ت	t	ع	ʿ
ث	th	غ	gh
ج	j	ف	f
ح	ḥ	ق	q
خ	kh	ك	k
د	d	ل	l
ذ	dh	م	m
ر	r	ن	n
ز	z	ه	h
س	s	و	w as a consonant and ū as a vowel
ش	sh		
ص	ṣ	ي	y as a consonant and ī as a vowel

Short vowels are to be transliterated as follows:
a for fat.hah (ـَ), i for kasrah (ـِ) and u for dammah (ـُ).
ة : is transliterated as h, but t when mu.dâf.
الـ : is transliterated as al whether shamsiyyah or qamariyyah.

The **Journal of Qur'ānic Research and Studies** encourages scholarly research and promotes publication in the field of the Glorious Qur'ān and its studies with a view to enriching the Qur'ānic studies library further and bringing specialists to get involved together in this field of study.

To achieve its aims, the journal welcomes contributions in the following areas: Qur'ānic studies, editing of related old manuscripts and studies concerning the translation of the meanings of the Glorious Qur'ān.

Editorial Board

Supervisor General

His Excellency Shaikh Dr. 'Abdullaṭif ibn 'Abd al-'Azīz ibn 'Abdulraḥman Āl al-Shaikh
Minister of Islamic Affairs, Da'wah and Guidance Supervisor General of the Complex

Editor in Chief

Professor Muḥammad Sālim ibn Shudayyid al-'Awfī
Secretary-General of King Fahd Glorious Qur'ān Printing Complex

Deputy Editor in Chief

Professor Mu'īdh ibn Musā'id Al-'Awfī
Deputy Secretary General for Scholarly Affairs at King Fahd Glorious Qur'ān Printing Complex

Editor

Dr. 'Abd al-Ghafūr 'Abd al-Ḥaqq al-Bulūshi

Members

Professor Aḥmad ibn Muḥammad al-Kharrāṭ
Professor 'Imād ibn Zuhayr Ḥāfiẓ
Dr. Hāzim ibn Sa'īd As-sa'īd
Dr. Muṣṭafā ibn 'Umar Ḥalabī

Editor in Chief
Journal of Qur'ānic Research and Studies
King Fahd Glorious Qur'ān Printing Complex
Madinah, P.O. Box 6262
Kingdom of Saudi Arabia
Telephone/Fax: 00966 (14) 8615600 Ext. 1810
journal@qurancomplex.org
www.qurancomplex.org
ISSN 1658-2624
©All rights reserved for King Fahd Glorious Qur'ān Printing Complex

King Fahd Glorious Qur'ān Printing Complex in Brief

Inauguration

In response to the increasing need of Muslims the world over for copies of the Glorious Qur'an, assuming the pioneering role of the Kingdom of Saudi Arabia in serving Islam and Muslims, and realizing the importance of serving the Glorious Qur'an, the late Custodian of the Two Holy Mosques, King Fahd ibn 'Abd al-'Azīz, laid the foundation stone of King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex in Madinah in 1403 AH (1982) and inaugurated it in 1405 AH (1984) as a body dedicated to carrying out this honourable task. On laying the foundation stone he said:

> *In the Name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful. With the blessing of Allah, the Exalted, the Able [do I lay this stone].... We pray that this project will be a blessing for the service of the Glorious Qur'an, firstly, and Islam and Muslims, secondly. I pray to Allah, the Exalted, the Able, to grant us help and success in our religious and worldly affairs, and to make this project successful in fulfilling what it has been set up for, namely, the Glorious Qur'an, so that Muslims may benefit from it and ponder on its meanings.*

Aims of the Complex

Prominent among the aims of the Complex are: printing the Glorious Qur'an and recording it on audio media in the modes of reading well-known in the Muslim world, translating its meanings, furthering tafsir and Qur'anic studies, undertaking Islamic research and studies, and catering to the needs of Muslims, inside and outside the Kingdom, for the different publications of the Complex and making them available on the internet.

Supervision of the Complex

The Ministry of Islamic Affairs, Da'wah and Guidance supervizes the Complex. His Excellency Shaikh Dr. 'Abdullaṭif ibn 'Abd al-'Azīz ibn 'Abdulraḥman Āl al-Shaikh is the Supervisor-General of the Complex and the head of its Higher Committee. The implementation of the Complex's policies and the achievement of its aims are overseen by the Secretary-General of the Complex, Prof. Muḥammad Sālim ibn Shudayyid al-'Awfi.

The Higher Committee

The higher committee of the Complex sets its general policies and aims, oversees their implementation, and endorses the rules and regulations of the Complex.

The Scholarly Board

The scholarly board of the Complex looks into scholarly matters in line with the Complex's aims and suggests ways to advance them. It also considers research and issues of scholarly nature, and reviews the reports presented by specialized centres within the Complex.

Figures and Achievements

- The Complex comprises an integral line of production including the scholarly bodies, which work on preparing and producing its publications, and state-of-the-art printing, CD recording equipment.
- The Complex stands out with its advanced quality control system, applied rigorously at all production stages. There are almost 462 personnel in the quality control department responsible for ensuring that publications are free from defects.
- The Complex produced more than 300 important titles in the fields with which it is concerned, 74 of which are translations of the meanings of the Qur'an in different languages. Work is on-going on producing more useful publications.
- From this year (1439 AH), the annual output of the Complex will fluctuate between 18 and 20 million copies.
- The Complex distributed tens of millions of its publications all over the world as a present from the Kingdom of Saudi Arabia. About 2 millions copies are distributed annually as part of the Custodian of the Two Holy Mosques' gift to the Pilgrims of Allah's House.

Support of the Complex

The Complex receives constant support from the Custodian of the Two Holy Mosques, King Salmān ibn 'Abd al-'Azīz, his Crown Prince, HRH Prince Muḥammad ibn Salmān ibn 'Abd al-'Azīz - May Allah keep and preserve them.

Kingdom of Saudi Arabia

Ministry of Islamic Affairs,
Daʿwah and Guidance

King Fahd Glorious Qur'ān Printing Complex

Journal of Qur'ānic Research and Studies

A Refereed Journal Specializing
in the Glorious Qur'ān and its Studies

Issue 18 • Volume 11

1439 AH - 2018